سياحة في العهد القديم

من البدء حتى العودة من السبي



تقديم
الأنبا موسى

تأليف
ممدوح شفيق

سياحة في العهد القديم

أسفار موسى الخمسة
الغـــزو والمملـــكة
الســـبي والعـــودة

تقديم
الأنبا موسى

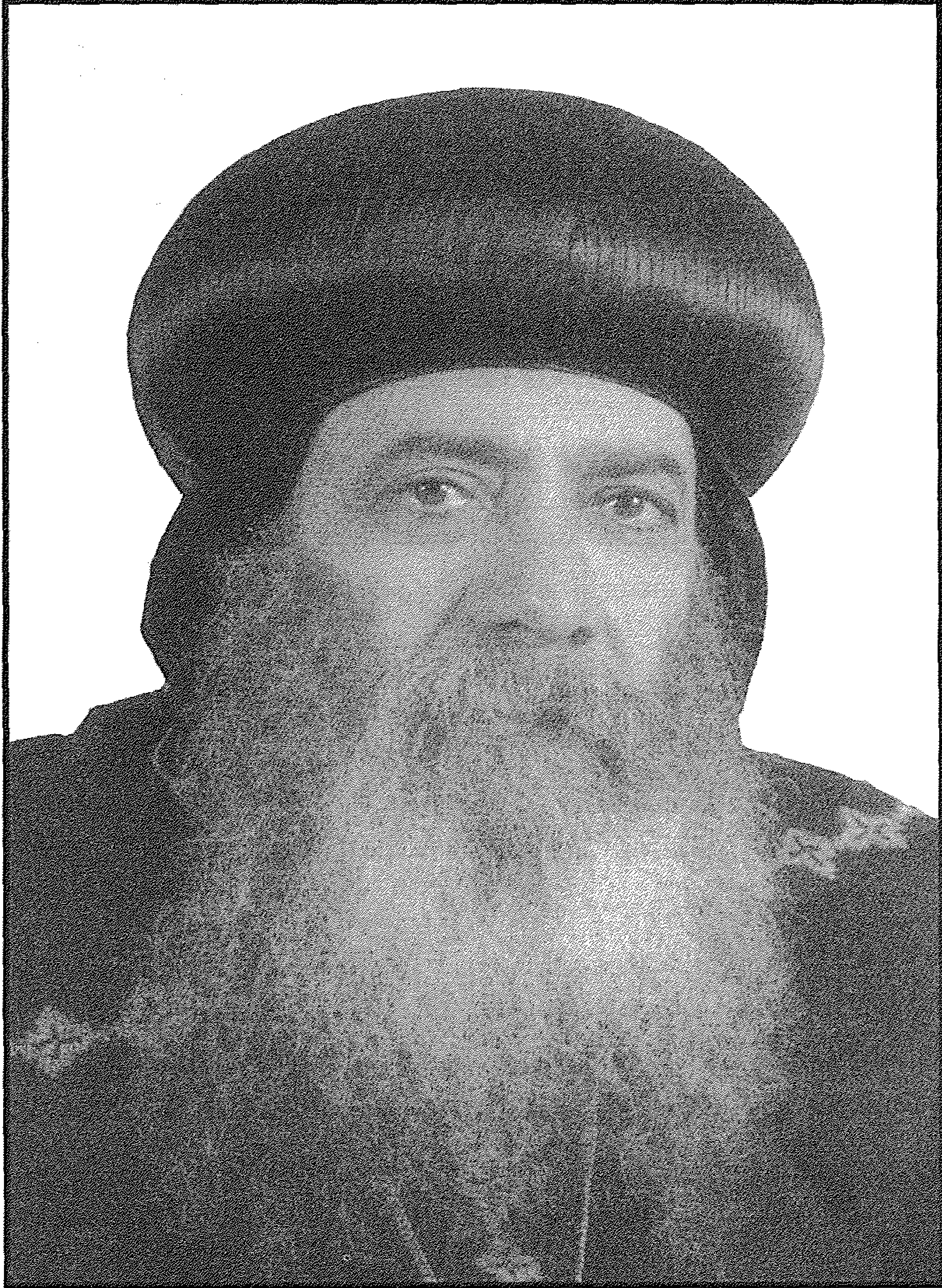
إعداد
ممدوح شفيق

اسم الكتاب: **سياحة في العهد القديم**
(أسفار موسى - الغزو والمملكة - السبي والعودة)
الكاتب: **ممدوح شفيق عبده**
الناشر: **أسقفية الشباب**
الطبعة: **الأولى**
سنة الإصدار: ٢٠١٠
تصميم الغلاف وتنسيق النص: **الفنان سامح سرور ت: ٠١٢٤٩٠٢٢٨٩**
الطباعة وفصل الألوان: **مطبعة متروبول القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٨٦٧**
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤٦ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: ISBN 977-17-9688-7

تقدير وعرفان

إلى الأصدقاء الأعزاء
الذين وقفوا معي في الضيق
وكانوا سنداً حقيقياً في كل وقت
وظلوا مدى العمر أكثر من أخوة أحباء

بدري حلمي
عادل تقاوي
فكتور فهمي
شوقي نصيف



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تقـــــديم

هذه دراسة جيدة للعهد القديم، أعدها الأخ الحبيب المهندس ممدوح شفيق، الذى بعد أن قرأ الكثير من الدراسات الخاصة **بجغرافية** الكتاب المقدس، **وتاريخه**، **وشعوبه**، **ولغاته**، **وشروحات الآباء حوله**... حلق فوق هذه الفترة الطويلة من تاريخ البشرية «**بنظرة طائر**» (Bird's eye) وبدأ يقسمها إلى حقب متوالية، ويقدم شروحات مركزة ووافية لكل فترة، مع شخصياتها وأحداثها، والدروس الروحية المستفادة منها، كما قدم لنا **جداول وخرائط ومقارنات واسئلة**... من أجل مساعدة من يقودون مجموعات دراسة الكتاب المقدس للخدام والشباب فى كنائسهم.

إنها دراسة متميزة وهامة... اذا أضفنا إليها دراسات المهندس ممدوح حول العهد الجديد، والواردة في كتابه «**حياة وتعليم السيد المسيح في ١٠٠ درس كتاب لخدمة الشباب**»، يكون لدينا منهج شامل لدراسة الكتاب المقدس بعهديه، لاغنى عنه لكل دارس للكتاب، أو خادم كلمة، أو قائد مجموعة دراسة كتاب.

إن الكتاب المقدس هو كلمة الحياة التى تنير حياتنا، وتطهرها، وتنقيها، وتقودها فى طريق الملكوت والأبدية السعيدة، فقد قال السيد المسيح له المجد: «**أنتم الان أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به**» (يو ١٥: ٣)، و«**الكلام الذي أكلمكم به هو روح و حياة**» (يو ٦ : ٦٣).

الرب يفتح عيون قلوبنا من خلال هذه الدراسات الكتابية، ويعوض كاتبها عن مجهوده وغيرته، بصلوات راعينا الحبيب **قداسة البابا شنوده الثالث**، وشريكه فى الخدمة الرسولية **نيافة الأنبا مينا** الأسقف العام لكنائس مصر القديمة. ونعمة الرب تشلمنا جميعاً،

الأنبا موسى
الأسقف العام



إهــــداء

إلى ابني

ومصدر فرحي المتجدد

المهندس تامر ممدوح

الذي كان وما زال ملاكي الحارس

ليعطه الرب السعادة ودوام التفوق

إلى أبي

الذي أدين له بالكثير

القس رافائيل ثروت

نموذج المحبة ووضوح الفكر

ليهبه الرب الحكمة والنعمة ونمو الخدمة

الهدف من هذا الكتاب

الهدف هو أن يصبح العهد القديم كتاباً مفتوحاً أمام الجميع، فأكثر الناس يحجمون عن دراسة العهد القديم لطوله وكثرة الاسماء فيه، ولتداخل الأحداث في مواضع كثيرة. وقد اتخذ البحث المنهج التالي:

١. النظرة الشاملة للكتاب، فلم ندرس سفراً بمعزل عن باقي الأسفار، وهذا هو المنهج الآبائي السليم.
٢. الاهتمام بالخلفية التاريخية والجغرافية والمناخ الحضاري الذي دارت فيه أحداث العهد القديم، إذ أؤمن أن الكتاب المقدس هو فكر الله في لغة البشر، وبمصطلحات العصر الذي أعلنت فيه الكلمة، إننا بفهمنا لما كان يعنيه الرب وقتها وهناك، هو السبيل إلى فهم ما يعنيه لنا الآن وهنا.
٣. لقد تجنبت بقدر الإمكان المنهج التأملي في شرح الكتاب، ليس رفضاً للتأمل، بل إيماناً بأن ترتيب الأهمية: نص الكتاب، الفهم السليم للنص، ثم يأتي التأمل، حتى لا يُحَمَّل النص بغير قصده الأصلي.
٤. لم التزم في بحثي هذا بتسلسل الأسفار، بقدر الاهتمام بتواصل الأفكار، حيث أن المفاهيم الكتابية تمتد في خطوط عبر أسفار الكتاب، لذا تتبعت الفكرة حتى نصل إلى اكتمال الفهم.
٥. لجأت بقدر الإمكان إلى الخرائط واللوحات التوضيحية طبقاً للمنهج الشامل الذي أشرت إليه، مع تأكيد أن مجال البحث مفتوح، وأن التواريخ قابلة للتعديل مع تقدم الدراسات الكتابية.
٦. ليس هذا البحث تفسيراً للكتاب، ولكنه مجرد بداية أو مفتاح لجزء عظيم الأهمية من الكتاب المقدس، وسوف يلاحظ القارئ أننا لم نجزم برأي إلا فيما ورد بوضوح في الكتاب، وعدا هذا تحفظنا أن نقطع برأي، فكم من نص كتابي يحتمل أكثر من معنى.
٧. لزيادة الفائدة أرفقنا مع الكتاب قرص مدمج به مئات الخرائط واللوحات والرسوم الملونة يمكن للخدام الاستعانة بها في تقديمهم العهد القديم إلى مخدوميهم.

سبق أن صدر من هذا البحث بعض أجزاء نفدت في وقت قياسي، ولم أفكر في إصدار هذه المجلد بشئ من التنقيح، إلا بالحاح من الأحباء دارسي الكتاب المقدس، خاصة وأن هذا البحث جرى ويجري تدريسه لمجموعات من الخدام في عدة أبرشيات، وفي مركز تدريب الخدام بأسقفية الشباب.

إن هذا العمل الموجود بين يديك، قصد به أن تفتح الكتاب المقدس وتدرس وتقرأ، وتتعلم بواسطة يديك وعينيك وليس بأذنيك، فإن أغلقت هذا الكتاب وفتحت كتابك المقدس يكون الهدف قد تحقق...

ممدوح شفيق

صوم السيدة العذراء – أغسطس ٢٠١٠

والرب يسوع المسيح يبارك خدمتك

الفهرس

القسم الثالث: السبي والعودة

ملاحق الكتاب

صورة الغلاف: وقت شروق الشمس على وادي النصارى بالقرب من حمص بسوريا، وقد سمي هكذا لأن أغلب سكانه كانوا من المسيحيين.

سياحة في العهد القديم
القسم الأول

البداية ومسرح الأحداث

قصة الخلق
الإنســـان
الســـقوط
الطـــوفان
انتشار الأمم
جغرافية كنعان
تضـاريس الأرض
الشـــرق الأدنـى
معبـر الشـعوب

الخليقة



يلاحظ القارئ للأصحاح الأول في سفر التكوين: أن اسم الله يرد أكثر من ثلاثين مرة، وأنه يذكر خلق الأشياء دون أن يذكر كيف خلقت.

على سبيل المثال، يقول الله" لتنبت الأرض عشباً وبقلاً ليبذر بذراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بذره فيه على الأرض- تك ١ : ١١". ماذا حدث؟.. هل خلق الله نباتاً كاملاً ثم تكاثر؟، أم خلق بذوراً وضعها في الأرض وتركها لتنمو؟، أم خلق نباتات أولية وخطط تطورها؟ لا نعلم، إذن الله لا يهتم بأن يخبرنا كيف خلق العالم، ويهمه فقط أن نعرف: من الذي خلق العالم. لقد خلق العالم بكلمة الرب، الحكمة الفاعلة القادرة، هذا هو ما نراه الهدف من قصة الخلق. عندما تصل إلى خلق الإنسان يبدو الاختلاف واضحاً عن كل ما سبق:

الانتقال من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع عند ذكر الخالق "نعمل الإنسان ..."

التعليق على خلق جميع المخلوقات بأنه "حسن"، أما بعد خلقة الإنسان "حسن جداً"

كل المخلوقات خلقت بالكلمة "وقال الله ليكن .."، أما الإنسان فمن صنع يدي الله، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يقابله الرب ويتكلم معه، وهو الكائن الوحيد الذي وهبه الرب نسمة أو روح حياة، والإنسان كائن لا مثيل له في سائر المخلوقات "ليس له .. نظيره - تك ٢ : ٢"، وهو المخلوق الوحيد الذي يكلف بالعمل والسيادة على الأرض، والأهم من هذا كله أن الإنسان هو المخلوق الوحيد على صورة الله ومثاله

للإنسان إذن مكانة متميزة في الخليقة، فهو يخلق بعد أن يعد له الكون، ويعطى أن يكون سيداً على العالم، ويكلف بالعمل والسيطرة على الطبيعة، وفوق هذا كله يختص بعلاقة قوية مع الله، الذي يحضر له المخلوقات ليدعوها باسمائها، بل وينزل ليتمشى في حديقته (جنته) ويتلقى وصية تحدد هذه العلاقة مع الخالق.

الإنسان مخلوق على صورة الله، ولكنه ليس صورة الله.

صورة الله هو المسيح، الكلمة المتجسد، فالله لم يره أحد قط، الابن الوحيد هو الذي أعلن الله للناس (يو ١ : ١٨)، الابن هو بهاء مجد الله ورسم جوهره (عب ١ : ٣)، ومع هذا فالإنسان خلق على صورة الله، بمعنى أن به ملامح من الصورة الإلهية.

هل الصورة الإلهية في الإنسان هي كونه سيداً على الطبيعة المادية؟ الحق أن هذا ناتج عن كونه مخلوقاً على صورة الله وليس سبباً، فالمزايا التي أعطيت للإنسان تجعله مؤهلاً للسيادة. لقد أعطي الروح العاقلة، العقل بملكاته الثلاث: الفكر، والوجدان، والإرادة الحرة؛ القدرة على الاختيار الذي يتيحها له العقل والخيال الطليق، وبالطبع استتبع هذا المسئولية الأدبية الأخلاقية في التمييز بين الخير والشر. الإنسان حرّ تماماً يتصرف كيف يشاء، ويتحمل نتيجة تصرفاته. إن النفخة العلوية التي حولت كتلة من الطين إلى نفس حية،

إن الطبيعة التي اختص بها الإنسان، وكونه ذات حُرة بما لها من جوانب روحية ومادية، تعلن صورة من قداسة وبركة القدرة الإلهية التي استدعتها من العدم إلى الوجود الفعال. الإنسان مخلوق على صورة الله، ولكنه ليس صورة الله، فليس للإنسان أن يصنع إلهاً على صورة إنسانية، فالإنسان هو الصورة وليس الأصل، كما أن الإنسان يفهم حقيقة كيانه مما يتعلمه من الله (الأصل)، وليس مما يتعلمه عن نفسه.

الإنسان محور الكون وسيده

ويبقى محوراً وسيداً للكون طالما احتفظ بالعقل والاختيار الحر والمسئولية الأخلاقية، ومتى اهتزت فيه أحد هذه الجوانب، اهتزت سيادته للكون وانحرفت، وسرعان ما يصبح عبداً لأهوائه، ويتردى بهذا الكون في مناحي الشر والفساد، كما نرى في أحوال كثيرة.

والطبيعة المادية بالنسبة للإنسان كانت أول مجال أعلن الله فيه حبه لهذا المخلوق الفريد، فالمادة بالنسبة للإنسان في موضع الإخضاع. ومن يبتعد عن الله يجعل المادة هدفاً له، وليست وسيلة لإعلان عمل الله، وينحدر بنفسه من مكانة السيد إلى موضع التابع للمادة، وتصبح المادة هدفاً لا وسيلة. الآن نفهم لماذا تغلب السعي وراء المغانم المادية والملذات الحسية على أغلب الناس، حتى قال الرب أن كل أفكار الإنسان شريرة (تك ٦: ٥). ولعل هذا هو السبب في انتشار عبادة قوى الطبيعة وابتداع أرباب للخصب والزراعة والمطر، وأن تأخذ هذه العبادات الصنمية أشكال الحيوانات، أو أن ترتبط بالجماد من جبال وأشجار وأنهار.



الإنسان تابع لله وليس نداً له

فبدون روح الحياة الذي أخذه من الله يعود إلى العدم، مجرد كومة من تراب، قد يعيش على الأرض يربح وينفق، يتزوج وينجب، لكنه يفتقد الوجود الحقيقي الفعال المؤثر في الكون، مثل مصباح انفصل عن مصدر الطاقة. إن تحدي الإنسان لله وتمرده عليه، يقوده إلى الهلاك حتى وإن تحرك وتنفس، فالوجود غير الفعال غير العامل في الكون إلى حياة أفضل، إنما هو موت فعلي، سرعان ما يصل بالإنسان إلى الموت الأبدي، فبعيداً عن الله الإنسان محكوم عليه بأنه بخار يظهر قليلاً ثم يختفي، فبدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥).

الآن نفهم لماذا يتدخل الله في مسيرة الجنس البشري، وقتما يرى البشر يسيرون إلى الضياع، الآن نفهم لماذا يضرب الله العالم بالطوفان ليوقف مسيرة الشر، الآن نفهم لماذا يبلبل الله الألسنة في بابل، لأن كبرياء الإنسان وإحساسه المتضخم بالذات هي داؤه القتال. لقد اصبحت الذات المستقلة والإرادة الحرة، التي تميز بها الإنسان على سائر المخلوقات، هي سر عظمته، وهي في نفس الوقت سر مأساته على مر العصور.

الإنسان كائن اجتماعي

يحب ويصادق ويتزوج، وينتمي إلى عائلة وعشيرة، وإلى شعب وأمة، فهؤلاء هم النظير الذي يستطيع أن يعينه، فمن ينحصر في أنانيته يكسر معادلة خلقته، ويعاني من وحدة مميتة مهما تلذذ بالقوة والسيطرة، ومهما أخافته أعباء الانتماء، والعلاقات الإنسانية بصفة عامة خلقت في صميم كيان الإنسان، فاذا تجاهلها إختل توازنه تماماً، وفشل في إدراك السعادة التي نتمناها، ولا نرغب في دفع ثمنها، ألا وهو المسئولية.

الآن نفهم بشاعة جريمة قايين، والتي ما أن استشعرها حتى صرخ «ذنبي أعظم من أن يحتمل - تك ٤: ١١-١٣»، والتي حلت عليه اللعنة بسببها. فكما انعكس عصيان آدم على علاقته بالخليقة، أدرك قايين عواقب جريمته، ونفهم أيضاً لماذا يتشفع أبونا إبراهيم لأهل سدوم وعموره رغم شرورهم الواضحة (تك ١٨: ١٧-٣٣). إن شر الإنسان أو بره ينعكس على المحيط الذي يعيش فيه، وآثام المجتمع تنطبع بدرجة أو بأخرى على كل فرد فيه، ولنقرأ معاً الحكمة الإلهية في قول رب المجد «أذكروا إمرأة لوط - لو ١٧: ٣٢»

والإنسان مشروع لم يكتمل بعد

فمنذ اللحظة الأولى والإنسان مدعو للعمل المستمر، فالسعى الدووب نحو التغيير إلى الأفضل هو علامة الأنسان الواعى بكيانه، المدرك لأبعاد الصورة الإلهية فيه. ألا ترون القلق المستمر الذى يحيا فيه الإنسان؟ إن هذا القلق يستطيع أن يكون حافزاً للأفضل، إن الساعين للكمال لا يتوقفون كل حين ليرددوا إنجازاتهم إلا بقدر ما تكشف هم هذه الأنجازات عن الخطوات التالية. فكم وكم بهؤلاء الذين يستسلمون للحياة، ويرفضون المخاطرة بما لديهم للسعي وراء ما ينبغي أن يكون، غير مدركين أن المخاطرة هي التي تنقذ ما لديهم من نعمة حقيقية، ألا وهي صميم كيانهم المتحرك دائماً والمتجدد دائماً. هل تسعى إلى حياة القداسة؟ إذن خبرني متى تستطيع أن تقول «لقد صرت قديساً». هل تسعى إلى خدمة الناس؟ إذن خبرنى متى تستطيع أن تقول «الحمد لله لقد أكتملت خدمتي». هل تعمل طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو صانعاً أو تاجراً ؟ إذن كن صادقاً مع نفسك وقل متى تستطيع أن تزعم أنك قد بلغت الكمال في مجال عملك. إن المستسلمون للحياة تحركهم، يصبحون مثل كتل الخشب تتقاذفها المياه مصيرها الحتمي هو التبدد.

طوبى للمتمردين لأنهم يصنعون المستقبل، طوبى للساعين للأفضل ، فهؤلاء هم الذين يتذوقون لذة الحياة مع الخطر، مع التجدد، مع عمل الله فيهم ، وتكشفهم المستمر لجوانب الصورة الإلهية التي خلقوا عليها ، لأن « كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه. مت ٢٥: ٢٩»

التضحية إذن حتمية، فلا بديل عن خروج الإنسان من قوقعته ومن تمركزه حول ذاته إلى الناس، فهذا هو السبيل الوحيد لكى يكتشف وزناته ويدرك قصد الله من خلقته ليصبح لحياته معنى. والمخاطرة لا مفر منها، فالإنسان لا يعلم كيف سيكون موقف الناس منه، فقد يقدم الحب فلا يجد إلا الجحود، وقد يقدم الوفاء فلا يجد سوى الغدر. لكن المخاطرة معقولة محسوبة، فاحتمال الفشل يعادل احتمال النجاح، والذي يرجح المغامرة ويجعلها حتمية أن بقاء الإنسان في سجن ذاته خسارة مؤكدة، فالإنسان السوي يقبل بخطر محتمل لينجو من خطرٍ مؤكد كمن يثب من سفينة تشتعل لعله يصل إلى بر الأمان. لكن الصورة ليست

مظلمة، الله موجود، عينه على طرق الأبرار، وإذا كان من البشر من يتلذذ بآلام الآخرين، فمنهم من هو مثلك يبحث عن ذاته في الآخرين. الإنسان مشروع لم يتحقق كاملاً بعد .. فهو مدعو للطبيعة الجديدة، خليقة تتجدد وتتحرر شيئا فشيئا، «إذ خلعتم الأنسان العتيق ... ولبستم الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه - كو ٣ : ١٠» إلى ذلك اليوم الذى نصير فيه إلى الصورة التى وجدت في فكر الله حين خلق الإنسان كأبن له على صورته و مثاله (١ كو ١٥: ٤٩).

السقوط

باختصار لقد أخل الإنسان بقانون وجوده، وحاول أن يملك ما لا طاقة له به، أراد أن يصير مثل الله، فتحدى الله وقرر أن ينفصل عنه، فحُرم من حياة الشركة الحلوة التي كان يحياها. وليلاحظ القارئ أن السقوط قد شوش العلاقة بين الله والإنسان، لكن هذه العلاقة لم تنقطع أبداً، ليس بسبب استحقاق الإنسان، بل بسبب محبة الله الفائقة. ويكتب يوحنا ذهبي الفم: «كما يسقط ملك في الأسر فيستعبد كل خدمه، سقطت الخليقة كلها في عبودية الشر، بمعنى أن الإنسان إذ أصبح فكره ميالاً للشر، استخدم الخيرات الممنوحة له في الشر بدلاً من الخير. «إذ اخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها - رو ٨: ٢٠»».

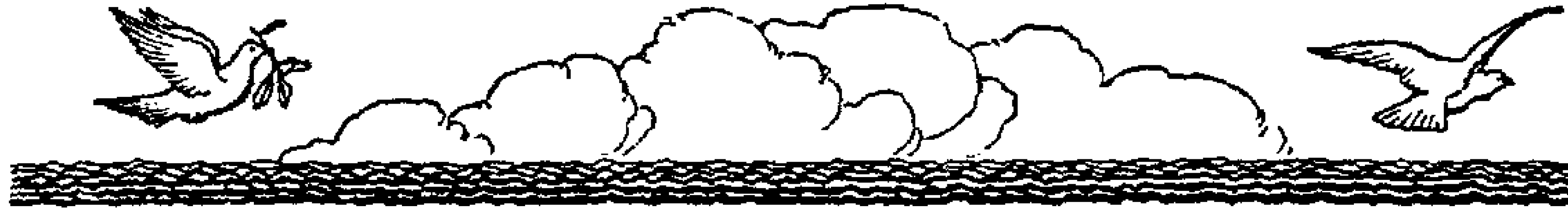


كان هذا الرسم في القاعة الكبرى بقصر مدينة ماري على شاطئ الفرات (تخربت ١٧٦٠ ق.م.) في المستطيل الأعلى يتناول الملك العصا والخاتم (علامة السلطة) من عشتار ربة الحرب، وهي تطأ الأسد، وإلى أسفل ربتان تحملان إناء تنبثق منه أربعة أنهار. إلى اليمين شجرتان يحرس أحدهما أسد مجنح (كاروب). هنا نجد بعض الملامح الواردة عن جنة عدن، مثل الشجرتين والأنهار الأربعة والكاروب مع فارق أساسي، ففي الكتاب المقدس نجد الإنسان في مركز الحدث.

الطـــوفان

الخالق يتدخل في حياة خليقته وقتما يريد، وبالطريقة التي يراها، والهدف دائماً هو خير الإنسان وخلاصه. لقد تكرر هذا عدة مرات على امتداد التاريخ المقدس، فالعلاقة بين الله والإنسان علاقة مشروطة، وحين يرى الله أن الشر ينتشر يقرر التدخل، وإن أعطى مهلة طويلة للبشر (أكثر من مائة عام)، في نهايتها حلت ساعة التطهير واكتسح الطوفان الأرض وما عليها. ورغم المجادلات العديدة التي تتناول قصة الطوفان، إلا أنها تصمد لكل الهجمات مستندة إلى الأدلة التاريخية، فلا يخلو تراث شعب واحد من ملمح من قصة الطوفان، وبالحساب العلمي تتأكد إمكانية أن يتسع الفلك لكل أنواع الطيور والحيوانات وما يلزمها للحياة طوال فترة بقائها في الفلك والتي امتدت إلى عام كامل (تك ٧: ١١ و ٨: ١٤).

«لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد» = لا يسكن، لا يستقر روح الله في الإنسان ما دام يسلك في الشر، ومادام الإنسان مصراً على شره، يفتقد تبكيت الروح القدس فيه، ويسلمه الله إلى ذهن مرفوض، ويستعبد الإنسان للشر، ويفسد النبل الذي ولدت عليه نفسه.



أسطورة جلجامش

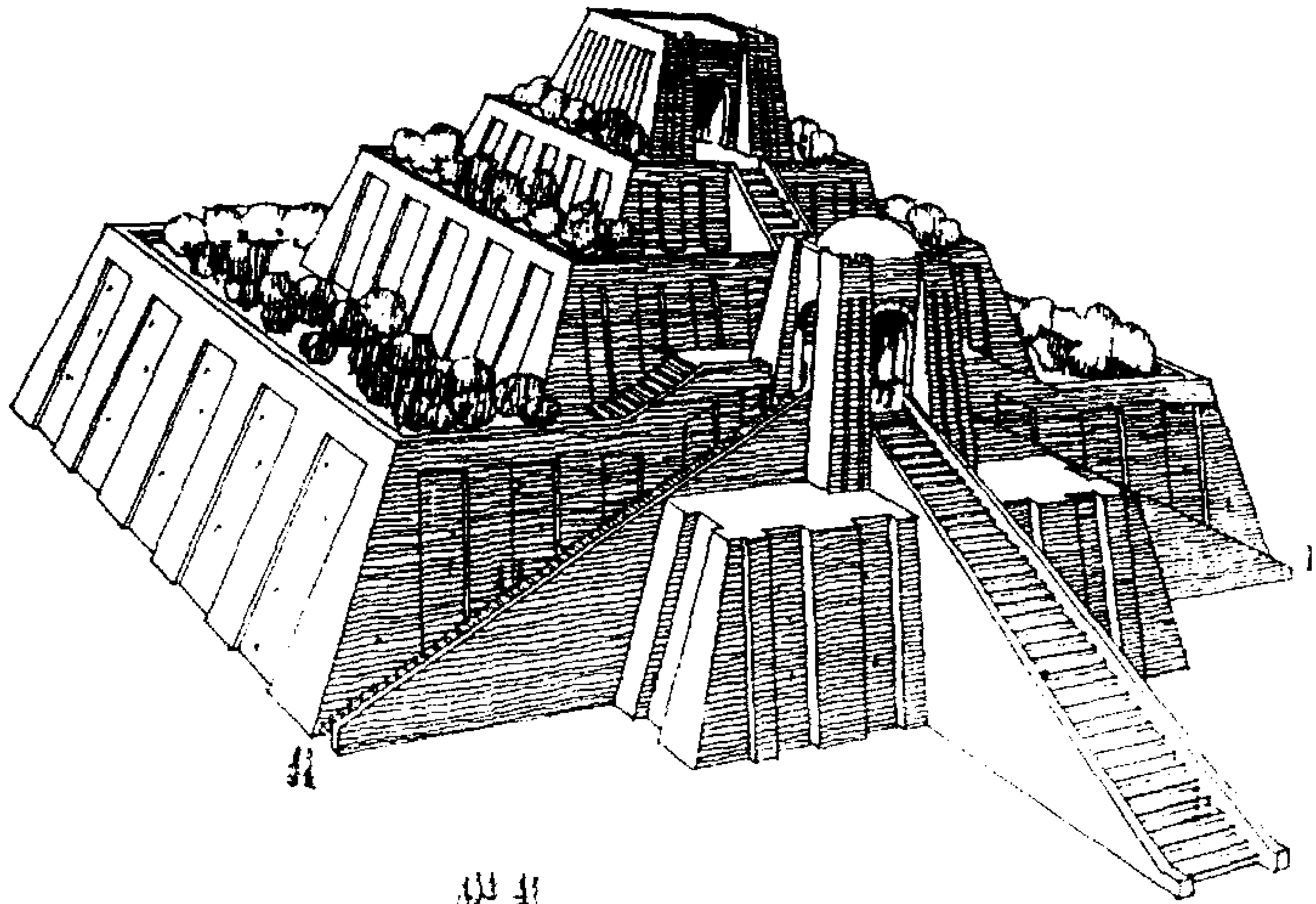
تحتل هذه الأسطورة مكانة هامة في التراث الإنساني، حيث نرى قصة الطوفان تتناقل عبر الأجيال:

يفقد جلجامش صديقه الحبيب، فيحزن لموته ثم يقرر أن يبحث عن وسيلة لكي يعيده إلى الحياة، فيبدأ في رحلة شاقة للوصول إلى أبي البشر، الإنسان الوحيد الذي منحته الآلهة الخلود. وعندما يصل إليه يخبره أن الإنسان لابد وأن يموت، وأن الآلهة ميزت الجد الأكبر فقط بالخلود. يقص عليه الجد الأكبر أن الشر كان قد انتشر لكن الآلهة كانت راضية عنه، فأمرته أن يبني سفينة من ثلاثة طوابق وأن يطليها بالقار، ويضع فيها أسرته وقطعان الماشية... وتستمر القصة متطابقة مع قصة الكتاب المقدس في مواضع كثيرة حتى يصل إلى ذهاب الغراب، ثم الحمامة التي تعود بغصن زيتون، فيقدم ذبيحة على الجبل الذي رست عليه السفينة، وتتنسم الآلهة الرائحة الطيبة، وتقرر ألا تعود لإهلاك البشر. يمنح الجد الأكبر بذرة الحياة لجلجامش ليعطيها لصديقه لكي يعود إلى الحياة. يعود جلجامش مسرعاً، وفي الطريق يتوقف للراحة فينام تحت شجرة، وبينما هو نائم تتسلل حية من الشجرة لتسرق منه بذرة الحياة. يستيقظ جلجامش ويكتشف ضياع بذرة الحياة منه ويدرك أنه قد فقد صديقه إلى الأبد. (للمزيد أنظر كتاب جيمس فريزر «الفولكلور في العهد القديم»).

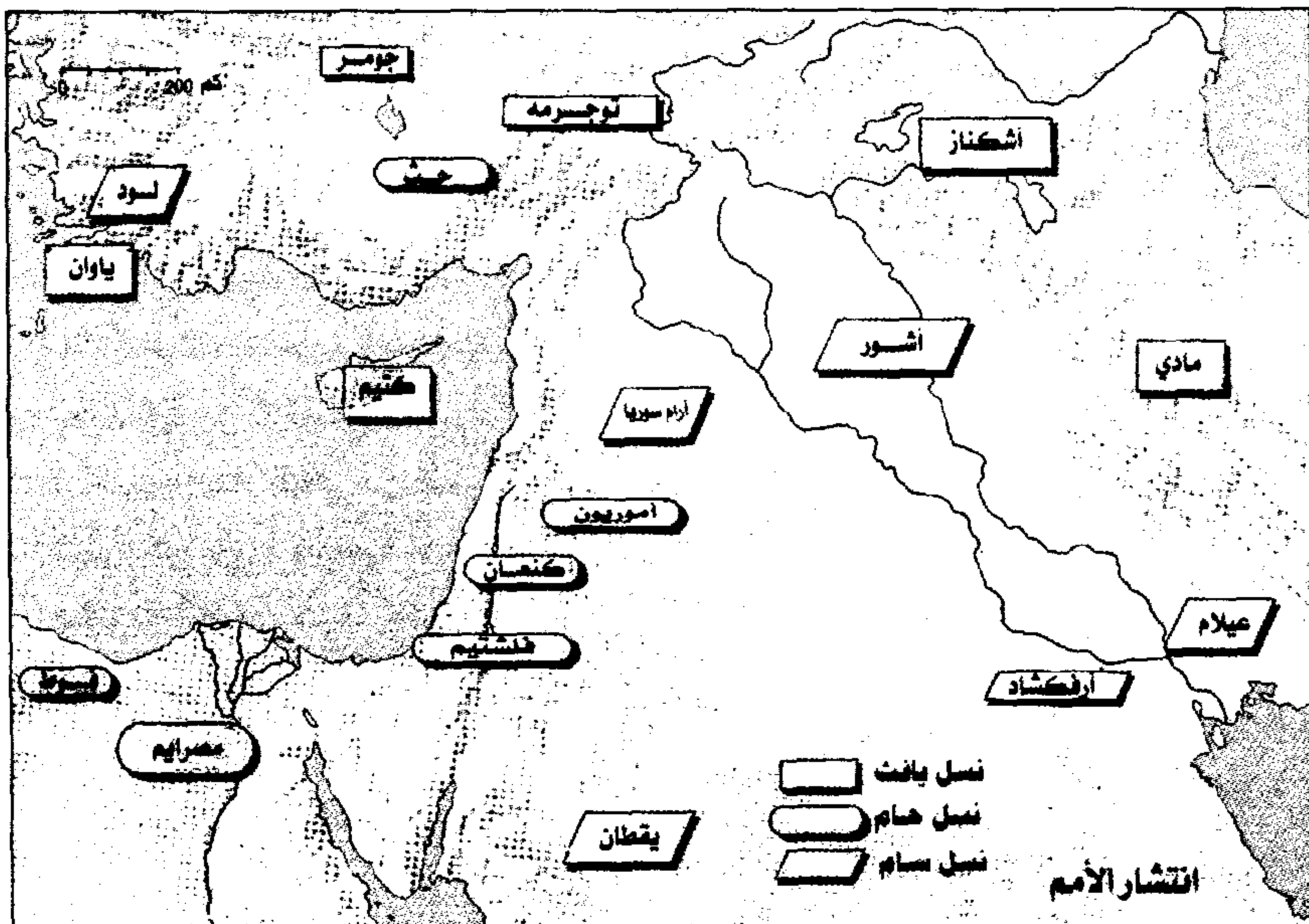
بــرج بابــل

ان هذا التدخل يتكرر في قصة برج بابل، وما بدا أنه عقاب يصبح وسيلة لانتشار الناس في الأرض وتعميرها، ولأن يدرك البشر أن تحديهم لله يؤكد وجودهم ولا يلغيه كما خيل لآدم. ولكن ما الجريمة في

بناء برج؟ ليس البناء هو المشكلة، بل الدافع للبناء «نصنع لأنفسنا اسماً»، الذات الأنانية المميتة التي أدت إلى طرد آدم من الحضرة الإلهية، وما زالت حتى الآن تدفع البشرية في طريق الهلاك. إن تدخل الله هنا ليس تجبراً من الرب، بل حباً في طفله الصغير حتى لا يقفز من فوق مرتفع ظاناً أنه يستطيع الطيران!



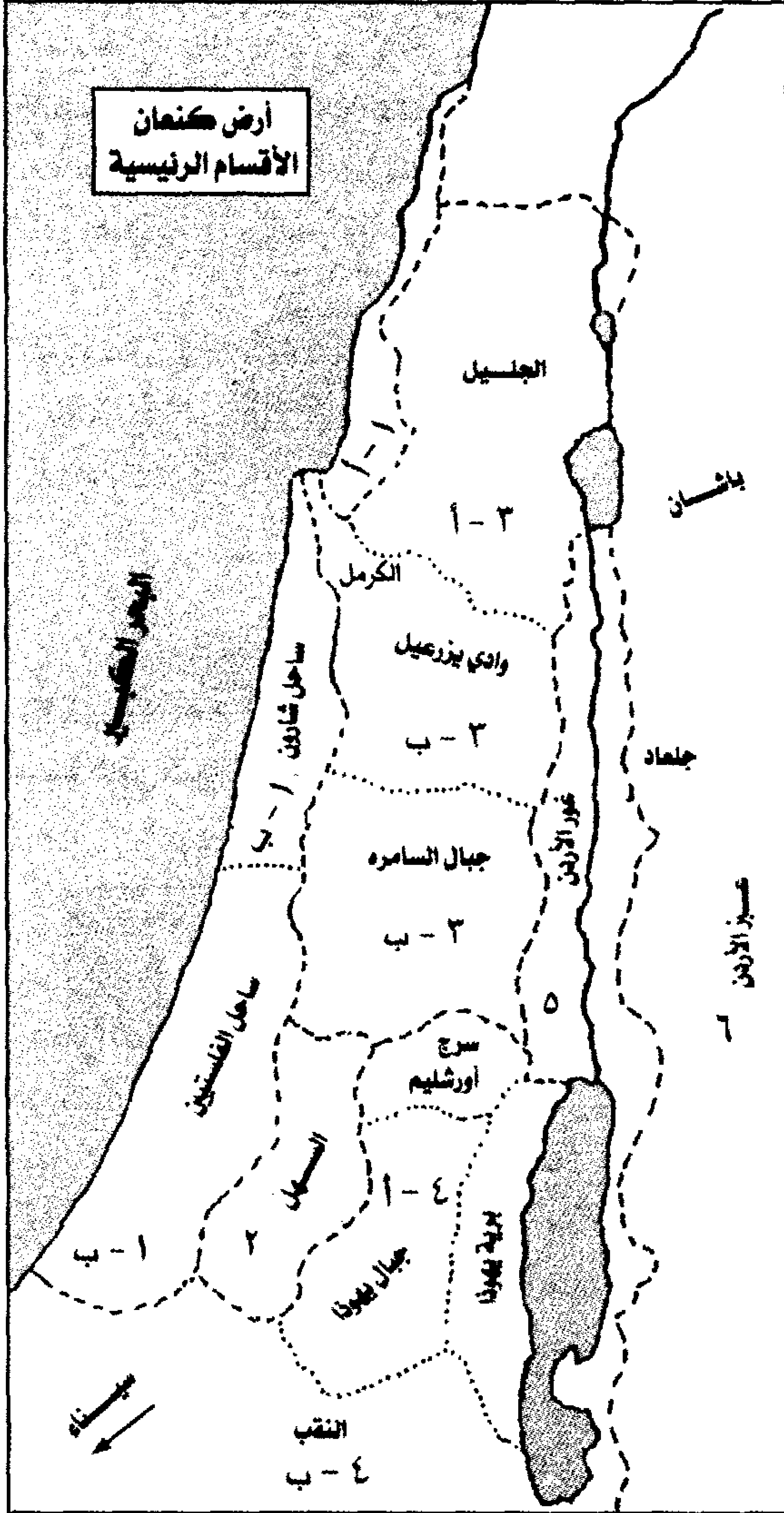
رسم تخطيطي لمبنى «زيجورات»، وكان مخصصاً لعبادة إله القمر في أور الكلدانيين. اكتشف في حفائر سومر ويرجع إلى نحو ٢١٠٠ ق.م.، وربما كان هذا الشكل قريباً من شكل برج بابل الشهير.



جغرافية فلسطين و الشرق الأدنى

دارت أحداث العهد القديم في الشرق الأدنى بصفة عامة وفي أرض كنعان بشكل أساسى، في مصر وسوريا و لبنان و ما بين النهرين و هنا نعرض بإختصار للمسرح الذى جرت عليه هذه الأحداث:

اولاً: كنعـــان:



يمكن تقسيمها إلى ستة شرائح:

١ـ السهل الساحلى:

أ. شمال جبل الكرمل: منطقة غابات عاش فيها الفينيقيون، وأهم مدنه صور وصيدا ومنه أرسل حيرام ملك صور الأخشاب لبناء الهيكل (١ مل ٥: ٦-٩)، وقد سكنه سبط أشير (يش ١٩ : ٢٤-٣١) منذ عصر القضاة وإن بقيت السيطرة الحقيقية في أيدى الفينيقيين حتى عصر متأخر (قض ١: ٣١).

ب . جنوب جبل الكرمل: منطقة زراعية خصيبة جداً تدعى سهل شارون وكلما إتجهنا جنوباً تمتزج الزراعة بالرعى (نش ٢: ١ + أش ٦٥: ١٠ + ١ أى ٢٧: ٢٩) وأهم مدنه يافا وأشقلون (عسقلان) وأشدود وجت وعقرون وغزه، وقد سكنه الفلستيون الأشداء (١صم ٦: ٤)، ومنه إكتسبت المنطقة كلها اسمها الجديد «فلسطين» في عصر متأخر. ويمتد الطريق الرئيسى للتجارة والحملات الحربية بحذاء البحر من مصر شمالاً (طريق حورس)، ولوجود جبل الكرمل ينحرف الطريق شرقاً وتتفرع منه عدة طرق إلى أورشليم والسامرة وإلى دمشق، وتقع مدينة مجدو عند تقاطع الطرق هذا، فنقرأ عن معارك دارت عند هذه النقطة الأستراتيجية.

٢ـ السـهل:
مجموعة من التلال المستديرة تتخللها وديان عريضة، وهي منطقة إنتقالية بين الساحل المنبسط والجبال الوسطى، وكان منطقة كروم (قض ١٤: ٥)، وزيتون وأشجار متنوعة (١ مل ١٠: ٢٧ + ١ أى ٢٧: ٢٨)، وكان طبيعياً أن يكون السهل موضع نزاع بين سكان الجبال وسكان الساحل (مثال : معارك صموئيل مع الفلسطيين). وأهم مدنه: جبعون ولخيش وعجلون وحبرون، وفيه أيضاً وادى أيلون حيث انتصر يشوع على الحلف الكنعاني (يش ١٠: ٦-١٤)، وفيه دارت مغامرات شمشون، وحدث اللقاء الملحمي بين داود وجوليات (١ صم ١٧)، وإلى مغارة عدلام في السهل هرب داود من وجه شاول، حيث يسهل على الرجال الإختباء بين الأشجار الكثيفة، وكان أغلب السهل من نصيب سبط دان، إلا أنه تحت ضغط الفلستيين، انحصر الدانيون في مساحة صغيرة غرب بيت شمس حتى أضطر أغلبهم للارتحال إلى أقصى الشمال.

٣ـ الجبـال الوسطى:
أ. الـجـلـيـل: أكثر المناطق خصباً، وفيه خاض يشوع معركة حاسمة ضد تحالف قاده ملك حاصور (يش ١١) وقد تقاسمته أسباط نفتالى وزبولون ويساكر، والتى تهادنت مع السكان الأصليين (قض ١)، وأهم مدنه حاصور وقادش (٢ مل ١٥: ٢٩) كما أن أحداثاً هامة قد جرت في بيت شمس (قض ١ : ٣٣) وإلى عين دور ذهب شاول إلى العرافة ليلة معركته الأخيرة (١ صم ٢٨ : ٧) وفي شونم يعمل الرب بقوة مع أليشع النبي (٢ مل ٤: ٨) ويرتفع فيه جبل تابور وتقع مدن الناصرة وكفرناحوم وقانا ونايين وبيت صيدا.

ب. السـامـره: يفصل وادى يزرعيل الخصيب بين جبل مورة وجبل جلبوع حيث كانت نهاية شاول المأساوية (١ صم ٣١) وترتفع الأرض كلما أتجهنا غرباً حتى قمة الكرمل التى شهدت نصر إيليا الناري كما شهدت هزيمته (١ مل ١٨ : ٤٠ + ١٩ : ٣). وكلما أتجهنا جنوباً يتزايد ارتفاع الجبال المغطاة بالغابات تدريجياً - تتخللها بعض الوديان المنزرعة مثل وادى دوثان (تك ٣٧ : ١٧) حتى نصل إلى جبل السامرة ثم جبل بيت أيل مروراً بجبلى عيبال وجرزيم اللذان يحصران بينهما مدينة شكيم (نابلس)، وكانت هذه المنطقة الغنية من نصيب أفرايم ومنسى، وأهم مدنها مجدو وترصه وشكيم وبيت أيل والرامة، وعلى أحد جبالها بنى عمرى ملك إسرائيل عاصمته واسماها «السامرة» نسبة إلى صاحب الأرض (١ مل ١٦: ٢٤).

٤ـ اليـهـودية:
أ. جـبـال الـيـهودية: وهي امتداد جغرافي للجبال الوسطى وأن كانت أقل خصباً. وتبدأ بمرتفع على شكل سرج يدعى سرج بنيامين وفي قلبه أورشليم، ومن بيت لحم إلى حبرون تغطى الغابات الجبال، وكلما أنحدرنا جنوباً وغرباً تقل الخضرة حتى نصل إلى برية يهوذا القاحلة، ثم إلى صحراء النقب. وأهم مدن اليهودية: أورشليم - بيت لحم - حبرون - جبعة - المصفاة . كما أن أحداثاً هامة قد دارت في برية زيف

وعين جدى حيث إشتد شاول في مطاردته لداود، وكما امتازت عناثوت بأنها مسقط رأس أرميا النبي وقرية تقوع بأنها موطن عاموس النبي، تفتخر بيت عنيا وعمواس وبيت فاجى بخدمة رب المجد فيها.

ب. النقب وسيناء: وهما امتداد طبيعي لصحراء اليهودية وأن تميز جنوب سيناء بجباله الوعرة عن الصحراء المنبسطة في شمال سيناء والنقب. وفي النقب نجد مدينة بير سبع القديمة على حدود مصر، وسوف نعرف أكثر عن سيناء حين نصل إلى رحلة الخروج والتيه في البرية. وهنا ينبغي أن نؤكد أن سيناء لم تكن أبداً جزءاً من أرض كنعان، ولم تخضع يوماً لحاكم من العبرانيين.

٥- غـــــــــور الأردن:

وهو جزء من الأخدود الشرقى العظيم (الفالق) الذى يبدأ من سفوح جبل حرمون (جبل الشيخ) ممتداً إلى خليج العقبة مستمراً بطول و إتساع البحر الأحمر حتى هضبة البحيرات في شرق ووسط أفريقيا. يخترق الغور نهر الأردن العجيب ! إذ ينبع على منسوب ٢٠٠ متر تحت سطح البحر ويمتد متعرجاً حتى يصب في البحر الميت على منسوب نحو ٤٠٠ متر تحت سطح البحر، وتتناثر فيه الواحات وأهمها أريحا مدينة النخيل.

٦- عبـــــــــر الأردن:

ونصفه الشمالي خصب، بعضه أحراش ومراعي، هذه المراعي تدعى باشان (عد ٢١: ٢٣)، أما نصفه الجنوبي ويدعى جلعاد فتغلب عليه الصحراء رغم الواحات المتناثرة، وكلما إتجهنا شرقاً تختفي الخضرة تدريجياً وتسود الصحراء القاسية. سكن سبط رأوبين وسبط جاد مع نصف سبط منسى في باشان وجلعاد من أجل مواشيهم الكثيرة، وفي الجنوب تقاسم الأرض بدو موآب وعمون، أما الأدوميون فعاشوا جنوبى البحر الميت (بحر العربة)، وأهم المدن بصرى وجلعاد وربه (عاصمة بنى عمون)، كما شهدت بيت شان النهاية المأساوية للملك شاول، بينما إنتسب النبي العظيم إيليا إلى قرية «تشبه» في عبر الأردن.

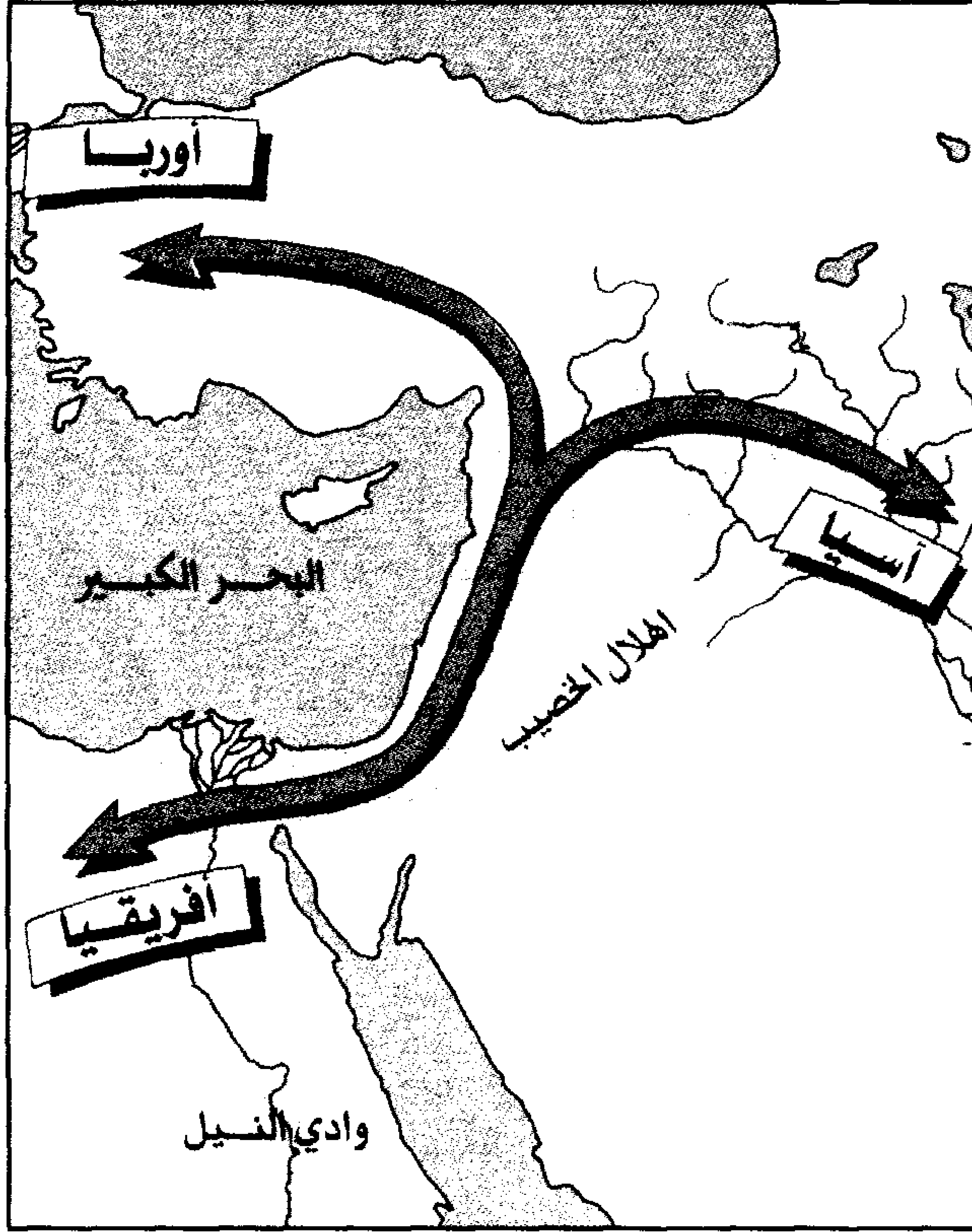
ثانياً: الشـــرق الأدنـــى:

نأتى الآن إلى المقولة الحكيمة «أن الجغرافيا هي العامل الثابت في صناعة التاريخ»، فرغم صغر مساحة كنعان، فإن التباين في التضاريس والمناخ والبيئة الطبيعية مثير للدهشة، هذا التباين تجلى في تمزق داخلي بين سكان الأرض، أخر لآلاف السنين ذوبان القوميات المتجاورة. هذا التمزق الذى جعل ممكناً أن تصبح كل مدينة، وسط عشرات المدن، وحدة سياسية مستقلة، يطلق شيخها على نفسه لقب «ملك»، حتى يذكر يشوع أنه قضى على ٣١ ملكاً (يش ١٢: ٢٤)، بينما لا يذكر التاريخ وجود هذا العدد من الممالك في وقت واحد على أرض كنعان في أى عصر. ليس هذا فقط، بل إن نظرة سريعة على جغرافية الشرق الأدنى تعرفنا أن فلسطين لا تملك أن تكون مستقلة عن جيرانها. وبينما تقف مصر كوحدة متماسكة يربطها النيل وتحمى جناحيها الصحراء، نرى فلسطين لا تقدر إلا أن تكون جزءاً مما يسمى بالهلال الخصيب الذى يمتد كقوس أوله عند طرف الخليج الفارسى وآخره على ساحل غزه، مروراً بأرض ما بين النهرين وسوريا

ولبنان. وبينما ينتظر مزارعو كنعان أمطار الخريف في قلق، تزدهر الثروة والحضارة والتمدين على ضفاف دجله والفرات وفي وادي النيل المبارك.

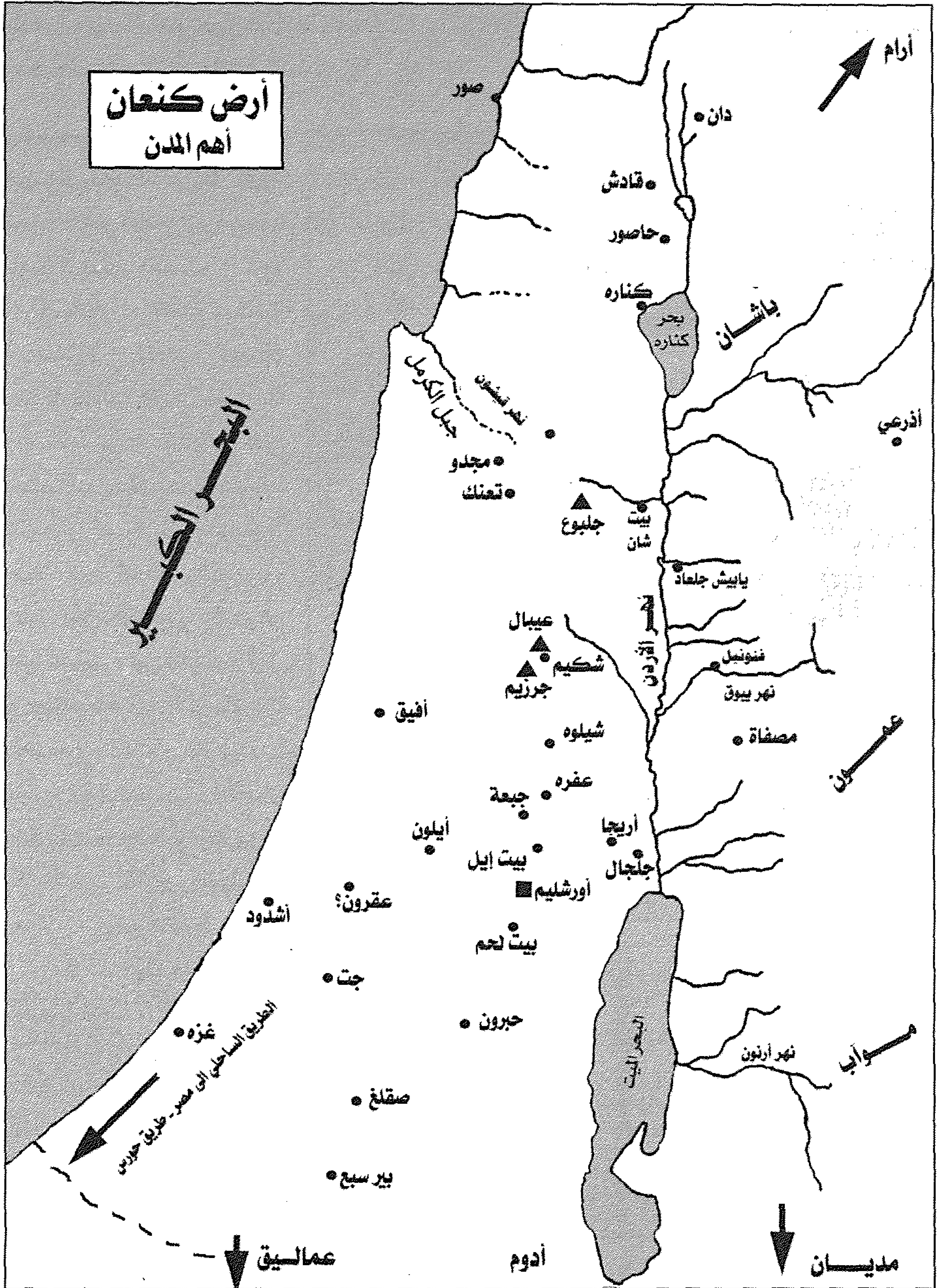
معبـــــر الشـــــعوب:

نحن إذن بصدد دراسة تاريخ شعب صغير محصور بين جيران أقوياء أغنياء (خصب - ثروة - إستقرار - كثافة سكانية - حضارة - تقدم - توسع) وهكذا نشأت أقدم الحضارات وتأسست أقدم الدول، على ضفاف النيل والفرات، وأصبحت فلسطين جسراً للأمم، ومنفذاً ضيقاً بين البحر والصحراء، وممراً لكل الفاتحين والجيوش عبر العصور، من أمحوتب الأول إلى الحرب العالمية الأولى، مروراً بتحتمس الثالث ورمسيس الثانى وشلمناسر الخامس ونبوخذنصر وقمبيز وداريوس والأسكندر الأكبر ويوليوس قيصر... ويعبر المشط المميت أرض الموعد جيئةً وذهاباً عدة مرات، ويتورط العبرانيون في صراع الكبار، وإن لم يتجلى هذا إلا بعد عصر سليمان الملك.

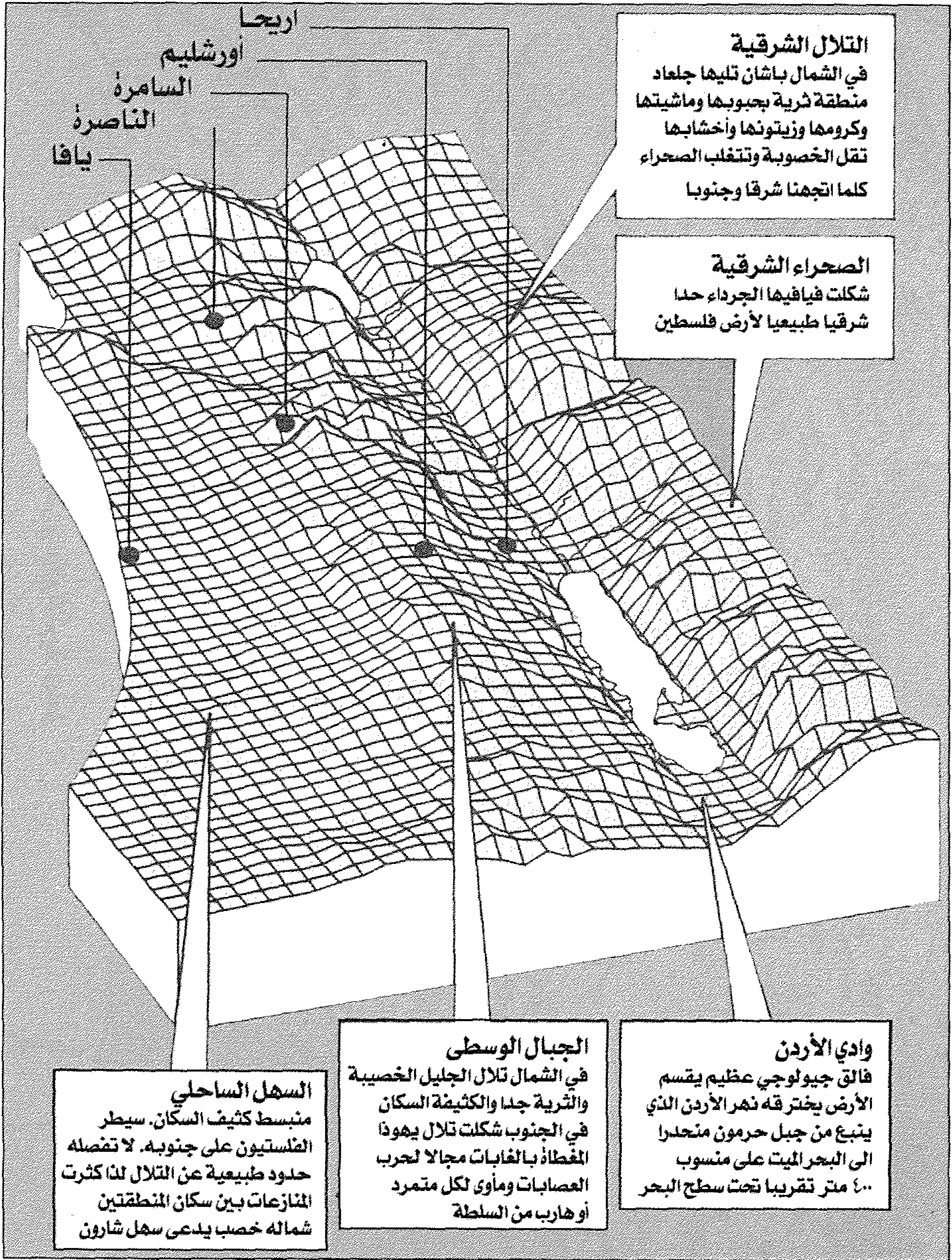


فلسطين إقليم ضيق محشور بين البحر والصحراء، يشكل برغم صغره، معبراً حيوياً بين قارات ثلاث، كممر بري وحيد يربط أوربا وآسيا مع أفريقيا. في عصور العهد القديم كانت طرق التجارة الرئيسية ومسارات الحملات الحربية تخترق أرض كنعان التي تضيق حتى يصل عرضها إلى ٩٠ كيلومتراً.

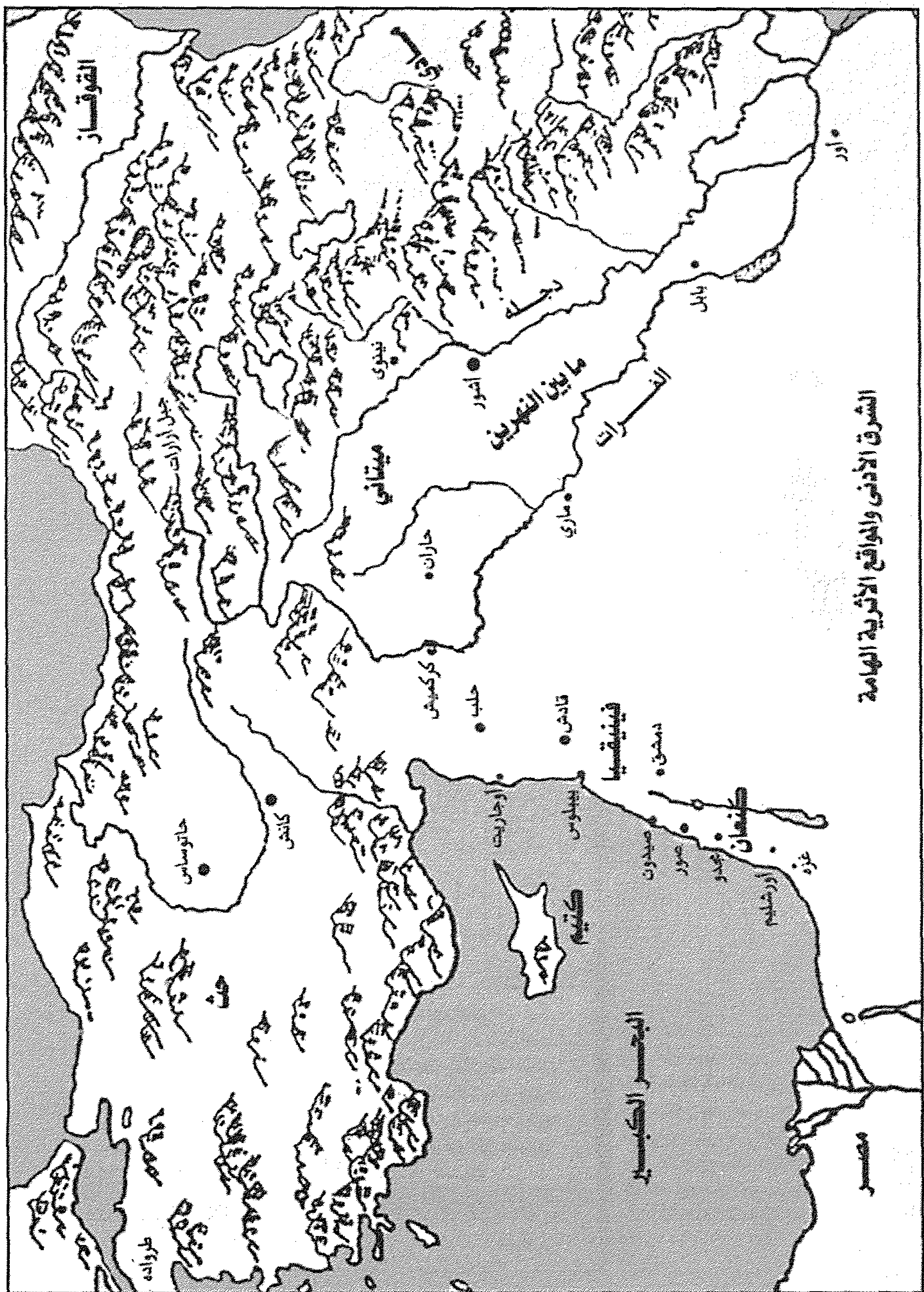
إن تأسيس دولة واستمرارها على هذا المعبر المزدحم كان أمراً عسيراً للغاية، فلم يستطع إسرائيل أن يتجنب سطوة الكبار، مصر وأشور وبابل، أو أن ينجو من صراعاتهم الدامية.



أرض كنعان – أهم المدن



تضاريس أرض كنعان


الشرق الأدنى والمواقع الأثرية الهامة
القوقاز
جبل أرارات
نينوى
آشور
ما بين النهرين
ميتاني
حاران
ماري
الفرات
دجلة
بابل
أور
كركميش
حلب
قادش
دمشق
فينيقيا
أوجاريت
بيبلوس
صيدون
صور
كنعان
أورشليم
غزة
كتيم
البحر الكبير
مصر
حاتوساس
كانش
حث
طروادة

عصر الآباء

أصل العشيرة
إله بيت إيل
قطع الميثاق
الختان
الامتحان
الله القدير
زواج إسحق
أيوب والتجربة
يوسف البار
النزول إلى مصر
البكورية

أصـــل العشـــيرة "أراميـــاً تائهاً كان أبي - تث ٢٦: ٥"

يذكر موسى النبي بوضوح أن بنى أسرائيل من أصل أرامي، وفي نفس الوقت يؤكد سفر التكوين أن أبرام واخوته ولدوا في أور الكلدانيين (تك ١١: ٢٨) ومع هذا تتكرر الإشارة إلى أن موطن عشيرة أبرام هو حاران في شمال سوريا وليس في أور إلى جنوب الفرات، فحين دعا الرب أبرام إلى الخروج من حاران قال له: أذهب من أرضك ومن عشيرتك (تك ١٢: ١)، وحين طلب ابرام من أليعازار الدمشقي أن يخطب زوجة لأبنه أسحق، كلفه بأن يذهب إلى أرضه وعشيرته، فسافر الرجل إلى أرام النهرين (مدينة ناحور - تك ٢٤: ٤و١٠، وناحور المشار اليه هنا هو في الغالب جد إبراهيم - تك ١١: ٢٥و٢٦ أو شقيق إبراهيم - تك ٢٤: ٦).

كل هذا يؤكد أن الموطن الأصلى لعشيرة أبراهيم هو حاران، التى يسميها الكتاب أحياناً "فدان أرام" أو "أرام النهرين"، فما الذى ذهب بهم إلى أور الكلدانيين؟

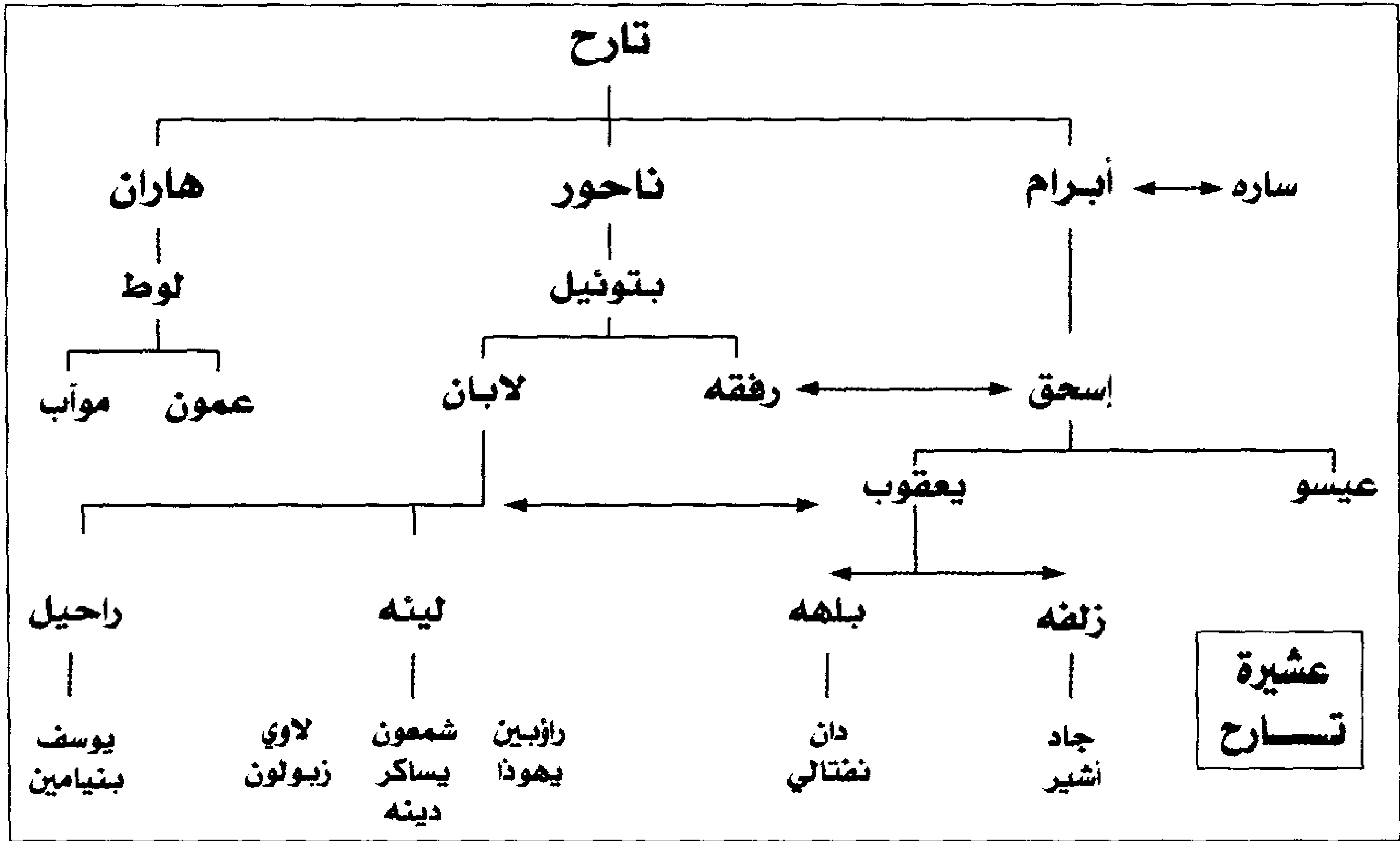
المسألة ببساطة أن جماعات من الأراميين أنطلقوا من موطنهم الأصلي في فدان أرام مرتحلين جنوباً على طول الفرات بحثا عن مكان آمن لقطعانهم وسوق لمنتجاتهم، على تخوم المدن الهامة في جنوب ما بين النهرين، ففي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد كانت هذه المنطقة قد قطعت شوطاً كبيراً في الحضارة والتمدن والثروة.

كانت مدينة أور من أقدم مدن المنطقة حيث نشأت وازدهرت الحضارة السومرية (قرينة الحضارة المصرية)، وعلى تخوم أور نصبت جماعات من الأراميين خيامها جاعلينها سوقاً لمواشيهم وحاضرة لهم، يستخدمون ثمار مدنيتها وينتمون إلى دياناتها، وأن كانوا لا يختلطون بسكانها أختلاطاً تاماً (قارن: حين نقل لوط خيامه إلى سدوم تك ١٣). وكمثال لصلة البدو المتحفظة بالمدينة أنظر يهوذا ابن يعقوب يصعد ليجز غنمه في المدينة، وربما ليشترى ما يتعسر وجوده في البرية - تك ٣٨: ١٢، وابيه يعقوب عند عودته إلى كنعان يشترى أرضاً أمام مدينة شكيم لكى ينصب خيامه رافضاً أن يسكن فيها، بينما اختار أبناؤه حلاً دموياً حين طلب ابن شيخ شكيم أن يتزوج من اختهم «دينه» (تك ٣٤).

كانت عشيرة تارح إحدى تلك الجماعات التى اقامت في تخوم « أور»، حيث عبدوا الآلهة السومرية، كما ذكر يشوع فيما بعد (يش ٢٤ : ٢) ولكن مثل أية عشيرة بدوية، حافظوا على صلاتهم بالموطن الأصلي حتى أن تارح أطلق على ابنه الأصغر إسم هاران (حاران). استمرت هذه الصلة بعد إنتقال أبرام إلى كنعان، حيث كانت أخبار العشيرة تصل إليه (تك ٢٢: ٢٠)، وحين أضطر يعقوب للهرب من وجه أخيه عيسو، فذهب إلى موطن أخواله (تك ٢٧ : ٤٣).

من المؤكد أن الطريق من أور في جنوب الفرات إلى أرض كنعان لا يمر بفدان أرام في أقصى شمال الفرات، ولنتساءل ما الدافع لذهاب تارح ومن معه إلى هذه المنطقة البعيدة لو لم توجد صلات قوية وراسخة مع أهلها [ما زال البحث نشطاً في هذه النقطة، أنظر كتاب النبي إبراهيم والتاريخ المجهول- د. سيد القمني].

انهارت مملكة أور نحو ١٩٤٠ ق.م تحت وطأة غارات قبائل عيلام المحاربة، واضطرت العشيرة للارتحال لتحط في موطنها وسط قوم من بنى جنسها، وفي خطتهم ان ينحدروا جنوباً إلى كنعان، كل هذا قبل ان يدعو الرب أبرام للخروج معه (تك ١٧ : ٢١).

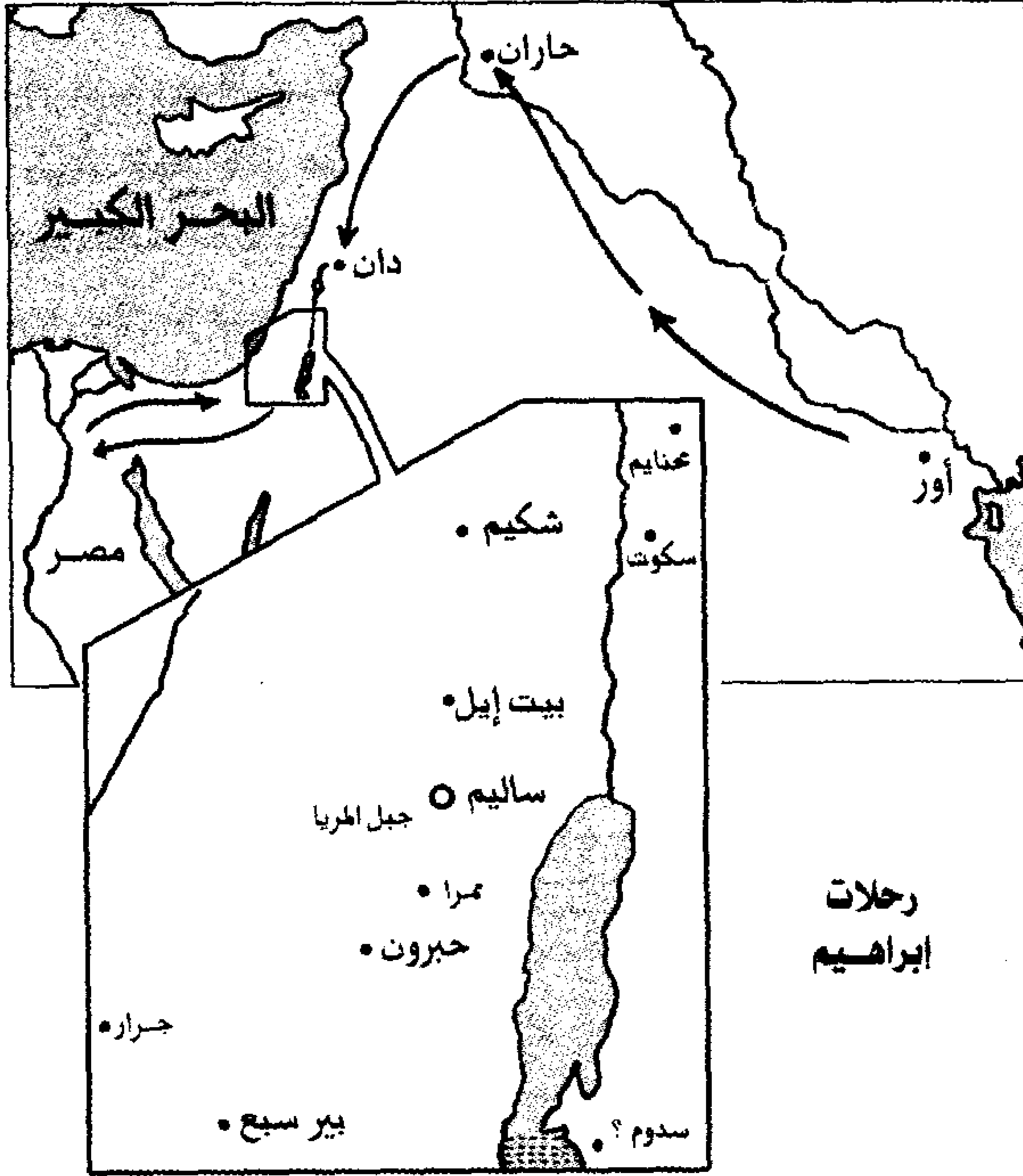


لا نعلم لماذا توقفت العشيرة في حاران، ولكن بهدف الأرتحال جنوباً، إذ كانت المنطقة تعاني من إكتساح قبائل الحوريين (الحويين) الذين هجروا موطنهم الأصلي في أعالى الفرات وانتشروا في سوريا وكنعان حتى استقر بعضهم في جبل سعير أقصى جنوب كنعان (تث ٢: ١٢)، هذا نلاحظ النية المسبقة لعشيرة تارح في الأتجاه جنوباً، وهكذا حين دعا الرب أبرام للخروج، لم يقل له إلى أين، فما كان منه إلا أن خرج في الاتجاه الذى كانت النية معقودة عليه.. جنوباً.

إلــه بيت أيــل

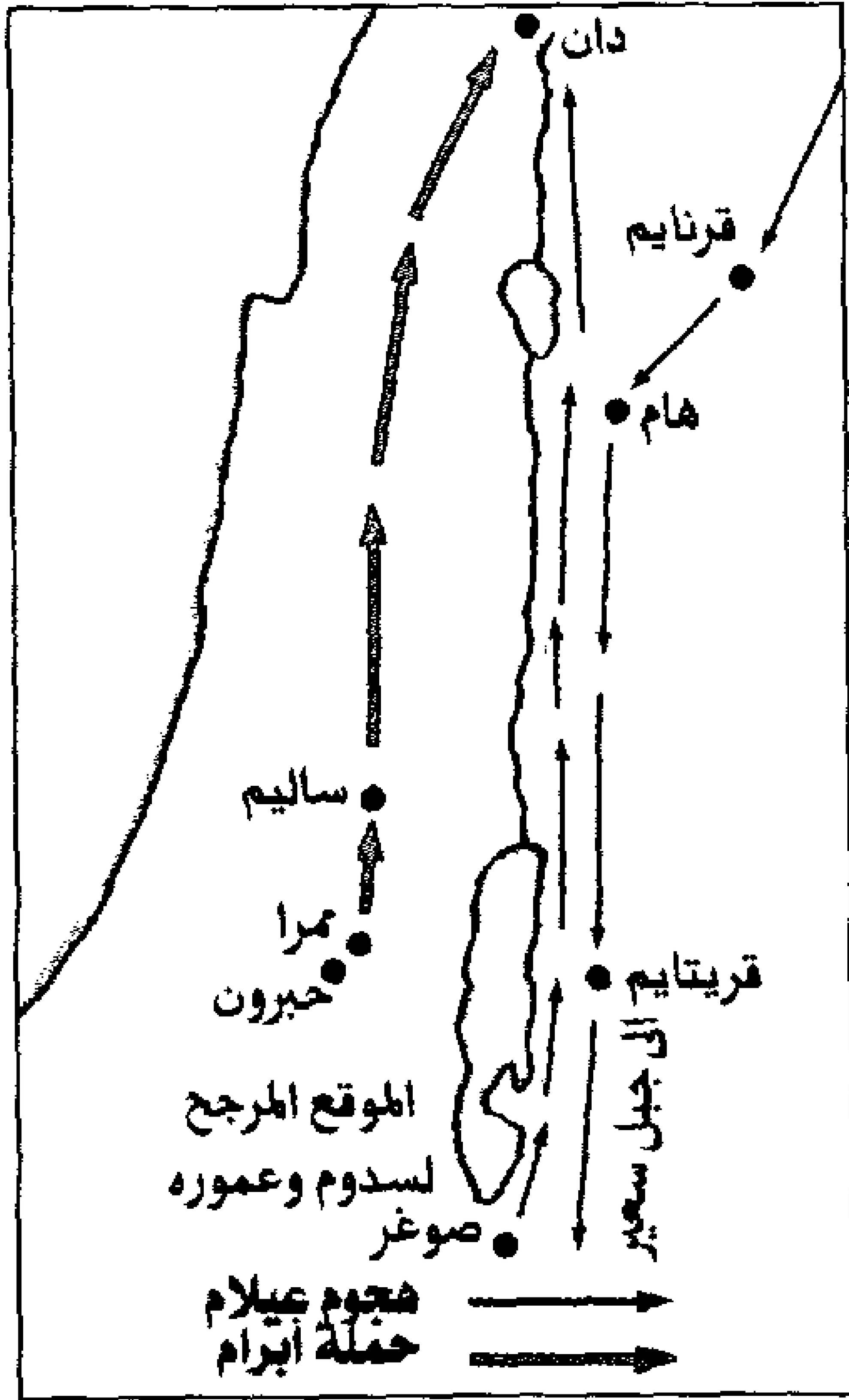
في بيت أيل ظهر الرب لأبرام ليحدد له «هذه هي الأرض التي سأعطيك أياها، فبنى مذبحاً - وقدم ذبيحة بالطبع - وصلى للرب (تك ٨ : ١٢)، ومع هذا استمر في الأرتحال جنوباً! كان الجوع شديداً، ولا يوجد سوى سبب واحد للمجاعة في هذه البلاد، وهو توقف الأمطار لفترة طويلة [١ مل ١٧: ١ , ١٨: ٥].

وسرعان ما يتعرض البدوي لفقدان ماشيته - رأس ماله الحي - ولايجد بديلاً عن مصدر دائم للمياه: إما النيل أو الفرات. إن ذكريات الماضي تمنعه من العودة إلى الفرات، فلا يبقى أمامه سوى النزول إلى مصر، الأمر الذى تكرر في حياة الأباء حتى استقروا أخيراً في أرض مصرلمئات السنين.



رحلات إبراهـيم

لم يكن أبرام فقيراً أو ضعيفاً حين وصل إلى كنعان، بل كان شيخاً لجماعة قوية إذ يذكر الكتاب أنه أخذ مقتنياته والنفوس التى يملكها، وفي ذلك الزمان ما كانت العبيد تقتنى إلا بأن تشترى أو تؤسر في المعارك. على أية حال لقد كان أبرام قائداً متمرساً بالقتال، فبعد أن انفصل عنه إبن اخيه لوط تحت إغراء دائرة سدوم وعموره الخصيبة وتجنباً لنزاعات الرعاة (تك ١٣: ٥-١٢)، تعرضت المنطقة لغارة من قبائل العيلاميين وحلفائهم واُخذ لوط وأسرته سبايا، فانطلق أبرام بجيشه الخاص (!) متحالفاً مع جيرانه في مطاردة طويلة حتى شمالي دمشق، حيث استردوا ما استولى عليه المغيرون (تك ١٤: ١٣-١٦).



قطع الميـــــثاق

ظهر الرب لأبرام يعده بنسل كثير، ويُعلمه أن كل شيء مرتب من عند الرب منذ البداية فها هو يخبره: أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين (الماضي)، وأعطيك الأرض (الحاضر)، وسأعطيك نسلاً كثيراً (المستقبل)... وبعد أن كان الرب إلهاً للطبيعة، أصبح الرب - إله ابرام - إلهاً للتاريـــخ، يسيطر على الأحداث وينسج منها تدبيره العجيب. لكن أبرام يتساءل: بماذا أعلم أنى أرث الأرض؟! ، كأنما يطلب ضماناً من الله، ولا يغضب الرب، بل يطلب منه أن يشق عدة ذبائح، وأن يضع أجزاءها متقابلة (تك ١٥: ٩و١٠) وبينما أبرام بين اليقظة والنوم، يرى ناراً ودخاناً تمر بين القطع، ثم يقول الكتاب: في ذلك اليوم قطع الرب ميثاقاً مع أبرام أن يعطيه الأرض.

كانت هذه هي الطريقة المتبعة في عقد الأتفاقات، فقد عُثر في سوريا على ألواح حيثية، بها نص معاهدة بين جماعتين: أن حلف اليمين قد تم بين أشلاء كبش مَّر بينها أطراف الميثاق، وأن من يحنث باليمين يستحق التمزيق مثلما تم بالكبش، لذا سُمى عقد الميثاق بـ «قطع العهد»، وهو ما يذكره بوضوح أرميا النبي فيما بعد (أر ٣٤: ١٨و١٩). لقد قطع الرب ميثاقا لأبرام بالطريقة التى يفهمها أبرام... فالكتاب المقدس هو فكر الله لكن مكتوباً في لغة البشر.

الختـــــــان «علامة عهـد بيني وبينـكم... تك ١٧: ١١»

كرر الرب وعده لأبرام، وغيَّر اسمه إلى إبراهيم، وحدد له الختان كعلامة للعهد يلتزم بها كل من يدخل العهد، كل من ينتمى إلى العشيرة، برباط الدم أو الحياة المشتركة. كان الختان عملية معروفة لدى شعوب الشرق، وأننا نلاحظ أن إبراهيم لم يستفسر من الرب عن معنى الختان، فقد كان معروفاً لدى شعوب عديدة ومنهم المصريين والمؤآبيين والعمونيين والأدوميين، وكان يمارس كطقس احتفالي عند مشارف الرجولة، وبممارسته يكتسب المختون حقوقاً أدبية ودينية، فله أن ينضم إلى المحاربين وأن يخرج للصيد وأن يشترك في تقديم الذبائح، فضلاً عن إعلان أهليته للزواج، فقد أصبح رجلاً ! الآن أصبح الختان مطلوباً في اليوم الثامن، فالارتباط بالرب من بداية الحياة. إن اقتران عملية الختان بسفك الدم، أعطى نوعاً من القدسية التى ارتبط بها سفك الدم منذ فجر التاريخ البشري، ففي ذلك الزمان كان الارتباط المؤسس على الدم غير قابل للانتهاك، ولعلنا نذكر حين ختنت زوجة موسى النبي طفلها، قولها لموسى: أن ميثاق زواجهما قد تأكد أو تأبد بسفك دم الطفل، وهو ما أنقذ الطفل من الموت لأغفال وصية الرب بختانه، وهكذا استردت المرأة زوجها من الهلاك بسفك دم إبنها بالختان، لذا اعتبرته بداية جديدة أو ميلاداً جديداً لحياتها الزوجية، وربما بسبب هذا الحادث المخيف، أعاد موسى أسرته لتبقى في مديان، وانطلق بمفرده إلى مصر (قارن خروج ٤: ٢٤-٢٧ و ١٨: ٢).

وقد اكتسب الختان معنى روحياً عميقاً فيما بعد، وأصبح إشارة إلى التحول من الابتعاد عن الرب إلى الارتباط بالرب، حتى أن سفر اللاويين يتحدث عن ختان الأرض « ثلاث سنين تكون لكم غلفاء لا يؤكل

منها... وفي السنة الرابعة يكون كل ثمرها قدساً لتمجيد الرب - لا ١٩: ٢٣و٢٤»، ويصف موسى نفسه بأنه أغلف الشفتين (خر ٦: ٣٠)، ويشير سفر التثنية إلى ختان القلب (تث ٣٠: ٦)، وبمرور الزمن يتعمق معنى الختان أكثر في أسفار الأنبياء، فيؤنب أرميا الشعب لأن «أذنهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا - أر ٦: ١٠»، (٩: ٢٦). وقد إستمر هذا الفهم حتى زمن العهد الجديد (حديث إسطفانوس - أع ٧: ٥١).



[مقبرة عنخ ماحور في سقارة - الأسرة السادسة ٢٣٥٠-٢٠٠٠ ق.م. نقوش واضحة تصور عملية ختان الصبيان بسكاكين حجرية كما فعل يشوع فيما بعد (يش ٥: ٣)]

كانت عادة إستئصال الغرلة، وما زالت، سائدة بين كثير من الأجناس في أمريكا وأستراليا وأفريقيا، وهناك أدلة قاطعة على شيوعها بين عدد من أمم العهد القديم كالعرب وموآب وبني عمون وأدوم ومصر، كما أننا يمكننا أن نستنتج أن المصريين كانوا شعباً مختتناً من حزقيال ٣٢: ١٩، وربما أيضاً من كلام يشوع عن التخلص من معايرة المصريين لهم لو بقوا بدون ختان، وإن لم تكن عادة الختان معروفة عند بابل وأشور. كان الفلسطيون في كنعان إستثناء بالنسبة للمنطقة لذا أُطلق عليهم وصف «الغُلف».
إن إختتان مدينة بأكملها في يوم واحد دليل قاطع على توفر الأدوات اللازمة والقائمين بهذا العمل في كنعان (تك ٣٤: ٢٤)، ويرجح الباحثون أن الختان قد نشأ لأسباب دينية، كبديل عن الذبائح البشرية التى كانت في طريقها إلى الإختفاء التدريجي، واكتسب قداسته من اقترانه بسفك الدم، الأمر الذى تلازم مع كل عهد غير قابل للإنتهاك في الأعراف القبلية، ومورس كطقس احتفالي مع الذكور فقط عند وصولهم إلى مشارف سن الرجولة ونوال الحق في الزواج والتمتع بكافة الحقوق المدنية.

الامتحـــــان «خُذ أبنك وحيدك الذى تحبه... تك ٢٢: ٢»



تمم الرب وعده لإبراهيم، وأنجبت ساره ابن الموعد إسحق، لكن الرب يطلب من ابراهيم أن يقدم ابنه إسحق ذبيحة على جبل المريا. لم يكن تقديم الأبناء ذبيحة إلى الآلهة أمراً شاذاً لدى شعوب الشرق القديم، فسنرى يفتاح الجلعادى يُصعد أبنته الوحيدة مُحرقةً وفاءً لنذر قطعه على نفسه (قض ١١: ٣٠-٣٩)، وحين حاصر بنو أسرائيل وحلفاؤهم ملك موآب وأيقن بالهزيمة، أصعد ابنه البكر محرقة على أسوار المدينة (٢ مل ٣: ٢٧). أن يطلب الرب من ابراهيم أن يقدم ابنه البكر لم يكن أمراً مستغرباً، لماذا إذن يعتبر الرب طاعة أبراهيم موقفاً عظيماً ؟

إن عظمة إيمان إبراهيم ليست في تقديم ابنه فحسب، بل في تقديم الابن الذى وعده الرب أن يأتي منه نسل «بإسحق يدعى لك نسل - تك ٢١: ١٢»، وكان يحق لإبراهيم أن يتساءل: كيف أذبحه للرب، ثم يأتي منه نسل بعد ذلك ؟!، لكن إيمان إبراهيم العظيم ظهر جلياً في أنه لم يتردد في طاعة أمر الرب، لقد آمن إبراهيم أن الرب قادرٌ على أن يقيم أسحق من الموت ليأتي منه النسل، كما أوضحت فيما بعد رسالة العبرانيين (عب ١١: ١٧-١٩). وكما أمره الرب يصعد ابراهيم كبشاً كمحرقة في المكان الذى ظهر فيه الرب على جبل المريا، عوضاً عن إبنه، وسوف يتأكد هذا المفهوم، تقديم ذبيحة بدلاً من الإنسان حتى لا يموت عندما يتسلم موسى العظيم شريعة الذبائح (لا ٤: ٢٠).

صخرة المـــــريا

يذكر الكتاب بوضوح أن جبل المريا هو الذى بنى عليه سليمان الملك هيكل أورشليم (٢ أخ ٣: ١) ويذكر السبب في التسمية أن الرب قد تراءى هناك لداود الملك، ولا يقطع بأن هذه هي نفس الصخرة أو الجبل حيث قدم إبراهيم إبنه. ورغم أن سفر التكوين يذكر أن الرب طلب من إبراهيم أن يذهب إلى أرض المريا ليُصعد ابنه على أحد الجبال، وأن إبراهيم قدم ابنه على تل المريا على مسيرة ثلاثة أيام من بئر سبع حيث كان يسكن إبراهيم وقتها (تك ٢٢)، وهو مكان يبعد ولا شك أكثر من ثلاثة أيام عن أورشليم، إلا أن المؤرخ اليهودى يوسيفوس يربط بينها وبين المكان الذى قدّم عليه إبراهيم إبنه إسحق ذبيحة. صحيح أن الاسماء تتشابه، إلا أن القارىء يرى سبب التسمية في كل حالة على حدة، ويعلم أن الكتاب لم يقطع أبداً بأن إسحق قد قدم ذبيحة في أورشليم. وقد يتعمق الباحث في أصل الاسم «المريا» ويعني الرؤيا، فهل سمي المكان بسبب تراءى الرب لإبراهيم، أم أن جبل المريا في أورشليم هو الذى إكتسب هذا الإسم بسبب ظهور الرب لداود الملك هناك في بيدر أرونه اليبوسي (٢ أخ ٣: ١)، على أية حال لقد ربطت تقاليد الربيين اليهود والتراث الشعبى اليهودى بين بناء الهيكل وتقديم إسحق، بل وانتقلت الفكرة إلى التراث الشعبى الإسلامى، الأمر الذى دفع الناس إلى تكريمها على مدى العصور المختلفة حتى أنشأ الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان «قبة الصخرة» في أواخر القرن السابع الميلادى.



اللـه القـــدير

كيف كان الآباء ينظرون إلى الله؟ ماذا عرفوا عنه، وكيف عبدوه؟ .. إننا نعلم أن أبرام وعشيرته عبدوا آلهة الكلدانيين وقت إقامتهم في أور، ونعلم أيضا أن آلهة أور كانت محل تكريم في حاران، لكن آلهة أور لم تستطع أن تدفع عنها الدمار تحت وطأة قبائل عيلام، واضطرت العشيرة إلى الرحيل. ومن حاران يرتحل أبرام جنوباً حتى يظهر له الرب في بيت إيل (بيت الله)، فيبني مذبحاً ويدعو باسم الرب، ثم ينزل إلى مصر بسبب المجاعة.

وفي مصر يتصرف بطريقة غريبة، كمن ليس له ربّ يحميه (تك ١٢). يعود ابرام إلى بيت إيل، إلى مكان المذبح فيدعو باسم الرب (تك ١٣: ٤)، إننا نراه في البداية لا يصلي إلا في بيت إيل، كمن يذهب إلى الكنيسة ليصلي.

الله مرتبط بمكان محدد

هذا اعتقاد واضح في عصر الآباء. فحين تغرب إبراهيم في جرار، يترك ساره تذهب كزوجة لأبيمالك، ولما عاتبه أبيمالك، أجاب إبراهيم بأن خوف الله غير موجود هنا (الله في بيت إيل وليس هنا)، وحين هرب يعقوب، وشاهد حلماً عجيباً في بيت إيل، صب زيتاً على الحجر قائلاً: ما أرهب هذا المكان، هذا بيت الله، وباب السماء... الله يسكن هنا في بيت أيل وفي هذا الحجر المقدس! وحين توترت العلاقة بين يعقوب وخاله لابان، يقول الرب ليعقوب أرجع إلى أرض أبائك... فأكون معك (تك ٣١: ٣)، وحين دعا يوسف اباه للنزول إلى أرض مصر، جاء يعقوب إلى بير سبع - الحدود بين مصر وكنعان - وقدم ذبائح للرب الذى ظهر له في حلم قائلاً: لا تخف... سأنزل معك إلى مصر (تك ٤٦: ٣و ٤).

الله يسكن في مكان محدد.. إعتقاد شائع عند كل شعوب ذلك العصر، فنجد لكل مدينة آلهتها، ولكل منطقة أربابها، وهو اعتقاد استمر حتى وقت متأخر جداً، إذ نرى الأراميين يرجعون سبب هزيمتهم أمام بني إسرائيل إلى أن الحرب دارت في الجبال حيث يسكن إله إسرائيل (١ مل ٢٠: ٢٢-٢٨)، وحين أتى غرباء ليسكنوا في شمال كنعان بعد سقوط السامرة، خلطوا في عبادتهم بين الرب وآلهة أخرى لتطيب هم الإقامة (٢ مل ١٧: ٢٤-٣٣).

إن هذا الإتجاه نابع من طبيعة الإنسان التي تميل إلى ربط المعانى المجردة بشيء ملموس محسوس، وهو الأمر الذى أستوعبه الطقس المسيحى تماماً. ولكننا نرى هذا الفكر يتطور، حين يدرك النبي موسى، أن سير الرب مع الشعب وإرتحاله معه أمرٌ يميز هذا الشعب عن باقي الشعوب «أليس بسيرك معنا، فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب - خر ٣٣: ١٦» وهو ما أكده الرب ليشوع فيما بعد (يش ١: ٦)، إن آلهة باقي الشعوب ثابتة، أما الرب فهو مع شعبه حيثما يذهب.

الرب هو الأعظم بين آلهة كثيرين

لا نظن أن الفكر السائد في عصر الآباء قد غلبت فيه فكرة الإله الواحد، بل نظروا إلى الرب على أنه الإله الأعظم والأقوى من آلهة كل الأمم، أنظر لابان حين يلحق بيعقوب وجماعته، يعاتبه «إله أبيكم كلمني البارحة.. ولكن لماذا سرقت آلهتي. تك ٣١: ٢٩و ٣٠»، وحين تعاهدا على السلام جعلوا من إله أبراهيم وآلهة ناحور شهوداً على المعاهدة (تك ٣١: ٥٣).

ثم نرى يعقوب يطلب من أهل بيته أن يعزلوا الآلهة الغريبة من بينهم، ولا يسميها بالأوثان (تك ٣٥: ٢) [ترد كلمة «وثن» لأول مرة في سفر اللاويين (لا ١٩: ٤) يقصد بها التماثيل المنحوتة لمعبودات الشعوب مثل الترافيم و غيرها]. «إعزلوا الآلهة الغريبة من بينكم»، أمر كرره يشوع للشعب بعد مئات السنين (يش ٢٤: ٢٠)، ويستمر تكراره طوال التاريخ المقدس، وحين قصَّ موسى النبي على حميه يثرون ما فعله الرب معهم من قوات، يصرح يثرون أن : الرب أعظم من جميع الآلهة (خر ١٨: ٨-١٢).

اسـم الرب (إله ابي - تك ٣١: ٤٢)

لم يعرف الآباء اسماً محدداً للرب، فكانوا ينسبونه إلى أفراد من البشر، بل إن الرب ذاته، ينسب نفسه إلى الناس، فحين يظهر لإسحق يقول له: أنا إله إبراهيم ابيك (تك ٢٦: ٢٤)، بينما يقدم نفسه إلى يعقوب على أنه.. إله إبراهيم وإله إسحق (تك ٢٨: ١٣).

كان لآلهة الشعوب أسماء معروفة، لذا نرى موسى النبي يسأل الرب عن اسمه، فيعلن له اسمه الشخصي «يهوه». «ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب.. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب، الآله القادر على كل شيء، وأما باسمي يهوه لم أعرف عندهم - خر٦»، لكن الآباء عرفوا صفات للرب بلا جدال، ترد في سفر التكوين: فهو المولى (١٨: ١٣)، والقديـر (٣٥: ١)، وديان الأرض كلها (١٨: ٢٦)، والسرمدى (٢١: ٢٢)، والقادر على كل شيء (٤٨: ١٥)، والراعي والصخرة (٤٩: ٢٢).

لقد انتقلت الفكرة من إبراهيم و نسله إلى الذين تعاملوا معهم مثل أبيمالك (تك ٢٠)، وأليعازر الدمشقي (تك ٢٤: ١-٧) ولابان (تك ٣١: ٢٦)، بل وإلى فرعون مصر حين انبهر بحكمة يوسف (تك ٤١: ٣٢-٣٩) وليس معنى هذا أن الله لم يكن معروفاً عند شعوب الشرق القديم، فإننا نرى أدلة قاطعة على أن الله مالك السموات، والأرض كان معروفاً على نطاق واسع: في لقاء إبراهيم مع ملكى صادق (تك ١٤: ٨)، وحين اشترى إبراهيم مغارة من الحيثيين ليدفن زوجته، فلبوا طلبه معتبرين إياه رئيساً من الله (تك ٢٣: ٦)، وهو بحث كتابى شيق لمن يرغب في تتبع التدبير الإلهي في نشر المعرفة الحقة من خلال شعبه إلى باقي الشعوب.

اللــــــه ـ إلوهيم

«لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب - قض ١٣: ١٨ «من حديث الرب مع منوح (والد شمشون) تحمل الأسماء في العصور القديمة مدلولاً خاصاً، حتى أن اسم الشخص يشير إلى كيانه بالكامل، فنرى الاسم يتغير إشارة إلى تغيير المصير كما حدث مع أبرام - إبراهيم (تك ١٧: ٤)، و يعقوب - إسرائيل (تك ٣٢: ٢٨)، وسمعان - بطرس (مت ١٦: ١٧)، بل إن الاسماء تحدد أحياناً قبل ميلاد الشخص إشارة أو رمزاً لشيء معين كما حدث مع هوشع النبي (هو ١: ٦و٩)، وأشعياء النبي (أش ٧: ٣ , ٨: ٣)، فإذا كانت الأسماء لها هذه الأهمية عند البشر فكم تكون أهمية اسم الله القدير...

من أقدم الأسماء المعروفة للجنس البشرى وأكثرها انتشاراً هو اسم «إيل» مع مشتقاته «أيلوه وإلوهيم»، وهي عموماً تطلق على من له التوقير والسلطان بين الناس حتى أن الرب يقول لموسى النبي أنه سيكون إلهاً هرون (خر ٤: ١٦)، ويؤكد له قائلاً «أنا جعلتك إلهاً لفرعون - خر ٧: ١» [أنظر قض ٥: ٨ + مز ٨٢: ١ حيث يتحدث الوحى عن الذين في موضع السلطة على أنهم آلهة]. ويرد هذا الاسم(إيل) في الوثائق الكنعانية التى عثر عليها في أوجاريت بسوريا (١٥٠٠ ق.م) كرئيس لمجمع الأرباب، وتصفه بأنه أب البشر وإله الآلهة، ولكن ما أصل هذا الإسم الذى يتكرر، هو ومشتقاته في جميع اللغات السامية بلا إستثناء؟:

١. ربما كان جذر الكلمة يعنى القدرة، أو الوجود قبل وفوق الكل، ويؤيد هذا ما يرد عن «أرز الله - مز ٨٠: ١٠ - بمعنى الأشجار الفائقة»، وعن «جبال الله - مز ٣٦: ٦ - بمعنى الجبال العظيمة»، ويلفت النظر في حديث لابان إلى يعقوب «في قدرة يدى أن أصنع بكم شراً - تك ٣١: ٢٩» أن النص العبرى إستخدم لفظة «إيل» للدلالة على القدرة، ويتكرر في: «لا تمنع الخير.. حين يكون في طاقة يدك أن تفعله - أم ٣: ٢٧». (أنظر أيضاً وقارن: تث ٢٨: ٣٢ و مي ٢: ١).

٢. ولكن يوجد رأى آخر: عند السومريين الإله الخالق هو«آن»، والذى فيما بعد يعطى سلطانه إلى «آنليل» إله السماء والأرض، وكان من ألقابه «سيد جميع البلدان، ابو جميع الآلهة، مقرر المصائر، الذى يمتلك ألواح القدر، والذي يعنى بسلامة جميع البشر»، وهو أيضاً المسئول عن إحداث الكوارث، فهذا الإله تتحدث عنه الأساطير بأنه هو الذى فصل السماء عن الأرض. لكن ما أن يحل الأكاديين محل السومريين في ما بين النهرين حتى نجد اللفظ « إل - أيل» يحل محل «آن - ليل»، ويصبح إسم كبير الآلهة « إلليل» و منه تأتي كل المشتقات « إيل - أيلوه - أيلون»، أما « إيلوهيم» صيغة الجمع فيعتقد أنها صيغة التعظيم، وربما كانت تحمل بقايا أزمنة تعدد الآلهة، وإن اعتبرتها الكنيسة إشارة مبكرة إلى سر الثالوث. وفي المصادر السومرية نقرأ عن خلقة البشر، المخلوق الأول الذى صُنع من الطين وُربطت عليه صورة الآلهة، فيسمى «آن - سي» أى مثيل أو شبيه الآلهة، ومنها جاءت «إنسان».

زواج إســــــحق

كبدوى أصيل يرفض إبراهيم أن يأخذ لابنه زوجة من عشيرة أخرى فيرسل اليعازر الدمشقي ليأخذ رفقة زوجة لأسحق. وندرك أهمية هذا الأمر لأبراهيم حين يطلب من اليعازر أن يضع يده تحت فخذه ليحلف له أن يأخذ لأبنه زوجة من العشيرة رغم بعد المسافة ومخاطر السفر. إن هذا الموقف البدوى يتجلى في مرارة إسحق ورفقة حين تزوج عيسو من بنات الحيثيين (تك ٢٦: ٣٤و ٣٥)، وإصرارهما على ألا يكرر يعقوب نفس الخطأ (تك ٢٧: ٤٦ - ٢٨: ٢).

(يتعرض مربي الثيران أحياناً إلى هجوم من الثيران وإذا تمكن الثور بقرنيه من قطع وريد الفخذ يؤدي ذلك غالباً إلى نزيف مميت، فاستقر في عرف ذلك الزمان أن هذا الوريد هو مكمن حياة الإنسان، فقسم أليعازر هذا لسيده كمن يقسم بحياته)،

يعود هذا إلى الثقافة السائدة وقتها من تماسك كل قبيلة ورفضها الاندماج في القبائل الأخرى، فالبدوي يعتبر قبيلته أفضل من الجميع، بل إنهم يعتبرون القبائل الأخرى كلاباً ! وهو ما نراه في تعالي ابناء يعقوب عن مصاهرة جيرانهم (تك ٣٤: ١)، وكيف استحلوا القتل والنهب انتقاماً لشرفهم (تك ٣٤: ٢٥ وما يليه)، فضلاً عن الترفع الشائع بين البدو على أهل الحضر، وهو ما زال واضحاً في مصر وغيرها حتى الآن.

استمر قصر الزواج من داخل العشيرة معمولاً به، ولم يكسر إلا في حالات الضرورة القصوى، حين تزوج يوسف من مصرية (تك ٤١: ٤٥)، وموسى من مديانية (خر ٢: ٢١)، وحين أخذ بنو بنيامين هم زوجات من بنات جلعاد (قض ٢١)، وهوما أكدته الشريعة فيما بعد حين حددت الزواج من داخل بني إسرائيل، وإن كان هذا لأسباب أخرى. (أنظرعصر القضاة).



يعقـــوب و عيســـو

من الذى يرث النصيب الأكبر من أبيه ؟ كان التقليد الأصلي كما يؤكد تاريخ الحضارات، هو أن يرث الابن الأصغر نصيباً أكثر من باقى الأخوة لسبب هام، فهو الذى يبقى في البيت بعد أن يستقل اخوته الأكبر منه كلٌ بأسرته ونصيبه في الماشية (كما فعل إبراهيم مع أولاده من السراري، حين أعطاهم عطايا وصرفهم عن ابنه المفضل وهو بعد حي). كان الأولاد حين يتزوجون يأخذون نصيبهم من أبيهم وهو حي وينصرفون إلى أرض خاصة بهم، وهو تصرف حكيم خاصة عندما نرى المنازعات على المياه في مناسبات عديدة كما حدث

مع لوط ومع إسحق أيضاً (تك ٢٦: ١٢-٣٣). ويبقى في البيت الأبن الأصغر الذى يأخذ نصيباً مضاعفاً، فهو المسئول عن رعاية ابويه في سن الشيخوخة. لكن حين ضاقت المراعي ولم يعد ممكناً لكل ابن أن يستقل بعشيرة خاصة، بقي الأبناء مع الأسرة وانتزع الأبن الأكبر بحكم سنه ومكانته ونيابته عن ابيه، النصيب الأكبر من الميراث (حق البكورية)، فهو رأس العشيرة المنتظر بعد وفاة الأب. ربما كان هذا هو السبب الذى حدا برفقة أن تدبر خطتها، فضلاً عن إعلان الرب لها بمستقبل الأخوين (كبير يستعبد لصغير- تك ٢٥: ٢٣)



وهكذا بخدعة ماكرة إنتزعت رفقة لابنها المفضل النصيب الأكبر والبركة الأعظم، وتعين عليها أن تدفع ثمناً باهظاً، إذ زرعت حقداً قاتلاً بين الأخوين، وحُرمت من رؤية إبنها المفضل حتى ماتت. هل كان إسحق عالماً بإعلان الرب؟ في الغالب كان يعلم فهذا أمرٌ أخطر من أن تخفيه رفقة عن زوجها، كما أننا لانراه يعاقب يعقوب على خداعه واستغلاله ضعف شيخوخة ابيه. والحق أن عيسو كان أنساناً مستبيحاً متحدياً للأعراف ولمشاعر أبويه بزواجه من بنات الحيثيين (تك ٢٦: ٣٥)، وما كان له أن يطالب بحق سبق وأن تنازل عنه (تك ٢٥: ٣١-٣٤). فاز يعقوب بالبركة والبكورية إذن، ولكن أين هما ؟!... لقد اضطر يعقوب للهرب من وجه عيسو، لاجئاً إلى عشيرته في فدان آرام، متحملاً الغربة والمشقة سنيناً طوالاً بعيداً عن ابيه وامه قبل أن يرتب الرب عودته إلى أرض كنعان.

في فدان أرام عاش يعقوب ٢٠ سنة كخادم لخاله، وتذوق مرارة الخديعة من أهله، حين زوجوه ليئة بدلا من راحيل، وتجرع حتى الثمالة سموم الغيرة بين الأختين والتي غرسها تمييزه لراحيل الجميلة على أختها الولود. موقفٌ طالما أستعذبه وتربّح منه وقت أن كان في حضن أبويه، وها هو يدفع الثمن، حتى يجد نفسه ذات ليلة مضطراً أن يبيت مع ليئة التى دفعت أجر مبيته إلى راحيل ببعض ثمار اللفاح، وهو نبات يشبه الخبيزة كانوا يعتقدون أنه يزيد الخصوبة. ها هو يعقوب الأنسان الكامل (الهادىء) ساكن الخيام، يسعى في حر النهار وصقيع الليل يرعى غنم خاله كأجير، وهو الذى كان سيداً مطاعاً في بيت ابيه إسحق. وينمو نصيب يعقوب من الماشية، فلا يوجد أي أساس علمي لقصة الغنم التى توحمت، وإن كان الوحم إعتقاد شائع حتى يومنا هذا، لذا نرى يعقوب يرجع سبب البركة إلى الرب (تك ٣١: ١١-١٣).

إننا نرى تفاصيل حية في قصة هروب يعقوب توضح مدى الأحساس بالغبن والشك المتبادل بين يعقوب وخاله، حتى أن بنات لابان لا يتورعن عن سرقة ابيهن، والخروج سراً وقت إنشغال لابان في جز الغنم (تك ٣١: ١٩)، ونرى خروج لابان وراءهم كأنها وراء لصوص. يقولون إن الكراهية الحقة لا توجد إلا بين الأخوة!



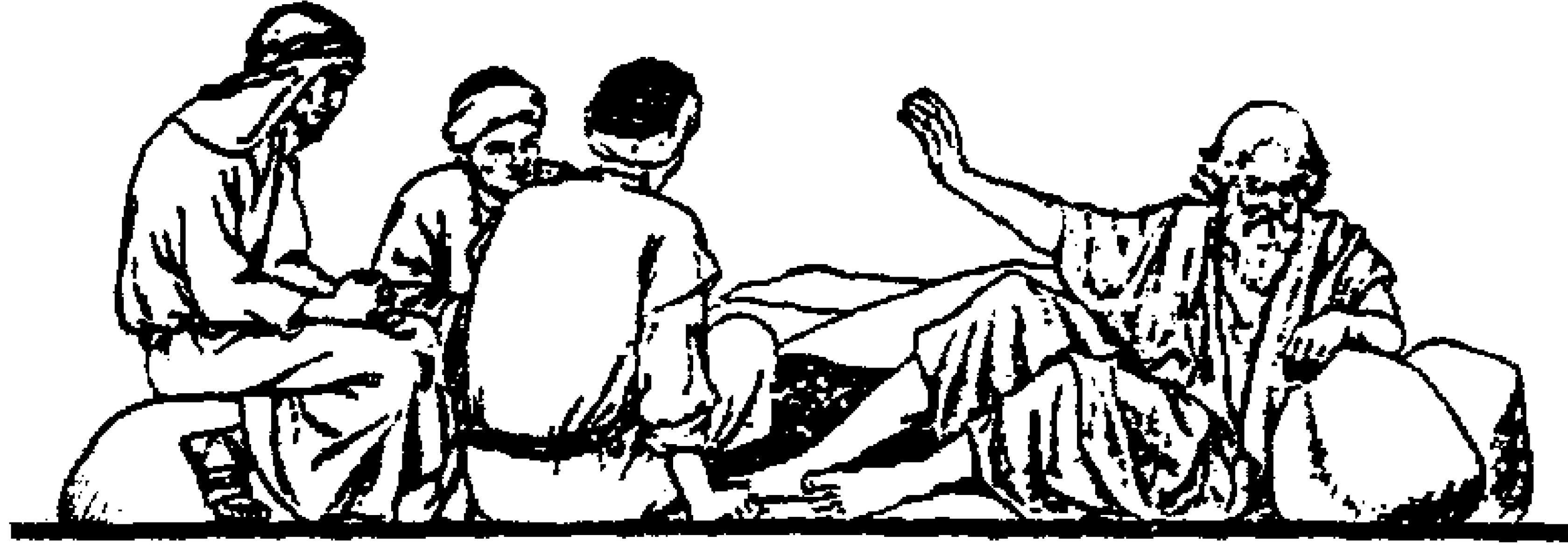
يتراجع لابان عن موقفه نتيجة لتدخل الرب، وإن لاحظ يعقوب بذكائه سبباً آخر «هيبة ابي إسحق»، فما كانت العشيرة البدوية المتمرسة على القتال لتترك ثأر ابنها إذا هلك ولو على يد خاله! على أية حال لقد أدرك الطرفان أن من الأسلم هما أن يبرما ما يشبه معاهدة عدم إعتداء، ويتم توثيقها بكومة حجارة كما إعتادت عشائر ذلك الزمان اعتقاداً منها بأن إقامة نُصب حجرية يعطي المواثيق قوة واستمرارية، فقد يموت الشهود ولكن تبقى كومة الحجارة شاهدة على الأتفاق، ثم جلسوا للأكل معا تأكيداً للسلام الذى سيحل بينهم من الآن فصاعداً (تك ٣١: ٤٨) .[قارن يش ٢٤: ٢٦ و ٢٧].

وسرعان ما استجد خطرٌ آخر هو عيسو الذى أصبح شيخاً لقبيلة كبيرة محتفظاً برغبته في الثأر كبدوي أصيل، وها هو يعقوب يشعر أنه بلا حول ولا قوة أمام انتقام عيسو الوشيك. ما الذى حدث في هذه الليلة الرهيبة عند مخاضة يبوق؟ . لقد تصارع يعقوب مع ملاك الرب وهو في صورة إنسان، ولما أدرك يعقوب أنه بقوته وحيلته لا يستطيع الانتصار، تحول إلى التوسل والاسترحام بالبكاء كما أوضح لنا هوشع النبي فيما بعد (هو ١٢: ٤و٥)، وما أن إتضع يعقوب أمام الرب حتى باركه.

كان يعقوب مرتعباً من مواجهة عيسو، فأوضح له الرب أن المواجهة ينبغي أن تكون أولاً مع ذاته، وإذ تخلص من إعتداده بنفسه، أصبح له أن يعتمد على ذراع الرب فلا يخشى أي إنسان (مز ٥٦: ١١). لقد أرسل يعقوب هدايا لبستعطف وجه أخيه، فعلمه الرب أنه ينبغي أولاً أن يستعطف وجه الرب (فنوئيل)... وكانت ليلة رهيبة خرج منها يعقوب بدرس لا ينسى وفخذ مخلوع ! (تك ٣٧).

أيـــوب ـ التنقية بالالآم «حتى متى لا تلتفت عني ... ريثما أبلع ريقي - ٧: ١٩»

متى عاش أيوب البار؟... الأرجح أنه عاش في عصر الآباء، فثروته مكونة من الماشية، وهو أعظم بني المشرق، الاسم الذى يرد إشارة إلى أرض أرام (تك ٢٩: ١)، وهو يقدم ذبائح عن أسرته، فقد كان العصر عصر كهنوت ابوي، يكهن فيه رأس الأسرة عن عشيرته كما فعل إبراهيم (تك ١٢: ٨)، واسحق (تك ٢٦: ٢٠)، ويعقوب (تك ٣٣ : ٢٠)، كما أن العملة النقدية (القسيطة) التى قدمت لأيوب بعد شفائه، لم تذكر إلا في سفر التكوين حين أشترى يعقوب أرضاً من سكان شكيم (قارن تك ٣٣: ١٩ مع أيوب ٤٢: ١١)، كما نرى شبهاً آخر بين أيوب وشخصيات عصر الآباء، فقد عاش ١٤٠ سنة ومات شيخاً وشبعان الأيام (قارن وفاة إبراهيم - تك ٢٥: ٨ ووفاة إسحق - تك ٣٥: ٢٩ ووفاة يوسف في مصر - تك ٥٠: ٢٣).



كانت معاناة أيوب شاملة وغير مسبوقة، لقد عانى مادياً ونفسياً وإجتماعياً وروحياً، لقد خسر ثروته وممتلكاته كلها، وتمكن المرض من جسده فتألم بلا راحة، وفقد أولاده وبناته وفقد معهم أماله لكل واحد منهم، وتمزق بين حبه للرب وعداوة الله الظاهرة له، والتي سببت له إحساساً شديداً بالخوف، وانحدر إجتماعياً من شيخ يوقره الجميع إلى هُزأة الكبير والصغير، وأنفض عنه الكل فلم يظهروا إلا عند شفائه (أي ٤٢: ١١)، وزاد من عذابه شعوره بالظلم الرهيب الذى تعرض له، وصمت الله عن كل ما أصابه، بينما يتقلب أيوب على جمر التساؤل: ماذا فعلت حتى يفعل الله بي كل هذا؟

لقد قدم لنا أيوب تجربة فريدة في المواجهة بين الله والإنسان، فبينما يتخبط الأنسان المجرّب تحت وطأة الألم، ناسباً الظلم إلى القدر (أي ٩: ١٧ + ١٠ : ٣)، وبينما يتحول الأصدقاء إلى معزين متعبين (أي ١١: ٦)، وينصرف الأحباء مبتعدين، إذا بالإله الجبار يتواضع ليتحاور مع من يتمرد على أحكامه (أي ٤٢: ٢) إن الأمثلة كثيرة في الكتاب المقدس على أن جزاء الأنسان من جنس أفعاله، إن شراً وإن خيرا، لكن الشواهد عديدة أيضا على نجاح الأشرار ومعاناة الأبرار، حتى أن أرميا النبي يتساءل في مرارة « يارب لماذا تنجح طرق الأشرار - أر١٢: ١، قارن أي ٢١: ٦ + ٢١ : ٧»

يمكن للبار أن يتألم، هذا ما تقوله قصة أيوب الرائعة، الأمر الذى لم يفهمه أصدقاؤه فنسبوا عذابه إلى شرور له خفية. لم يدرك الشيوخ من أصدقاء أيوب أن الرب يسحق ليشفي ويضرب لينقي (أي ٥: ١٧- ١٨)، وأنه بينما يتألم الشرير عقاباً، يتألم البار تطهراً وخلاصاً، وهو ما أدركه «أليهو» الشاب ببصيرته الروحية النافذة (أي ٣٣ : ١٢-١٨).

فلينتبه القارىء، ويفهم فكر الرب الحنون طويل الأناة، خلف كل ما ينزله من تأديب على البشر، ولو لم يكن إلهاً حانياً، ففي أي منطق بشري يعفو عن مدينة فاسدة لو وجد فيها أبرار عشرة (تك ١٨ : ٢٨). إن هيرودس تأخذه العزة بالأثم فلا يتراجع عن وعده لراقصة ولو كان ثمنها رأس يوحنا البار (مت ١٤ : ٩) بينما الرب خالق السموات والأرض يتراجع عن قولته ويعطى أهل نينوى فرصة جديدة (يون ٣: ١٠).

إن طرق الرب تعلو عن أفكارنا، فلا ينبغى أن ننساق إلى من ينسب القسوة إلى أحداث العهد القديم، فالرب رؤوف طويل الروح كثير الرحمة، هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. إن خاتمة القصة تؤكد لنا أن الله يكافىء البار ولا يعاقبه، حقاً الذى يحبه الرب يؤدبه، وكأبٍ بأبن يُسر به (أم ٣: ١٢).

دروس كثيرة نجدها في هذا السفرالثمين...

أيوب ـ الأصدقاء ـ الله

المحاورة الأولى: ص ٣ إلى ص ١٤

أيوب – يتمنى لو لم يكن قد ولد، ويعلن كراهيته للحياة لأنه لا يفهم ماذا يحدث ويشعر أن الرب يحاصره، ونكاد نلمس رعب أيوب الشديد.

اليفاز – ينهر أيوب لأنه يتذمر ولا يخضع للحكمة الأهية ويدعوه لقبول تأديب الرب.

أيوب – يطلب الموت، ويظهر عظم بليته ويوبخ أصحابه لعدم إشفاقهم عليه، ويعاتب الله بمرارة شديدة متسائلاً: ماذا فعلت ؟ لماذا تراقبني متصيداً لي الهفوات ؟

بلدد – (بقسوة شديدة) لقد نزل بك الحكم الذى تستحقه، والرب قد أمات أولادك بسبب معاصيهم!

أيوب – يتساءل من يستطيع أن يواجه جبروت الله، ويظهر إحساسه بالظلم، وأنه لم يذنب، وأن الله يتحامل عليه، وما الداعي إذن لأن يكون الإنسان باراً ما دام الكل يعاقبون، ثم يتهم الله صراحة بأنه ظالم. لماذا أخرجتني إلى الحياة ؟ كي تتلذذ بتعذيبي ؟!

صوفر – يسب أيوب ويصفه بأنه مهذار وظالم وأثيم! إن الله يعاقبه بأقل من ذنبه !

أيوب – (يرد غاضباً) حقا أنكم شعب ومعكم تموت الحكمة!، ولكنه لا يقل عنهم فهماً، وأنهم يتحدثون لأن أيديهم في الماء ولا يكتوون مثله بنار الألم، إنه يعلم قدرة الله مثلهم، ولكنه يعلم أيضا أنه بلا ذنب ويطلب أن يُحاكم أمام الله، ثم يرد على أصدقائه إهاناتهم، فهم كذابون وأطباء بطالون، ويبدو أنهم يحابون الله على حسابه ! ثم يتهم الرب بأنه يلفق عليه فوق إثمه، (فمهما كان ذنبي لا استحق كل هذا العذاب).

المحاورة الثانية: ص ١٥ إلى ص ٢١

اليفاز – ماذا تفهم أكثر منّا، أنت لا تخاف ولا تتقي الله، بل أنت أثيم محتال، ويعود فيؤكد أن الله لا يتجبر إلا على الشرير والفاجر والغشاش.

أيوب – معزون متعبون كلكم، أما من نهاية لكلام فارغ ؟! لقد ضربني الرب مع أنه لا ظلم في يدي، وصلاتي خالصة، لقد ضاعت كل آمالي، أليس من حقي أن أتمنى الموت ؟

بلدد – هل تريد أن نغير نظام الكون من أجلك ؟ نعم ما يحدث لك هو ما يحدث لفاعلي الشر وللذين لا يعرفون الله!

أيوب – حتى متى تسحقونني بالكلام، تراءفوا انتم عليَّ، لماذا تطاردونني كما يطاردني الله ؟!

صوفر – مهما تعظم الشرير، فالله يتركه إلى حين ثم ينقض عليه (الكلام لك يا جارة !)

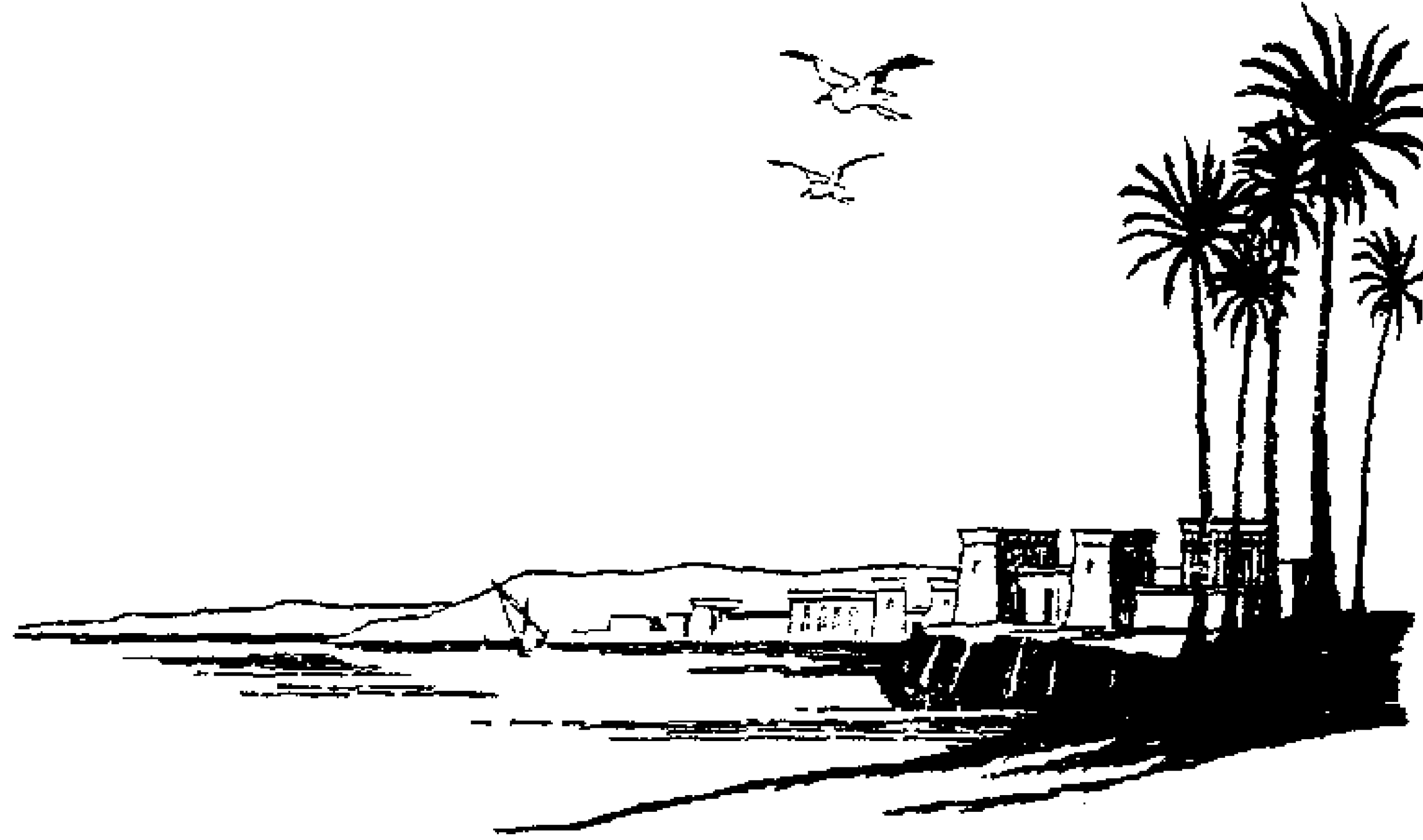
أيوب – غير صحيح، فكثير من الأشرار ينجح في هذه الدنيا، بينما قد يموت البار وهو متألم، والرب يحتفظ لكل منهم بالجزاء في يوم السُخط (الدينونة).

المحاورة الثالثة: ص ٢٢ إلى ص ٣١

أليفاز – شرُّك عظيم ياأيوب وآثامك لا نهاية لها ! لقد سلبت الضعفاء وسحقت اليتامى والأرامل (كذا !). أفضل لك أن ترجع عن شرورك وظلمك وسعيك وراء الذهب!

أيوب - الرب يعرف طرقي جيداً، لكنه يبدو غير منتبه إلى الظلم الذى يصيب كثيرين !
بلدد - مهما فعل أى إنسان فلا يتبرر قدام الله.
أيوب - نعم، الله عظمته لا تحد، وحتى لو أنه قد نزع حقي ومرَّر حياتي ، فأنا متمسك ببري، لماذا تتكلمون باطلاً وتقولون أن ما يصيبني هو نصيب الأشرار؟ لكنني أبحث عن الحكمة، ما حكمة ما يحدث لي؟... أين أيام العز والقوة ؟ الكل كانوا يعظمونني، كنت كملك ! الآن أصبحت سخرية للجميع، أنا الذى فعلت خيراً كثيراً ولم أفعل شراً، ولم أشمت بمبغضيَّ، ولكن من يسمعني ويعطيني ما استحق ؟
وهنا يتدخل أليهو الشاب..
أليهو - لقد صَمَتُّ لأنني أصغركم سناً، ولكن يبدو أنه لا علاقة بين السن والحكمة! أنا لا أنافق، لقد أخطأت يا أيوب فالله يؤدب الإنسان لينقذه من الكبرياء، أما أنتم فأسمعوني، فالله لا يفعل شراً ويعطي كل واحد كأعماله، أما أيوب فيقول أنه أبر من الله، حاشا، فماذا يستفيد الله من برك، أو ماذا يؤذيه من شرورك، برُّك لك وشرُّك لك، تأمل عجائب الله وثق بحكمته و أصبر فتعرف قصد الله.
أخيراً يتكلم الرب ويسرد له الأعمال الفائقة في الطبيعة، ويوضح لأيوب ضعفه وجهله، ثم يوبخ أيوب «تستذنبني لتتبرر أنت»، وأيوب يخضع أمام الله، ويبدي توبته ويطلب من الله أن يعلمه. «بسمع الأذن سمعت عنك والآن رأتك عيني - ٤٢: ٥). أخيراً يرفع الله رأس أيوب ويوبخ الأصحاب الثلاثة (نفهم أن كلام أليهو يتفق مع طريق الله)، ويعوض أيوب عن آلامه ويرد اليه ما فقده مضاعفاً.

يوســــــف



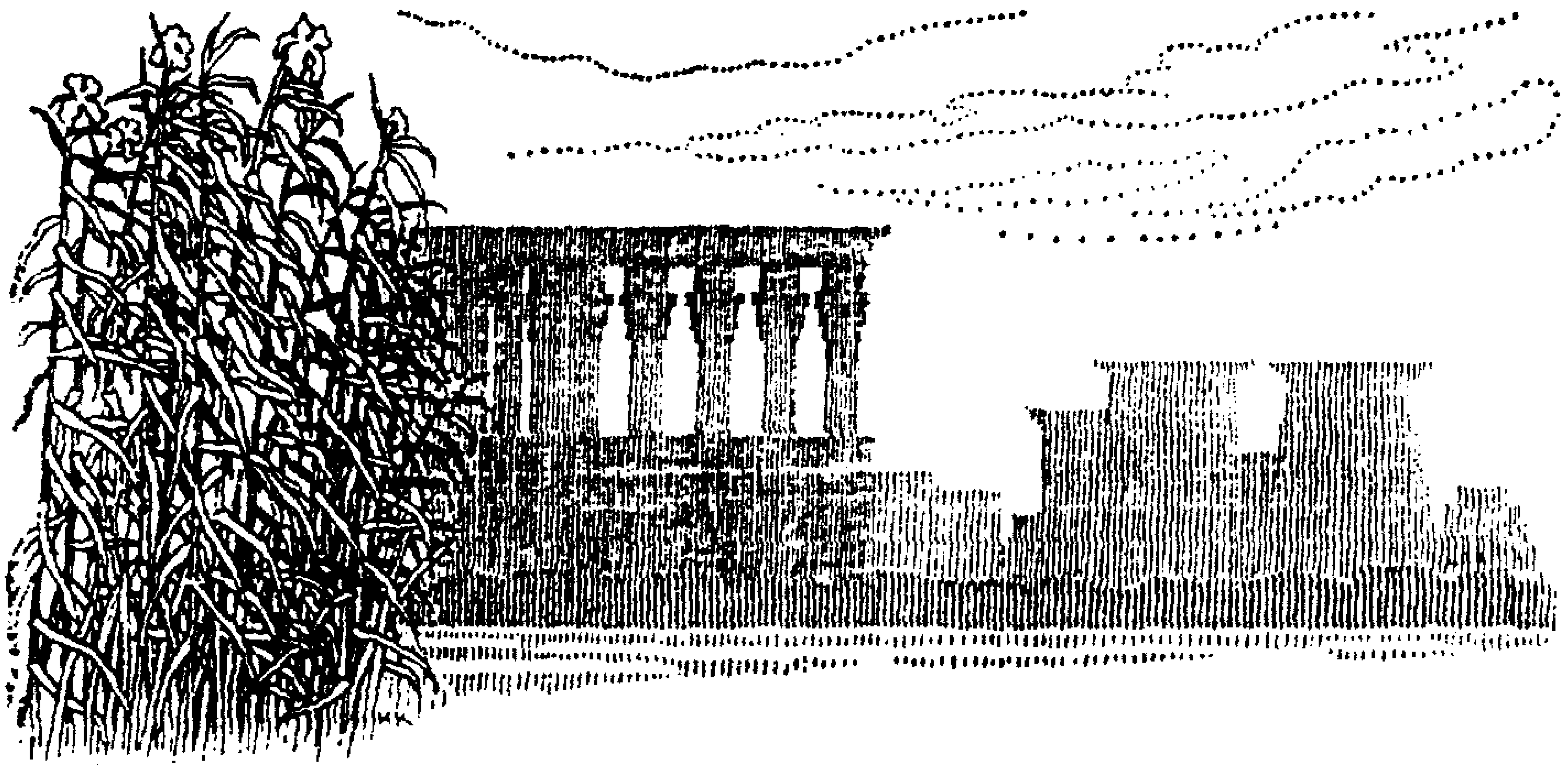
لم يتعلم يعقوب الدرس، فها هو يميز يوسف على اخوته فيغرس بذلك الكراهية بين الأخوة، وبينما تباهى يوسف بحلم يجعله رأساً لاخوته، إذا به يؤخذ كعبد إلى أرض مصر.

وإلى جانب ما نعلمه عن طهارة يوسف، فاننا نرى في قصة يوسف درساً ثميناً آخر. لقد دخل كعبدٍ إلى بيت فوطيفار فنجح نجاحاً باهراً في إدارته لأعمال سيده.. لماذا نجح يوسف؟ لأن الرب كان معه (تك ٣٩: ٢)، ثم يدخل إلى السجن بتهمة ملفقة وسرعان ما ينجح هناك أيضاً، محتلاً مكانة خاصة لدى رئيس السجن.. لماذا؟ لأن الرب أعطاه نعمة في عيني الرجل، منجحاً كل ما يعمله يوسف (تك ٣٩: ٢١ و ٢٣)، ثم يخرج من السجن إلى قصر فرعون، وينجح نجاحاً فائقاً. لماذا ؟ لأن الرب وهبه الحكمة والبصيرة لتفسير حلم فرعون وتدبير أمور البلاد (تك ٤١: ٣٨و ٣٩)، وقد أدرك يوسف هذا تماماً، فأرجع كل فضل إلى الرب، الذى أنساه تعبه وجعله مثمراً في أرض عبوديته (تك ٤١: ٥١ و ٥٢).

درس واضح، الله يعمل فينا وبنا من أجل خير من حولنا، لقد دُعي يوسف «صفنات فعنيخ = قوت الحياة» وبالفعل صار سبب حياة للبلاد ولعشيرته.

الرب قريب.. سمة واضحة لعمل الله في عصر الآباء، إنه يظهر لإبراهيم (١٢: ٧) ويتدخل لدى فرعون لإنقاذ ساره (١٢: ١٧)؛ يرسل ملاكه ليخلص هاجر (١٦: ٧)، ويأمر إبراهيم بالختان (١٧:)، بل ويزوره ليعده بالنسل (١٨: ١)، ثم ينزل ليؤدب سدوم وعموره (١٨: ٢١)، ويتدخل لدى ابيمالك (٢٠: ٣)، وينادى إبراهيم ليوقفه عن ذبح إسحق (٢٢: ١١)، ويستجيب لسؤال رفقة عن ولديها (٢٥: ١١)، يمنع إسحق من النزول إلى مصر (٢٦: ٢)، ويعمل على أن يسود الوئام في أسرة يعقوب (٢٩: ٣١)، وينهى لابان عن التعرض له (٣١: ٢٩)، ويواجه يعقوب مباركاً إياه (٣٢: ٢٩)، و ها هو يعمل في حياة يوسف.

الرب قريب لا ينفصل ولا يتعالى على خليقته، بل يعمل بعناية وطول أناة، حتى يتأوج عمله باتحاده بالإنسان - تاج الخليقة - مولوداً من العذراء مريم مسمياً نفسه عمانوئيل، ساكناً معنا وفينا بروحه «فلا أخشى شراً لأنك أنت معي- مز ٢٣».

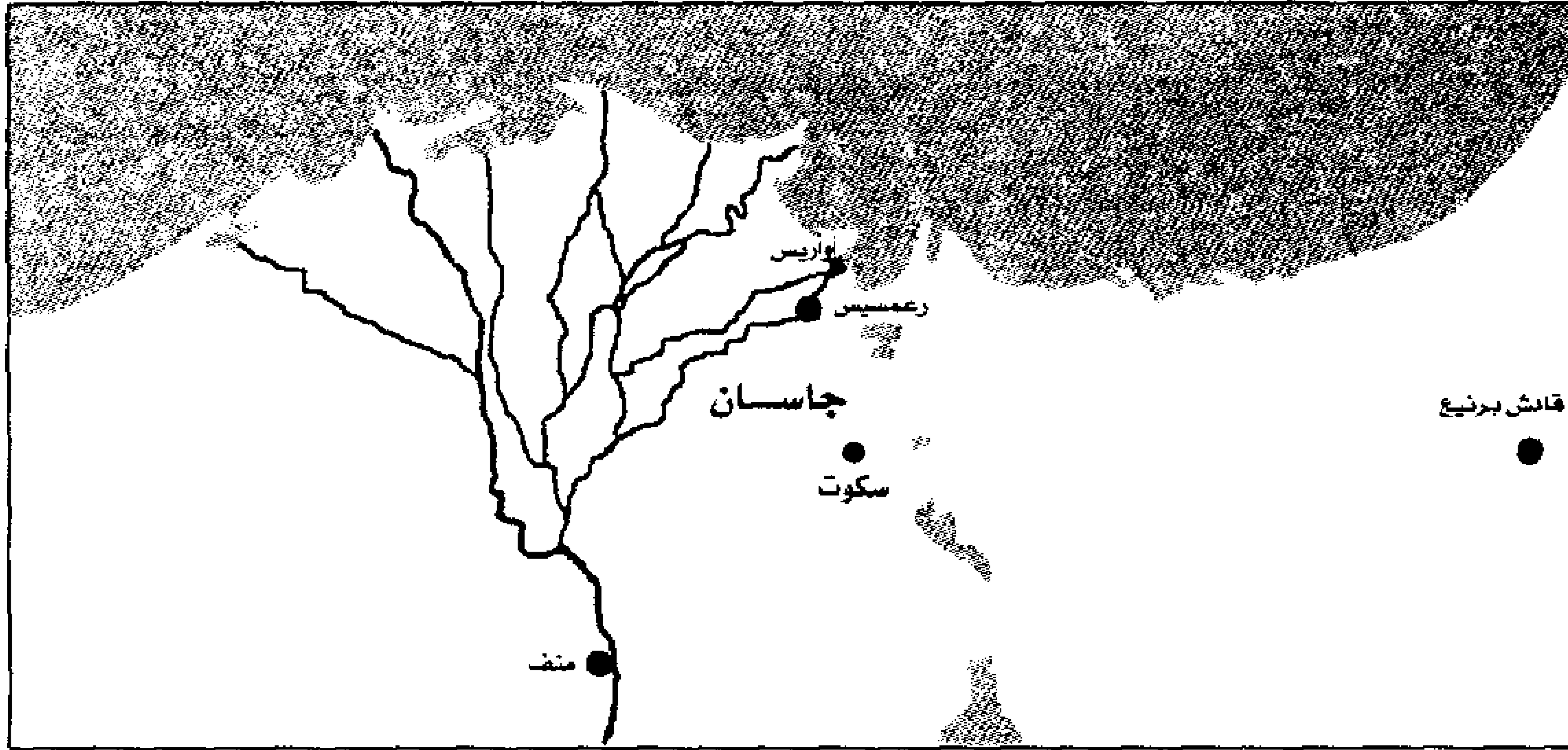


العشـــيرة تنزل إلى مصــــر

رأينا كيف كانت مصر هي الملجأ من الجوع للبدو الرحل المعتمدين على الأمطار مثل عشيرة إبراهيم. إلى مصر لجأ إبراهيم، وكاد إسحق أن يذهب أيضاً، وأخيراً حين أشتدت المجاعة على يعقوب، أرسل أولاده ليشتروا قمحاً، وبعد حوادث نزلت العشيرة كلها إلى مصر. متى نزل إسرائيل وجماعته إلى أرض مصر؟.. يغلب الأعتقاد أن هذا حدث في الفترة التى كانت فيها مصر تحت حكم الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين سيطروا على دلتا النيل وأمتد نفوذهم مصر الوسطى، وكانت عاصمتهم في أواريس (صا الحجر في محافظة الشرقية) وهو ما يتفق مع الموقع المرجح لأرض جاسان بين مصر وكنعان، ما بين الزقازيق والتل الكبير.



رسم جداري في مقابر بنى حسن (في صعيد مصر قرب المنيا) يصور قافلة من البدو على درجة من التحضر، يقدمون هدايا إلى حاكم الإقليم ليسمح لهم بالإقامة في مصر حتى انتهاء الجفاف، يعود إلى عصر الأسرة الثانية عشرة نحو ١٨٩٠ ق.م.، وهو وقت معاصر لفترة الآباء.



البكـــورية

استقرت العشيرة في أرض مصر، وهي بعد نفر قليل (تك ٣٤: ٣٠)، وسكنت في بقعة كثيرة المراعي في إنعزال نسبي، محتفظة إلى حد ما بوحدة عنصرها، نامية في عددها متمسكة بعادات الرعاة، فاستطاعت أن تُبقى على عزة نفسها، نفس بدوي يتحضر شيئاً فشيئاً.

ويستشعر يعقوب دنو الأجل فيبارك أولاده معطياً يوسف نصيب البكر (تك ٤٨: ٢٢):

إننا نلمح منذ البداية تمييزاً خاصاً للبكر، في تقدمة هابيل من أفضل غنمه أبكارها وسمانها (تك ٤: ٤)، وفي جلوس البكر على رأس المائدة (تك ٤٣: ٣٣)، وحرص يوسف ان ينال بكره «منسّى» إهتماماً خاصاً (تك ٤٨: ٨-٢٠). إن عيسو يبيع حق البكورية لاخيه (تك ٢٥: ٣١)، فما هو حق البكورية ؟

إنه نصيب مضاعف من ميراث الاب، كما أخذ يوسف البار، وكما أوضحت الشريعة فيما بعد «بكراً يعطيه نصيب أثنين... له حق البكورية - تث ٢١: ١٧».
ولكن الكتاب يوضح لنا أن البكورية ليست حقاً ثابتاً للمولود أولاً، بل هى حق مشروط برضاء الابوين. كان راؤبين هو بكر يعقوب، لكنه فقد هذا الحق بانتهاكه لحرمة ابيه (تك ٣٥: ٢٢)، «لأنه هو البكر ولأجل تدنيسه فراش أبيه أعطيت بكوريته لبني يوسف،- ١ أخ ٥: ١-٣»، وهو ما أتضح عند تقسيم الأرض، فقد اُعتبر منسى وأفرايم سبطين من الشعب كباقي أبناء يعقوب، بحسب وصيته: «إبناك المولودان لك في أرض مصر.. هما لي، أفرايم ومنسى كراؤبين وشمعون يكونان لي - تك ٤٨: ٥»، لذا تتكرر الإشارة إلى شعب إسرائيل باسم أفرايم، على أساس أن أفرايم أخذ بكورية يوسف، ويوسف هو بكر إسرائيل، حسب قول الرب «صرت لأسرائيل أباً، وأفرايم هو بكرى - أر ٣١: ٩»
البكورية إذن حق مشروط، نقضه عيسو لسلوكه المستبيح، حتى أن إسحق لا يتراجع عن موقفه بعد إكتشافه لخدعة يعقوب، ها نحن نرى هذا الامتياز ينتقل إلى عشيرة داود الملك «وجدت داود عبدى... أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض - مز ٨٩». وداود بدوره لا يهتم أن يعطى مملكته لأكبر أولاده «أدونيا»، بعد أن مات أمنون الأكبر منه، بل قررها لسليمان وأعلنها قبل وفاته ليضمن له الملك مطيحاً بالعرف السائد (١ مل١: ٢٨-٣٠).



لكن الله أيضاً يبدى إهتماماً فائقاً بالأبكار، فقد أعتبر الرب ضرب الأبكار أسوأ مصيبة يمكن أن تحل بأي شعب، لذا جعلها آخر ضربة تصيب فرعون وشعبه. وها هي الشريعة تؤكد مراراً وتكراراً، أن البكر هو نصيب الرب، بكر الحيوان يذبح أو يستبدل بذبيحة مناسبة وإلا يموت (يكسر عنقه) «قدس لى كل بكر، كل فاتح رحم من بنى إسرائيل من الناس ومن البهائم - خروج ١٣»، لماذا ؟.. تربط الشريعة بين هذا وبين ضربة الأبكار التى تزامنت مع الخروج من أرض مصر. لقد ضرب الرب أبكار مصر وأبقى أبكار شعبه، لذا فحياة الأبكار أصبحت له، كل بكر مقدس للرب، فيذكر الشعب دائماً أن منقذه من العبودية وحافظ حياته هو الرب. أبكار الحيوانات تقدم للرب.

أما أبكار الناس فقد أستبدلهم الرب باللاويين، فبدلا من تخصيص أبكار كل سبط، اعتبر الرب سبط لاوي كله من نصيبه (عد ٣). وقد نفذت أوامره بدقة بالغة، فتم إحصاء أبكار إسرائيل ٢٢٢٧٣، وكذا الذكور البالغين من سبط لاوي ٢٢٠٠٠، ودفعت فدية نقدية عن الفرق في العدد ٢٧٣، بواقع خمسة شواقل لكل رأس قُدمت إلى الكهنة من بني هارون، ثم أُجرى طقس تكريس اللاويين لخدمة الرب، «لأنهم موهوبون لى هبةً.. بدل كل فاتح رحم بكر... قد إتخذتهم لي- عد ٨: ١٦» وفي ملء الزمان اكتسبت البكورية معنى أعمق حين تجسد المسيح كبكرٌ بين أخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩ + كو ١: ١٨).

طـريق الأرض كلها

وتحضر يعقوب النهاية، فيبارك أولاده مترنماً بما كشفه الرب له، معطياً قبساً من نور عن «شيلون» الذي سيأتي من نسل يهوذا وتخضع له الشعوب. ويدفن يعقوب إلى جوار أبائه في أرض كنعان، ويفزع أخوة يوسف من الانتقام المنتظر، لكن يوسف يطمئنهم، ليصبح أول من يصفح عمن أساءوا إليه، إذ أدرك الحكمة الإلهية وراء كل ما دار « أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً.. ليحيي شعباً كثيراً - تك ٥٠: ٢٠».
ثم يرقد يوسف مؤمناً بالوعد الذى تسلمه الآباء، بعد أن أوصى عشيرته بأن يأخذوا جسده حين خروجهم من مصر ليستريح إلى جوار أبائه، أولئك الآباء العظام الذين صدقوا المواعيد وإن تحققت في أجيال بعدهم. وبوفاة يوسف الصديق في أرض مصر ينتهى عصر الأباء وتبدأ حلقة جديدة في سلسلة التدبير الإلهي من أجل خلاص الإنسان.



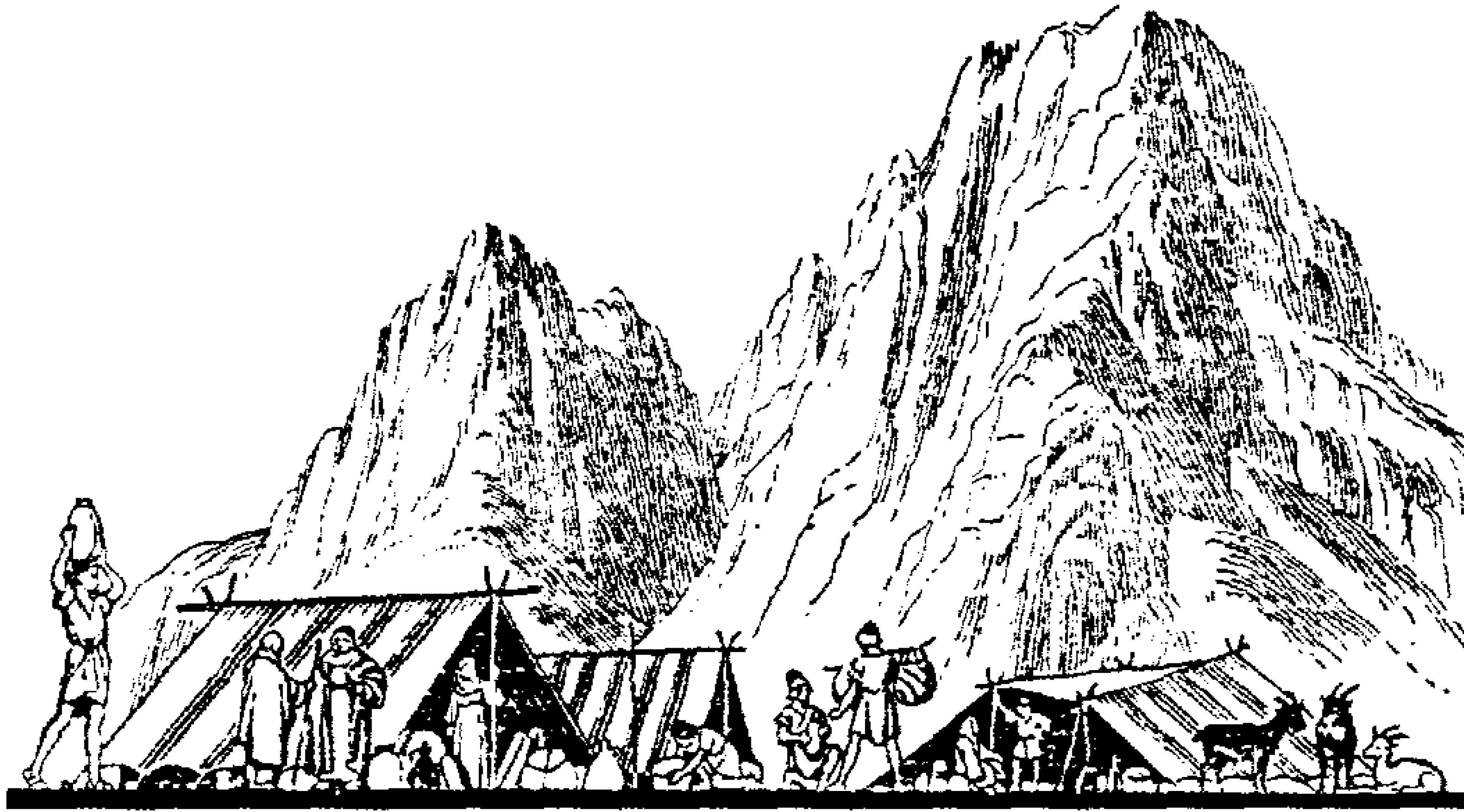
الخـــــروج والرحلة في البرية

متى حدث الخروج؟
المواجهة والضربات
قـــلب فـــرعون
موضــع العبــور
التمـــرد المتـــكرر
٤٠ سنة في البريـة
خيمة الإجتمـــاع

متى حدث الخـــــروج ؟

حين قطع الرب ميثاقاً مع أبينا إبراهيم أن يعطيه الأرض ذكر له أن نسله سيتغرب نحو ٤٠٠ سنة، ثم يخرجون إلى كنعان، لأن ذنب الأموريين لم يكتمل بعد (تك ١٥: ١٦)، ولعل المقصود أن الرب سيتأنى على الأموريين كل هذه المدة لعلهم يرجعون إلى الطريق المستقيمة. فالثابت أن الرب لم يعطِ الأرض لبني إسرائيل لأنهم أفضل من باقي الشعوب (تث ٧: ٧)، «ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من أمامك - تث ٩: ٥»

تمكن أمراء الصعيد بقيادة أحمس أمير طيبة من طرد الهكسوس عام ١٥٧٠ ق.م. وأسس الأسرة الثامنة عشر - أعظم الأسرات في تاريخ مصر الفرعونية - وسرعان ما نشأ شعور وطني عارم ضد الأجانب، خاصة الأسيويين منهم. وانقلب الحال بالنسبة لنسل يعقوب المقيم في أرض مصر، «فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية - خر ١: ١٣و١٤» وأعلن الرب أنه قد آن الآوان لتنفيذ ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (خر ٣: ٢٤).



وما زال الجدل دائراً حول تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر، ولكننا سوف نرجح هنا ما تقدمه لنا نصوص الكتاب المقدس، والذي يتفق مع كثير من المصادر التاريخية: فالكتاب المقدس يذكر أن هيكل أورشليم قد بدأ بناؤه في السنة ٤٨٠ من الخروج (١ مل ٦: ١)، ومن الربط بين تاريخ إسرائيل وتاريخ أشور، نعلم أن الهيكل قد بدأ بناؤه في عام ٩٦٧ ق.م.

فيكون تاريخ الخروج المرجح نحو ١٤٤٨ ق.م. ويكون مولد موسى حوالي ١٥٣٠ ق.م. في أوائل عهد تحتمس الأول ويكون الفرعون الذى أصدر الأمر بقتل مواليد العبرانيين الذكور هو تحتمس الأول الذى بدأ حكمه عام ١٥٣٢ ق.م.، حيث أن هرون قد ولد قبل موسى بثلاث سنوات، ولا يبدو أنه قد تعرض لتهديد القتل عند ولادته. فيكون ميلاد هرون في أواخر عهد أمنحتب الأول (١٥٥٣ - ١٥٣٢). وهو ما يتفق مع ما نراه في النقوش المصرية عن القسوة البالغة لتحتمس الأول في معاملة أسراه.

نقل تحتمس الأول العاصمة من طيبه إلى منف. فقد كانت مصر تتحول سريعاً إلى إمبراطورية، أكثر توابعها في شرق البحر المتوسط، وفيما بعد نقلت العاصمة إلى صوعن (تانيس) بالقرب من المنزله. بناء عليه فمن المحتمل أن تكون إبنة فرعون التى وجدت موسى في النيل هى حتشبسوت إبنة تحتمس الأول، وفيما بعد زوجة تحتمس الثاني وشريكته ثم خليفته في الحكم في الفترة (١٥٠٤ - ١٤٨٢)، وتكون حتشبسوت هي نفسها الفرعون الذى مات وقت هروب موسى في صحراء مديان (خر ٢: ١٥و٢٣ + ٤: ١٩)، أما صيغة المذكر التى يشار بها اليها فهي مألوفة بالنسبة لحتشبسوت، كما هو واضح من أثرها الخالد في معبد الدير البحرى غرب الأقصر، حيث نراها في زي الرجال ترتدي لحية مستعارة.

بعد وفاة تحتمس الثاني يشترك تحتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠) مع حتشبسوت في الحكم ثم ينفرد بالسلطة بعد وفاتها. فيكون هو الفرعون الذى اضطهد بني إسرائيل على الأرجح ، ويكون تحتمس الثالث، والثابت تاريخياً شدة عداوته للأسيويين، هو نفسه فرعون الخروج، في ذلك الوقت كان الفرعون في أوج قوته، ويظهر هذا في جبروته وعناده رغم نصيحة رجاله ورغم الخراب الذى أصاب البلاد (خر ١٠: ٧).

في ذلك الزمان كان الطريق المؤدى من مصر إلى أرض كنعان (القنطرة - رفح) مرصعاً بالحصون المصرية، ولعل هذا هو سبب توجيه الرب لموسى أن يتجه بالشعب جنوباً لكي لا يواجهوا حرباً (خر ١٣: ١٧).

على أية حال يتفق الدارسون على أن باب البحث التاريخى لم يغلق بعد في هذه النقطة، وبقي أن نقول أن كل الإستنتاجات السابقة مبنية على إعتمادنا تاريخ الخروج في ١٤٤٨ ق.م.



ولكن توجد اعتراضات على تحديد هذا التاريخ للخروج:

١. أن عصر الأسرة ١٨ قد تخللته حملات حربية عديدة في اتجاه الشرق (قاد تحتمس الثالث وحده ٦٣ حملة)، بينما لا نقرأ على مدى عصر القضاة كله ولو حملة حربية واحدة التي كان ولابد أن تعبر في أرض كنعان.

٢. أنه من الثابت تاريخياً أن كنعان ظلت طوال عصري الأسرتين ١٨ و١٩ (التحامسة والرعامسة) خاضعة لمصر، ومع هذا لا نجد أي تدخل للجيش المصري أثناء غزو يشوع للأرض.

٣. أن مدينة فيثوم (سميت في العصر اليوناني «هيروبوليس») والتي ذكر الكتاب المقدس أن بني إسرائيل هم الذين بنوها، قد بنيت في عهد رمسيس الثاني (١٣٠٤-١٢٢٧ ق.م). [أنظر خريطة العبور].

٤. أن التاريخ المصري المدون على جدران المعابد والمقابر لا يحتوي أي ذكر لخروج بني إسرائيل أو مصرع أي من فراعنة مصر مع جنوده غرقاً.

لكن أكثر الدارسين يرفضون هذه الاعتراضات:

١. أن طريق الحملات الحربية أو طريق أرض كنعان (طريق حورس)، والذي يبدأ من القنطرة شرق وحتى رفح وغزه، يسير بحذاء البحر، وهي منطقة لم يقترب منها يشوع، فقد كانت خاضعة لعشائر الفلستيين القوية، وفي الشمال وجدت مملكة صور وصيدا الفينيقية، ولم يمتد تواجد بني إسرائيل إلا لجزء صغير جنوب الكرمل، وكان هذا في أيام داود الملك (أواخر الأسرة ٢١). والحق أن تواجد العبرانيين كان محصوراً في التلال، بينما كان المصريون وغيرهم يعبرون في السهول.

٢. ثابت من المدونات المصرية أن ثورة قام بها الأموريون (سكان كنعان)، أدت إلى انسحاب المصريين إلى داخل حدودهم، كان ذلك نحو عام ١٤٨٠ ق.م.، ونقرأ في ألواح تل العمارنه أن شعباً قوياً يطلق عليه العابيري أو الخابيري، جاء في تلك الفترة إلى المنطقة، وأنهم يقضون على حكام البلاد، على حد نص رسالة الاستغاثة التي بعث بها حاكم ساليم (أورشليم) إلى البلاط المصري.

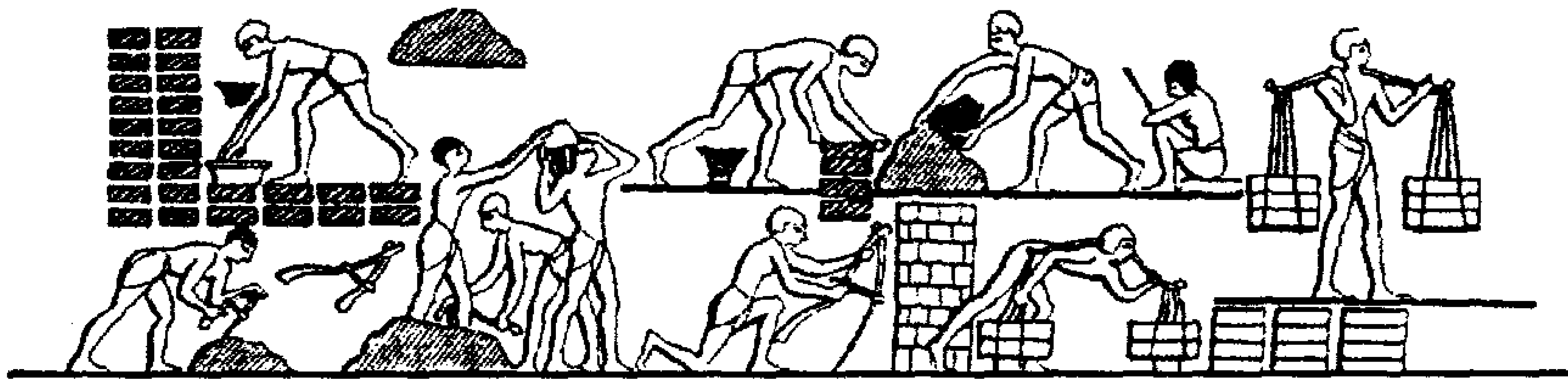
٣. أنه لم يقطع بعد أن مدينة فيثوم هي نفسها هيروبوليس، كما أنه ليس من النادر في تاريخ مصر أن تبنى مدينة في عصر أحد الفراعنة ثم تنسب إلى فرعون آخر، أو أن تنسب إلى تاريخ تجديدها وليس تأسيسها.

٤. أن الفراعنة بصفة عامة، كانوا يسجلون الانتصارات فقط ولا يسجلون الهزائم في مدوناتهم.

٥. عُثر في معبد الأقصر على لوح صخري سجل عليه مرنبتاح ابن رمسيس الثاني وخليفته أنه قد صد الغزاة وضرب شعب إسرائيل في كنعان، أي أن إسرائيل كان موجوداً في كنعان قبل عصر مرنبتاح بزمان طويل. والسبب أن كثيرين يتمسكون بأن رمسيس الثاني هو فرعون الخروج هو أن مدة الـ ٤٣٠ سنة في التوراة العبرية ترد في الترجمة السبعينية ٢١٥ سنة، وهو أمر لا يتسع المجال للتعليق عليه.

٦. أن النقوش الموجودة في جزيرة الفانتين مقابل أسوان، تحدد تاريخ موت تحتمس الثالث، في النصف الأخير من شهر مارس حسب التقويم المصري. ونحن نعلم أن الشعب قد عبر البحر بعد أن أكلوا الفصح بأيام قليلة (في منتصف نيسان - أبريل)، ويمكن إرجاع فرق الشهر بين التاريخين إلى الاختلاف بين التقويم الشمسي المصري والتقويم القمري الإسرائيلي.

على أية حال يتفق أغلب الدراسين أن البحث لم يغلق بعد في هذه النقطة، ولكنهم جميعاً يقطعون بأن فرعون الخروج ليس رمسيس الثاني، وأن الخروج قد حدث في عصر الأسرة الثامنة عشرة. (للمزيد يرجع إلى موسوعات الكتاب، وقد أوردنا أهمها في المراجع).



المــــواجهة!

حين كلف الرب موسى بأن يعود إلى مصر لكى يقود الشعب إلى أرض الموعد، أعلمه أن المسألة لن تكون سهلة. وإذ رفض فرعون أن يطلق الشعب، رغم الآيات الأولى التى أجراها موسى عندما تحولت عصاه إلى حية، إلا أن مجاراة سحرة مصر له في البداية شجعت الفرعون على الرفض، ومن ثم بدأت الضربات تتوالى على أرض مصر. ألم يكن الرب قادراً على أن يخرج الشعب مباشرة؟ لماذا إذن أنزل الرب هذه الضربات؟.

إن الرب يعلن الهدف منها بوضوح تام «لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض فإنه الآن لو كنت أمد يدي وأضربك وشعبك بالوباء لكنت تباد من الأرض، ولكن لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوتي ولكي يخبر باسمي في كل الأرض - خر ٩: ١٤-١٦»، إن الرب يريد الجميع أن يعرفوا من هو «يهوه» إله إسرائيل، وأن تنغرس مهابته في قلوب الكل: الإسرائيليين والمصريين (خر ٦: ٧ + ٧: ٥) ، و لينتبه القارىء إلى أن الضربات الثلاث الأولى قد أصابت الكل دون تمييز، وأن حصر الضربة في نطاق المصريين، والتمييز بينهم وبين بني إسرائيل بدأ من الضربة الرابعة وما بعدها (خر ٨: ٢٢و٢٣).

يلاحظ القارىء أيضا أن الضربات مرتبة بشكل عجيب، ولا نعلم الحكمة وراء هذا الترتيب:

١- تحويل الماء إلى دم	٤- الذباب	٧- البَرَد	موسى يقابل فرعون باكراً عند النهر
٢- الضفادع	٥- الماشية	٨- الجراد	موسى يدخل إلى فرعون في القصر
٣- البعوض	٦- الدمامل	٩- الظلام	موسى لا يرى فرعون ويقوم بإيماءة معينة

أما ضرب الأبكار فيميل أكثر الدارسين إلى إعتباره حدثاً منفصلاً عن باقي الضربات التسع للاختلاف الواضح في الهدف منه، ولارتباطه الوثيق بتأسيس الأمة والعقيدة والشعب الخاص بيهوه إله إسرائيل، وسنعرض هذا في تناولنا لموضوع «الفصح».

هيبة موسى



يبقى أن نلاحظ إهتمام الرب بأن تأتي الضربات وترفع بأمر أو بإشارة من موسى النبى شخصياً، مما ثبَّت له هيبة عظيمة أمام بنى إسرائيل، الهيبة التي احتاج اليها بشدة فيما بعد مع هذا الشعب غليظ الرقبة. ففي البداية، حين أخبرهم موسى أن الرب قد أفتقدهم «لم يسمعوا لموسى من صغر النفس (اليأس) والعبودية القاسية - خر ٦: ٩»، ولكن بعد هذه الضربات يقول سفر الخروج أن «الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب - ١١: ٣»، وعندما اكتمل عبور المياة «خاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى- خر ١٤: ٣١». إن إهتمام الرب بهيبة موسى يظهر بالأكثر في تنفيذ اقتراح يثرون حميه باختيار من يعاونوه في القضاء للشعب (خر ١٨: ١٧-٢٣)، فكلفه الرب باختيار سبعين من الشيوخ ويحضرهم إلى خيمة الإجتماع «وآخذ من الروح الذى عليك

وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب - عد ١١: ١٧». إن الله وهو معطي كل الأرواح والمواهب قادر أن يعطي هؤلاء الشيوخ مباشرة، ولكن ألم يكن هذا يصير مبرراً لأي من هؤلاء السبعين أن يرفض قيادة موسى؟.



لقد واجه موسى النبي هذا الموقف من داخل أسرته ذاتها، من هرون ومريم، «هل كلم الرب موسى وحده، ألم يكلمنا نحن أيضاً - عد ١٢: ٢»، لكن الرب يتدخل فوراً «إسمعا كلامي: أن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له، في الحلم أكلمه، أما عبدي موسى... فماً لفم وعياناً أتكلم معه - عد ١٢: ٦-٨».

قلب فرعون !

هل دفع الرب فرعون دفعاً لكي يتشدد فينزل الله الضربات بأرض مصر؟، أمر لا يتفق مع ما نعلمه يقيناً عن عدل الرب ورحمته وتقريره للإرادة الحرة للإنسان، أي إنسان. ما المقصود إذن بالعبارة التى تتكرر، أن الرب قد شدّد قلب فرعون فرفض أن يطلق الشعب؟ (خر ٤: ٢١ + ٧: ٣ + ٩: ١٢ + ١٠: ١و٢٧).

تعالوا نقرأ معاً:

بعد أن ابتلعت عصا هرون عصي السحرة: فأشتد قلب فرعون ٧: ١٣

بعد تحويل الماء إلى دم: إنصرف فرعون... ولم يوجه قلبه إلى هذا أيضا ٧: ٢٣

بعد ضربة الضفادع: فلما رأى فرعون أنه حصل الفرج أغلظ قلبه ٨: ١٥

بعد ضربة البعوض: قال العرافون لفرعون هذا أصبع الله ولكن إشتد قلب فرعون ٨: ١٥

بعد ضربة الذبان: أغلظ فرعون قلبه هذه المرة أيضا ٨: ٣٢

بعد وباء الماشية: غَلُظَ قلب فرعون فلم يطلق الشعب ٩: ٧

بعد نزول البَرَد: لكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود إنقطعت عاد يخطيء وأغلظ قلبه هو وعبيده، فأشتد قلب فرعون... ٩: ٣٤ و ٣٥

في كل الشواهد السابقة يُنسب الفعل إلى فرعون، لماذا إذن في مواضع أخرى يُنسب الفعل إلى الرب؟ في مرات عديدة نرى الوحى يقول أن فرعون قد شدّد قلبه فلم يسمع لموسى وهرون «كما تكلم الرب - خر ٨: ١٩»، إن الكتاب هنا يشير إلى حديث الرب السابق لموسى عندما كلفه أن ينزل إلى أرض مصر، «ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي... وبعد ذلك يطلقكم - خر ٣: ١٩و ٢٠». إتضح الأمر إذن، فالرب بسابق علمه يعرف كيف سيتصرف فرعون، ولكنه لا يفرض على إرادة الأنسان سلوكاً معيناً، لقد فعل فرعون ما أراده وتمسك به رغم كل شيء، وإذا نسب الوحي الفعل إلى الرب في بعض الحالات فإنما يشير إلى هذا العلم السابق، وليس إلى تصرف دُفع اليه فرعون رغماً عنه، وهو ما يتسق مع تعاملات الله مع الإنسان عبر كل الأزمنة.

«قد جعلت أمامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فأختر... - تث ٣٠: ١٩»

موضـــع العبـــــور

الشائع أن بنى إسرائيل قد عبروا البحر الأحمر، لكن الدراسة المتأنية لقصة العبور تصل بنا إلى:

١. أن بنى إسرائيل قد عبروا «بحر سوف»، أى بحر الغاب أو الخيزران، وهي صفة تطلق على المناطق التي تغلب عليها طبيعة المياة الراكدة أو قليلة الحركة حيث تتكاثر الأعشاب. (يطلق الكتاب المقدس إسم بحر سوف على خليج السويس كما نفهم من سفر العدد ٣٣ : ١٠)، والغريب أن نفس الاسم يطلقه الكتاب على خليج العقبة أيضاً (١ مل ٩: ٢٦). إذن الغالب أن هذا الاسم يطلق على المناطق التى تنتشر فيها الأعشاب الطويلة، أما العبور من خليج العقبة فمستبعد تماماً.

٢. أن الرب أجرى ريحاً شرقية أزاحت الماء فتمكن بنو إسرائيل من العبور، مما يرجح أن المنطقة التى عبروا منها لم تكن ذات عمق كبير، وإن إستحال عبورها دون تدخل معجزي من الرب.

٣. أن العبور لم يستغرق وقتاً طويلاً، إذ أجرى الرب ريحا شرقية طوال الليل وما أن أقبل الصبح حتى كانوا قد عبروا جميعاً (خر ١٤: ٢١-٢٧)، ومع العدد الهائل الذى عبر لابد وأن عرض المياة لم يكن كبيراً، خاصة مع قاع المياة اللزج الذى ساروا عليه.

٤. يذكر الكتاب المقدس أن الشعب مروا في طريقهم إلى بحر سوف بمدينة سكوت (خر ١٣: ١٨)، ومنها إلى إيثام في طرف البرية، والمدينتان كانتا تقعان غرب البحيرات المرة مباشرة.

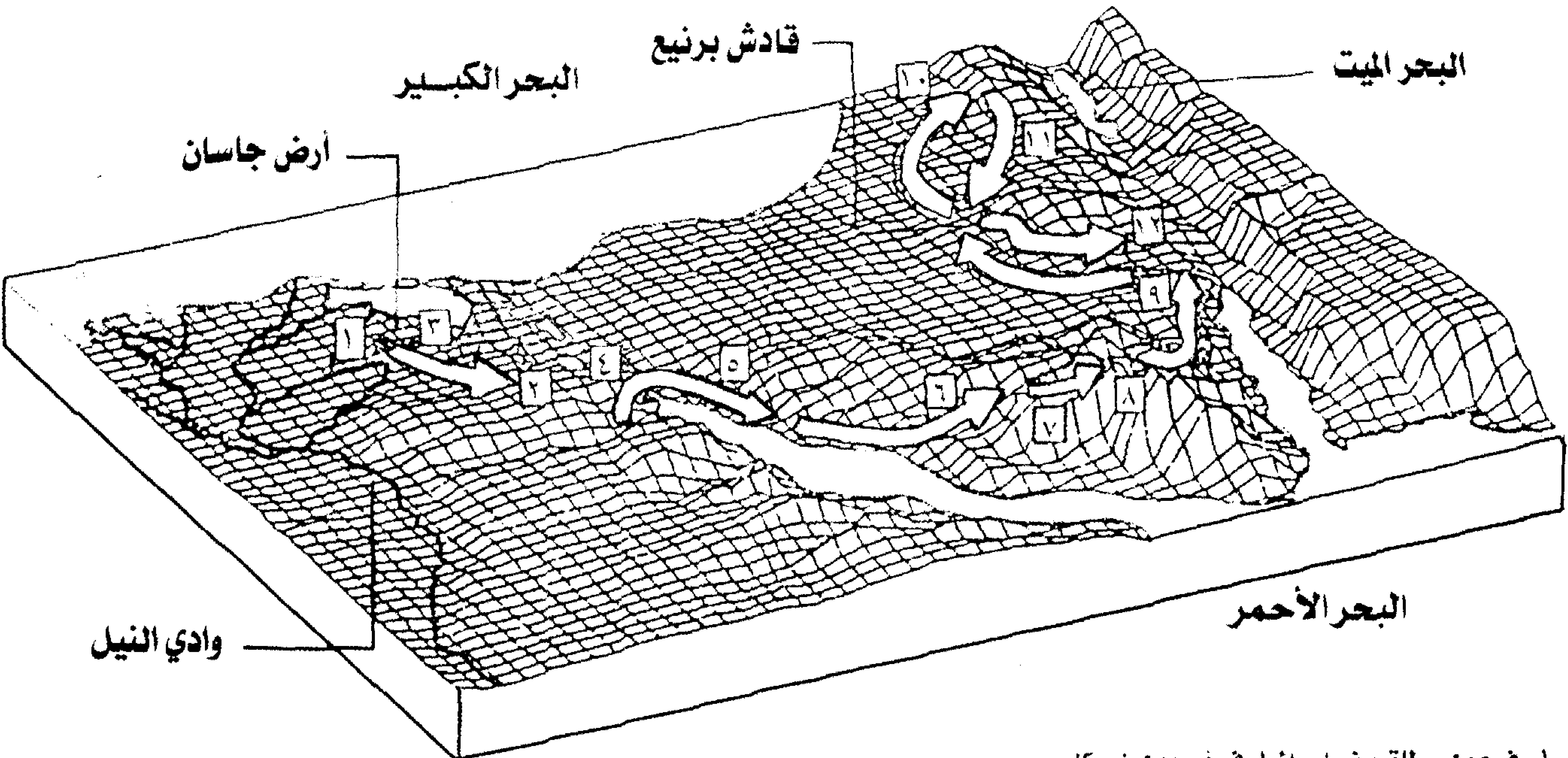
٥. نعلم الآن أن وقتها كان أحد فروع النيل يمتد شرقاً بطول وادى طميلات ويصب في البحيرات المرة، والتي كانت عذبة المياة في ذلك الوقت، كما أن قناة كانت تصل بين جنوب البحيرات المرة وطرف خليج السويس، والذي كان أكثر إمتداداً إلى الشمال من وقتنا الحالي.

من هذا كله، يرجح أن عبور بنى إسرائيل قد تم في نقطة ما بين جنوب البحيرات وطرف خليج السويس، والذى يُرجح أنه هو المقصود بـ «فم الحيروث».

التمـــــــرد المتــــكرر

نعلم يقيناً أن بني إسرائيل قد عاشوا الفترة الأخيرة في مصر في عبودية مرة، ثم أرسل الرب موسى ليقودهم إلى الحرية، بعد أن أظهر هم قوته في الضربات التي أنزلها، وفي محبته التي تجلت في تمييزه هم عن المصريين في الضربات الأخيرة، ثم في نجاة أبكارهم من الهلاك، وها هم ينجون بمعجزة مذهلة من جيش فرعون.

إن النشيد الذى ترنموا به بعد النجاة (خر ١٥)، يعكس هذا الفرح العارم بالنجاة بعد أن أيقنوا بالهلاك وبعد أن صرخوا في وجه موسى «لأنه ليست لنا قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية - خر ١٤: ١٢»، وليس لنا أن نلومهم على هذا الكلام، فجيش فرعون يطبق عليهم، وهم بعد حديثو الإيمان. لكن الغريب أنهم ما أن دخلوا في حمى الصحراء، ولم تمر أيام قليلة على العبور العظيم، حتى رسبوا في أول إمتحان. الماء غير متوفر، يبدأ التذمر «ماذا نشرب» ورغم أن مشكلة الماء تم حلها، إلا أن التذمر يتكرر!



رحلة الخروج

١ ـ فرعون يطلق بني إسرائيل فيخرجون خر ١٢
٢ ـ يرتحلون جنوبا الى منطقة البحيرات خر ١٢و١٣
٣ ـ المصريون يطاردون الشعب خر ١٤
٤ ـ الشعب يعبر والجنود يهلكون خر ١٤
٥ ـ بعد ثلاثة أيام يصلون الى ماره خر ١٥
٦ ـ الرب يرسل المن والسلوى خر ١٦
٧ ـ الرب يخرج ماء من الصخرة ـ نصر على عماليق
يثرون ينصح موسى بتفويض المسئولية خر ١٧و١٨
٨ ـ جبل سيناء ـ استلام الشريعة خر ١٩-٣٢
٩ ـ مريم اخت موسى تصاب بالبرص عد ١٢
١٠ ـ موسى يرسل الجواسيس عد ١٣ -
١١ ـ عودة الجواسيس ـ التمرد عد ١٣و١٤
١٢ ـ بدء التيه في البرية لمدة ٣٨ سنة عد ١٤

بعد شهر ونصف فقط من الخروج، تذمر كل جماعة إسرائيل على موسى وهرون «ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم (!) نأكل خبزاً للشبع، فأنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتانا بالجوع – خر ١٦: ٣»، فأرسل الله المن من السماء وطيور السلوى (السمان) ليأكلوا. ويتكرر التذمر من أجل الماء حتى كاد موسى رغم حلمه (عد ١٢: ٣) أن يفقد صبره، فصرخ إلى الرب «ماذا أفعل بهذا الشعب، بعد قليل يرجمونني – خر ١٧: ٤». ورغم أنهم انتصروا على قبائل العمالقة وكان الانتصار بعمل واضح من الرب (خر ١٧: ٨-١٦)، إلا أنهم يعودون للتذمر.

إن التمرد على موسى كان في حقيقته تمرداً على خطة الرب، كما نقرأ صراحة «في الصباح ترون مجد الرب... وأما نحن فماذا حتى تتذمروا علينا... ليس علينا تذمركم بل على الرب – خر ١٦: ٧و٨». «وكان الشعب كأنهم يشتكون شراً في أذني الرب، وسمع الرب فحمي غضبه فأشتعلت نار الرب وأحرقت في طرف المحلة. يصرخ الشعب إلى موسى فيصلى إلى الرب فخمدت النار، فدعى هذا الموضع تبعيرة (اشتعال) لأن نار الرب اشتعلت فيهم – عد ١١: ١-٣». ولانعلم ما المقصود بنار الرب، لكن القصة توضح تماماً موقف الشعب.

لقد نسي إسرائيل سريعاً العبودية المرة، والذكريات المرعبة عن قتل الأطفال، وتعددت شكاواهم... تارة من العطش وتارة من الجوع وتارة من قيادة موسى وهرون. الرب يجرى أعجوبة غير مسبوقة فينزل لهم طعاماً من السماء، والشعب لا يرى في المن سوى طعاماً سخيفاً مفروضاً عليهم (عد ٢١: ٥)، ويصل بهم الأمر إلى درجة البكاء شوقاً إلى خيرات مصر «من يطعمنا لحماً، قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم (!)، والآن قد يبست أنفسنا، ليس شيء غير... هذا المن – عد ١١: ٦-٧»، ولكن التمرد لم يكن قد وصل إلى ذروته بعد...

بعد نحو عام ونصف وصل الشعب إلى تخوم أرض كنعان، وبتعليمات من الرب أرسل موسى النبي اثني عشر رجلاً (واحداً من كل سبط – عد ١٣: ٢)، ليتجسسوا الأرض، وزودهم بتعليمات مفصلة. ليعود هؤلاء بعد أربعين يوماً ويخبرون بمدن الكنعانيين المحصنة ومركباتهم الحديدية، ورغم محاولات يشوع وكالب لطمأنة الشعب وما سمعوه عن الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، وما لمسوه من أعمال الرب الجبارة معهم، إلا أن غالبية الشعب يفكرون جادين في اختيار قائد يعود بهم إلى أرض مصر، بل ويصل بهم الحال إلى التهديد برجم موسى وهرون. وهنا يعلن الرب قراره، إن هذا الجيل لن يدخل منه أحد إلى أرض الموعد، وأبناؤهم الذين ظنوا أنهم سيصيرون عبيداً للكنعانيين هم الذين سينالون الأرض، أما الرجال العشر الذين أشاعوا الرعب في نفوس الناس فقد نالوا عقاباً فورياً.

ليست المسألة أن الله قد نفذ صبره «حتى متى أغفر هذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليَّ – عد ١٤: ٢٧»، أو أن الرب اغتاظ من إفتراءات الشعب، فالله ليس إنساناً لينفعل أو تنتهي أناته. إن الرب تأني على الأموريين أكثر من أربعمائة عام، فماله لا يتأنى على شعبه المختار عامين أو أقل؟ ما المسألة إذن؟

لقد تطور أسلوب حياة الآباء بسبب إحتكاكهم بشعوب سبقتهم في الحضارة، أنظر يعقوب ساكن الخيام حين يعود إلى كنعان بعد إقامة طالت ٢٠ عاماً في حاران، يبنى بيتاً ويقيم حظائر لماشيته كما رأى في فدان أرام (أنظر رفقه وهي تدعو أليعازر الدمشقي إلى بيتها في حاران - تك ٢٤: ٢٣-٣٣، وقارن تك ٣٣: ١٧).

لكن التأثر الأعظم حدث في مصر: حين زوج يهوذا ابنه، نام الفتى وعروسه على الأرض، وحين بارك يعقوب أولاده حضرته الوفاة وهو على السرير (تك ٣٨: ٨-٩ + ٤٩: ١٣). لقد سافر الآباء على الجمال، بينما أرسل يوسف لابيه عجلات لتحمله إلى مصر (تك ٢٤: ٦١ + ٤٥: ٢١)، والبدوي الذى كان يشرب من الجرة أصبح يتشاءم إن لم يشرب من كأسه الفضي (تك ٢٤: ٤٣ + ٤٤: ٥)، ولا شك أن القميص الملون الذي تباهى به يوسف يوماً، يتضاءل أمام الكتان المصري الفاخر (تك ٣٧: ٣ + تك ٤١: ٤٢). أنظر نساء العبرانيين وهن ينزعن الأقراط الذهبية من آذانهن وآذان البنات، ويقدمنها لهرون ليصنع منها عجلاً يتعبدون له (خر ٣٢: ٢-٤) وحين يتقرر إنشاء خيمة الإجتماع يقدمن ذهباً كثيراً، بل إن المرحضة صنعت من المرايا النحاسية التى قدمتها العبرانيات المتجندات لخدمة المسكن (خر ٣٨: ٨).

لم يكن الشعب مستعداً إذن لإستبدال سمك النيل المبارك وقدور اللحم وخبز الشبع بالطعام البسيط حتى ولو كان نازلاً من السماء (خر ١٦: ٣). لم يكن الشعب مستعداً للإنتقال من الدار إلى النار، من أرض مصر التى تشبه جنة الرب إلى سيناء القفر العظيم المخوف أرض العطش والحيات والعقارب (تك ١٣: ١٠ + تث ٨: ١١ + هو ١٣: ٥). لقد أقام الشعب في مصر مئات السنين، ونشأت أجيال عديدة لم تعرف حياة البداوة، وحين خرجوا من مصر كان ذلك في أزهى عصورها وهي في قمة المجد والثراء والوفرة، ويكفي أن ترى آثار توت عنخ آمون لتدرك هذا.

لقد رفض الشعب ذلك الأله الصحراوى المتقشف المحارب فلكل أسلوب حياة آلهته، فحل محلهم جيل آخر تفتحت عيناه على البرية. ومن ينشأ في أرض العطش تصبح كنعان بالنسبة له أرض تفيض لبناً وعسلاً. وفيما بعد سينصرف كثيرون من الشعب وراء آلهة الكنعانيين، حين يعتنقون أسلوب الحياة الكنعاني ويرتبطون بالأرض الزراعية، ولكن هذه قصة أخرى!

٤٠ سنة في البـــــــرية

إن الهدف من رحلة البرية يمكن تلخيصه في عبارة واحدة «الرب محور حياتك فالتصق به، إفعل هذا فتحيا». فالرب يقود الشعب إلى أرض بلا ماء، ثم يسقيه من الصخرة، والرب يأخذ الشعب إلى القفر، ثم يطعمه من السماء، والرب يضع الشعب في مواجهة أعداء شرسين، ثم يقاتل عنهم وهم صامتون، وها هو الحلول الإلهي يضيء لهم في ظلمة الليل ويظللهم من الشمس المحرقة. والشريعة تمتد إلى كل جوانب الحياة، حتى الطعام والشراب والنظافة والوقاية الصحية. وها هى سحابة المجد الألهى تمضي معهم، لا يتحركون إلا إذا تحركت، ولا يتوقفون إلا إذا توقفت «يومين أو شهراً أو سنة متى تمادت السحابة على المسكن حالّة عليه كان بنو إسرائيل ينزلون ولا يرتحلون، ومتى ارتفعت كانوا يرحلون - عد ٩: ٢٢»، لقد أخذ

الرب بيدهم كما يأخذ الاب بيد طفله لينمو في رعاية وعناية ومحبة ابيه. أنظر الوحي وهو يقول « في البرية حيث رأيت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الإنسان إبنه في كل الطريق التى سلكتموها - تث ١: ٣١». [لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت إبني... وأنا درجت أفرايم ممسكاً إياهم بأذرعهم... كنت أجذبهم بحبال البشر بربط المحبة - هو ١١: ٣و٤]. ولكن الجيل الخارج من أرض مصر يرفض هذا الدرس وهذه العلاقة الخاصة بعد أن غلبتهم الأشواق إلى حياة الذل إلى جوار قدور اللحم !

التيه في البرية (ترد تفاصيل رحلة البرية في سفر العدد الأصحاح ٣٣)

١- من بحر سوف إلى ماره:

بعد مسيرة ثلاثة أيام في برية شور بعد العبور، وصلوا إلى ماره، وهناك وجدوا عيناً للماء غير الصالح للشرب لمرارته، لكن موسى يطرح في الماء شجرة معينة (قد تكون ثمار الغرقد الحمضية) كأمر الرب فزالت مرارته. وينطبق هذا الوصف على عين «حواره» وسط التلال الطباشيرية البيضاء، وهذه التلال هي سبب مرارة الماء، وتبعد نحو ٥٨ كيلومتراً من المكان الذي يطلق عليه الآن «عيون موسى» (خر ١٥: ٢٢-٢٥).

٢- من ماره إلى إيليم:

وتعني كلمة «إيليم» النخيل، وتبعد نحو ١٠ كيلومترات من ماره، وهناك وجدوا ١٢ عين ماء و٧٠ نخلة، وهذا الوصف ينطبق على وادي «غرانديل»، ومن هناك دخل بني إسرائيل في برية سين التي تمتد من السفوح الغربية لجبال جنوب سيناء حتى ساحل خليج السويس الذي يسميه الكتاب المقدس «بحر سوف»، حيث نزل الشعب بعد شهر واحد من مغادرتهم أرض مصر (خر ١٦: ١). في برية سين أعطاهم الرب المن وطيور السلوى (السمان) طعاماً (خر ١٦: ١٣-١٨). و«سين» هو إله القمر الذي كان يعبد في المنطقة، ومنه جاء اسم «سيناء»، ويبدو أنها اكتسبت هذا الاسم من انعكاس ضوء القمر ليلاً على التلال البيضاء. ويرجح أنهم نزلوا بالقرب من العيون الكبريتية الدافئة المعروفة الآن باسم «حمام فرعون».

٣- من برية سين إلى رفيديم:

يذكر سفر العدد ثلاث مراحل (دفقة - ألوش - رفيديم)، أما سفر الخروج فيذكر باختصار: «ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب، ونزلوا في رفيديم، ولم يكن ماء ليشرب الشعب - خر ١٧: ١». بعد نزاع يضرب موسى الصخرة والرب يخرج منها ماءً. ويدعون اسم المكان «مسه ومريبه» بمعنى (تجربة ومخاصمة). هناك أقام الشعب معسكرهم على مرأى من جبل حوريب.

٤- من رفيديم إلى جبل سيناء:

في رفيديم استراح الشعب نحو ثلاثة أسابيع قبل أن يستأنفوا مسيرتهم إلى السهل المقابل الجبل، وهكذا وصلوا إلى جبل سيناء بعد حوالي شهرين من خروجهم (خر ١٧: ١و٢). وهنا تهاجم قبيلة عماليق معسكرهم فينتخب موسى رجالا بقيادة يشوع بن نون لمحاربتهم فينتصرون على عماليق بمعونة الرب،

ويقيم موسى مذبحاً يدعوه «الرب رايتي – يهوه نسي» (خر ١٧: ٨-١٦). كان قد مضى وقت كاف لتصل الأخبار إلى مديان فيحضر أنسباء موسى، ويلتقي النبي مع زوجته وولديه ووالد زوجته يثرون، الذي يقترح عليه تنظيم الشعب وتوزيع المسئولية، وموسى يأخذ بالاقتراح بعد أن أقره الرب (خر ١٨: ١-٢٧).

٥- عند جبل سيناء:

يستعد الشعب للقاء الرب، الذي يحل مجده على جبل سيناء (خر ١٩)، وموسى يتسلم الشرائع ويسجلها (خر ٢٤: ٤). ويمكث الشعب عند جبل سيناء عشرة أشهر، فقد وصلوا إليه في الشهر الثالث من الخروج ورحلوا بعد الاحتفال بالفصح الثاني (خر ١٩: ١ + عد ٩: ١-٣). خلال هذه المدة يقيم موسى النبي مذبحاً، ويقطع عهد الرب مع الشعب برش الدم، ويصعد موسى ومعه هرون وشيوخ الشعب إلى جبل سيناء، ثم ينفرد موسى على الجبل ٤٠ يوماً ليتسلم لوحي الشريعة (خر ٣١: ١٨)، ويريه الرب شكل خيمة الاجتماع وترتيبها، ويعلمه الوصايا ونظام الكهنوت (خر ٢٥-٣٠). لكن الشعب في غيابه يقيم عجلاً ذهبياً، والرب يعلم موسى بذلك، فينزل غاضباً ليحطم لوحي الشريعة ويأمر اللاويين بضرب المتعدين (خر٣٢). ثم يبدأ جمع مستلزمات بناء خيمة الاجتماع، ويكتمل بناءها وإقامتها، ويحل مجد الرب عليها في صورة عمود غمام.

٦- من جبل سيناء إلى تبعيره إلى قبور الشهوة:

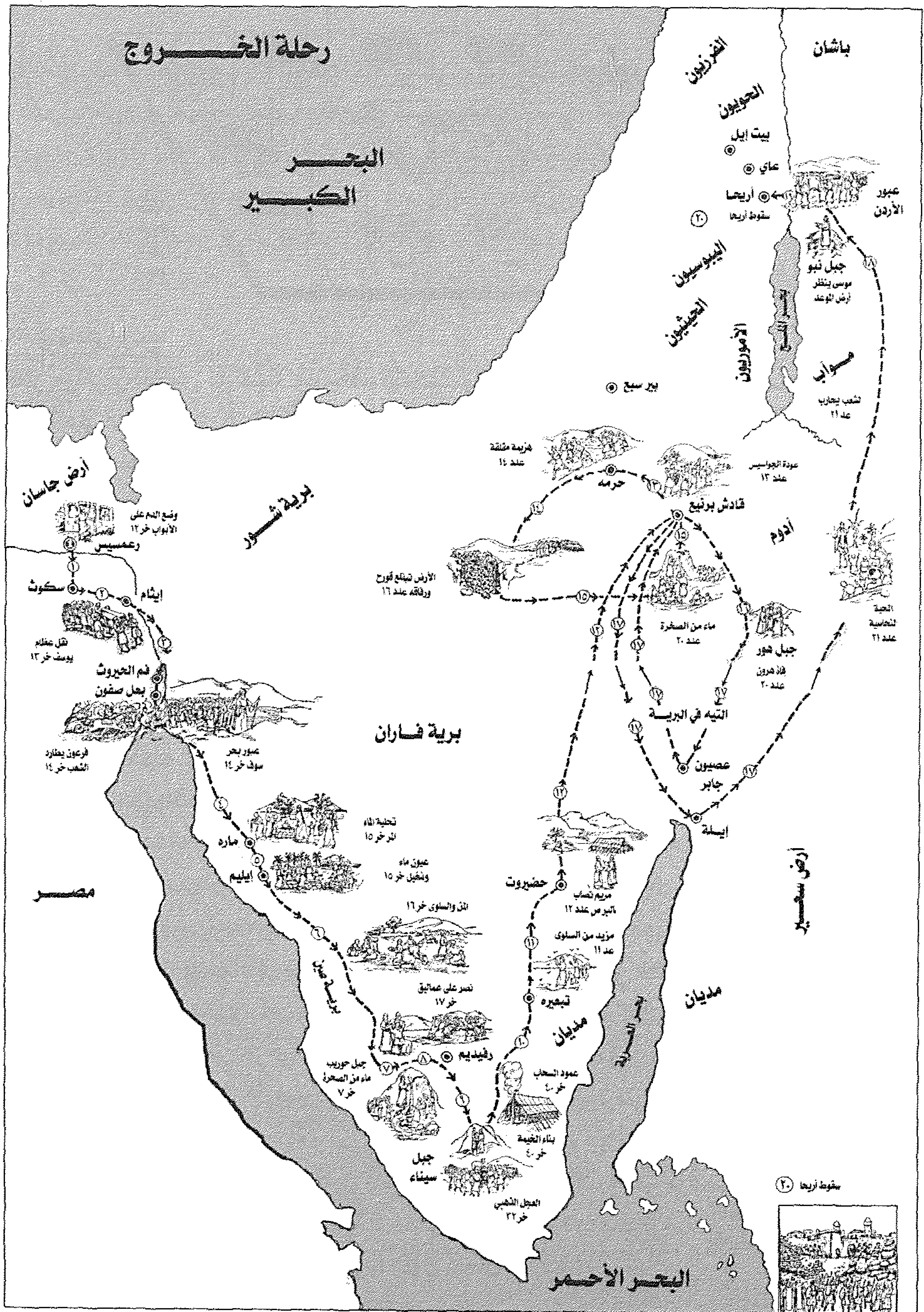
وهناك عاد الشعب للتذمر فاشتعلت نار الرب في طرف المعسكر. الشعب يتشوق إلى خيرات مصر ويطلب لحماً للطعام، والرب إزاء حيرة موسى يرسل مزيداً من السلوى، ثم يضرب الذين اشتهوا إشباع بطونهم. روح الرب يحل على السبعين شيخاً المختارين لمعاونة موسى في القضاء (عد ١١: ١-٣٥) ويبدو أن بني إسرائيل قد ارتحلوا من عند جبل سيناء بعد الفصح مباشرة، لأنه حين وصلت طيور السلوى قادمة من ناحية البحر في الربيع كانوا قد وصلوا إلى المكان المسمى قبور الشهوة (قبروت هتّأوة – عد ١٢: ١-٦).

٧- من تبعيره إلى حضيروت:

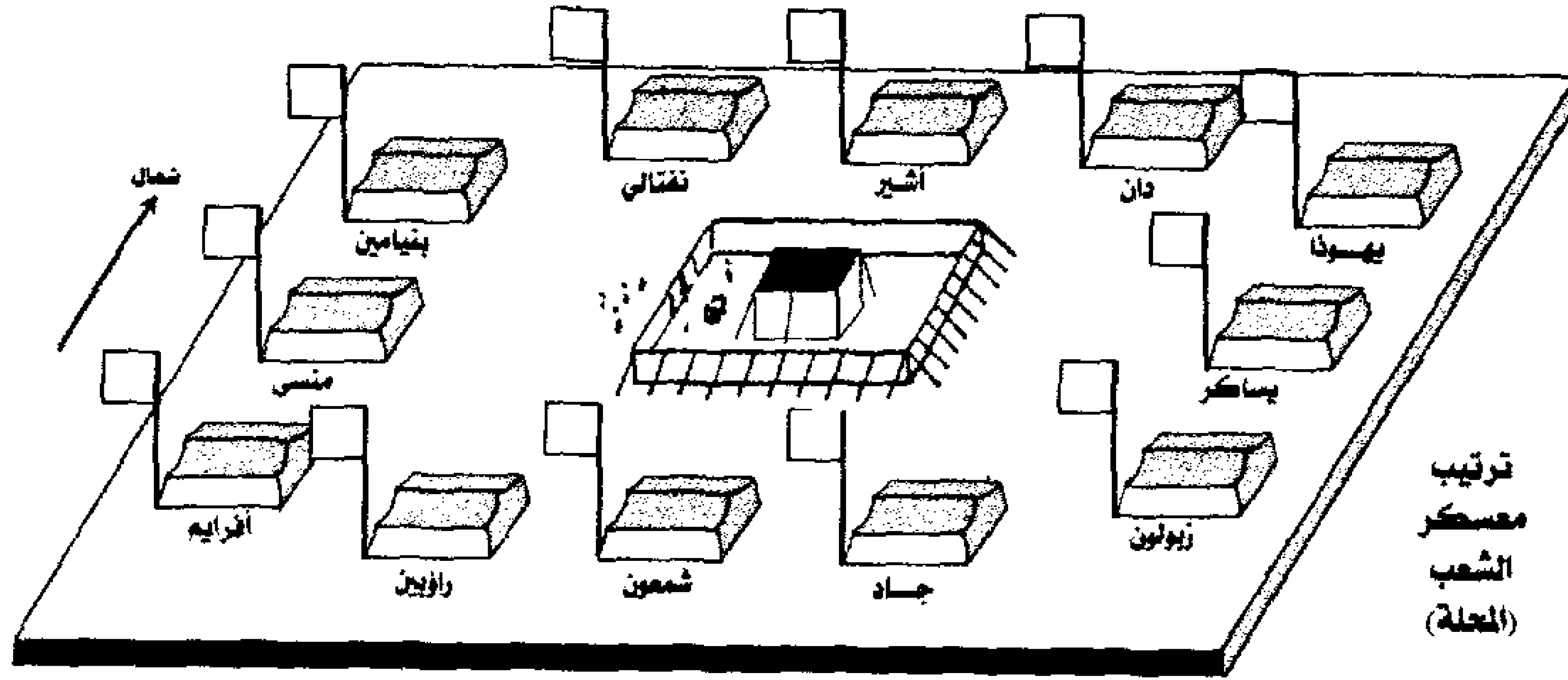
في حضيروت التي تدعى الآن «عين حضرة»، عسكر الشعب لثالث مرة منذ رحيله من سيناء (المعسكر الأول كان في تبعيره، والثاني في قبروت هتّأوة، بمتوسط في السير حوالي ١٥ كيلومتر يومياً). هناك انتقدت مريم وهرون زواج موسى من إمرأة أجنبية. الرب يعاقب مريم بالبرص وموسى يتشفع لها فيشفيها الرب بعد أيام قليلة، ولا نعلم لماذا يعاقب الرب مريم ولا يعاقب هرون (عد ١٢: ١-٦).

٨- من حضيروت إلى قادش برنيع:

وصل الشعب إلى قادش برنيع للمرة الأولى في خريف السنة الثانية من خروجهم (حوالي عام ونصف منذ العبور)، وقد وصف سفر العدد موقع قادش برنيع بالتفصيل، فتأكد أن موقعها هو مدينة بترا (شمال الحدود الدولية بين مصر وفلسطين)، ويوجد مجرى مائي هناك يعتقد أعراب المنطقة أن عصا موسى هي التي شقته، ولعله ماء مريبة قادش في برية صين (عد ٢٧: ١٤). [ويجب التمييز بين برية سين في جنوب غرب سيناء بموازاة خليج السويس، وبين برية صين وهي جزء من صحراء النقب في جنوب فلسطين].



رحلة الخـــــروج
البحــــر
الكبــــير
الفرزيون
الحويون
باشان
بيت إيل
عاي
أريحا
سقوط أريحا
عبور
الأردن
جبل نبو
موسى ينظر
أرض الموعد
اليبوسيون
الحيثيون
الأموريون
موآب
الشعب يحارب
عد ٢١
بير سبع
هزيمة مقلقة
عدد ١٤
حرمه
عودة الجواسيس
عدد ١٣
قادش برنيع
أدوم
أرض جاسان
وضع الدم على
الأبواب خر ١٢
رعمسيس
برية شور
سكوت
إيثام
نقل عظام
يوسف خر ١٣
الأرض تبتلع قورح
ورفاقه عدد ١٦
ماء من الصخرة
عدد ٢٠
جبل هور
عدد ٢٠
الحية
النحاسية
عدد ٢١
فم الحيروث
بعل صفون
برية فـــاران
التيه في البريـــة
فرعون يطارد
الشعب خر ١٤
عبور بحر
سوف خر ١٤
عصيون
جابر
إيلة
ماره
إيليم
عيون ماء
ونخيل خر ١٥
مصـــر
حضيروت
مريم تصاب
بالبرص عدد ١٢
أرض سعير
المن والسلوى خر ١٦
مزيد من السلوى
عد ١١
نصر على عماليق
خر ١٧
تبعيره
مديان
مديان
رفيديم
جبل حوريب
ماء من الصخرة
خر ٧
عمود السحاب
جبل
سيناء
العجل الذهبي
خر ٣٢
سقوط أريحا
البحــر الأحمـر



ترتيب معسكر الشعب (المحلة)

٩- في قادش برنيع:

يختار موسى رجلاً من كل سبط ويرسلهم ليتجسسوا أرض كنعان، ليعودوا بمواقف متناقضة: فقد أجمعوا على أن الأرض جميلة، لكن عشرة منهم أخافوا الشعب من حصون وقوة سكان الأرض، عدا كالب من سبط يهوذا ويشوع من سبط إفرايم. يرتعب الشعب ويفكر في العودة إلى مصر، فيقرر الرب نهائياً استبعاد جيل البالغين ويرفض شفاعة موسى في هذا الشأن، ويميت العشرة رجال الذين أخافوا الشعب، ويوجه الرب موسى أن يرتد في اتجاه البحر (خليج العقبة) (عد ١٣: ١ و١٤: ٣٨).

١٠- الدوران في برية صين:

الشعب يعود ويقرر اقتحام أرض كنعان، رغم تحذير موسى لهم بأن الرب لن يقاتل معهم، فينهزمون أمام الأموريين وينسحبون إلى حرمة (عد ١٤: ٣٩-٤٥). [على الأرجح أنهم واجهوا قبيلة عماليق مرة أخرى وربما تحالف بعض الكنعانيين مع عماليق]. قورح وداثان وأبيرام يتمردون على موسى وهرون، ويطلبون أن يشاركوا في خدمة الكهنوت، لكن الرب يضرب المتمردين، ويسرع هرون ليبخر للتكفير عنهم، ويفصل البخور بين الموتى والأحياء (عد ١٦: ١-٥٠). الرب يؤكد اختياره لهرون بأن تفرخ عصاه فتحفظ في تابوت العهد (عد ١٧: ١-١٢). في قادش تموت مريم أخت موسى وتدفن. تنشب مخاصمة أخرى بسبب الماء (مريبة قادش). وحين يرفض الأدوميون عبور الشعب في أرضهم، يرتحلون إلى جبل هور شمال غربي قادش حيث يموت هرون ويدفن (عد ٢٠). وفي حرمة ينتصرون على ملك عراد (عد ٢١: ١-٣).

إلى هنا كان قد مر حوالي سنتين منذ العبور. ويبقى الشعب في قادش برنيع سنوات عديدة. كان هذا البقاء الطويل بهدف واحد، هو الانتظار حتى وفاة كل البالغين الذين خرجوا من مصر حيث أن الرب قرر ألا يدخل منهم أحد إلى كنعان. وفي بداية السنة الأربعين للخروج يبدأون المرحلة الأخيرة للوصول إلى كنعان، فيتجنبون أرض أدوم، بأمر من الرب، ويقومون بالدوران حول جبل سعير في رحلة مرهقة، ثم يرتحلون شمالاً بطول وادي عربه عبر أرض موآب وحتى مرتفعات باشان الخصيبة، ثم يستديرون جنوباً إلى مقابل أريحا. استغرقت هذه الرحلة حوالي العام، في نهايته يعبرون نهر الأردن ويدخلون كنعان بعد نياحة موسى النبي.

١١- الرحيل من قادش شمالاً:

يدور الشعب حول أرض أدوم، والشعب يتضايق بسبب الرحلة المرهقة، والرب يضربهم بالحيات المحرقة (في الغالب هي الحية المقرنة المعروفة في صعيد مصر باسم «الدفانة»، بينما يسميها البدو «الطريشه» وُسمَّها قاتل تصعب النجاة منه)، فيصنع موسى حية من النحاس، وكل من ينظر إليها ينجو من الموت. ينتقل الشعب على مراحل إلى أرنون ثم إلى صحراء موآب عند رأس الفسجة. يضطرون للقتال ضد سيحون ملك حشبون الأموري وينتصرون عليه بمعونة الرب، ثم يتجهون شمالاً إلى باشان حيث يقاتلون عوج ملك باشان ويقتلونه ويستولون على أرضه (عد ٢١: ٤-٣٥).

١٢- من باشان جنوباً إلى عربات موآب:

سبب وصول شعب إسرائيل قلقاً للموآبيين والمديانيين، فيسرع بالاق ملك موآب باستدعاء بلعام النبي ليستمطر اللعنات على إسرائيل، لكن بلعام يبارك الشعب كما أمره الرب (عد ٢٢-٢٤). بنو إسرائيل يسقطون في الزنا مع بنات موآب فيضربهم الرب بالوباء (عد ٢٥: ١-٩).

١٣- من عربات موآب إلى جبل نبو:

يقوم موسى باحصاء الجيل الجديد من الشعب، ويقودهم الى الانتصار على مديان، ثم يخصص الأراضي التي أخذوها في شرق الأردن لسبطي راؤبين وجاد ونصف سبط منسى بناءً على طلبهم، ويحدد تخوم الأرض الموعودة، ويعين يشوع كقائد للشعب بعده. يراجع موسى الشريعة وأعماقها الروحية، وبعد أن يريه الرب الأرض، يموت ويدفن في جبل نبو، ويخفي الرب قبره حتى لا يصير عثرة للشعب، كأن يتعبدوا له.

حوباب بن رعوئيل المدياني !!

نعلم أن الرب هو الذى قاد مسيرة الشعب طوال ٤٠ عاما في البرية، ولكننا نرى موسى النبي يقول لنسيبه «أننا راحلون... إذهب معنا... لا تتركنا، لأنه بما أنك تعرف منازلنا في البرية تكون لنا كعيون، وإن ذهبت معنا فبنفس الإحسان الذى يحسن الرب إلينا نحسن نحن إليك- عد ١٠: ٢٩-٣٢». إن النبي الحكيم وهو واثق من مسير الرب معه، لا يتوانى عن إعداد أفضل ما يمكن للرحلة، أي أنه يبذل أقصى جهده والباقي على الله! وهذا المنهج الكتابى ثابت ومستمر حتى ايام الرسل حين يعلن القديس يعقوب قرار المجمع «قد رأى الروح القدس و نحن - أع ١٥: ٢٨».

هارون والعجل الذهبي !

كيف زاغ الشعب سريعاً حين تركهم موسى النبي، وكيف نسي الشعب العجائب العظيمة التي جرت أمام عيونهم في مصر، وفي البرية، وماذا عن هرون شقيق موسى، هل نسي هو أيضاً؟

إن هذه القصة تعطينا تدريباً ممتازاً على دراسة الكتاب: لا تتعجل بالاستنتاج ولنقرأ النص عدة مرات قبل أن تلجأ إلى التفاسير، ولا تستسلم للكسل العقلي وتعتمد على ما سمعته من عظات، ولنقرأ معاً:

+ يعلم القارئ أن الرب ظل ملازماً للشعب لحظة بلحظة منذ خروجهم، وكان حضور الرب ظاهراً في عمود السحاب أو عمود النار، وموسى موجوداً بينهم يعلمهم بمشيئة الرب في كل مسألة.
+ كان موسى قد صعد إلى الجبل، وأوكل إلى هرون وحور إدارة شئون الشعب حتى يعود (خر٢٤: ١٣و ١٤).
+ كانت كل القبائل عندما ترحل تصطحب معها آلهتها وأصنامها أياً كانت هذه الأرباب.
+ انتظر الشعب وهو يفتقر إلى حضور ملموس للرب وسطهم، وها هو موسى يختفي ٤٠ يوماً. ضع نفسك مكانهم، ألم تكن لتتيقن أن موسى قد مات؟، وأي إنسان يبقى كل هذه المدة دون طعام؟. فماذا يفعلون؟
+ إنهم بحاجة للرب، وموسى قد ذهب ولم يعد، فيطلبون من هرون أن يصنع لهم صورة للرب يهوه، يستأنسون بها، وكان هذا خطأ فادحاً. أما اقتراح سباكة الصنم فقد صدر من هرون نفسه، وربما اختار أن يكون على صورة ثور الذي كان دائماً من الرموز الدينية في المنطقة، رمزاً للخصوبة وقوة الاحتمال.
+ صنع هرون العجل، على الأرجح من الخشب المكسو برقائق الذهب، ويؤكد الكتاب المقدس مرة أخرى أن العبادة المقدمة لهذا التمثال كانت على أساس أنه صورة للرب «يهوه»، كما نرى في كلام هرون: «غدا عيد للرب «يهوه»- خر ٣٢: ٥». كانت استجابة الشعب مذهلة، إذ بكروا صباحاً وقدموا محرقات وذبائح سلامة، ثم أقاموا احتفالاً كبيراً، وعم بينهم الفرح حتى أن هتافهم يصل إلى سمع موسى وهو بعد على الجبل. لكن هذا الاحتفال سرعان ما ساده التسيب والخلاعة، وكانت هذه هي الخطية الثانية بعد صناعتهم صورة للرب (خر ٢٠: ٤و٢٣ + تث ٤: ١٢-١٦).
+ من هنا كان العقاب الذي قرره موسى، حين طلب من اللاويين أن يضربوا، فضربوا ٣٠٠٠ نفس، دون شفاعة لقريب أو نسيب، ولعل هؤلاء الآلاف الثلاثة كانوا المحركين الأساسيين للهرج الذي ساد الاحتفال، وهو عدد أقل بكثير من أعداد ضربها الرب في مخالفات أخرى، ولعل هذا هو السبب في قبول الرب لشفاعة موسى عن باقي الشعب وعدم عقاب هرون رغم تصدره هذا العمل.



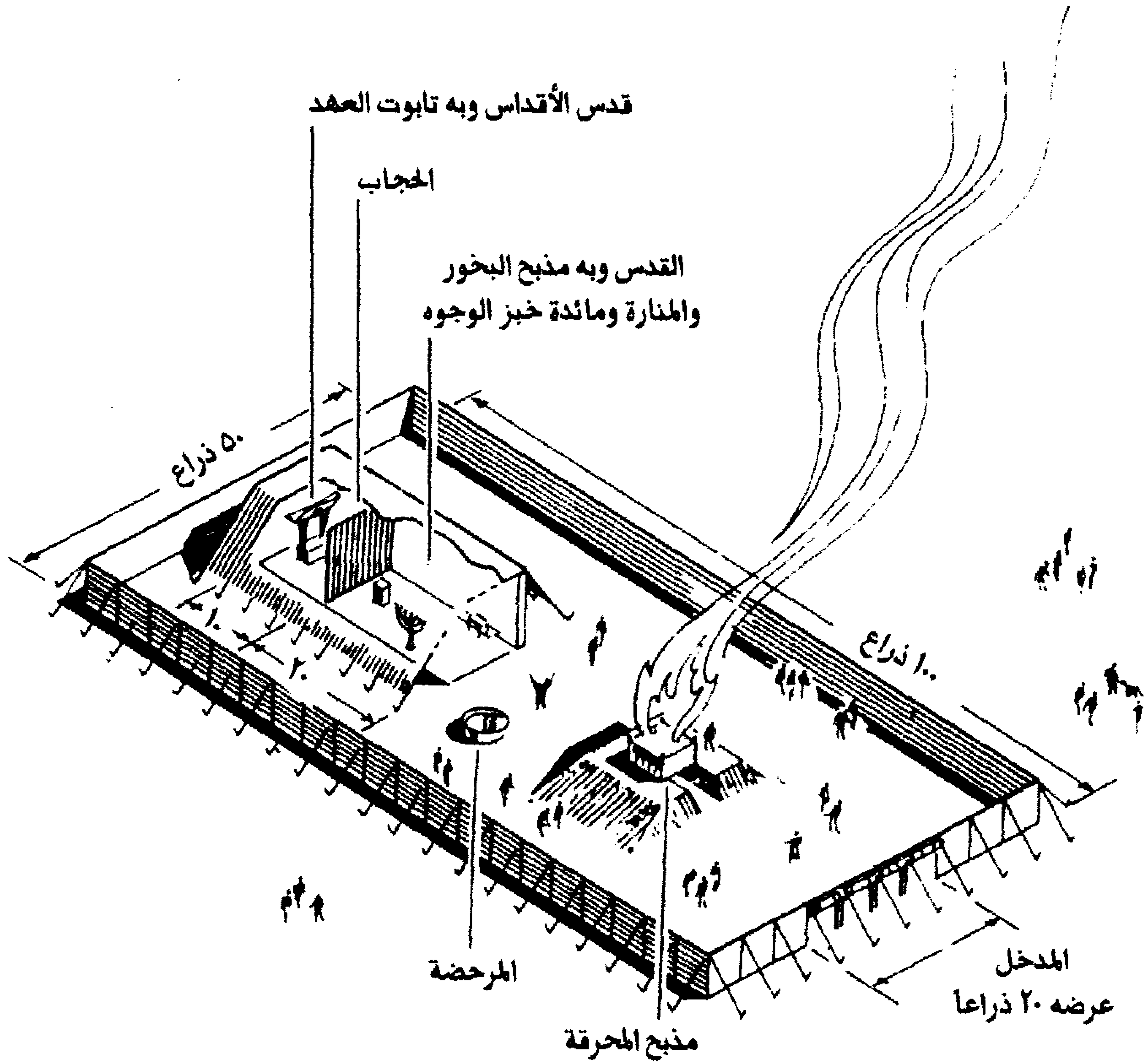
ترتيب رحيل أسباط بني إسرائيل
العدد ١٠: ١١-٣٦

خيمـــة الإجتمـــاع

صنع النبي موسى خيمة بحسب النموذج الذى أراه له الرب (خر ٢٥: ٩). لقد سكن كل من بنى إسرائيل في خيمته، فأراد الرب خيمة له ليسكن في وسط شعبه «أي شعب آلهته قريبة منه مثل الرب إلهنا - تث ٤: ٧) يظهر دور الخيمة ومكانتها من الاسماء التي اطلقت عليها، فهي خيمة الرب (١ مل ٢: ٢٨و٢٩)، وبيت الرب (خر ٢٣: ١٩)، ومسكن بيت الرب (١ أخ ٦: ٤٨)، وهي المسكن (خر ٢٥: ٨-٩)، وهي أيضاً خيمة الشهادة(عد ٩: ١٥)، ومسكن الشهادة (خر ٢٨: ٢١)، لأن التابوت وضع فيه لوحي الشهادة حسب

أمر الرب (خر ٢٥: ٢١)، وإن كان في كثير من الأحيان يطلق عليها مجرد «الخيمة»، وكأنه لا توجد خيمة سواها، رغم أن الشعب كله كان يسكن في خيام !

ويشرح الرب لموسى كل تفاصيل بناء الخيمة ومحتوياتها، ويحدد من هم المواهب اللازمة لتصنيع الخيمة، فهي أمر لم يكن له مثيل في أي من العبادات القديمة. ويشترك الشعب رجالاً ونساءً في عمل جماعي بديع لجمع الخامات وصناعة الخيمة ولوازمها (خر ٣٩: ٤٢)، حتى اكتملت ونصبت بعد تسعة شهور من وصول بني إسرائيل إلى جبل سيناء (بداية العام الثاني من الخروج - خر ٤٠: ١و١٧). فقد خرج الشعب من أرض مصر في منتصف نيسان (أبريل) ووصلوا إلى جبل سيناء في منتصف الشهر الثالث (خر ١٩: ١).

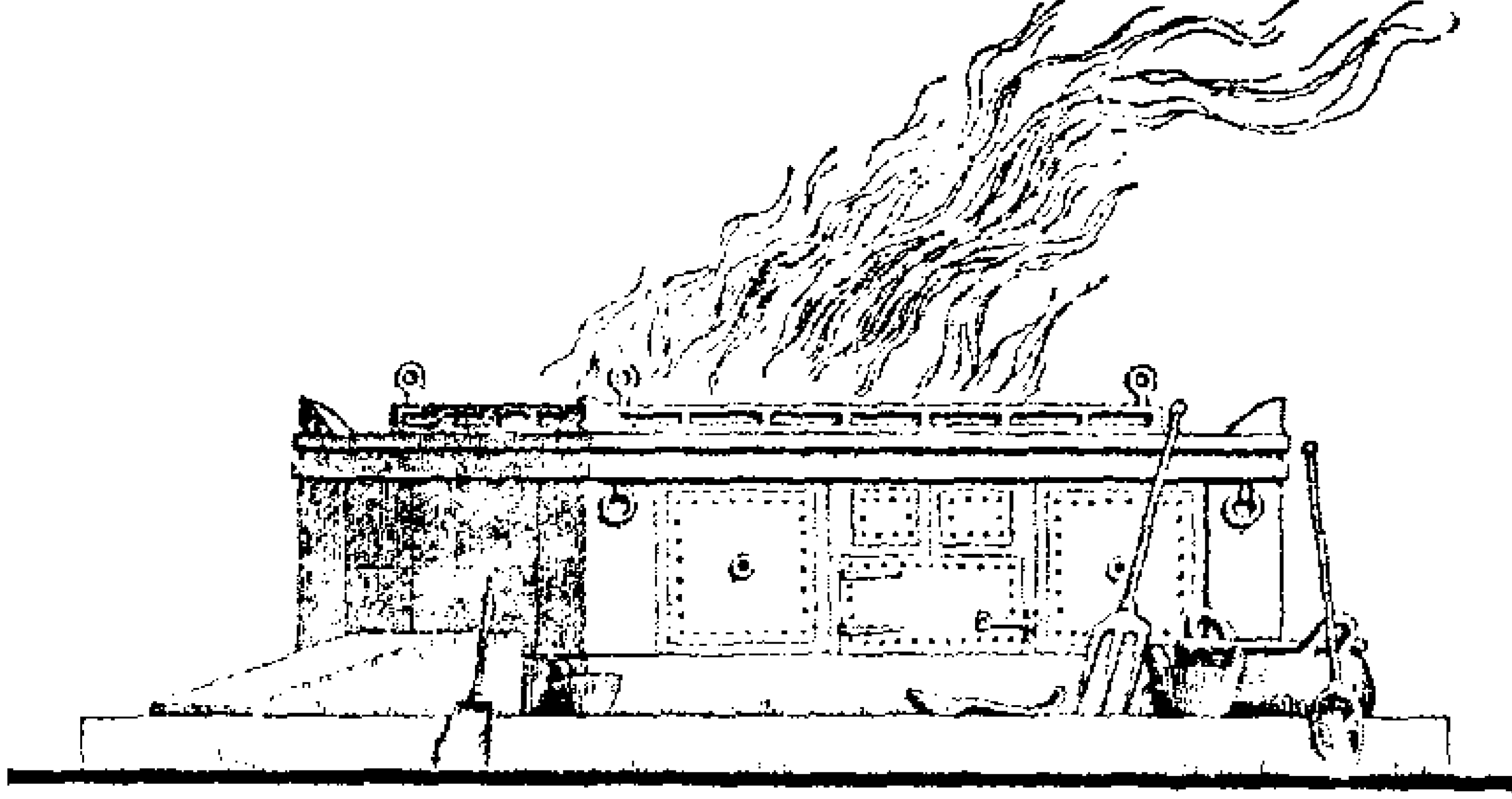


تقسيم الخيمة

ميزت التعليمات الأهية بين «المسكن - خر ٢٦: ١» وهي الخيمة نفسها، وبين «دار المسكن - خر ٢٧: ٩»، وهو الفناء الخارجي المحيط بالمسكن، وكان على شكل مستطيل (خر ٢٧: ٩-١٢). وكان يسمح للاويين بالدخول إلى الفناء الخارجي، بينما يدخل الكهنة إلى القدس، أما قدس الأقداس فلا يدخله إلا رئيس الكهنة، وكان على النساء المتجندات لخدمة المسكن أن يؤدين أعماهن أمام باب خيمة الاجتماع.

أولاً: دار المســـكن ـ الفنــــاء:

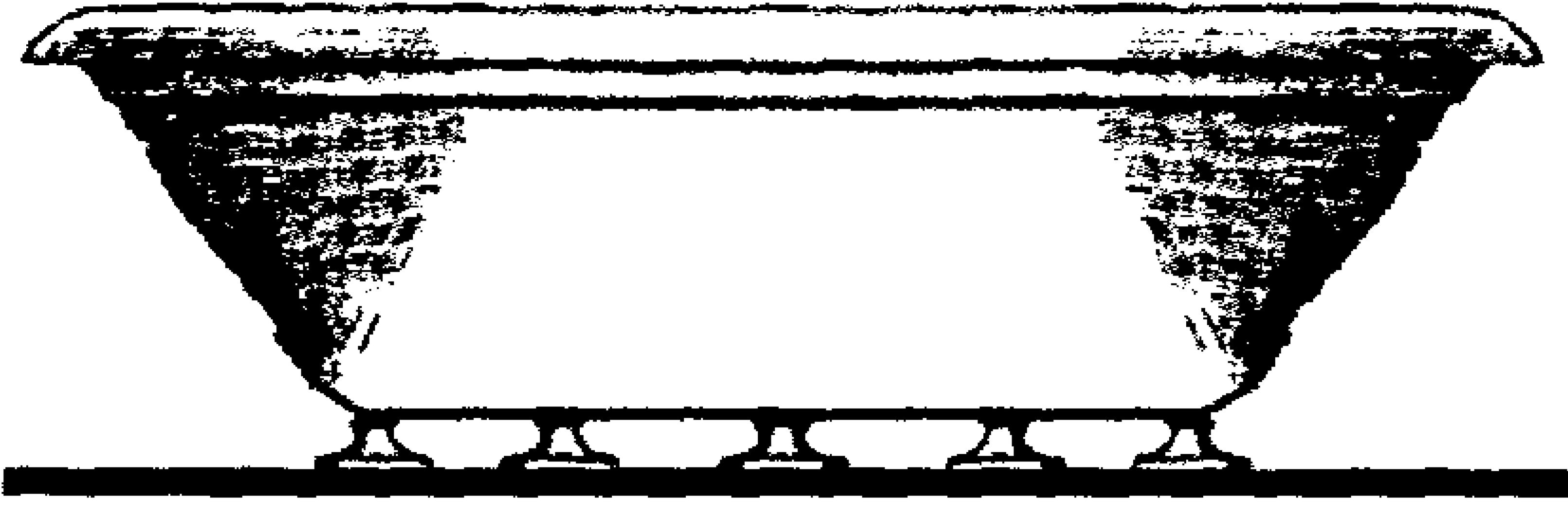
١ـ مذبح المحرقة



«المذبح النحاسى»:

وصنع من الخشب المجوف وكسي بالنحاس، ووضعت حول جوانبه شبكة نحاسية جعلت من الممكن لدماء الذبائح أن تنسكب على قاعدة المذبح. ولعل التجويف الكبير في باطن المذبح إلى جانب الشبكة النحاسية، هى التي جعلته يتحمل النيران الموقدة عليه باستمرار (لا تطفأ - لا ٦: ١٣) دون أن يحترق. على هذا المذبح كانت جميع الذبائح تقدم أيا كان نوعها، وبعد ذبح الحيوان وسلخه كان الكاهن يأخذ الدم ويرشه بشكل دائري على المذبح. كان الجلد يعطى للكهنة، أما الذبيحة، بعد أن يفحص داخلها بدقة، فكانت حسب طقسها تحرق بكاملها أو أجزاء منها على المذبح.

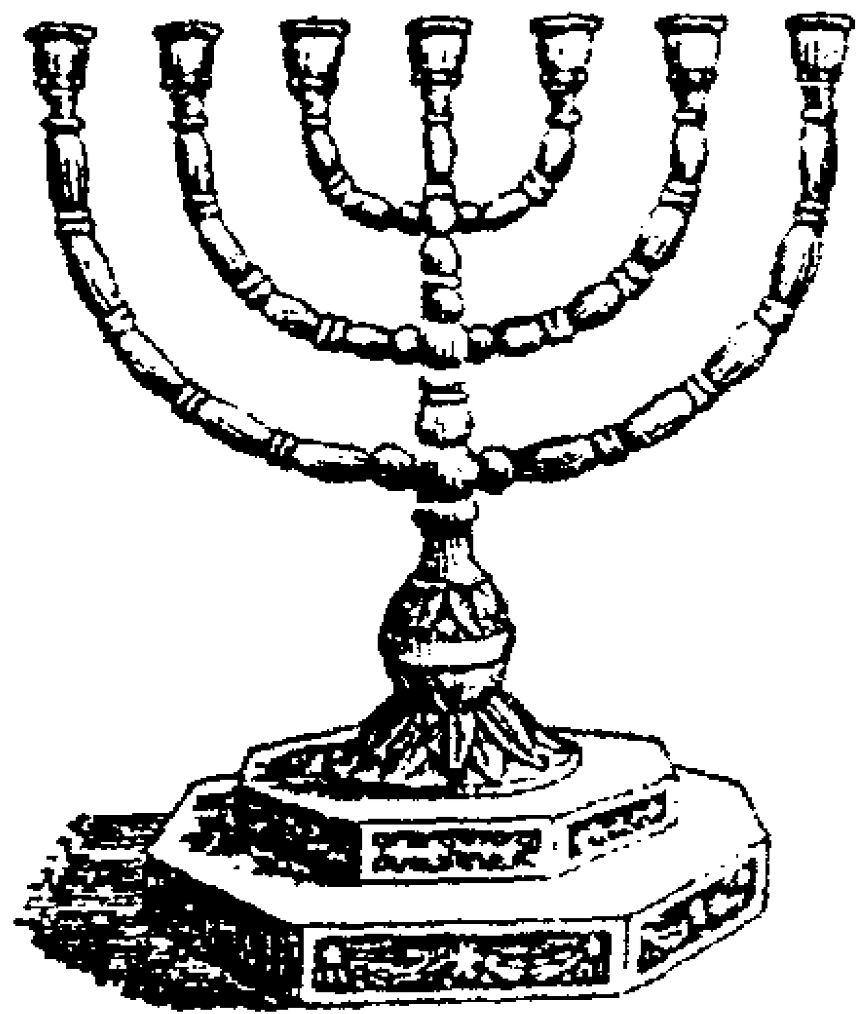
٢ـ المرحـــضة:



حوض معدني يُملأ بالماء وصنعت أيضاً من النحاس، إذ كان على الكهنة أن يغسلوا أيديهم وأرجلهم عند دخولهم إلى الخيمة «لئلا يموتوا - خر ٣٠: ١٨»، وفي يوم الكفارة كان على رئيس الكهنة أن يغسل جسده كله (لا ١٦: ٤). وقد صنعت المرحضة من مرايا النساء اللواتي تفرغن (تجندن) للخدمة في مدخل الخيمة.

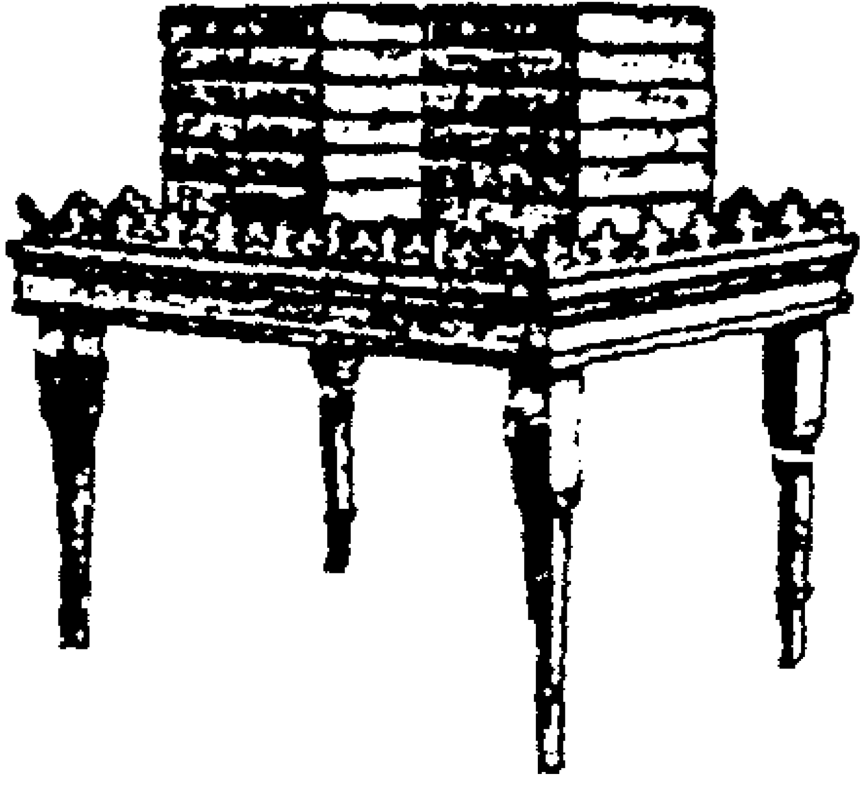
ثانيا : محتـــويات الخيمة : القـــــــدس:

١ـ المنــــــارة:



صنعت من الذهب المطروق، وبها سبعة سرج (عد ٨: ٢). ونعلم شكلها من المنارة التى أستولى عليها القائد الرومانى تيطس عند خراب أورشليم (٧٠ م) والمرسومة على قوس النصر القائم حتى الآن في روما. هذا الشكل تؤكده تقاليدُ الربيين: قاعدة تتفرع منها سبعة أفرع. كانت السرج توقد كل مساء، وتنظف وتملأ بالزيت كل صباح (خر ٣٠: ٧و٨) النور كان دائماً إذن. ولا يتسع المجال لإيراد ما جاء عن النور في الكتاب المقدس، يكفي أن نقول أن النور كان علامة وإشارة على الحضور الإلهى وعمل روح الله.

٢ـ مائدة خبــز الوجــوه:



صنعت من الخشب المغطى بالذهب. وكان خبز الوجوه يعتبر شيئاً مقدساً (لا ٢٤: ٨)، يهيأ كل سبت (١ أخ ٩: ٣٢)، ويوضع الخبز الساخن بينما يرفع الخبز الموجود ليأكله الكهنة في مكان مقدس (طاهر - نظيف) (١ صم ٢١: ١-٦).

كان القرص الواحد يصنع من عشري الأيفة (حوالي ٤،٤ لتر من الدقيق)، فهو قرص كبير لا يسمح حجم المائدة برص اثني عشر منها متجاورة، فكانت توضع في رصتين، وفي وقت متأخر كانت توضع عصي ذهبية كفواصل بين الأرغفة حتى لا تلتصق. تفضل بعض الترجمات أن تسميه «خبز الحضرة» لوجوده الدائم في المسكن أمام الله، و إن دُعي خبز التقدمة في أيام السيد المسيح (مت ١٢: ٤). ولكن ما أهمية هذا الخبز؟

إننا نجد شواهد كثيرة فيى العبادات البابلية عن تقديم خبز للآلهة، وكان الإعتقاد السائد هى أنها طعام للآلهة، كما نرى في قصة دانيال مع كهنة البعل (الأسفار القانونية الثانية - دا ١٤: ٢-١٠). ولكن هنا نرى الخبز يقدم كتثبيت للعهد الأبدي بين الله والأسباط الاثني عشر. فالخبز يشير إلى أن كل ما يقيم الأود ويحفظ الحياة مبني على حضور الله الدائم بينهم. كان نصيب الرب من التقدمة هو رائحة البخور المقدم تذكاراً، أما أكل الكهنة لخبز الوجوه فكان تعبيراً عن الشركة بين الله والشعب. لكن فيما بعد عندما انحدر بنو إسرائيل (أش ٦٥: ١١+ أر ٧: ٨)، وقدموا خبزاً و خمراً للأوثان نرى للرب موقفاً آخرَ.

٣ـ مذبح البخور (المذبح الذهبي)



صنع من خشب السنط المغطى بالذهب، لذا كان يسمى مذبح الذهب، ويقدم عليه البخور يومياً صباحاً ومساءً، ويأخذ من عليه رئيس الكهنة ناراً وبخوراً ليدخل إلى قدس الأقداس في يوم الكفارة العظمي، بعد أن يضع من دم الكفارة على قرون مذبح البخور مرة في السنة.

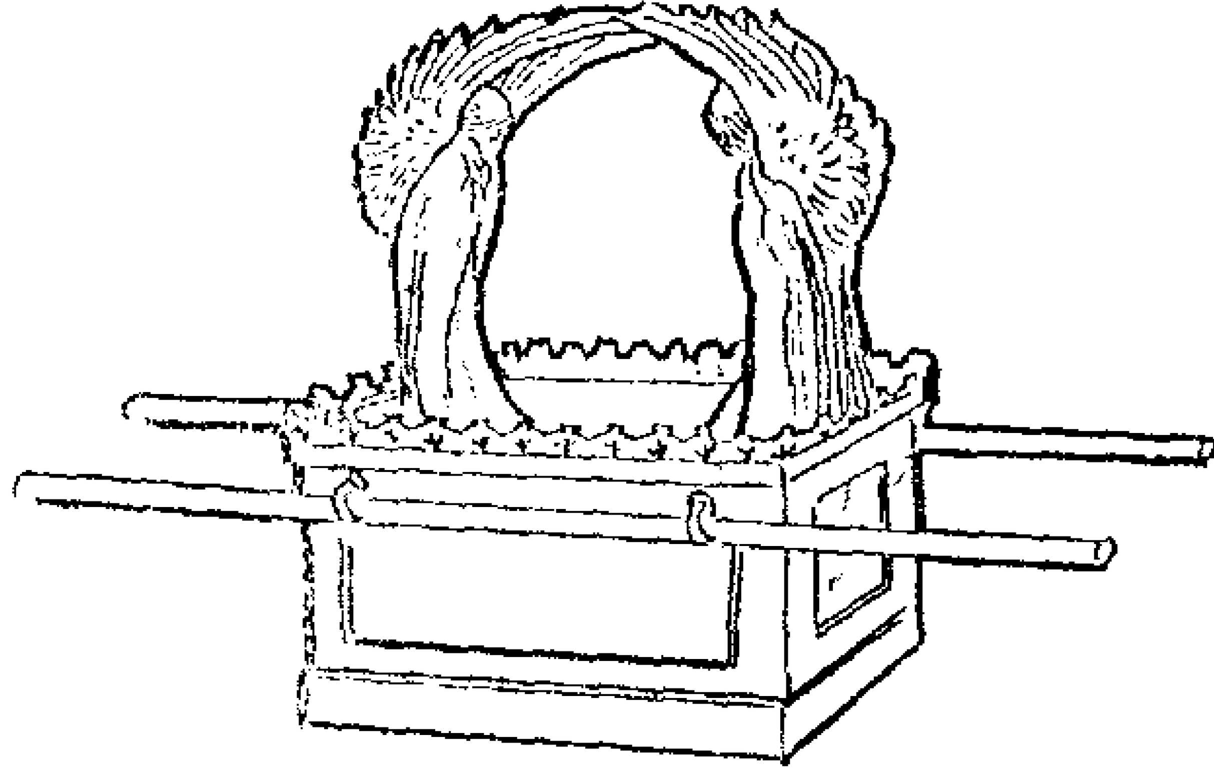
ولا نفهم معنى البخور في الشريعة الطقسية إلا عندما نقرأ في سفر الرؤيا أن البخور يشير إلى صلوات القديسين أمام الله، وهو ما يؤكده المزمور «لتستقم صلاتى كالبخور قدامك - مز ١٤١ : ٢». لتصعد كرائحة حلوة مقبولة.

الحجاب

الحجاب هو الستارة الداخلية التى تفصل بين القدس وقدس الأقداس، وهو أشارة واضحة إلى أن الله لا يدنى منه، وحتى رئيس الكهنة سمح له أن يدخل مرة واحدة في السنة عبر الحجاب وبشرط أن يقدم بخوراً كثيراً يغشي غطاء التابوت فلا يموت (لا ١٦ : ٢ و١٣) وسُمي حجاب السجف لتمييزه عن السُجُف التى تغلق مدخل الخيمة (السُجُف = الستائر) وصُنع من القماش الأزرق (إسمانجونى) والقماش الأحمر (قرمز) والبوص (الكتان النقي)، وقد أضيف أمامه باب من خشب الزيتون في هيكل سليمان، وكلنا نعلم أن هذا الحجاب إنشق عندما أسلم رب المجد يسوع المسيح الروح على الصليب (مت ٢٧ : ٥١).

قدس الأقـــداس:

تابوت العهـــد:



وهو أهم ما تحتويه خيمة الأجتماع وأعظمها مهابة، ويدعى تابوت الله (١ صم ٣: ٣)، وتابوت عهد الرب (تث ١٠: ٨)، وتابوت العهد (يش ٣: ٦)، وتابوت الشهادة (خر ٢٥: ٢٢). صنع من الخشب المغطى بالذهب، ووضع بداخله لوحي الشهادة الذين تسلمهما موسى من الرب على جبل سيناء (خر ٣١: ١٨)، وفيما بعد أضيف قسط به قدر من المن (خر ١٦: ٣٣-٣٤)، وعصا هرون التى أفرخت (عد ١٧: ١٠)، ولكن في هيكل سليمان لا يذكر إلا لوحي الشريعة (١ مل ٨: ٩).

غطاء التابوت:

صنع من الذهب الخالص وفوقه كاروبين من الذهب (بعض الناس يصورون الكاروب بشكل أسد مجنح والبعض بشكل إنسان مجنح). كان مجد الرب يتراءى فوق الغطاء بين الكاروبين، لذا تطلق بعض الترجمات على الغطاء اسم «كرسي الرحمة».

الذهب الكثير

يلاحظ القارئ استخدام الذهب بكثرة ملفتة في محتويات خيمة الاجتماع، فمائدة خبز الوجوه ومذبح البخور والتابوت وعصي حمل التابوت وحلقات الحجاب، كانت كلها من الخشب المغطى بالذهب، أما المنارة وغطاء التابوت فكانتا من الذهب الخاص. ويستخدم الذهب في عدة مواضع عديدة في الكتاب المقدس كمثال للنقاوة الفائقة (أي ٤: ١و٢ + أم ١٧: ٣ + أش ١: ٢٥)، وللنبل (مرا ٤: ١و٢)، فضلاً عن الغنى والعظمة الملكية (١ مل ١٠: ٢١). في العهد الجديد يشير الذهب بوضوح إلى عدم الفساد (أع ١٧: ٢٩+ ١ بط ١: ٧).

وفيما بعد حين بنى سليمان الملك الهيكل استخدم الذهب بسخاء بالغ، وربما أراد أن يبني هيكلاً يسير مثلاً في العظمة بين الشعوب، وقد حدث هذا بالفعل، وإن أصبح ذهب الهيكل فيما بعد مطمعاً في حد ذاته.

دهن المســـحة:

مسحت كل أدوات الخيمة بدهن (زيت) المسحة، والمكون بصفة أساسية من زيت الزيتون النقي مع بعض النباتات العطرية تعطيه رائحة طيبة ومميزة. ومن الآن فصاعداً أصبحت هذه الأواني والأدوات مخصصة (مكرسة) للخدمة المقدسة، ولا يجوز أن تستخدم لأى غرض آخر سوى خدمة المسكن (خر ٤٠: ٩-١١).

وكان دهن (زيت) المسحة أيضاً يمسح به:

١. الكهنة: كما مسح موسى هرون و بنيه (خر ٤٠: ١٣-١٥).
٢. الملوك: كما مسح صموئيل النبي شاول ثم داود ملوكاً على بني إسرائيل (١ صم ١٠: ١ + ١٦: ١٣)، وكما مسح أليشع النبي القائد ياهو ملكاً على إسرائيل (٢ مل ٩: ٦).
٣. الأنبياء: كما مسح إيليا النبى أليشع نبياً لمملكة إسرائيل (١ مل ١٩: ١٦).

وهنا نلاحظ أسلوباً طقسياً واضحاً:

١- التطهير (التنظيف) باستخدام الماء.
٢- التكريس (التخصيص) باستخدام الزيت.
٣- التقديس (التبرير) باستخدام الدم.

(لمن يرغب في البحث هذا مجال ممتع لدراسة كيف يتم استخدام الماء والزيت في الكنيسة الآن، وكيف يتم التقديس بعمل الروح القدس).

الشائع بين الناس أن الرب قد وعد بني إسرائيل بالأرض من النيل إلى الفرات، وقد استغلت دولة إسرائيل هذه الأسطورة حتى أنها صممت علمها يحمل نجمة سداسية يسمونها نجمة داود، بين خطين أزرقين يشيران إلى النيل والفرات. فضلاً عن الزيف الكامل لهذه الادعاءات، ورفض المسيحيين لها تماماً على أساس من إيمانهم بأن وعود الرب قد اكتملت بمجئ المسيح ليؤسس ملكوت الله في النفوس، وليس ليؤسس مملكة أرضية، فها هو موسى النبي يحدد بوضوح تام تخوم الأرض التي خصصها لبني إسرائيل وقتها: البحر الكبير (المتوسط) غرباً، وادي الأردن وامتداده إلى وادي عربة شرقاً، مداخل حماه شمالاً، والخط الممتد من طرف بحر الملح (البحر الميت) إلى البحر الكبير مروراً ببير سبع ماراً إلى الجنوب من قادش برنيع. ونؤكد بشدة أن كل هذا قد انقضى ولا يوجد أي سند في الكتاب المقدس للمزاعم الصهيونية الشائعة الآن.

لعدم وجود باب يحمل اسم «سفر العدد» في هذا الكتاب، قد يعتقد القارئ أننا أهملنا هذا السفر الهام، لكن تفاصيل رحلة البرية وتمرد الشعب وعدد من الشرائع كلها مأخوذة من سفر العدد كما أوضحنا كل في مكانه.

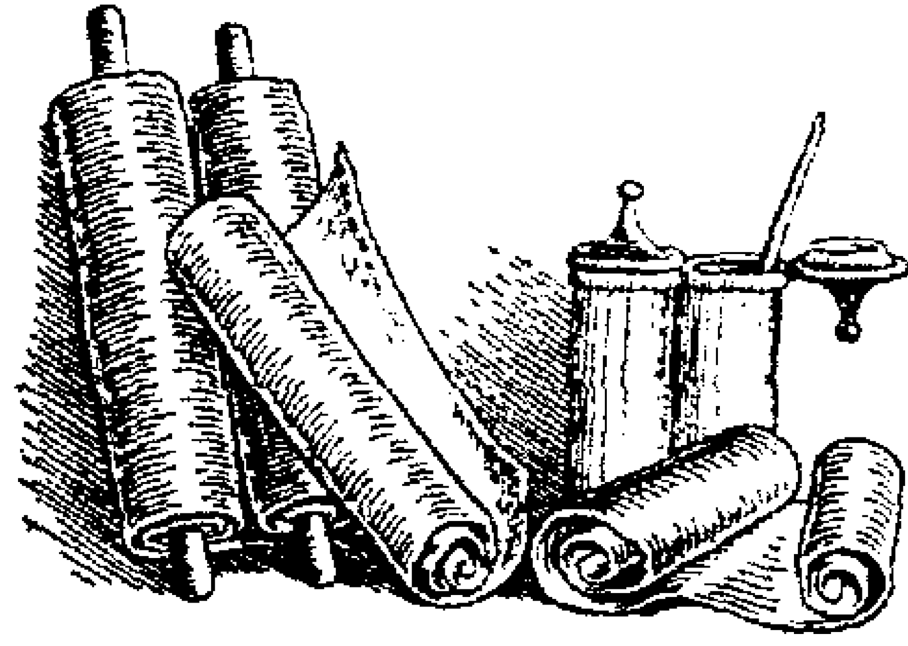
الشريعة

الشريعة الأدبية
الشريعة المدنية
الشريعة الطقسية
موجز سفر اللاويين
الذبائح والتقدمات
الكفارة والنار
الحيوانات الطاهرة
الطهارة والتطهير
التقدمات النباتية

الشـــــريعة

تقدم لنا الأصحاحات ١-١١ من سفر التكوين صورة عامة مختصرة عن النظام الديني الذى ساد بني البشر حتى ظهرت خطة التدبير الإلهي بصدور المواعيد للآباء. فمنذ البداية يجد الإنسان (آدم) نفسه أمام وصية، أشياء مطلوب منه أن يفعلها (يعمل في الأرض ويحفظها)، وأشياء مطلوب منه ألا يفعلها (الأكل من الشجرة)، ثم نرى الرب يوجه "قايين" إلى بعض القواعد الأخلاقية (تك ٤: ٧)، وإذ تعاقبت الأجيال تحطم هذا الناموس الذى زرعه الله في قلوب البشر المخلوقين على صورته. يتدخل الرب بالطوفان المدمر، ثم نرى وصايا محددة أعطيت لنوح بعد الطوفان (تك ٩: ١-٧)، ولكن الأهم هو أن موقف البشر من الشريعة هو الذى حدد ما إذا كانوا أبراراً أم أشراراً أمام الله القدوس. [راجع التكوين "أبرار" ٤: ٣ + ٥: ٢٤ + ٦: ٩، "أشرار" ٤: ٤ + ٦: ٥ + ٦: ١١-١٢]

قبل الدخول في أقسام الشريعة يلفت نظر الدارس الارتباط الشديد بين الشريعة والعهد، فمن يريد أن يستمر في شركة العهد عليه أن يلتزم بالشريعة. وبسبب تنوع مجالات الشريعة نرى الكتاب يسميها: الوصايا، الشهادات، الفرائض، الأحكام، الأوامر...



تنقسم الشريعة التى سلمها الرب للشعب إلى:

١- الشريعة الأدبيـــة.

٢- الشريعة المدنيـــة.

٣- الشريعة الطقسية.

أولاً: الشريعة الأدبية:

وهي المطالب الأساسية للضمير وتتلخص في الوصايا العشر، وهي في أغلبها تحديد لمبادىء تعارف عليها الناس منذ القدم، فنرى تحريم القتل في عقاب قايين (تك ٤)، ونرى تحريم السرقة في لقاء لابان مع يعقوب (تك ٣١: ٣٠)، ونرى تحريم الزنا في قصة يهوذا وثامار (تك ٣٨). وقد حاول البعض إرجاع أصل الوصايا العشر إلى قوانين حمورابى أشهر ملوك دولة بابل القديمة (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق.م)، وبالفعل يوجد بعض التشابة في أجزاء قليلة، ونحن بالتالي نؤكد أن الشريعة التي أعطيت لموسى لم تنبت من فراغ بل هي إستكمال وإضافة وسمو لما هو موجود، فروح الله يعمل في الأنسان في كل زمان ومكان، ودارسو الشرائع يعلمون أن أي قانون يبدأ مما تعارف عليه الناس من معايير للخطأ والصواب، فضلاً عن تشابه الظروف الحياتية لشعوب الشرق القديم، ولكننا لن نجد أبداً، مهما بحثنا في تراث الشرق القديم، شريعة متكاملة ومفصلة وشاملة لكل جوانب الحياة كما نرى فيما أخذه موسى العظيم من الرب، كما وأن الجزء الأكبر من الشرائع أصيل تماماً ليس له مثيل في الحضارات والعبادات القديمة. ولا تقتصر الشريعة الأدبية على الوصايا العشر، بل نرى أحكاماً متفرقة في مواضع أخرى، ثم نرى نفس الوصايا وقد شرحت على مستوى رفيع في سفر التثنية، فهو ليس مجرد تكرار للوصية، بل شرح روحي عميق لها. إن النضج الروحى البالغ

الذى نراه في سفر التثنية يدفع عدداً كبيراً من دارسي الكتاب للقول بأن هذا السفر لابد وأن يكون قد كتب في عصر متأخر قبيل السبي، لكن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لا تأخذ بهذا الرأى، بل نعتقد بأن سفر التثنية قد كتبه موسى النبي مع باقي التوراه "أسفار موسى".

وحتى سفر اللاويين وهو الذى يظن أغلب الناس أنه لا يتحدث إلا عن الشريعة الطقسية، نجده يتحدث في أكثر من موضع عن قواعد أخلاقية ومبادىء إجتماعية (شرائع أدبية)، مما يؤكد تكامل الشرائع.

ثانيا: الشريعة المدنية:

وهي قواعد لتنظيم المعاملات من بيع و شراء، وزواج وطلاق، وبناء و هدم، وحرب و سلام، أصبحت فيما بعد أساساً القوانين الوضعية، ونقرأ هذه الشرائع في مواضع ثلاث :

أ) سفر الخروج ص ٢١ إلى ص ٢٣:

١- شريعة التعامل مع العبيد والإماء: وحددت بعض المبادىء التى تحفظ للعبد قدراً من الحرية وللأمة كرامتها، بل وتعامل الأمة كأبنة في البيت، ولا ترغم على معاشرة من لا تريد.

٢- عقوبة القاتل عمداً، والقاتل خطأ (يسمح له بالإقامة في مدن الملجأ)، والضرب الذى أفضى إلى موت.

٣- عقوبة قاتل أحد عبيده، وشريعة الذى يُقتل بواسطة حيوان مملوك لأحد الأفراد. وهنا نرى المبدأ السائد هو العدل، لذا أصبحت هذه الشرائع فيما بعد، إلى جانب ما تعارفت عليه المجتمعات من صواب وخطأ هي الأساس لكل ما وضعه الناس من قوانين.

٤- عقوبة السارق، ومسبب الحريق، ومبدد الأمانة.

٥- من يعتدى على فتاة يتزوجها، إلا إذا رفض والد الفتاة.

٦- نظام القروض والرهون.

٧- عقوبة شهادة الزور.

ب) سفر العدد ص ٣٥:

٨- شريعة القاتل عمداً والقاتل خطأ، وكيفية إقامة الدليل وتنفيذ الحكم.

ج) سفر التثنية:

٩- شريعة إطلاق العبيد (ص ١٥)

١٠- شريعة القاتل عمداً وخطأ، وكيفية إقامة الدليل و تنفيذ الحكم (ص ١٩)

١١- شريعة الخروج للحرب، والتعامل مع أفراد وممتلكات الأعداء (ص ٢٠)

١٢- كيفية التصرف إذا وجد قتيل ولم يُعرف من القاتل (ص ٢١)، وهنا نلاحظ حرص الشريعة على معالجة الأمر بما يغلق باب الثأر الأعمى من جانب أسرة القتيل، وهي مسألة هامة في مجتمع قبلي [سنرى في عصر الملوك عديداً من التعقيدات بسبب الثأر. أنظر قصة عسائيل- ٢صم ٢: ١٩-٢٤ + ٣: ٢٧ -٣٠].

١٣- ميراث البكر، وشريعة المعلق على خشبة (ص ٢١)

١٤- شريعة القذف (تشويه سمعة الآخرين بدون وجه حق) (ص ٢٢)

١٥- عقاب الزاني والزانية (ص ٢٢)
١٦- شريعة الطلاق (ص ٢٤)
١٧- عقوبة الجلد للمذنب (ص ٢٥)
١٨- كيفية الفكاك (زواج المرأة بعد وفاة زوجها) (ص ٢٥)،



ويكون المسئول هو شقيق الزوج المتوفي إن وجد، أو من يليه في درجة القرابة وتسميه الشريعة "الولى"، أما إن نكص ذلك الولي عن مسئوليته فيمكن للمرأة أن تتزوج من التالي في القرابة بينما يتم إعلان تراجع الولي الشرعي عن الزواج بأسلوب مهين نراه موصوفاً بدقة في قصة راعوث (را ٤: ١-١٠).
ولا يتسع المجال هنا لإيراد تفاصيل كل الشرائع وبعضٌ منها يتكرر بأساليب مختلفة.

يلاحظ القارئ مبادئ عامة في الشرائع المدنية:

١. **الحفاظ على الحقوق الفردية والملكية الشخصية.**
٢. **العدالة الكاملة فالكل سواء أمام الشريعة (القانون).**
٣. **تدرج المسئولية الأدبية، فتزداد المسئولية كلما ارتفعت مكانة الفرد.**
٤. **الجزاء من جنس العمل (العين بالعين والسن بالسن).**
٥. **المسئولية الشخصية لكل فرد عن تصرفاته.**
٦. **الاهتمام بالضعفاء (الغريب والضيف واليتيم والأرملة والعبد والأجير).**
٧. **الترفق بالحيوانات وخاصة تلك التي تخدم الإنسان.**
٨. **الاحترام الكامل للوالدين ولكبار السن (الشيوخ) بصفة عامة.**
٩. **الحرص على السلام بين أبناء الشعب، وبين الغني والفقير، وبين الأسباط وبعضها.**
١٠. **التقدم لسؤال الله في حالة عدم وضوح المسئولية، والمقصود اللجوء إلى النبي، الكاهن، القاضي للسؤال عن حكم الشريعة، مع الالتزام بهذا الحكم أياً كان (تث ١٧: ٨ - ١٣).**

ثالثاً: الشريعة الطقسية:

يتململ بعض الناس من الطقوس، ويتصورونها قيوداً على حرية العبادة، أو انطلاق الإنسان نحو ربه، لكننا نرفض تماماً هذا الكلام لعدة أسباب:

١. أن كل فكرة مجردة لابد أن يتم التعبير عنها بشكل ملموس، وهو أمر تحتمه طبيعة الإنسان الذي اجتمعت فيه المادة مع الروح العاقلة، حتى أن أشد المعترضين على الطقوس، هم أنفسهم لهم طقوسهم، أي الأشكال المحددة التى يمارسون من خلالها عقيدتهم، أيا كانت هذه العقيدة.
٢. أن طريق الخلاص ينبغي أن يكون واضحاً للكل، ولا يتوقف على مدى علم أو ذكاء الفرد، أو قدرته على إستكشاف أسرار الخلاص وهو ما ترسمه الطقوس.

٣. أن الممارسة الطقسية لابد وأن تحوى بعض الرموز أو الإيماءات التى تعبر عن المعانى المجردة. كل ما في الأمر أن الرموز كانت كثيرة في العهد القديم، فلم يكن سر الخلاص قد أعلن بعد في يسوع المسيح.

٤. أن الطقوس أولاً وأخيراً تعبير عن موقف للإنسان في علاقته مع الله، فهي تعبر عن إيمانه وطاعته وخضوعه لرب السماء والأرض. لكن مجرد الطقوس لا تغني عن هذا الموقف الباطني الكامن في فكر ووجدان الفرد، فبدون قناعة الإنسان بمحتوى ما يمارسه من طقوس وبدون هذا الخشوع أمام رب الطقس، تصبح الطقوس مجرد شكليات وتأتي بنتيجة عكسية، فتجلب غضب الله بدلا من رضاه وغفرانه.



وقد وردت الشرائع الطقسية بصفة أساسية في سفر اللاويين، مع أجزاء متفرقة في أسفار الخروج والعدد والتثنية. هي تنظيم العبادات والذبائح والتقدمات والأعياد والمناسبات، والتطهيرات المختلفة، وتكريس الكهنة وكل ما يخص خدمة المذبح من أدوات...

في بعض الشرائع نرى أوامر قاطعة لابد من تنفيذها (أحكام عامة على الكل)، وفي البعض الآخر نرى فتاوى خاصة ببعض الحالات المنفردة (تث ١٥: ١٢-١٧) وأحياناً نرى محظورات غير معتادة، مثل: "لا تطبخ جدياً بلبن أمه - خر ١٤-٢١ "، و"حقلك لا تزرع صنفين ولا يكن عليك ثوب مصنف من صنفين - لا ١٩: ١٩"، و هى عادات مرتبطة بالسحر وبالعقائد الكنعانية فقد اعتقد الكنعانيون أنها تؤدى إلى زيادة المحصول أو لاجتلاب الوقاية من الشرور، فرفضتها الشريعة حماية للشعب من الانخراط في عبادات كنعان، وهو موقف يتكرر فيما بعد من الآباء الرسل حين منعوا من الأكل من ذبائح الأوثان (أع ١٥: ٢٩).



وكما أن كل إتفاق يتأسس على علاقة متبادلة بين الأطراف المعنية، فلم يكن كافياً أن يدخل يهوه في علاقة خاصة مع شعبه المختار بالعهد الذى قطعه مع ابراهيم، بل كان ينبغي أن يتربى هذا الشعب ويتدرب إلى أن يصل إلى شركة حقيقية حية مع "يهوه" كرب و سيد.

ولتحقيق الجانب الأول من العهد أمر الرب بإقامة خيمة لسكناه، كإعلان عن وجوده. وما أن نصبت خيمة الإجتماع حتى ملأ الرب المكان بصورة مرئية من مجده (خر ٣٠: ٣٤)، معلنا أنه سيكون دائماً قريباً من شعبه، الأمر الذى إعتبره موسى شيئًا فذاً (تث ٤: ٧).

ســــفر اللاويـــين

إذ سكن الرب وسط شعبه (خر ٢٩: ٤٥)، كان ولابد من تتميم الجزء الآخر من العهد، وهو تغيير الحالة الروحية والأخلاقية لإسرائيل ليصير بالحقيقة شعب الله المختار. فقد كان يفصل الأمة عن الله القدوس، الإثم والفساد الكامنان في الطبيعة العتيقة، فكان السبيل الوحيد ليصبح التواجد الإلهي وسط الشعب ممكناً هو الشرائع التي تعمل من ناحية على إرهاف ضمائرهم ضد الخطية، وتوقظ فيهم الرغبة في نوال الرحمة والتصالح مع الرب، ومن ناحية أخرى توفر هم الوسيلة للتكفير عن خطاياهم، وتقديس مسيرتهم أمام الله طبقاً للمعيار الذى صاغه الرب في شريعته.

وطبقا لهذا الهدف المزدوج يمكن تقسيم السفر إلى قسمين كبيرين من الشرائع ونظم الحياة:

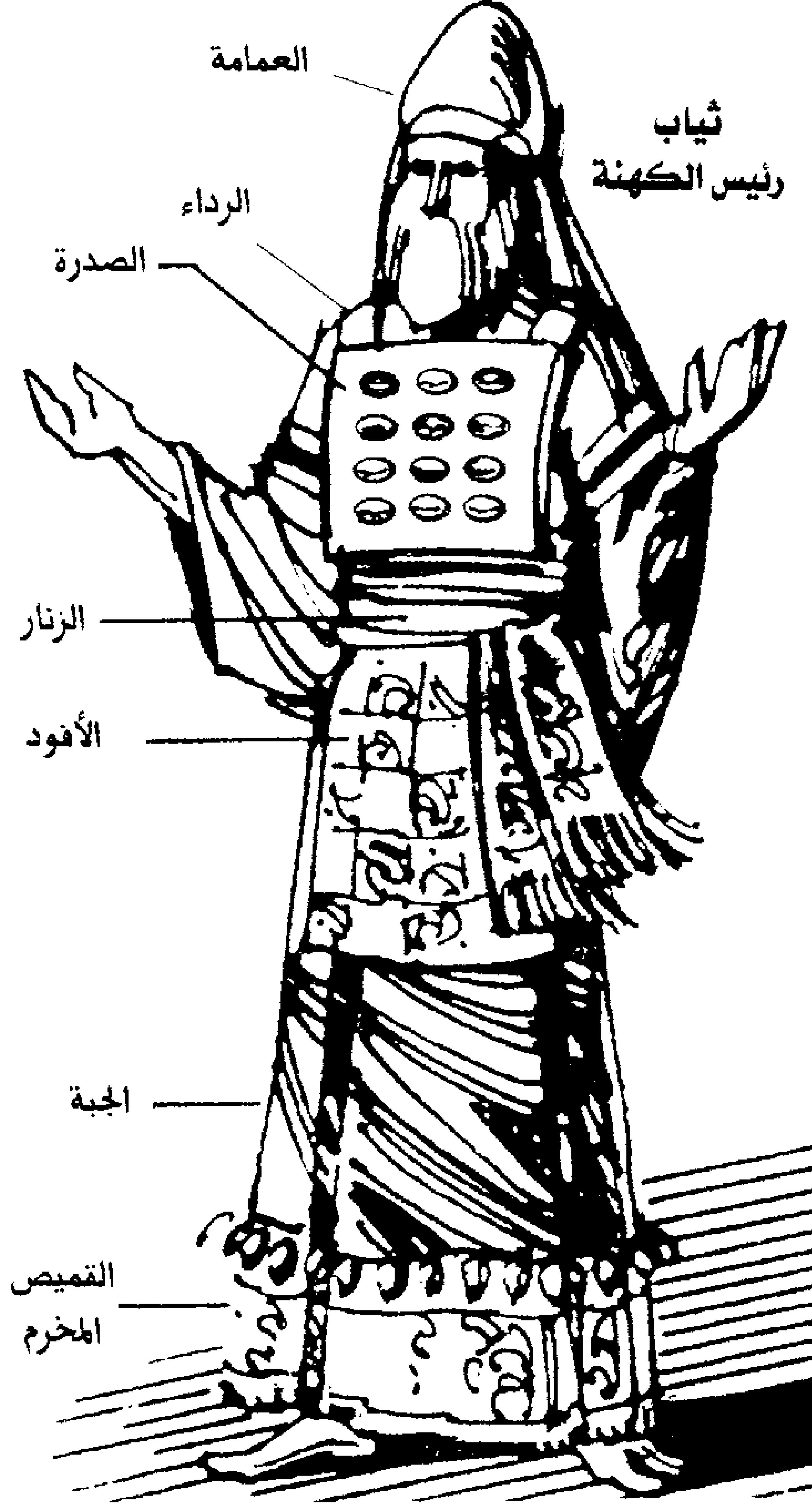
١. المبادىء الضرورية لإلتزام الشعب بعهد الرب و الدخول في شركته.
٢. أوامر الرب لتقديس الشعب من خلال هذه الشركة

+ يبدأ السفر بالذبائح، والتي كانت منذ البداية الوسيط الأساسي الذى تقرب به البشر إلى حضرة الخالق، لذا يشرح السفر ضرورة تقديم الذبائح وبترتيب معين حدده الرب، وهكذا بعبادة الرب بالطريقة التي يستحسنها، يظل الطريق مفتوحاً إلى أعتاب عرش النعمة.
+ ثم نرى تكريس هرون وبنيه المعينون ككهنة، ودخولهم النهائي في خدمة الرب والواجبات التى ترتبت على هذا التخصيص (التكريس)، وتقديس كهنوتهم من جانب الرب بالكلمة والفعل أمام كل الشعب.
+ ثم نرى أوامر متعلقة بالحيوانات الطاهرة (النظيفة) وغير الطاهرة، ومختلف التطهيرات الجسدية، ونلاحظ أن العهد القديم يستخدم كلمة "القداسة" أحياناً بمعنى الخلو من القذر المادي، وهو مفهوم تطور فيما بعد إلى الخلو من الخطية (تث ٢٣: ١٣و ١٤).
+ أخيراً يتوج هذه الطقوس يوم الكفارة العظيم، الذى كان مثالاً وصورةً نبويةً للهدف النهائي والأعظم لكل تدبير العهد القديم، وهو المصالحة التامة بين الله والبشر.
+ وبينما أسست كل هذه الشرائع طريقاً للشعب للإقتراب والدخول إلى معية الرب، يحتوي النصف الثاني من السفر (ص ١٧-٢٥) على الالتزامات التي تفرضها قداسة الرب على شعبه، حتى يمكنهم البقاء والاستمرار في هذه الشركة المقدسة، وتشمل هذه المجموعة:

١. تقديس الحياة في الطعام والزواج والأخلاق ص ١٧-٢٠
٢. قداسة الكهنة والتقدمات ص ٢١-٢٢
٣. تقديس الأعياد والعبادة اليومية ص ٢٣-٢٤
٤. وأخيراً تقديس الأرض كلها في سنتي السبت واليوبيل ص ٢٥

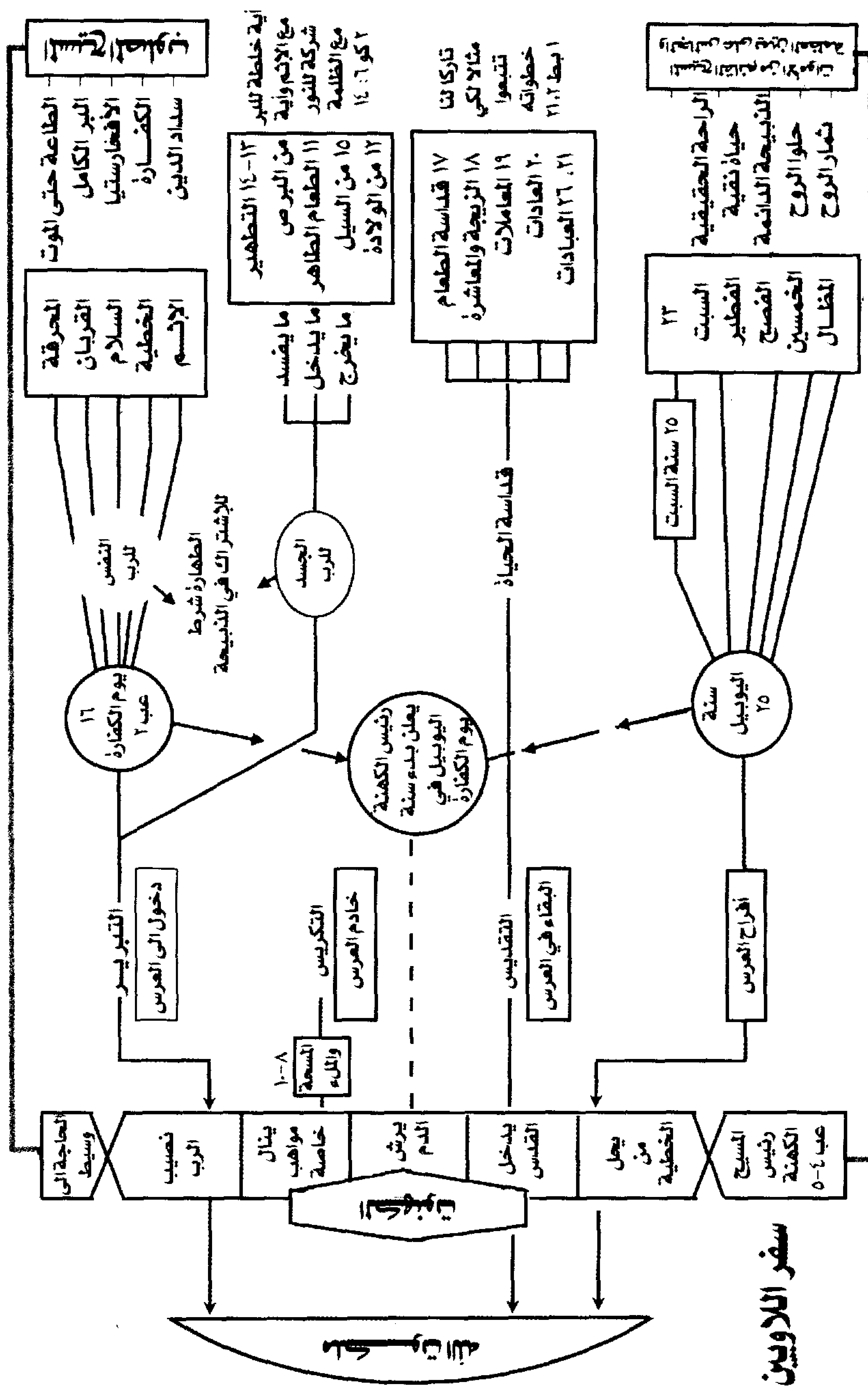
وفي بركة الراحة السبتية، في ملء البهجة بالخلاص من الأعداء، وبالأكثر في حفظ سنة اليوبيل حين تتحول أرض الموعد إلى مملكة السلام والحرية، هذه السنة التى أشارت بالرمز وقدمت النبوءة عن الوقت الذى فيه يكتمل ملكوت الله، وتشرق حرية مجد أولاد الله، وتنقطع رباطات الخطية، ويسقط الموت إلى الأبد.

محتويات سفر اللاويين



الأصحاح

١ - ذبيحة المحرقة.
٢- تقدمة القربان.
٣- ذبيحة السلام (السلامة).
٤- ذبيحة الخطية.
٥- ذبيحة الأثم.
٦-٧ كيف يقدم الكهنة الذبائح.
٨- تكريس الكهنة.
٩- الذبائح تقدم لأول مرة.
١٠- إبنا هرون يخطئان.
١١- الحيوانات الطاهرة والنجسة.
١٢- تطهير النساء.
١٣و ١٤- أنواع البرص وتطهيرها.
١٥- تطهير الرجال والنساء.
١٦- طقوس يوم الكفارة.
١٧- بعض طقوس الذبائح، ونهي عن أكل الدم والفرائس.
١٨- الزيجات الممنوعة.
١٩و ٢٠ - تأكيد بعض الوصايا وتحذيرات متنوعة.
٢١- سلوك الكهنة وزيجاتهم.
٢٢- طقوس متنوعة.
٢٣- الأعياد والمواسم.
٢٤- زيت المنارة وخبز الوجوه، وشريعة التجديف.
٢٥- السبت واليوبيل.
٢٦- وعد للطائعين، ووعيد للمخالفين.
٢٧- النذور والعشور والبكور.


سفر اللاويين
المسيح المصلوب
الطاعة حتى الموت
البر الكامل
الأفخارستيا
الكفـــارة
سداد الدين
المحرقة
القربان
السلام
الخطية
الإثـــم
النفس للرب
الطهارة شرط للإشتراك في الذبيحة
١٦ يوم الكفارة عب ٢
التبريـــر
دخول الى العرس
أية خلطة للبر مع الإثم وأية شركة للنور مع الظلمة ٢ كو ٦: ١٤
١٣-١٤ التطهير من البرص
١١ الطعام الطاهر
١٥ من السيل
١٢ من الولادة
ما يفسد
ما يدخل
ما يخرج
الجسد للرب
التكريس
خادم العرس
٨-١٠ المسحة والملء
رئيس الكهنة يعلن بدء سنة اليوبيل في يوم الكفارة
تاركا لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته ١ بط ٢: ٢١
١٧ قداسة الطعام
١٨ الزيجة والمعاشرة
١٩ المعاملات
٢٠ العادات
٢١، ٢٦ العبادات
قداسة الحياة
التقديس
البقاء في العرس
المسيح القائم من الأموات والجالس على يمين العظمة
الراحة الحقيقية
حياة نقية
الذبيحة الدائمة
حلوا الروح
ثمار الروح
٢٣
السبت
الفطير
الفصح
الخمسين
المظـال
٢٥ سنة السبت
سنة اليوبيل ٢٥
أفراح العرس
الحاجة الى وسيط
نصيب الرب
ينال مواهب خاصة
يرش الدم
يدخل القدس
يحل من الخطية
المسيح رئيس الكهنة عب ٤-٥
الكهنوت
ملكـــوت الله

عن الذبائـــح والتـــقدمات

لقد عبد الأباء البطاركة الرب بالذبائح والمحرقات، ولا نعلم إن كان نسل يعقوب قد قدموا ذبائح لإله آبائهم أثناء إقامتهم في مصر، لكنهم بالقطع لم ينسوا مبدأ الذبائح كجزء أساسي من العبادة، فنراهم مستعدين أن يتبعوا موسى إلى الصحراء ليذبحوا للرب (خر ٥: ١-٣). وبعد الخروج أيضاً، قدم يثرون - حمو موسى- للرب وأعد وليمة هرون وشيوخ إسرائيل ليأكلوا أمام الرب (خر ١٨: ١٢). بل إن موسى نفسه، بعد أن أعلن الوصايا للشعب، أصعد محرقات وذبائح سلامة وأخذ الدم فرش نصفه على المذبح كفارة للرب والنصف الآخر على الشعب تقديساً لهم، مما يوضح عمل الذبيحة المزدوج. لقد قرأ موسى العهد، وإذ تعهد الشعب بالإلتزام بشريعة الرب، رش عليهم الدم معلنا أنه دم العهد الذى قطعه الرب معهم (خر ٢٤: ٤-٨)

وبرغم أن الذبائح بصفة عامة يمتد أصلها إلى بداية تاريخ الإنسان وتتواجد بوضوح في تراث كل أمة وقبيلة على وجه الأرض، إلا أنه لم يسبق أن إرتبطت الذبيحة بوصية أو أمر ما من الرب، بل نبعت من إحساس البشر بضرورة إقامة علاقة مع الله مصدر الحياة وحاميها وضابطها (الشعور الديني)، تلك الضرورة وجدت في فطرة الإنسان متلازمة مع وعيه الباطني بوجود إله. ولكن بقدر ما إبتعدت الشعوب عن الله، تباعدت وتفاوتت صور تعبيرهم عن الحق، وتشوهت صور العبادة.

و لندرك المغزى الأساسى لكل الذبائح نتذكر معا:

١- أن أول الذبائح قد قدمت بعد السقوط.

٢- أننا لا نجد أية إشارة إلى مبدأ الكفارة في ذبائح ما قبل موسى النبي.

فقبل السقوط عاش الإنسان في شركة مباركة مع الله، هذه التي حطمتها الخطية. لقد شوشت الخطية العلاقة بين الأنسان والله ولكنها لم تنقطع تماماً. ففي العقاب الذى أوقعه الرب على الخطاة لم ينزع عنهم رحمته، وقبل أن يطردهم من الفردوس صنع لهم أقمصة من جلد ليستر عريهم، وهو أول ما أدركوه من مظاهر الخطية. بعد هذا أعلن الرب للبشر أنه يمكن للإنسان أن يتقرب إليه ليدخل في علاقة معه من خلال وسيط هو الذبائح. ففي الذبائح عبر البشر بشكل محسوس، ليس فقط عن عرفانهم للرب من أجل بركاته، بل وأيضاً عن ضراعتهم للرب لكى يديم إحساناته.

على هذا الأساس قدم قايين و هابيل للرب، وإن اختلف الدافع القلبي بينهما، وعلى نفس الأساس قدم نوح البار بعد نجاته، وإن قدم أبناء آدم من نتاج كدهم، فلاحة الأرض ورعي الغنم، بينما قدم نوح من حيوانات الفلك من أجل حماية الرب له أثناء الطوفان.

لقد تلقى موسى إيضاحاً أكثر فيما يخص مغزى الذبائح الحيوانية، حينما قرن الرب سماحه للبشر بأكل الحيوان بمنعه لأكل الدم (نفس الأمر الذى تلقاه نوح - تك ٩: ٣و٤)، أي أن الرب منع أكل لحماً يحتوى على الدم، النفس الحية للحيوان، وفي هذا كانت الأشارة إلى أنه عند تقديم ذبيحة كانت نفس الحيوان تقدم للرب بسفك دمه، وبعمل هذا الدم - كحامل للنفس الحية - كان ذبح الحيوان هو أفضل وسيلة للتعبير عن خضوع نفس الأنسان للرب. اتضحت هذه الحقيقة تماماً لإبراهيم، حين طلب منه الرب أن

يقدم ابنه الوحيد كبرهان على طاعته للرب، و لما تأكد الرب من إخلاص إبراهيم واستعداده لذبح إبنه، أمدَّه بحمل قدمه محرقة «عوضاً عن إبنه - تك ٢٢: ١٣»، وهنا شرح الرب الحقيقة:



أن الرب لا يريد ذبائح بشرية ممن يعبدونه، بل خضوع القلب وتسليم النفس ورفض الحياة بحسب الطبيعة البشرية الفاسدة بعد السقوط. وأن تكون طاعة الإنسان للرب طاعة حتى الموت. هذا الخضوع يعبَّر عنه بالذبيحة، وبالتالي فالذبيحة المقدمة لا يمكن للرب أن يقبلها إن لم تقدم بهذه الدوافع كما فعل إبراهيم.

ثم أضيفت ذبيحة السلامة، وذكرت لأول مرة حين قدمها يعقوب كتصديق على العهد الذي قطعه مع لابان، والقسم باسم الرب الذى تلاه تقديم الذبائح والجلوس إلى وليمة العهد (تك ٣١: ٥٤).

وبينما أشارت المحرقات التى كانت تحرق بتمامها للرب وتصعد إلى السماء إلى خضوع الإنسان للرب، عبرت ذبائح السلام والتي تتوج بوليمة العهد، عن الشركة الحية بين الله والإنسان، لذا حين نزل يعقوب إلى مصر لم يقدم محرقات، بل قدم ذبائح سلامة إلى إله ابيه، ومن خلالها ابتهل للرب أن يحفظ عهده وأن يكون معه في أرض الغربة، وهو ما نفهمه من إستجابة الرب (تك ٤٦: ١-٤).

يرددها ترديداً !؟

عبارة تتكرر في شرح طقوس الذبائح، وهي تعني حركة معينة كان الكاهن يؤديها أمام المذبح. كان الكاهن يضع الجزء الذي سيتم ترديده على يدي مقدم الذبيحة، ثم يضع الكاهن يديه أسفلها، ويحرك يدي مقدم الذبيحة أماماً وخلفاً، ليشير بالحركة إلى الأمام في اتجاه المذبح إلى تقديم الذبيحة للرب، وبالحركة خلفاً إلى تقبلها ثانية من الرب كنصيب للكاهن وهبه له الرب.

كان طقس الترديد يتم في ذبيحة السلام على صدر الذبيحة «صدر الترديد» (لا ٧: ٣٤+ ١٠: ١٤و١٥، عد ٦: ٢٠+ ١٨: ٢٧، خر ٢٩: ٢٧)، وذبيحة تطهير الأبرص (لا١٤: ١٢و٢٤)، وتقدمة النذير (عد ٦: ٢٠)، وأيضاً في عيد الفصح وعيد الخمسين مع أرغفة البكور وحملان الشكر (لا٢٣: ١١و٢٠)، وفي تقدمة الغيرة (عد ٥: ٢٥)، وعند تكريس اللاويين (عد ٨: ١١)، وهم المخصصون لخدمة الرب، فقد أعطاهم الرب أن يكونوا تابعين ومساعدين للكهنة، وكان عليهم أن يتفرغوا لهذه الخدمة، ولا ينشغلوا بأي عمل آخر.

وبقي أن نشير إلى تأمل جميل يرى حركة الترديد شرقاً وغرباً، وإلى أعلى وأسفل رمزاً للصليب كما يراها أحد آباء البرية.

أن الوحي لا يذكر شيئاً عن الذبائح الكفارية في عصر الآباء، وهي حقيقة يمكن فهمها إذا درسنا الظروف التى تقدم من خلالها رجال الله الأوائل بذبائحهم للرب. لقد كانت المبادرة من جانب الرب، اقترب الرب إليهم من خلال إعلانات المحبة فحسب، صحيح أن الرب أعلن في وقت مبكر عن إرادة عدله المقدس بإبادة الأشرار وحفظ الأبرار في قصة الطوفان وهلاك سدوم وعموره، إلا أن الله أعلن ذاته للآباء من خلال تعطف محبته وتنازل رحمته، بينما في أول لقاء للقدوس مع موسى، سمع النبي أول ما سمع «لا تقترب إلى هنا، إخلع حذاءك من رجليك - خر ٣: ٥»، وحين أراد الرب أن يعلن ذاته أكثر في سيناء، ظهر لهم في مجده على الجبل.

كان تجلى الرب مفزعاً للغاية حتى ارتعب الشعب «وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت ... فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب - خر ٢٠: ١٩» ، لقد سبقت هذه الأحداث إعلان شريعة الذبائح فأعطت مفتاحاً للمعنى الخطير:

أن سفك الدم هو السبيل الوحيد الذى يمكن من خلاله لأمة خاطئة أن تقترب من الله القدوس.

وسوف يلاحظ القارىء أن كل هذه الشرائع تتعلق بالذبائح التي يقدمها الأفراد طواعية وإختياراً، ندماً وإعترافاً بخطية أوتسديداً لدين أو تعويضاً عن سهو. حتى ذبائح الخطية والأثم كان تقديمها يتوقف على الإرادة الحرة لمن ارتكب خطية أو إثماً، ويتضح هذا من عدم تحديد موعد أو تسلسل لها في حالة تقديم أكثر من ذبيحة. بينما الفروض التى تجب مراعاتها كانت الطقوس الخاصة بالمجمع (الشعب كله). فقد حُددت يوماً بيوم، ولم يكن لأي فرد أن يمارس طقساً خاصاً به. كان تقديم الذبيحة طاعةً أو شكراً أو توبةً للرب أمراً يخص الإنسان، أما الذبائح العامة التي كانت تقدم في الأعياد والمناسبات فكانت أموراً تمس الجانب الإلهي من العهد، ذلك الجانب الذى لا تبطله عدم أمانة الإنسان. [للإنسان أن يستعد ويتقدم لسر الشركة وقتما يشاء، أما الكنيسة فتتقدم ذبيحة يومية بغض النظر عن الأفراد]. إن العناية التى يشرح بها الوحي طقوس الذبائح تؤكد أهميتها العظيمة، فهي محور العبادة فلم يكن يمارس عمل مقدس بدون ذبيحة.

بيد رفيعة !

في اللغة العبرية تعني يدٍ مرتفعة، ما معنى هذا ؟

كان شرط قبول ذبيحة الخطية هو التوبة، أو أن تكون الخطيئة قد أرتكبت سهواً أو ضعفاً، أما الأنسان الذى يتعمد الخطأ، ولا يبدي ندمه على هذا الخطأ فكانت ذبيحته مرفوضة، والمثل الظاهر على هذا هو ما قاله الرب لصموئيل الصبي «أنه لا يكفَّر عن شر بيت عالي بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد - ١ صم ٣: ١٤)، ويحسم النص التالي هذه القضية «وأما النفس التي تعمل بيد رفيعة... فهى تزدري بالرب فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعاً تقطع تلك النفس. ذنبها عليها - عد ١٥: ٣٠-٣١»

الذبائح الأساسية

الذبيحة	الشاهد	الغرض	تتكون من	للرب	للكاهن	لمقدمها	الرمز
المحرقة رائحة سرور	١: ٣-١٧ + ٦: ٨-١٣	إعلان الطاعة التامة والتكريس الكلي للرب	حسب مقدمها ثور، خروف، جدي، .. حمام أو يمام	تحرق بكاملها عدا الجلد	الجلد	لا شئ	مت ٢٦:٣٩ مر ١٤: ٣٦ رو ١٢: ١-٢ عب ١٣: ١٥
القربان رائحة سرور	٢: ١-١٦ + ٦: ١٤ - ٧: ١٢	الاعتراف بفضل الرب وطلب دوام الخير	دقيق فطير مخبوز سنابل مشوية كلها مع زيت وبخور	يحرق منها جزء بسيط تذكار	الباقي يخبز ويؤكل في ساحة الخيمة	لا شئ	كمال المسيح دقيق بلا خمير الزيت عمل الروح القدس
السلام رائحة سرور	٣: ١-١٧ + ٧: ١١-٢٣	السلام والشركة مع الرب والناس تختتم بوليمة جماعية للشكر أو وفاء لنذر	حسب مقدمها بقر، غنم، ماعز .. يسمح بعيوب طفيفة	تحرق الأجزاء الداخلية والدهن	الصدر والفخذ الأيمن صدر الترديد والرفيعة	الباقي يأكله وأسرته في يومين أو أقل	رو ٥: ١ كو ١: ٢٠
الخطية كفارة	٤: ١-٣٥ + ٦: ٢٤-٣٠	عن خطايا ارتكبت سهواً أو ضعفاً خاصة عندما لا يمكن التعويض	حسب مقدمها من ثور الى زوج يمام أو حفنة دقيق	تحرق الأجزاء الداخلية والدهن والباقي يحرق خارجاً	يؤكل الباقي في ساحة الخيمة لو من فرد عادي	لا شئ	موت المسيح خارج أورشليم ٢ كو ٥: ٢١ عب ١٣: ١١
الإثم كفارة	٥: ١ - ٦: ٧ + ٧: ١-٧	عن خطايا ارتكبت سهواً أو ضعفاً عندما يمكن التعويض	كبش وتعويض	تحرق الأجزاء الداخلية والدهن	يؤكل الباقي في مكان طاهر	لا شئ	كو ٢: ١٣

كانت الذبائح مجرد وسيلة يبغي بها الشعب أن ينشيء علاقة شركة مع إلهه وأن يحافظ على هذه الشركة. يقدم الشعب هذه التقدمات من البركة التى أفاضها الله على عمل أيديهم «كل واحد حسبما تعطي يده كبركة الرب إلهك التى أعطاك – تث ١٦: ١٧»، أي من ثمار أعمالهم اليومية، الزراعة والرعي، من الماشية التى يربونها ومن نتاج الأرض التى يزرعونها، وهي القوام الأساسي لحياتهم، لذا تتكرر تسمية التقدمات بأنها «طعام وقود للرب – لا ٣: ١١– طعام الله – لا ٢١: ٦ – خبز الله – لا ٢١: ٨»، وليس المقصود بالطبع أنها غذاء للرب، بل أنها غذاء أنتجه الإنسان بعمله ثم أصعده للرب كرائحة للرضا. فمن الحيوانات وثمار الأرض، المخزون الحي والمدد اليومي لحياتهم، قدم الناس قرابينهم، ليس كمجرد عمل رمزي، بل ليجتازوا إمتحان الإيمان، الذى نادى به الرب، فالإيمان هو الطعام الباقي الذى يهب الإنسان حياة شركة لا تفنى مع الرب. لقد قدم الشعب، وهو الذى ضمه الرب إليه كابن، قدم المواد التى تقوم عليها حياته، قدم من تعبه وكدَّه وكل ملكاته للرب، لينال تقديس الرب لحياته، وما قدمه لن ينقص من قوته الذي جاء من الرب أصلاً.

بهذا يظهر للذبائح عملاً نيابياً، إذ أنها عبرت عن خضوع الإنسان بكل طاقاته للرب. إن فكرة تمثيل الذبائح للإنسان أتضحت في الذبائح الحيوانية. فالحيوان نفس حية أسلمت للموت وقُدمت للرب لتكون وسيطاً في علاقة لا غنى عنها للإنسان، كما أعلن الرب لموسى أن الدم كحامل للنفس (الحياة) هو وسيط التكفير عن نفوس البشر «فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس – لا ١٧: ١١»

الـــــدم

تظهر قداسة الدم في العبادات القديمة، ومن البداية نرى تحريم القتل وسفك دم البريء، حتى أن دم الضحية يصرخ طالباً الانتقام (تك ٤: ١٠–١١)، ويعتبر الله نفسه مسئولاً عن هذا الإنتقام (قض ٩: ٢٤)، والشريعة تحرِّم أكل الدم تحريما قاطعاً، لأنه، مثل الحياة، ملك لله وحده يستخدم لأغراض التكفير عن النفس، وكختم للعهد بين الله والشعب، فرغم وجود علامة للعهد منذ إبراهيم هي الختان، إلا أن الرب يكلف موسى فيقدم ذبيحة ويرش نصف دمها على الشعب ونصفه على المذبح في إشارة إلى طرفي العهد (خر ٢٤: ٣–٨)

الـكـفــــــارة

إن الفعل «يكفر» في الأصل العبري، تعني «يستر»، فالكفارة لا تعني بالمرة إلغاء الخطية كأنها لم تحدث أو إعتبارها غير قائمة فهذا مستحيل، والكفارة أيضاً لا تعني تعويض شر الخطية بممارسة فعل طيب أمام الله (الحسنة في مقابل السيئة) فالماضي لا يمكن محوه. لكن التكفير هو ستر الخاطيء من أمام الرب أو بمعنى آخر إن الذى يكفر عنه ليس الخطية بل هو الإنسان أو نفس مقدم الذبيحة، لينال الرضا الإلهي (لا ١: ٤)، حتى في ذبيحة الخطية كان الغرض هو الصفح عن الخاطيء «ويكفر الكاهن عنه من خطيته فيصفح عنه – لا ٤: ٢٦» وهنا يستر مقدم الذبيحة أمام الرب، لعدم قداسته، أو يُستر من غضب الرب ومن إعلان هذا الغضب الذي تستحقه خطيته، وهو ما نراه في حالتين:

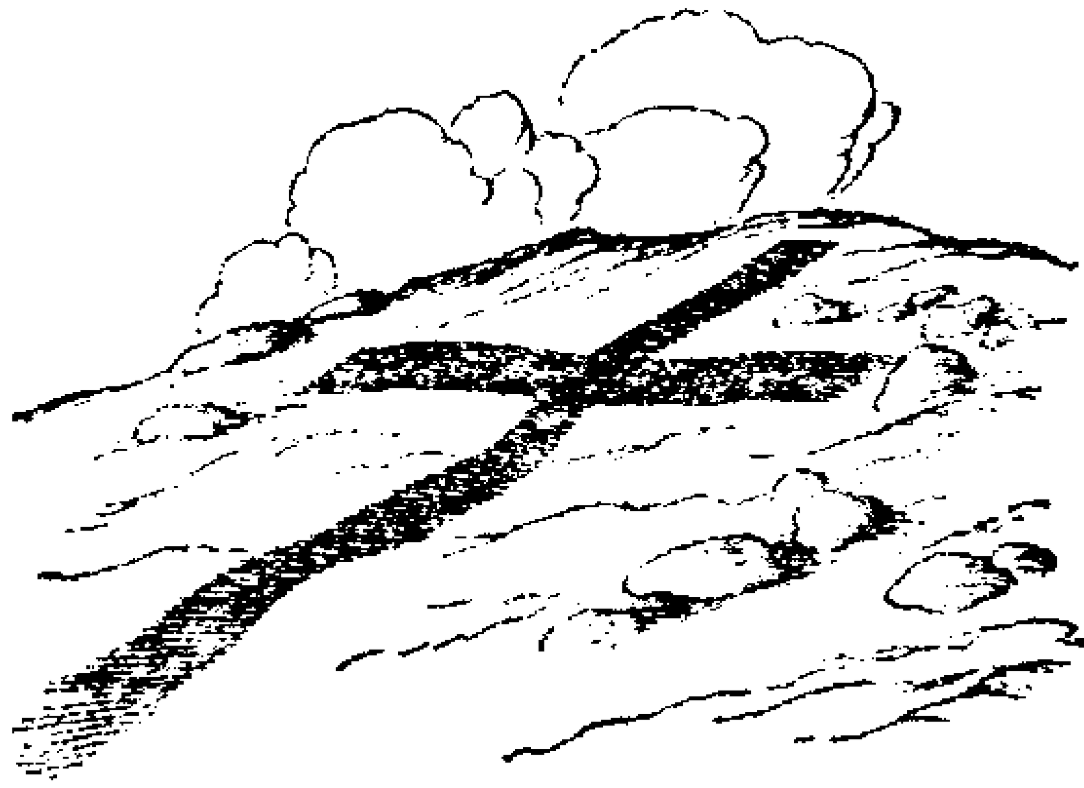
١. أراد يعقوب أن يسترضي اخاه عيسو فقدم له الهدايا، أو بمعنى آخر ليصرف غضب عيسو الذى جلبه اختلاس يعقوب لنفسه البركة التى كانت من حق عيسو (تك ٣٢: ٢٠).

٢. نرى موسى يجاهد متشفعاً «أنتم أخطاتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب لعلي أكفر عن خطيتكم - خر ٣٢: ٣٠» أى ليحيي الشعب من الفناء الذى يهددهم نتيجة لغضب الرب عليهم.

[أنظر أيضاً قصة عصا هرون - عد ١٧: ١١و١٢ + غيرة فينحاس - عد ٢٥: ١١-١٣].

إن فاعلية التكفير أو ستر الخاطىء من غضب الرب قد اُرجعت إلى دم الحيوان المذبوح، حيث أن حياة النفس في الدم، وأن نفس الحيوان حين تقدم تنوب عن نفس الإنسان، رغم الإختلاف الجوهري بين الإنسان والحيوان، فالحيوان الذى تسيره غرائزه، غير مسئول، لهذا يعتبر خالياً من الخطية، بينما الإنسان قد وُهب حرية الإرادة بفضل روحه العاقلة، فهو ليس مسئولاً عن أفعاله فحسب، بل وقادر أيضا على الخطأ.

لم يكن دم الذبيحة في حد ذاته هو الذى ينوب عن الإنسان، ولا كان سفك الدم في حد ذاته قادر على التكفير عن الخاطىء، فقد كان ذبح الحيوان يعطي معنى العقوبة وإقامة العدل، ويصبح تقديم الذبيحة تنفيذاً لحكم أكثر منه طقساً للنعمة؛ لكن المقصود أن الدم كحامل للنفس حين يسكب على المذبح، كان يعني تقديم حياة بريئة للموت من أجل الرب، وبهذا يصبح الدم وسيطاً للتكفير. وحتى في ذبيحة المسيح، لم يكن مجرد سفك الدم أو الموت على الصليب هو الذى حقق المصالحة، بل كون السيد المسيح قد سلم حياته للموت مختاراً. إن مجرد معاناة المسيح وموت المسيح في حد ذاتهما لم تؤديا إلى السلام مع الله، لو لم تكونا خاتمة لحياة مقدسة بلا خطية، كان يسوع طوالها خاضعاً مطيعاً حتى الموت.. وبهذه الطاعة أكمل رب المجد الناموس، كأرادة الله المقدسة نحو البشر وحمل عاقبة معاصينا (مجروح لأجل معاصينا - أش ٥٣)



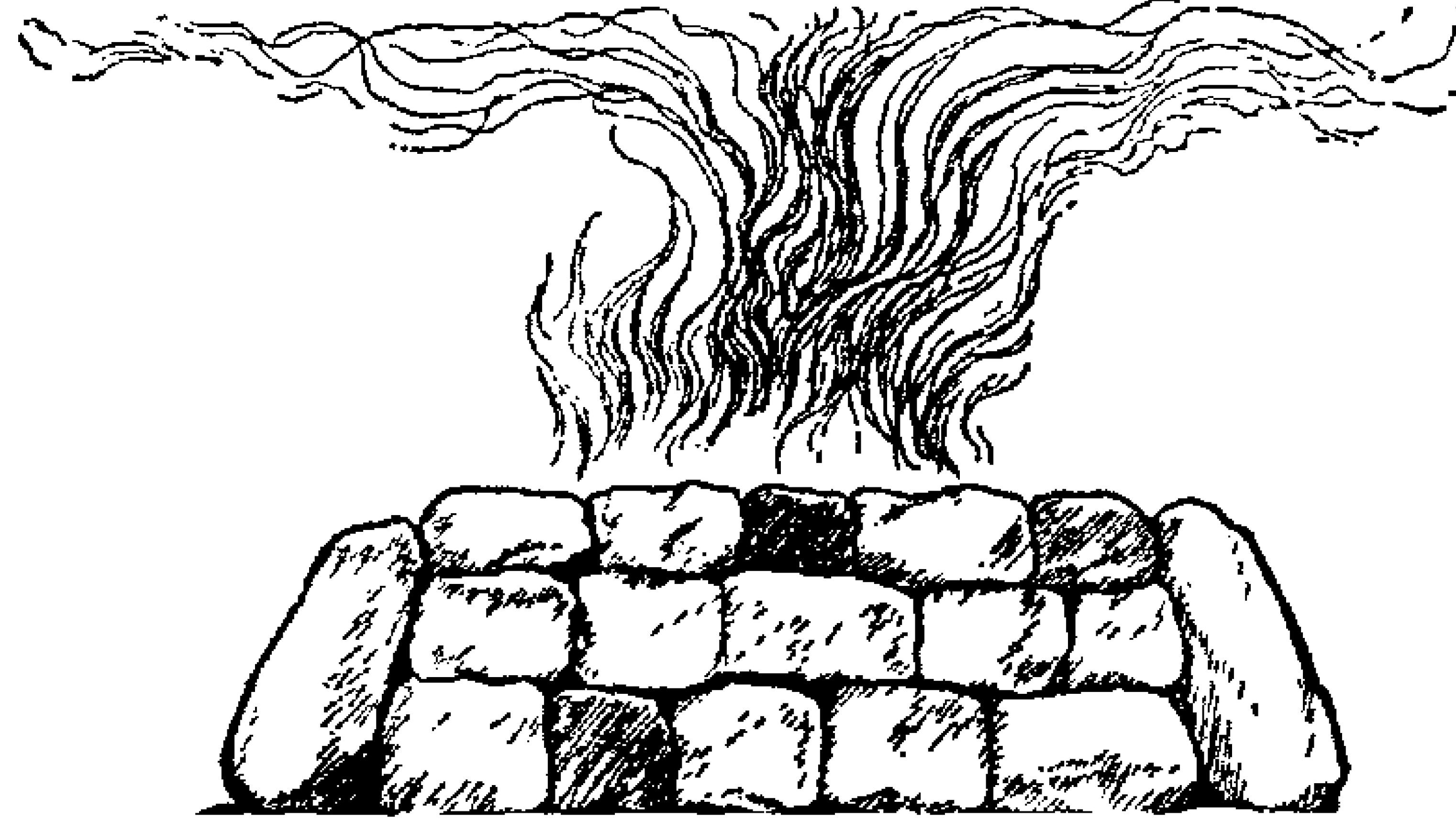
إذن اكتسبت ذبيحة المسيح فاعليتها الفريدة من:

+ **أن المسيح قدم ذاته في طاعة كاملة للآب.**

+ **أن المسيح عاش على الأرض حياة خالية من الخطية.**

إننا لا ننال بركات موت المسيح تلقائياً، بل لابد وأن نستحقها بالإيمان والمعمودية والأفخارستيا ... إلى آخر وسائط الخلاص. هكذا كان الحال أيضاً مع ذبائح العهد القديم، فقد كانت تحقق هدفها فقط عندما يتفهم بني إسرائيل وصايا الرب ويستخدمون بالإيمان وسائط النعمة الكامنة في الذبائح، أي عندما يقدمون للرب - من خلال الذبائح - نفوسهم وحياتهم كذبيحة مسرَّة للرب، وبدون المعنى الرمزي لهذا الإجراء تنحط العبادة الذبائحية إلى مجرد شكليات وتفقد طابعها المتفرد كرمز للمسيح والذى أخفي، بحسب تدبير الرب الحكيم، ولم يكشف إلا من خلال رؤى الأنبياء (أش ٥٣)، ومع إستمرار الوحي في الكشف المتدرج عن خطة الخلاص.

إن السمات الرئيسية في المعنى الرمزي و النموذجي للذبائح عامة هي:
كل حيوان يقدم يكون بلا عيب، ثم ينبغي أن يأتي الإنسان بذبيحته أمام الرب ويضع يده على رأس الحيوان لتقبل الذبيحة عنه للتكفير. إن وضع اليد لا يميز فقط الحيوان المضحى به، ولكنه أيضا ينقل مشاعر القلب التى دفعت الإنسان إلى تقديم الذبيحة و النية التي بها يقدم عطيته للرب، وبهذا تنتقل أفكار الإنسان لتحل رمزياً على رأس الحيوان ليصبح عوضاً عنه أو بديلاً له.



النـــــار !

يذهب الدم لإعلان الطاعة والتكفير، ثم يحرق اللحم. لابد إذن أن لإحراق اللحم معنى رمزياً. كانت النار تشتعل دائماً على المذبح. إن القوة الكامنة في النار تستطيع أن تلاشي كل ما هو فانٍ وفاسد وخسيس. والنار رمز متكرر في الكتاب، أحياناً للتطهير وأحياناً للعذاب والإهلاك. لذا فكل ما هو جوهر غير قابل للفناء، ستطهره النار من كل ما التصق به أو تسرب إليه من أشياء بائدة، بينما المحتوى الخالد والأسمى يبقى نقياً من كل نفاية. ولو كان العنصر الفاني قد تغلب تماماً على ما هو خالد لا تؤدي النار إلى التطهير بل إلى الهلاك. إقرأ ما يقوله الرسول بولس «ولكن أن كان أحد يبني على هذا الأساس ذهبا فضة حجارة كريمة خشباً عشباً قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه، لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو - ١ كو ٣: ١٢و١٣» ولأن النار تشير إلى عمل الروح القدس (أع ٢: ٣و ٤)، فالنار المشتعلة على المذبح كانت رمزاً لعمل التبرير، فإحراق الذبيحة رمز إلى تبرير الإنسان الذى تم صلحه مع الله، بنار الروح القدس، التى تبيد ما هو للجسد (الطبيعة العتيقة) وتقوي ما هو للروح، وهكذا يتجدد الإنسان في بركة الشركة مع الله.

وهكذا تتضح العلاقة بين رش الدم وإحراق اللحم، فهي العلاقة بين التبرير والتقديس، هذان الشرطان الحتميان اللذان بدونهما يستحيل على الإنسان الخاطىء أن ينال المصالحة والحياة في الرب. ولأن الخاطىء لا يستطيع أن يبرر ذاته أو يقدس نفسه أمام الله، فإن رش الدم وإحراق أجزاء الذبيحة على المذبح يكون له نفس الفعالية، ليس بواسطة الخاطىء، بل بواسطة الكاهن كوسيط اختاره الرب وقدسه، وبهذا يمكن للنفس التى سترتها دماء الذبيحة أن تتقدم أمام الله وتنال إحساناته، ليس هذا فقط بل إن أعضاء الإنسان الجسدية والتي رمزت لها قطع الذبيحة المحترقة، ينبغي أن تسلم إلى نار الروح القدس لتتقدس من دنس الخطية وتقدم في صورة ممجدة إلى الله، كما كانت التقدمة تستهلك تماماً في نار المذبح حتى يتحول ما فيها من عناصر فانية إلى رماد، بينما جوهرها الحقيقي يتصاعد إلى السماء في أخف وأمجد صورة للمادة، كرائحة سرور.

الحيوانات الطاهرة و الحيوانات النجسة

نقرأ عن هذا التقسيم بين الحيوانات منذ وقت الطوفان (تك ٧: ٢). ويمكن تقسيم الحيوانات بشكل تقريبي إلى خمس مجموعات هي الثدييات والطيور والزواحف والحيوانات المائية والحشرات.

وتشمل قائمة الحيوانات المحظور أكلها بل ولمسها عدداً من الحيوانات يشترك أغلبها في صفة لم تكن معروفة للناس حتى القرن التاسع عشر، إنها جميعاً حاملة لأمراض خطيرة على الإنسان، وباقي الحيوانات المحظورة إندرجت في القائمة لتبليغ الشعب بقائمة سهلة الحفظ فيمكن الالتزام بها :

١. من البهائم: يشترط أن تكون من المجترة وذوات الظلف المشقوق، ولعل الهدف هو استبعاد الخنزير، الذي نعلم الآن أنه حامل لعديد من الطفيليات الضارة، فضلاً عن أنه يتغذى على القمامة فيصبح ناشراً للمرض بشكل تلقائي.



٢. الطيور المحظورة تشمل أساساً الجوارح أكلات اللحوم والغراب وهو أيضا من أكلي القمامة والجيف.
٣. جميع الزواحف تقريباً محظور أكلها.
٤. من كل ما يعيش في المياه كان مسموحاً بأكل الأسماك العادية (ذات الزعانف والحراشف)، وبحكمة حُظر أكل القشريات والصدفيات، التي نعلم الآن أنها كثيراً ما تتسبب في التسمم الغذائي (النزلات المعوية).
٥. رغم العدد الهائل من الحشرات، فقد سُمح بأكل أصناف قليلة منها وخاصة الجراد لقيمته البروتينية العالية في المناطق الصحراوية التى يندر فيها البروتين الحيواني.

نخلص إذن إلى أن ما كان محظورا أكله، كان لأحد الأسباب التالية:

١. أسباب صحية، كأن يكون الحيوان يتغذى على القمامة أو الجيف أو حاملاً للأمراض.
٢. الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة لأنها تأكل دم فرائسها.
٣. الحيوانات التي تثير الإشمئزاز مثل الزواحف.
٤. الحيوانات التي تستخدم في السحر والعبادات الوثنية، مثل الفئران والكلاب والثعابين والخفافيش...



الطهـــــارة والتطهــــير

في العهد القديم تظهر كلمة الطهارة بأكثر من معنى، فبينما تعني الطهارة الأدبية، أى الخلو من الخطية كما يقول المزمور «طهرني بالزوفا فأطهر، إغسلني فأبيضّ أكثر من الثلج - مز ٥١: ٧ »، لكن في الأسفار الخمسة يقتصر معناها على النقاوة الجسمية والطقسية، بمعنى نظافة الجسد، وتأهله للدخول إلى الأماكن المقدسة والمشاركة في الممارسات الدينية، مثل تقديم الذبائح أو أكل خروف الفصح. لكن هذه الأسفار لا تفصل بين الطهارة الطقسية والطهارة الأدبية، لذا يلفت النظر في سفر اللاويين أنه وسط التفاصيل العديدة للذبائح والتقدمات يورد الوحي عدداً من الوصايا الأدبية. أنظر (لا ١٩: ١-١٨)، ترى الرب يطلب منهم أن يكونوا قديسين لأنه هو قدوس [مت ٥: ٤٨].

وكيف تكون القداسة ؟ بمزيج من الشرائع الطقسية والأدبية معاً: بعدم الأكل من ذبيحة السلام بعد مرور يومين، باحترام الوالدين، بتجنب عبادة الأوثان، بالعدل في القضاء ومحبة القريب. ونرى أن القداسة تعني النظافة (تث ٢٣: ١١-١٤)، وأيضاً تعني البر أي الخلو من الخطية (تث ٦: ٢٥). أن التطهر كان يستلزم الإستحمام وغسل الثياب والبقاء لمدة يوم كامل أو أيام، مبتعداً عن كل ما قد يفسد الطهارة.

يتنجس الإنسان بملامسة كل ما يمكن أن يكون مصدراً للعدوى، مثل جثة ميت أوحيوان، أو إمراة في فترة الطمث، أو بعد الولادة لفترة معينة، أو بعد المعاشرة الجنسية. والذي يرجح هذا هو أن الشريعة إعتبرت كل ما يمس شيئاً نجساً يتنجس بدوره، وهو المبدأ الأساسي في نقل العدوى بل أنها فرضت العزل التام في حالة الإصابة بالبرص لكن فقط في الفترة التي يكون فيها المرض معدياً.

عن التقدمات النباتية



يظن البعض أن التقدمات المقبولة أمام الله في العهد القديم لابد وأن تكون ذبائح دموية (حيوانية)، ولكن هذا غير صحيح. فالرب يأمر بتقديم الدقيق (القربان) كذبيحة أساسية ويطلب من الشعب تقديم أول حزمة من الحصاد مع تقدمة من القرابين وخمر للسكيب (لا ٢٣: ١٠-١٤). ومائدة خبز الوجوه كان يوضع عليها إلى جانب الخبز بخور (لبان)، وزيت وخمر. لذا نرى أدوات الخيمة تشمل صحافاً للخبز، وصحوناً للبخور، وجامات للزيت، وكاسات للخمر. كان الخبز يأكله الكهنة، والبخور يحرق على مذبح البخور، والخمر تسكب للرب (عد ٤: ٥-٨) ، و لا نعلم ماذا كان يفعل بالزيت ولعله كان يستخدم في إيقاد المنارة. وها هى حنه أم صموئيل تقدم ثيراناً ودقيقاً وخمراً (١ صم ١: ٢٤). إن الرب لم يرفض ذبيحة قايين لأنها لم تكن دموية، بل لأن قايين كان شريراً ضعيف الإيمان كما تذكر لنا الرسالة إلى العبرانيين (عب ١١: ٤)، ثم أكد لنا ذلك الرسول يوحنا بما لا يدع مجالا للشك (١ يو ٣: ١٢). لذا فلكل تقدمة، نباتية كانت أو حيوانية دور في عمل القبول أمام الرب.

ملتوت و مسكوب !

حين يتحدث الوحي عن تقدمة الدقيق (القربان)، يحار القارىء عندما يقرأ أنه ينبغي أن يكون معجوناً (ملتوتاً) بالزيت ومسكوب عليه زيت (لا ٢: ٥و٦)، ولكن إذا قرأنا ما كتب عن الزيت في الكتاب المقدس أدركنا بسهولة أنه يشير إلى عمل الروح القدس (لقداسة البابا شنودة الثالث محاضرة رائعة بعنوان «الروح القدس والزيت»)، ونفهم الإشارة إلى تجسد المسيح، الذى سيحبل به من الروح القدس (ملتوت بالزيت)، وسيحل عليه الروح القدس (مسكوب عليه زيت)، حقا لقد صدق المرتل داود «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً - مز ١٢٢ : ٩٦»



ما الفرق بين الخطية و الأثم ؟

كنا نظن أن الإثم هو فعل التعدي الموجه إلى مقادس الرب، أما الخطية فهى فعل التعدي الموجه إلى الإنسان. ولكن من سفر اللاويين نعلم أن الذبيحتان تقدمان عن تعديات موجهة للإنسان وإلى الله أيضاً، وإن كانت حالات تقديم ذبيحة الخطية أكثر من حالات تقديم ذبيحة الأثم، لكننا نرى ذبيحة الإثم مرتبطة بالتعويض، فكان على الآثم أن يرد المسلوب ويزيد عليه خُمسه، فهي للتكفير والتعويض، ويخبرنا أشعياء النبي أن المسيح هو ذبيحة الإثم الحقيقية (٥٣: ١٠و١٢)، فقد كفّر بموته على الصليب عن خطية الإنسان، ورد له بره ومجده بأكثر مما أضاعه بعناده وحماقته، كما يقول المرتل بروح النبوة «رددت ما لم آخذه - مز ٦٩: ٤»، فكان التعويض يُرد للمتضرر متى أمكن ذلك، أو يُقدم للرب فيكون من نصيب الكاهن. وكما في حالة ذبيحة الخطية، تُقدم ذبيحة الأثم عن أخطاء السهو، أما في حالة التعمد فلابد أن يعلن الإنسان اعترافه بخطأه، وإلا فالذبيحة لا تقبل ولا يتم التكفير عن المذنب كما سبق القول.

العهد

العهد
ذبيحة الفصح
الأعياد
تثنية الشريعة
موسى العظيم

العهـــــــد

تعنى كلمة العهد إتفاقاً بين طرفين أو أكثر، وبتحليل المعاهدات التى كانت تتم قديماً (قبل ١٢٠٠ ق.م.)، نجد أن السمات المشتركة تتلخص في تحديد الأطراف، وشروط العهد، ونتائج التمسك بالعهد أو الإخلال به وأخيراً الضمان الذى يتبادله الطرفان على أنهما سيتمسكان بالعهد. وهذا الترتيب واضح في سفر التثنية:

أطراف العهد: **الـــرب ـ الشـــعب**

"أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب الهكم، رؤساؤكم أسباطكم شيوخكم وعرفاؤكم وكل رجال إسرائيل أطفالكم ونساؤكم غريبكم الذى في وسط محلتكم.. لكى تدخل في عهد الرب وقسمه الذى يقطعه الرب الهك معك اليوم، لكى يقيمك اليوم لنفسه شعباً وهو يكون لك إلهاً .. وليس معكم وحدكم أقطع انا هذا العهد وهذا القسم، بل مع الذى هو معنا هنا.. ومع الذى ليس هنا معنا اليوم- تث ٢٩: ١٠-١٥"

شروط العهد:

الطرف الأول: الرب: يلزم الرب نفسه بالرعاية الكاملة الشعب:

"إياك قد إختار الرب الهك لتكون له شعباً أخصَّ من سائر الشعوب.. من محبة الرب إياكم وحفظه القسم.. لآبائكم - تث ٧: ٦-٨"

الطرف الثانى: الشعب: يلتزم بحفظ أوامر ووصايا الرب:

"أن تحب الرب الهك و تسلك في طرقه و تحفظ وصاياه و فرائضه و أحكامه - تث ٣٠: ١٦"

"يقيمك.. لنفسه شعباً مقدساً كما حلف لك، إذا حفظت وصايا الرب وسلكت في طرقه –تث ٢٨: ٩"

نتائج العهد:

مواعيد كثيرة جداً بالبركة متى حُفظ العهد، وتحذيرات بالعقاب إذا كُسر العهد: "يجعلك الرب مستعلياً على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب الهك، مباركاً تكون في المدينة.. وفي الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك... مباركاً تكون في دخولك... وفي خروجك... ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتى عليك جميع هذه اللعنات ... - تث ٢٨: ١-٦٨"، ويسرد موسى هنا قائمة طويلة من الكوارث التى ستصيب الشعب إن كسر الوصية، يقشعر لها القارىء، "وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها... وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلاً ونهاراً - تث ٢٨: ٦٣-٦٦" هذا هو كلام الوحي حرفياً!

تأكيد العهد:

يتم بأن يقسم التابع بيمين الولاء للسيد، ولكن في العهود بين الله والناس كان الرب هو الذي يقسم، إنه يقسم بذاته، فلا يوجد ما هو أعظم منه ليتسم به "بذاتي أقسمت يقول الرب.. أباركك.. وأكثر نسلك.. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي- تك ٢٢: ١٦-١٨" (عب ٦: ١٣و ١٤).

"تدخل في عهد الرب وقسمه الذي يقطعه الرب الهك معك اليوم لكي يقيمك اليوم لنفسه شعباً وهو يكون لك إلهاً... وكما حلف لآبائك - تث ٢٩: ١٢و١٣". أما الشعب فكان عليه أن يعلن إلتزامه بالعهد من خلال التمسك بالوصية. وكان عليهم أن يعلنوا ذلك لفظياً حين وقفوا على جبلي عيبال وجرزيم وقرأ يشوع البركات واللعنات (يش ٨: ٣٠-٣٥)، وحين شعر يشوع أنه سينضم إلى آبائه، جمع الشعب وذكرهم بالوصية فصاحوا "نعبد الرب لآنه هو إلهنا... فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم - يش ٢٤: ١٦-٢٧"، فجدد معهم العهد، ونصب حجراً كتذكار لهذا كما فعل يعقوب ولابان قبلاً.

علامة العهد:

في البداية وعد الرب نوح ونسله ألا تتكرر كارثة الطوفان "وقال الله هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بيني وبينكم... إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض... ميثاقاً أبدياً بين الله و بين كل نفس حية - تك ٩: ١٢-١٦"، وحين قطع العهد مع إبراهيم طلب أن "يختن منكم كل ذكر... فيكون علامة عهد بيني وبينكم... فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً - تك ١٧:١٠-١٣". أما حين جدد موسى النبي العهد مع كل الشعب فقد أصعد ذبيحة أمام الرب وأخذ الدم فرش نصفه على المذبح ونصفه على الشعب في إشارة واضحة تربط العهد بالحياة (خر ٢٤: ٤-٨).

عهد المـــلح!

وتبقى علامة إضافية ينبهنا اليها ذلك التشديد الواضح في سفر اللاويين على أن تكون كل التقدمات مملّحة "كل قربان من تقادمك بالملح تملحه ولا تخُل تقدمتك من ملح عهد إلهك - لا ٢: ١٣". يخبرنا سفر باروخ أن الملح له خاصية حفظ الأطعمة (باروخ ٦: ٢٧)، وهو أيضاً من المواد الضرورية (سيراخ ٣٩: ٣١)، إذن هو إشارة لعهد دائم وضروري لحياة الإنسان، عهد يحفظه من الفساد، لذا نرى سفر العدد وهو يتحدث عن نصيب الكهنة واللاويين من الذبائح يكرر عبارة "فريضة دهرية... حقاً دهرياً" ثم يوضحها "ميثاق ملح دهرياً" (عد ١٨: ٨و١١و١٩و٢٠)، ولكي لا يترك الوحى المقدس مجالاً للتردد في المقصود بالملح يشير إلى العهد الذى أعطاه الرب أن يكون الملك لداود ونسله (ما دامت المملكة)، يقول "إن الرب اله إسرائيل أعطى الملك على إسرائيل لداود إلى الأبد ولبنيه بعهد ملح - ٢ أخ ١٣: ٥".

البركات واللعنات

يتجنب الكثيرون دراسة العهد القديم لأسباب كثيرة، منها ما يظنونه من أنه كان قاصراً على التعامل مع الناس من منظور مادي، ويأخذون مسألة البركات واللعنات كدليل على هذا. والحق أن تعاملات الله مع الأنسان كانت منذ البداية روحية / مادية، أي لا يمكن فصل الجانب الروحي عن المادي فيها، فهو يعطي آدم الوصية، ويهيىء له جنة ليعيش فيها، وعندما يكسر الوصية، يخسر بره ويخسر الإقامة في جنة عدن في نفس الوقت، والله يعطى الشرائع لشعبه في سيناء، ويقوته ويرويه في البرية في نفس الوقت، وهو يحث داود على التوبة وينصره في الحرب في نفس الوقت، ويهب سليمان الحكمة ومنحة الثراء في آن واحد.

واستمر هذا المنهج حتى جاء رب المجد فأكده، حين غفر الخطايا للمفلوج ثم شفاه من مرضه وحين خاطب الناس عن ملكوت الله وشفى المرضى ثم أشبع الجموع قبل أن يصرفهم (لو ٩: ١١-١٧)، ثم يؤكد لبطرس أن من يبذل شيئاً من أجل الملكوت ينال أضعافاً في هذه الحياة، فضلاً عن الحياة الأبدية (مر ١٠: ٢٨-٣١).

أعيــاد بنى إســرائيل

يلاحظ القارىء للأصحاح ٢٣ من سفر اللاويين أن لكل من الأعياد الرئيسية لبنى إسرائيل بعداً مزدوجاً: تاريخي - جغرافي، ونضيف كمسيحيين بعداً ثالثاً نبوياً:

العيد	البعد الجغرافي	البعد التاريخي	البعد النبوي
الفصح	حلول الربيع	الخروج من مصر	ذبيحة المسيح
الخمسين	بواكير الحصاد	إعطاء الشريعة	حلول الروح القدس
المظال	ثمار الخريف	التيه في البرية	المظال الأبدية

عيد الفصح



هو أقدم الأعياد اليهودية على الإطلاق، وارتبط بعيد الفطير، حيث كان الاحتفال بالفصح يجرى قبيل غروب الرابع عشر من نيسان، والثمانية أيام التالية هى أيام الفطير [في أيام المسيح أعتبرا عيداً واحداً باسم الفصح].

إن التكرار السنوى لذبيحة الفصح في استعادة لمعجزة «يهوه» إذ خلص شعبه من العبودية، جعل من عيد الفصح محوراً لتاريخ الشعب فلا يمكن فصله عن الحدث الماضي، وكان على الشعب أن يكرر تمثيل الحدث.

تتميز ذبيحة الفصح عن باقي الذبائح التى شرعها الرب للشعب بمغزاها التاريخي، وارتباطها بحادثة الخروج من أرض مصر، فمنذ أن عبر ملاك الرب عن بيوت العبرانيين وأنقذ أطفالهم من الموت الذى أصاب أطفال المصريين، وأصبح بنو إسرائيل شعباً خاصاً للرب، كان الفصح إذن مرتبطاً بالخروج من أرض مصر وهو الحدث المؤسس للأمة الإسرائيلية. فقبل الخروج من مصر كان الكتاب يتحدث عن نسل إبراهيم أو عشيرة العبرانيين، أما بعد الخروج فلا يتحدث إلا عن بني إسرائيل، لقد صاروا شعباً خاصاً للرب كما يؤكد موسى في النص الرائع لسفر التثنية، فما أن عبر ملاك الموت عن تلك البيوت المخضبة أبوابها بدم الحمل حتى أصبح إنتماؤهم للرب هو الفاصل بين الموت والحياة، وأصبح إستمرارهم في هذا الإرتباط بالرب، بحفظ الوصية، هو الضمان الوحيد لاستمرار عناية الرب. صحيح أن الملاك المهلك لم يعبر بعد ذلك، لكن ما أكثر المهالك التى سيتعرضون لها بعد دخول الأرض، ولكن هذه قصة أخرى!

والفصح هو أول الأعياد السنوية الكبرى وكان يجب أن يظهر فيه جميع الذكور البالغين امام الرب، ويليه عيد الفطير لمدة ٧ أيام (خروج الشعب من أرض مصر - حلول فصل الربيع - فصح المسيح) وقد تطورت طريقة الاحتفال بالفصح ، ففي البداية كان يجب على الأسرة أن يأكلون الفصح بعجلة وهم واقفون وأحقاؤهم مشدودة وفي حالة الاستعداد للسفر في شبه تمثيلية لما حدث ليلة الخروج من مصر. فيما بعد كان خروف الفصح يذبح في المكان المقدس (خيمة الأجتماع ثم الهيكل) وكان يسبق أكل خروف الفصح شرب كأسين من الخمر، ويعقب أكله شرب كأسين آخرين، بينما تتخلل الصلوات والترانيم هذا الاحتفال.

عيد الخمسين (الأسابيع)

وسمي كذلك لأنه كان يقع في اليوم الخمسين من الفصح، وله ذبائح معينة تقدم في المقدس مع خبز الباكورة، أذ كان يتوافق عادة مع حصاد القمح، فكان عيد شكر للرب على بركاته. ومن التقليد اليهودى نعلم أن الشريعة أعطيت على جبل سيناء بعد الخروج (بعد الفصح) بخمسين يوماً، لذلك كانوا يسمونه عيد الشريعة. وفي أيام السيد المسيح ، كان يُقرأ فيه سفر أستير الذى يصف انتصار اليهود في أرض الغربة.

عيد المظال

وهو ثالث الأعياد الكبرى التى يجب ان يظهر فيها جميع الذكور أمام الرب في المقدس. وكان يستمر سبعة أيام من ١٥ - ٢١ من شهر تشرى (أكتوبر - نوفمبر) وكان يسمى أيضاً عيد الجمع، إذ كانت تجمع فيه محاصيل الخريف من الثمار والزيتون والبيادر والمعاصر (خر ٢٣: ١٦ + لا ٢٣ : ٣٩ + تث ١٦: ١٣). ويقيم بني إسرائيل طوال الأسبوع في مظال من أغصان الشجر تذكاراً لسنوات الترحال في البرية. وبعد العودة من السبي كانت هذه المظال تقام على أسطح المنازل وفي الساحات وأفنية البيوت (نح ٨: ١٤-١٨).

عيد الأبواق

في الأول من شهر تشرى وهو رأس السنة العبرية المدنية وبداية موسم المطر (رأس السنة الدينية هو أول نيسان). وكان يعتبر محفلاً مقدساً يمنع فيه العمل، وقد ربط التقليد اليهودى بينه وبين خلق العالم وخلق آدم وميلاد كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب وصموئيل، ويوم إطلاق يوسف من السجن.



يوم الكفارة

هو أهم الأعياد في إسرائيل واليوم الوحيد الذى يجب أن يصومه كل الشعب من مساء التاسع إلى مساء العاشر من شهر تشرى، كما أنه اليوم الوحيد في السنة الذى يدخل فيه رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس ليكفر عن خطية الشعب، ثم يمارس طقس متميزاً بأن يأخذ تيسين ويختار أحدهما بالقرعة ليذبح للتكفير عن خطايا الشعب، بينما يضع رئيس الكهنة يديه على رأس التيس الحي ويقر بكل ذنوب الشعب وخطاياهم، ويطلقه في البرية. وكان التيسان يعتبران ذبيحة واحدة، ففي موت الأول تكفير عن الخطية وفي أطلاق الثانى رمز للمحو الكامل للخطية مثل عصفوري تطهير الأبرص (لا ١٦ : ٢٠-٢٢ + ١٤: ٤-٧).

بين الرب وعزازيل

دار جدل حول المقصود بـ «عزازيل»، ومن قول الكتاب «ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب الخيمة، ويلقى هرون على التيسين قرعة...، ويقرب هرون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية، أما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية - لا ١٦ : ٧-١٠»، فطرحت عدة إحتمالات:

١. أن عزازيل هو اسم الشيطان الذي يسكن في البرية، وهو فكر مرفوض، فما كانت الشريعة لتطلب أن تقدم أية تقدمة إلى الشيطان أياً كان إسمه.

٢. أن عزازيل هو إسم الموضع الذى يرسل إليه التيس المذكور، وهو رأي غير مقنع حيث أن الشعب لم يكن معسكراً في مكان ثابت بل كان دائم التنقل في البرية.

٣. أما ما يؤكده المنطق فيتفق مع المعنى المرجح لكلمة عزازيل «كبش الفداء».

السنة السبتية:

أوجبت الشريعة أن تستريح الأرض مرة كل سبع سنوات، وكانت فرصة ليحصل الفقراء على حاجتهم من الطعام إذ كانت محاصيل هذه السنة السابعة لا تحصد ولا تجمع بل تترك لمن يحتاجها (خر ٢٣ : ١٠-١١ + لا ٢٥ : ٦-٧). وفي هذه السنة كانت تلغى الديون ويطلق العبد العبرانى حراً (تث ١٥). وفي عيد المظال في السنة السبتية كان يقرأ على الشعب الجزء (تثنية ٣١ : ١٠-١٣) . ويبدو أن شريعة السنة السبتية لم يحفظها الشعب طوال خمسمائة عام، فسبي الشعب إلى بابل مدة ٧٠ عاماً حتى أستوفت الأرض سبوتها ، وبعد العودة من السبي أهتم نحميا بحفظ السنة السبتية (نح ١٠ : ٣١ + ٢ أخ ٣٦ : ٢١).

سنة اليوبيل:

وكانت تأتي مرة كل ٥٠ عاماً، بعد سبع دورات من السنة السبتية ومعناها سنة القرن، إذ كان يعلن أبتداؤها بقرن الهتاف (بوق الهتاف)، وفيها كانت ترد الأرض والأملاك التى بيعت إلى مالكها الأصلي كما أن أى إسرائيلي اضطر إلى ان يبيع نفسه كان يعود حراً، وكانت سنة اليوبيل تهدف إلى إعطاء الفقير فرصة للبداية من جديد كما كانت تحول دون الإفراط في تضخم الثروات (لا ٢٥).

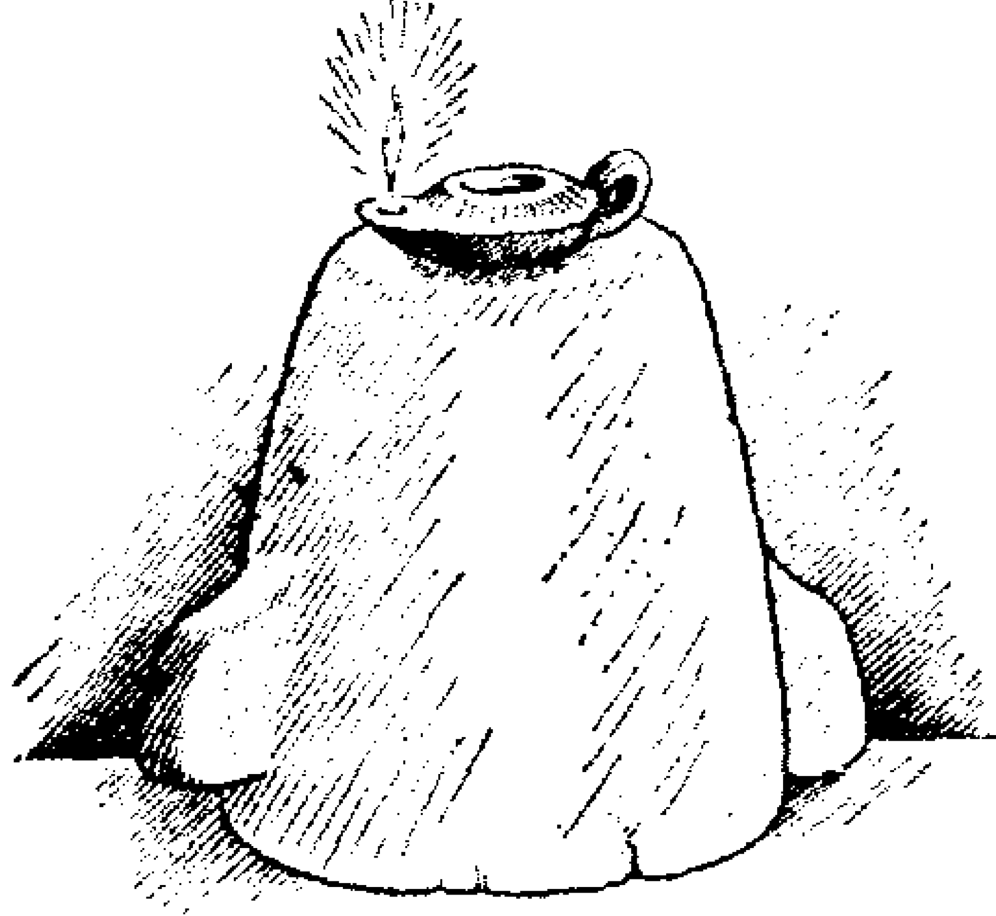
رأس الشهر:

كانت تقدم فيه محرقة أضافية، ويمتنع فيه عن العمل احتفالاً بظهور الهلال الجديد، وكان هذا يعلن بالنفخ في البوق (عد ١٠ : ١٠ + لا ٢٣ : ٢٤ + خر ١٢: ١٦ + ١ صم ٢٠ : ٥-٦).

السبت

اكتسب حفظ السبت أهمية خاصة لارتباطه ببدء الخليقة، ووجوده ضمن الوصايا العشر. وهي وصية سابقة لموسى، وكانت هذه الوصية تنفذ بمنتهى التدقيق حتى أن رجلاً قتل لكسره السبت، واعتبر معلمو

اليهود ان أقصى مسافة لليهودي ان يسافرها في السبت ٢٠٠٠ ذراع (حوالي ١٠٠٠ متر) (عد ٣٥ : ٥ + أع ١ : ١٢). وفي زمن المكابيين فضل البعض الموت عن ان يقاتلوا يوم السبت مما جعل المكابيين يسمحون بالقتال فيه. وكان السبت يوم فرح وبهجة، مما جعل اليهود يعتبرون حرمانهم من الاحتفال به طوال السبي عقاباً من الله (مرا ٢: ٦ + هو ٢: ١١).



١. عيد الفوريم: (من الأعياد التاريخية)

بدأ الأحتفال به في زمن إستير تذكاراً لنجاة الشعب من مؤامرة هامان، و »فوريم» تعنى القرعة التي أجراها هامان لإفناء اليهود. ومازال اليهود يحتفلون به بأن يصوموا يوم ١٣ آذار، ثم يعيدون في الرابع عشر منه.

٢. عيد التجديد: (من الأعياد التاريخية)

ويسمى أيضاً عيد الأنوار وعيد التدشين، تذكاراً لما قام به يهوذا المكابي من تطهير للهيكل وترميم المذبح عام ١٦٤ ق.م بعد أن خربه السلوكيون (١مك ٤: ٥٦-٦١). ويحتفلون به بإضاءة الأنوار في البيوت والمجامع وقد حضره السيد المسيح في اورشليم (يو ١٠: ٢٢).

سـفر التثـنـيـة

من الوثائق الأثرية نرى السفر يتشابه مع المعاهدات التى كان يعقدها الحيثيين مع تابعيهم من الأمم: فتبدأ باسماء المتعاهدين، ثم مقدمة تاريخية (ص١-٣)، ثم شروط والتزامات العهد ومنها ألا يدخل أي طرف في تحالف مع عدو للطرف الآخر، وأن يمتنع عن ترديد أية كلمات معادية للسيد، ودفع جزية معلومة كل سنة، ثم البركات التي تحل على من يلتزم بالعهد، واللعنات التي تصيَب من يكسره (ص ٢٧و ٢٨).

كما جرى العرف على أن تودع وثيقة العهد في مكان مقدس، وأن تقرأ علناً في مناسبات محددة كل سنة (تث ٣١: ٩-١٣)، ثم قائمة بشهود العهد تتضمن عادة الآلهة والسماء والأرض (تث ٤: ٢٦ + ٣٠: ١٩) والطبيعة (جبال أو أنهار)، ويظهر هذا الترتيب بسهولة في السفر، بل إن ملامح منه تظهر في سفر الخروج (خر ١٩: ٧و٨ + ٢٠: ٢-٧). ويضيق المجال عن ذكر كل ما نرى من أعماق في سفر التثنية، حتى أن كثيراً من دارسى الكتاب رجحوا أنه قد كتب قبيل السبي مما رأوه من فهم باطني لجوهر العلاقة بين الإنسان والله.

ببساطة نرى أن السفر هو شرح للوصية كما نقرأ: «إبتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً - تث ١: ٥»

إن سفر التثنية ليس مجرد تكرار للشريعة، بل توضيح للوصايا مع إضفاء بعد روحي رائع عليها، فضلاً عن التأملات العميقة في علاقة الرب بالشعب.

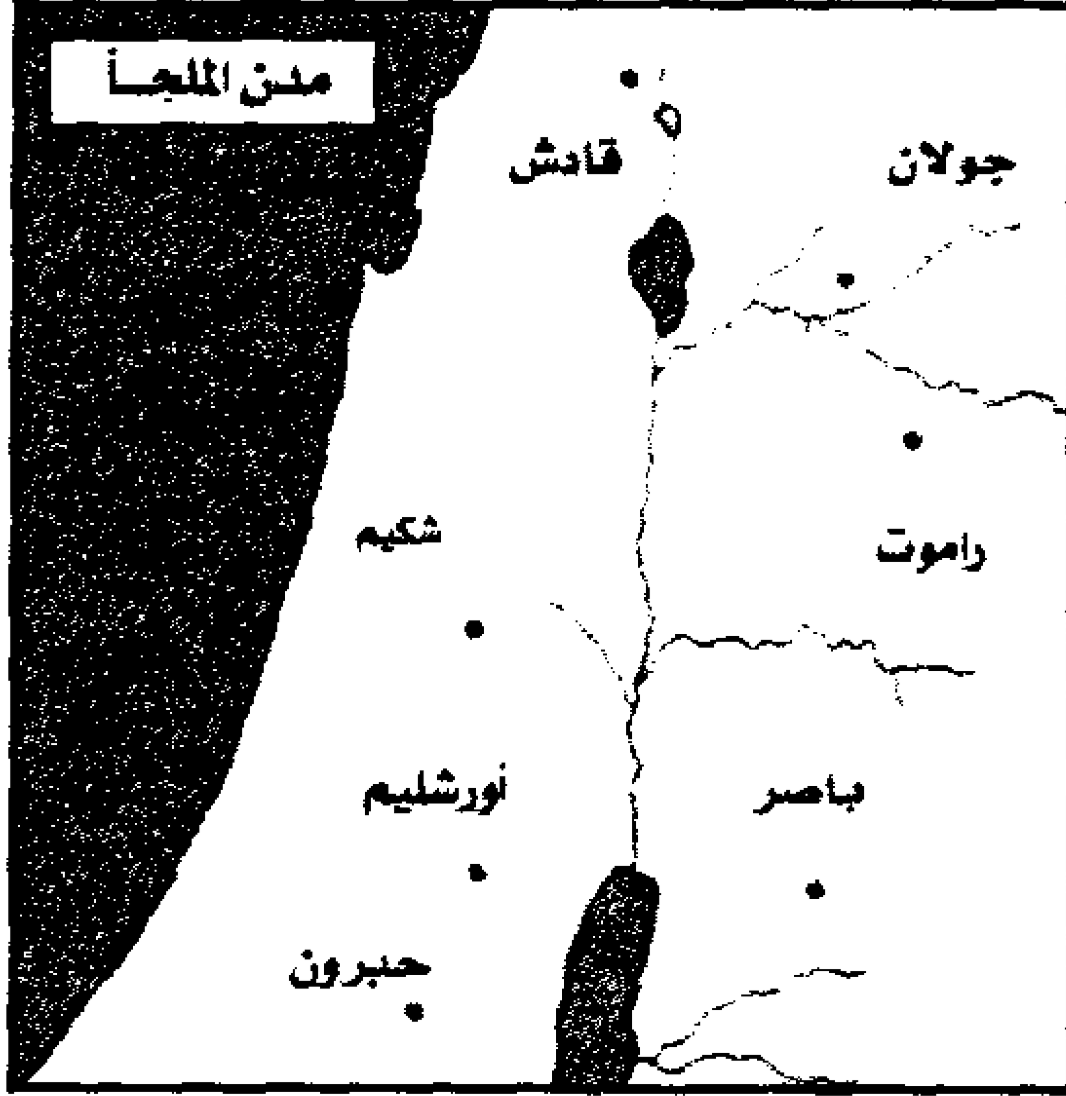
كمثال نقرأ في سفر الخروج «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي - خر ٢٠: ٣»، بينما هنا: الرب إلهنا ربّ واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك...

على قلبك، وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك، وأكتبها على قوائم أبواب بيتك - ٦: ٤-٩»



واعترف أنني منحاز إلى هذا السفر الثمين، فلا يشبع الفكر من ترديد كلماته ومعانيه، ولنقرأه معاً:
إن السفر يبدأ بأن يثير فيك الحيرة عن متى وأين ألقى موسى العظيم هذا الحديث «في عبر الأردن في العربة قبالة سوف بين فاران وتوفل ولابان وحضيروت وذي ذهب»، إنه لحقا توضيح للمكان! وزمان الكلام «أحد عشر يوماً من جبل حوريب على طريق جبل سعير إلى قادش برنيع»، علامة إستفهام أخرى! ويمكننا أن نقرر أن هذا الحديث المطول يشير إلى أحداث وقعت في أماكن متفرقة، والمؤكد أنه ألقى على أجزاء.
لا يضيع موسى وقتاً طويلاً في السرد، بل بعد إشارة إلى بعض الأحداث ينتقل إلى الأهم، ما هو وراء الأحداث، فهو يرى في تمرد الشعب على الرب وخوفهم من دخول أرض الموعد بعد ما سمعوه من الجواسيس ضعفاً في الإيمان «لستم واثقين - ١: ٣٢»، رغم عناية الرب بهم طوال الطريق وعجائبه اليومية معهم، حتى أنه حملهم «كما يحمل الأنسان إبنه - ١ : ٣١»، ويعلن لأول مرة، إرادة الرب أن يشوع هو الذي سيتولى القيادة بعده (سيؤكد موسى هذا أمام جميع الشعب - ١: ٣٨ + ٣١: ٧)، ثم يستأنف سرد الأحداث مشيراً إلى توجيه الرب هم بأن يدوروا في البرية متجهين شمالاً لاستهلاك الوقت حتى يفنى كل جيل البالغين الذي خرج من مصر، ومروراً بانتصارهم على عوج ملك باشان وسيحون الأموري في عبر الأردن وفي كل هذه الحروب يؤكد أن الرب هو الذى «يحارب عنهم - ٣: ٢٢ »، فلا مبرر إذن للخوف ولا للتباهي بالنصر، فأنظر وقارن يا إسرائيل «أي إله في السماء وعلى الأرض مثل الهك».
وواضح أن موسى النبي كان يلح على الله أن يدعه يدخل إلى كنعان، حتى أن الرب يقول له: كفاك، لا تعد تكلمني أيضاً في هذا الأمر، لكن الرب أعطاه أن يرى الأرض فحسب قبل أن يموت (تث ٣: ٢٦ و ٢٧).
وقبل أن يعدد موسى الشرائع، يوضح للشعب أن ما يميزه عن باقي الشعوب هو هذه الشريعة الحكيمة والعادلة، وأن الرب إلهه قريب منه (٤: ٦-٨)، مرة أخرى فضل الامتياز ليس لك أن تتفاخر به بل الفضل للرب. وسوف نرى موسى يكرر عدة مرات على إمتداد السفر وهو: أن استمرار إلتزام الرب بتعهداته مشروط بأن يلتزم الشعب بالوصية، فلا يجب لأى سبب أن ينسوا ما فعله الرب، ولعلنا نذكر أن الله أجرى هذه العجائب ليغرس مخافته في قلوب الشعب، إن عليهم أن ينقلوا هذه المعرفة من جيل إلى جيل، وكأنه يقرأ في كتاب مفتوح فيحذر أنه متى «أكلت وشبعت فأحترز لئلا تنسى الرب - ٦: ١١-١٣».

لقد سمعتم الوصايا، لم تروا صورة للرب فلا تصنع تمثالاً مثل الأمم، وليس المهم أن تحفظ الوصية لفظاً بل «فأعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الأله... ليس سواه - ٤: ٣٩»، فآلهة الأمم خشب وحجر، أما ربك فهو الإله الحي (٤: ٢٨ + ٥: ٢٦)، وحتى إن سقطت فباب التوبة مفتوح والله رحيم (٤: ٢٩-٣١).



يخصص موسى مدن الملجأ يلجأ اليها المذنب في قتل خطأ (ثلاث مدن في أرض كنعان وثلاث مدن في شرق الأردن)، ثم يعود فيردد الوصايا العشر كما هي تقريباً، ويذكرهم بمجد الرب الذي أرعبهم أمام جبل سيناء لعل هذا يكون حافزاً لهم أن يسيروا في طريق الرب و«لا تزيغوا يميناً ولا يساراً - ٥: ٣٢».

إن التمسك بالرب هو مفتاح البقاء في الأرض والتمتع بخيراتها «لبناً وعسلاً»، هذه الخيرات التى لم تتعب فيها بل أخذتها جاهزة، مرة أخرى ليس الفضل لك بل للرب، كل ما هو مطلوب منك هو ألا تخالط الشعوب الأخرى، ليس لأنك الأعظم، في الواقع هم أعظم منك، بل لأن الرب يحبك ويفي بوعده للآباء (٧ : ١-٩) (لعل سبب اختيار الرب لبني إسرائيل، أنهم شعب صغير، فيكون فضل القوة للرب وليس للناس)، ورغم أنهم أقوى منك فلا تخافهم، بل حطم أوثانهم فقوة الرب التى اختبرتها منذ خروجك تعمل معك «التجارب العظيمة ... والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة التي بها أخرجك الرب الهك - ٧: ١٩».

إن الخطر الرئيسي الذي يهدد الشعب، وأي إنسان، هو الكبرياء، فيؤكد موسى النبي مراراً أنه ليس لكم الفضل في أي شيء بل هي نعمة الرب. الآن يستطيع أن يفسر لهم لماذا كان هذا الطريق الصعب في القفر، ولماذا كل هذا العذاب من عطش وجوع ... لقد فعل بك الرب هذا ليؤدبك، ليربيك ويغرس في نفسك أن الله هو حياتك و«أنه ليس بالخبز وحده يحيا الأنسان» بل بكلمة الرب، فتتذكر أنك لا تصنع الثروة بذراعك بل الرب «هو الذى يعطيك قوة لإصطناع الثروة - ٨: ٣ و ١٨» (أية روعة!)

والله لا يفضلك على هذه الشعوب لأجل برك بل لأجل آثام الشعوب الأخرى، «ليس لأجل برك ... لأنك شعب صلب الرقبة»، وهل نسيت كيف أسخطت الرب مراراً ولولا أنه تراءف هلكت في البرية (٩: ٦-٢٩).

لقد أعطانا الرب فرصة أخرى، وكتب لنا لوحين آخرين للشريعة، ورتب لنا الكهنوت، وخصص اللاويين للخدمه، أما أنت يا إسرائيل فالمطلوب منك أن تحب الرب فتحفظ وصيته، وأن تختن قلبك وليس جسمك فقط، وأن تخضع للرب. حبوا كما أحببتم، أحبوا الغريب واليتيم والأرملة (١٠: ١٢-٢٢)، ولا يفوتك أن الأرض التى أنت داخل اليها ليست مثل مصر حيث الماء وفير، بل هنا الماء يأتيك من مطر السماء، «أرض يعتنى بها الرب إلهك، عينا الرب إلهك عليها دائماً من أول السنة إلى آخرها - ١١: ١٢»، عينا الرب تعتني وتراقب أيضاً، فإن حدت عن الوصية يغلق الرب السماء فتهلك سريعاً.

أخيراً يبدأ النبي العظيم في سرد الوصايا، ونقرا لأول مرة : أن مكانا سيحدده الرب لمسكنه، هناك فقط تقدم الذبائح، كل كيفما شئت لحماً لكن لا تأكل الدم، و إياك أن تتورط في عبادات الأمم حتى لو دعاك إليها

واحد من اخوتك «أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك» وحتى لو أعطاك «آية أو أعجوبة»، «فلا ترضَ منه ولا تسمع له ولا تشفق عليه ... بل قتلاً تقتله - ١٢: ٢٩ - ١٣: ١٨» ولو كانت مدينة بأسرها.
أنتم أولاد للرب الهكم، فأحرصوا على سلامة أجسادكم، لا تجرحوها لأي سبب ولا تأكلوا من الحيوانات النجسة، أما عشورك فقدمها للغريب واليتيم والأرملة وأيضاً إلى اللاويين. كل سبع سنين تسقط الديون التي لك وتطلق العبراني من عبيدك حراً، ولا تقسو على الفقير واقرضه حتى ولو كان القرض لن يرد، وأعلم أنه مهما زاد الخير في أرضك فلن تخلو الأرض من محتاج (١٥: ١-١٨).



قدس بكورك واحفظ أعيادك، الفصح والأسابيع والمظال، كل في وقته، فتحضر أنت وأولادك أمام الرب، ولا تحضرون فارغين « كل واحد حسبما تعطي يده كبركة الرب الهك التي أعطاك- ١٥: ١٩- ١٦: ١٧».
أقم قضاة وعرفاء يتبعون العدل وإليهم تلجأ للفصل في دعواك، وإذا لم تصل إلى حل إذهب إلى مسكن الرب وخذ حكم الكاهن والقاضي، واخضع له، ومن لا يخضع يصير عبرة للكل (١٦: ١٨ - ١٧: ١٣).
وإذا قررت أن تقيم لك ملكاً، فالرب يختاره لك من أخوتك، بشرط أن يلتزم بالشريعة «ويقرأ فيها كل أيام حياته- ١٧: ١٩» فلا يسعى وراء الذهب أو النساء، ولا يتكبر ... ولا يحيد عن الوصية.
الرب هو نصيب الكهنة واللاويين، يأخذون نصيباً من الذبائح والتقدمات، ويأخذون البكور وبعض العشور (١٨: ١-٨). وإياك أن تحاكي الأمم في العرافة والسحر والتعامل مع الجان، وسيظهر لك أنبياء فتسمع لهم، وسيتميز النبي الصادق بأن ما يعلنه الرب على فمه يتحقق أما النبي الكاذب فلا تتبعه (١٨: ١٥-٢٢).
القاتل خطأ دون تعمد «غير مبغض له منذ أمس» يلجأ إلى مدن محددة، أما القتل العمد فلا مهرب من عقابه، لا توسع أرضك على حساب نصيب أخوتك. وعلى القضاة أن يفحصوا الخصومات جيداً ولا يأخذوا بشاهد واحد، «عين بعين وسن بسن» وشاهد الزور عليه عقوبة الجريمة التى يلفقها لأخيه (١٩: ١-٢١).
ومتى خرجت للحرب، على الكاهن أن يشجع الخارجين، والذهاب يكون تطوعاً، ومن له ظروف خاصة لا يذهب، (في النهاية النصر بقوة الرب). لا تشفق على الأمم لكن لا تتلف الزروع أثناء حربك (٢٠: ١-٢٠).
ثم ينطلق موسى يسرد شرائع متنوعة نلاحظ فيها بصفة عامة روح العدل والرحمة والقناعة واللياقة والحرص على التماسك الأجتماعي، ونرى صياغة لبعض التقاليد القبلية بشكل أكثر تحضراً، فالشعب ما زال أمامه طريق طويل للنمو في الرب وفي الحضارة أيضاً؛ أنظر كيف يتعامل مع قضية الثأر (٢٤: ١٦ + ٢١: ١-٩)، وقضية العرض (٢٢: ١٣-٢٨)، وكيف يحذر من صور الفساد، التي شاعت في بعض القبائل (تث ٢٢: ٥ + ٢٣: ١ و١٧) و من محاكاة الكنعانيين في ممارساتهم الوثنية (٢٢: ٩-١١). ثم نرى شريعة حفظ إقامة النسل للرجل الميت، وكانت معروفة من أيام الآباء (تك ٣٨: ٨ + تث ٢٥: ٥-١٠).
إن الشريعة لم تغلق باب التعامل مع الأمم، ولا أساس لما وصلت إليه تقاليد اليهود في العصور المتأخرة، بل

أنظر موسى يقول «لا تكره أدومياً لأنه أخوك، لا تكره مصرياً لأنك كنت نزيلا في أرضه - ٢٣ : ٧»، وقد سبقت الإشارة إلى حصول الغريب المقيم وسط الشعب على كل الحقوق حتى أكل الفصح (ما دام مختتناً).
أدرك موسى أن هناك أموراً غامضة في الفرائض التى كان على الشعب أن يلتزم بها ، فكيف كان لأحد أن يفهم معنى طقوس يوم الكفارة أو تطهير الأبرص، لذا نرى الحكمة الإلهية في قول موسى:
«السرائر للرب إلهنا، والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة ـ ٢٩: ٢٩»

والآن يعلن موسى البركات لحافظ العهد واللعنات على من يكسر العهد، ثم يختتم: «**أن هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك ليست هي في السماء.. ولا هى في عبر البحر.. بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها.. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر.. البركة واللعنة فأختر الحياة.. إذ تحب الرب إلهك وتسمع صوته وتلتصق به لأنه هو حياتك** ٣٠: ١١ـ٢٠»

ويكتب التوراة ويسلمها إلى الكهنة لتقرأ مرة كل سبع سنوات في عيد المظال فهي عهد الرب مع كل الأجيال، ويتلو عليهم نشيداً يسوده الحزن على ما أعلمه الرب أنه سيصيب الشعب بسبب انحرافه العتيد أن يكون. على أية حال يبارك موسى الشعب ويلقي نظرة أخيرة على كنعان، الأرض التى اجتاز الأهوال لكي يصل اليها، وفي النهاية لا يدخلها، وإذ أكمل رسالته يموت ويدفن في أرض موآب ويختفي قبره حتى اليوم.



موســـــى النـــــبي

والآن هل ننهي الكلام عن أسفار موسى دون أن نتحدث عن موسى !

إذا قبلنا الحساب الزمني الذي يجعل من تحتمس الأول هو الفرعون الذى إضطهد الشعب، فإن إبنة فرعون التى ربت موسى هي في الغالب حتشبسوت التى كانت تحكم عندما كان تحتمس الثالث صغيراً إذ لم يذكر إسم أى ملك في هذا الفصل، و إنما ذكر الملك عندما كبر موسى (خر ٢: ١٥). فينشأ موسى متهذباً بكل حكمة المصريين، ومن التنعم في قصر فرعون إلى البرية القاحلة في مديان كراع. خبرات متنوعة أهلته أن يتولى المسئولية الثقيلة ليقود الشعب غليظ الرقبة، لقد تميز موسى بحلمه الطويل وهو الذى ثار يوماً ليقتل أحد المصريين، بل ونرى النبي وهو يتشفع مراراً وتكراراً أمام الرب لأجل الشعب المتعِب. ويواجه موسى ما يفوق طاقته حتى أخطأ عند ماء «مسة ومريبة» فيفقد فرصته في الدخول إلى أرض الموعد.

إن حكمة الرب الواسعة اقتضت أن يزود موسى بهيبة فائقة؛ فنرى الضربات لا تنزل إلا بأمره، ولاترفع إلا بأمره، ونرى الرب يوبخ مريم وهرون ويضرب مريم أخت موسى بالمرض لمجرد أنها انتقدت زواج اخيها، ولا يصفح عنها إلا بشفاعة موسى. ثم نرى عجباً، حين يوافق الرب على إقتراح يثرون حمو موسى، بتكليف ٧٠ من شيوخ الشعب لمساعدته في تسيير أمور الناس، و إذا بالرب يطلب منه إحضارهم أمامه ليأخذ من الروح الذى عليه ويعطيهم، وهو الرب معطي كل المواهب (عد ١١: ٢٤و٢٥) و نعلم مما نقرأه أن موسى كان يصلي لكي يسمح له الرب بدخول الأرض، ويبدو أن موسى كرر هذا الطلب، فيقول له الرب: «كفاك لا تعد تكلمني أيضاً (مرة أخرى) في هذا الأمر. إصعد... وأنظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الأردن - تث ٣: ٢٦».



وفي موسى نرى الإنسان حين يدرك ضعفه ويطرحه أمام الرب فإذا بضعفه قوة. فيولد في جو من الخوف، ويطرح وهو بعد رضيع على وجه المياة، ويقضي فترة رضاعته مع أمه في بيت عبرانى فقير، ثم ينتقل لينمو رجلاً في قصور فرعون الباذخة، ويتهذب بكل علوم مصر العريقة، وفجأة يتورط في جريمة قتل ويصبح هارباً مطارداً. ثم نراه راعياً للغنم لمدة أربعين سنة، خادماً عند شيخ مديانى حكيم، زوجاً وأباً في بلاد غريبة، وإذا بهذه الخبرات المتنوعة ينظمها روح الرب ليصنع منها خادماً يشهد له الكتاب أن ليس له مثيل «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه - تث ٣٤: ١٠».

سياحة في العهد القديم
القسم الثاني

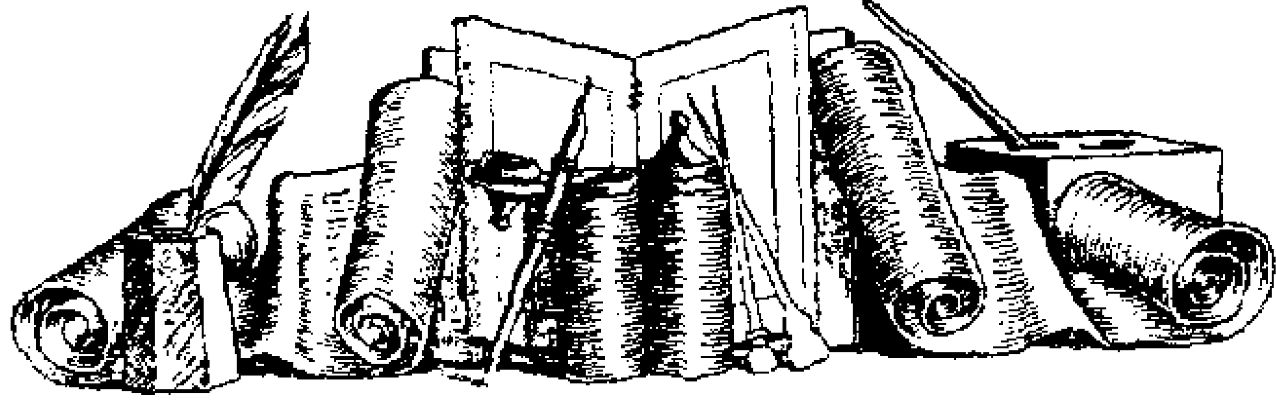
غـــزو كنــــعان

من هـو يشـــوع
إيمـان راحــاب
عبور نهر الأردن
الختان عار مصر
ســقوط أريـــحا
العقاب الجماعي
الحــل الوســـط
معركة الجنوب
معركة الشمال
تقســيم الأرض

غـــزو كنـــعان

من هو يشوع

اول ما نسمع عن يشوع أنه خادم موسى، كما نعلم أنه من سبط أفرايم، اختاره موسى ليكون رفيقاً له. وكان يشوع قريباً من موسى في أكثر من مناسبة: فقد لازم موسى عند جبل حوريب، وهو واحد من الاثني عشر الذين اختارهم النبي العظيم ليتجسسوا أحوال أرض كنعان عندما بلغ الشعب الى مشارفها بعد حوالى عامين من خروجه من أرض مصر، وكان هو وكالب الوحيدان اللذان عارضا قول العشرة الآخرين مشجعين الشعب على الثقة في وعود الرب. حضر يشوع مواقف عديدة مع موسى: عندما تمرد عليه قورح وجماعته، وعندما حل الروح القدس على الشيوخ الذين اختارهم موسى لمعاونته في ادارة شئون الشعب. وقاد الشعب في الحرب ضد عماليق في رحلة البرية (خر ١٧: ٨-١٤)، كما رافق موسى في جزء من رحلته صاعداً ليتسلم الشريعة من يد الرب (خر ٣٢: ١٧). وحين انتهت مهمة موسى أمره الرب بتسليم المسئولية الى يشوع وتم هذا أمام جميع الشعب (عد ٢٧: ١٨-٢٣).



من هنا ندرك معرفته التامة بمعاناة موسى في قيادة هذا الشعب غليظ الرقبة دائم التمرد، لذا في بداية تقدمه لعبء القيادة نرى الرب يشجعه مرات عديدة، فنفهم بوضوح أنه كان متخوفاً من المسئولية.

"كما كنت مع موسى أكون معك... لا أهملك ولا أتركك. تشدد وتشجع جداً لكي تتحفظ للعمل حسب كل الشريعة... لا تمل عنها يميناً ولا شمالاً لكي تفلح حيثما تذهب. لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيه ليلاً ونهاراً لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه... أما أمرتك تشدد وتشجع لا ترهب ولا ترتعب لأن الرب الهك معك حيثما تذهب. ١: ٥ - ٩"

كان وعد الرب ليشوع أن يكون معه كما كان مع موسى، وكان الشرط الوحيد هو أن يتحفظ أي يلتزم تماماً بوصايا الرب؛ (لاحظ التكرار في الأمر)، والتأكيد عليه بألا يخاف، وقد لازم هذا التحفظ يشوع حتى النهاية، مدعوماً بالتجربة العملية لمساندة الرب، فبدون التدخل الإلهي كان مصير الشعب هو الهلاك المحتوم.

ما أن وصل الشعب الى شاطئ الأردن، حتى يُذكِّر يشوع سبط راؤبين وسبط جاد ونصف سبط منسى باتفاقهما مع موسى النبي، بأن يساعدوا اخوتهم في دخول الأرض قبل أن يعودوا للإستقرار في نصيبهم في شرق الأردن. ويجب ألا يتعجب القارئ من تركهم لنساءهم وأطفالهم في أرض غريبة فمن الأصحاح الأول في سفر العدد: نعلم أن عدد رجال الحرب في سبط راؤبين كان ٤٦٥٠٠ وفي سبط جاد ٤٥٦٥٠ ونصف رجال الحرب في سبط منسى ١٦٠٠٠ فيكون المجموع حوالي ١٠٨٠٠٠ بينما الذين عبروا من هذه المجموعة مع يشوع كانوا ٤٠٠٠٠ أي أقل من نصفهم، فنفهم أن باقي رجال الحرب بقوا في شرق الأردن حراساً على عائلاتهم وهو موقف طبيعي لا يلام عليه أحد.

أرسل يشوع جاسوسين الى أريحا قبل عبور الأردن، وكانت الأبواب تفتح من الشروق حتى الغروب كعادة ذلك الزمان (يش ٢: ٥)، وكان طبيعياً أن يتجها الى امرأة مثل راحاب فهي التي يمكنها أن تستقبل أغراب. (الكلمة العبرية التي تصف راحاب تترجم الى «زانية» أو الى «صاحبة فندق» ولعل راحاب قد جمعت بين الصفتين في آن واحد، إلا أنها توصف في العهد الجديد بكلمة يونانية لها معنى واحد فقط «زانية»).
كان رجال أريحا في حالة من التأهب أو التوتر فاهتموا بمعرفة الغريبين اللذين وصلا الى أريحا، لكن راحاب، في مقابل تأمين حياتها وحياة أسرتها، تمكنت من إنقاذ الجاسوسين وأتاحت لهما فرصة الهرب.

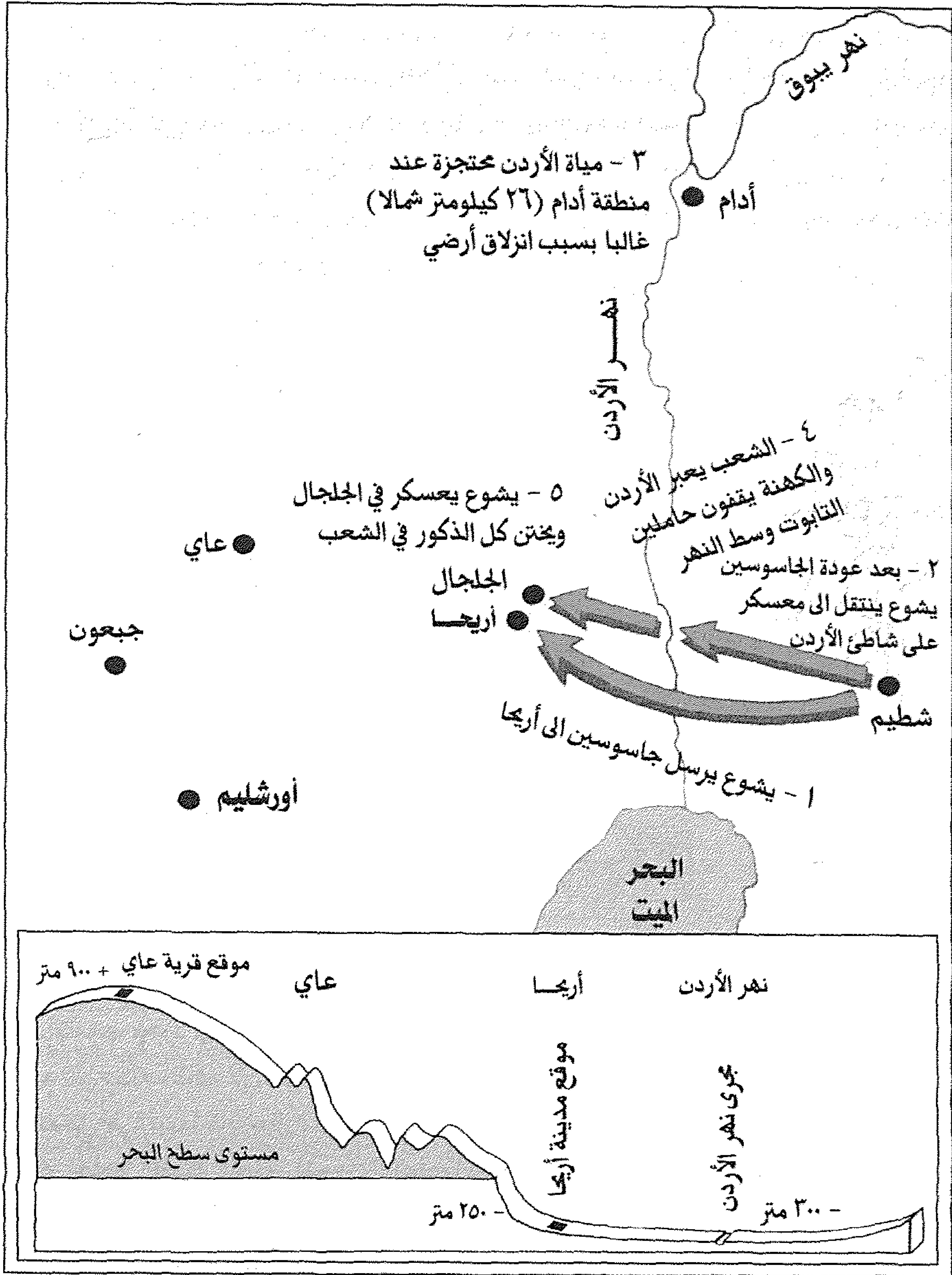
لماذا فعلت راحاب هذا؟

السبب تذكره راحاب نفسها: أنها كانت موقنة من سقوط أريحا في يد العبرانيين. وللمرة الثانية لماذا؟ لأن أنباء عبور بني إسرائيل لبحر سوف بطريقة معجزية كانت قد ذاعت في كل المنطقة. (أنظر «الخروج» حين تساءلنا عن سبب تعدد الضربات؛ لقد كان الهدف هو زرع هيبة الرب في قلوب جميع الشعوب).
إن إيمان راحاب استحق الإشادة به فيما بعد (مت ١: ٥ + عب ١١: ٣١)، فلم تكن المسألة مجرد خوف، بل كان إيماناً واعياً بإله إسرائيل «لأن الرب إلهكم هو الله في السماء... وعلى الأرض - يش ٢: ١١»، وحين طلبت من الرجلين أن يقسما قالت «إحلفا لي بالرب». تصرف الرجلان بذكاء فانطلقا الى الجبال، عكس الاتجاه المتوقع، وبعد توقف المطاردة، عادا لعبور الأردن وقاما بطمأنة يشوع وسائر الشعب.



عبور الأردن

كان ينبغي أولاً عبور الأردن قبل الهجوم مع أريحا، وطبقاً لأوامر الرب، تقدم الكهنة حاملين التابوت، لينشق الأردن أمامهم، بمجرد أن وضعوا أقدامهم في مياة النهر، وظلوا في مكانهم حتى عبر الشعب كله، وهي مدة لن تزيد عن عدة ساعات، لأن نهر الأردن في مقابل أريحا لا يزيد عرضه على أمتار قليلة، وإن استحال عبوره بدون تدخل إلهي، بينما قام رجال ممثلون للأسباط بأخذ إثنا عشر حجراً من قاع النهر نُصبت فيما بعد في معسكر الجلجال كتذكار للعبور المعجزي. [عندما نقرأ عن هذه الحجارة الاثني عشر، يبدو أن ما كتب في الأصحاح الرابع عبارة عن دمج لنصين كتبا قبل تجميع السفر وحفظه (يش ٤: ٤و٩)].
ولنلاحظ قول الرب ليشوع أنه سيعظمه في عيون بني إسرائيل، ولعل كثيرين منهم كانوا ينظرون الى يشوع على أنه مجرد خادم لموسى، لكن الرب أوفى بعهده ليشوع وفعل معه كما فعل مع موسى، فكما عبر موسى البحر سيعبر يشوع الأردن، وفي المرتين كان العبور ليس بقوة موسى ولا بقوة يشوع بل بقوة الرب القدوس.
يذكر الكتاب أن مياه الأردن وقفت عند مدينة «أدام»، وهي منطقة يحدث فيها انزلاقات أرضية، فلعل جانباً من سفح المرتفعات انزلق بأمر الرب ليوقف المياه، حتى يعبر الشعب.



عبر الأردن: على امتداد الكتاب المقدس كانت كلمة عبر الأردن يشار بها الى شرق الأردن، لكن هنا سجل الكاتب معنى عكسياً وحتى يتجنب سوء الفهم أضاف كلمة غرباً (يش ٥: ١)، ويؤكد هذا أن الكاتب كان شاهد عيان، خاصة وهو يقول «حتى عبرنا».

الهدف من المعجزات: كانت المعجزات تحقق ثلاثة أهداف:
١. فهي أولاً تقوم بحل مشكلة حقيقية لا يتوافر لها حل في قدرة البشر.
٢. وهي ثانياً تعلن لكل الأمم عن جبروت الرب القادر على كل شئ.
٣. وهي أخيراً تغرس في ذهن الشعب نفسه مخافة الرب وخشيته.
«لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام. يش ٤: ٢٤»، وهو ما ظهر واضحاً في رد فعل ساكني الأرض: «وعندما سمع جميع ملوك الأموريين الذين في عبر الأردن غرباً وجميع ملوك الكنعانيين الذين على البحر أن الرب قد يبس مياه الأردن من أمام بني إسرائيل حتى عبرنا ذابت قلوبهم ولم تبق فيهم روح بعد – يش ٥: ١»

الأموريون

كان لقباً يطلق بصفة عامة على القبائل القوية التي سكنت الجبال، بينما كان سكان السهول الذين يعملون أساساً بالصيد والزراعة والتجارة يسمون كنعانيين، وسوف نجد أن علاقة مصلحة متبادلة كانت قائمة بين محاربي الجبال (الأموريين) ومزارعي السهول (الكنعانيين)، وفي بعض الأحيان يطلق لقب الأموريين على جميع سكان كنعان (تك ١٥: ١٦).

الختان – عار مصر !

وبينما الأموريون والكنعانيون في حيرتهم وخوفهم، كانت الفرصة متاحة ليشوع ليتمم طقساً أساسياً. كان التزام يشوع بأن يحفظ بالشريعة، ومع اقتراب عيد الفصح، دافعاً لحل مشكلة الختان. فقام يشوع بعملية ختان جماعية لكل من ولدوا في البرية، أو في الواقع كل الشعب باستثناء أفراد قلائل لأن كل البالغين المختونين الذين خرجوا من مصر قد ماتوا في البرية بترتيب من الرب بعد تمردهم على موسى النبي، ولما كان الطفل يختن في اليوم الثامن، فالمؤكد أن كل بالغ خرج من مصر كان مختتناً. وقد استخدمت سكاكين من الصوان لإجراء الختان، وهو نفس الأسلوب الذي كان المصريون يستخدمونه منذ آلاف السنين. لكن اعتبار عملية الختان إزالة لعار مصر أمر يحتاج الى إيضاح:
نتيجة لتمرد الشعب عاقبهم الرب بحرمانهم من دخول الأرض، معلناً غضبه عليهم بأن كل من في سن العشرين فما فوق سوف يهلكون في البرية. رغم غضب الرب لم يحرم الشعب من عطاياه فظل المن ينزل من السماء طعاماً للشعب، وظل عمودا النار والسحاب يطمئنان الناس أن الرب معهم. لكن طالما ظلت بقية من هؤلاء المتمردين كان من غير اللائق ممارسة طقس الختان لمن ولدوا خلال رحلة البرية، وعقاب الرب لم يكتمل بعد. لقد حمل الأطفال عار آبائهم الذين رفضوا تصديق وعود الرب وطلبوا العودة الى مصر، ولازم هذا العار أبناءهم في صورة عدم ختانهم. الآن بعد أن هلك جيل الآباء آن الأوان لرفع الغضب الإلهي عن نسلهم، وتأكيد عهد الرب معهم، وطمأنتهم أن شركتهم مع الرب قائمة وأن عار آبائهم قد زال عنهم، ولنفهم أن غضب الرب عار على المغضوب عليهم نقرأ «وينزع عار شعبه – أش ٢٥: ٨».

عندما خرج الشعب من مصر، كانت معايرة المصريين هم أن إلهكم قد أخرجكم الى البرية ليهلككم هناك، وهو ما عبر عنه موسى في توسله الى الرب عقب تمرد الشعب: «يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب الى الأرض التي حلف هم قتلهم في القفر. عدد ١٤: ١٣-١٥» (انظر أيضاً: خر ١٤: ١١-١٣ + ١٦: ٣ + ١٧: ٣-٤).

وعندما وصل الشعب الى مقابل أريحا في شرق الأردن كانت كلمة الرب قد تحققت، وكان كل البالغين الذين خرجوا من مصر قد هلكوا، لكن موسى لم يقم بختان الشعب، لأنه هو نفسه قد طاله نصيب من الغضب حين حرم من دخول الأرض، ولعل هذا هو السبب في قول الرب ليشوع: «اختن بني إسرائيل ثانية» وكأنه قد سبق هم الختان، لكن المقصود على الأرجح: لنبدأ صفحة جديدة مع هذا الجيل الذي تفتح وعيه في البرية.

كان في ممارسة الختان إعلان عن استعادة الصلة الكاملة مع الرب وانقضاء الغضب الإلهي، وتجلى هذا بشكل ملموس في عبور الأردن وتحقيق الرب لوعده بدخولهم الأرض. وبإتمام ختان الشعب تأكد أن عقاب الجيل السابق قد اكتمل، وأن العلاقة بين الرب وشعبه قد عادت كما كانت يوم الخروج.

واحتفل الشعب بعيد الفصح احتفالاً كان له مذاق خاص، فهم قد دخلوا أرض الموعد، بل وأكلوا من غلتها؛ والرب الذي عبر بهم البحر وأطعمهم أربعين سنة في البرية، ثم اجتاز بهم الأردن، معهم كل حين، وها هم على وشك امتلاك الأرض التي وعد بها آباءهم. ويلفت النظر أن المن قد توقف بمجرد توفر الطعام من غلة الأرض، فالمعجزة لا تحدث إلا لضرورة.

رئيس جند الرب

بينما يشوع أمام أريحا، نظر فرأى رجلاً سيفه بيده، لم يخف منه يشوع بل اقترب منه ليسأله: هل انت معنا أو ضدنا؟، فقال له: «انا رئيس جند الرب الآن اتيت. فسقط يشوع على وجهه الى الأرض وسجد - يش ٥: ١٣-١٥». يؤكد الآباء في كتاباتهم أنه كان أقنوم الكلمة (الابن) في تجسد مؤقت، لذا قبل السجود من يشوع، ولكن هناك دليل مباشر من النص: فرئيس جند الرب يطلب من يشوع أن يخلع نعليه، مما يذكرنا بكلام الرب لموسى حين تجلى له في العليقة المشتعلة. ولو تجاوز القارئ الجملة الاعتراضية في ٦: ١، ستجد استمراراً للحوار: «فقال الرب ليشوع - يش ٦: ٢» إذن من ظهر ليشوع ووصف نفسه برئيس جند الرب هو الرب نفسه، ولكن لماذا لم يذكر الرب اسمه مباشرة، لا نعلم! لكننا نعلم أن يسوع المسيح لم يصف نفسه أبداً بأنه الرب، بل كان يسمى نفسه دائماً «ابن الإنسان».

كان خلع النعلين إشارة الى الاتضاع أمام الرب، وتؤكد الشريعة أن على كل من يدخل الى المقادس يجب عليه أن يكون حافي القدمين، ربما لأنها عادةً ما تكون متسخة بما يمكن أن يسئ الى المكان المقدس.

سقوط أريحا

رتب يشوع الشعب للتحرك وأعلن ذلك بواسطة العرفاء (المنادون الذين كانوا يعلنون الشعب عن طريق التجول بينهم فقد كانت هذه هي وسيلة الإعلان المتيسرة وقتها). تلقن يشوع من الرب ما يجب أن يفعله، ثم بدأ التنفيذ بالدوران حول المدينة مرة كل يوم لمدة ستة أيام ثم سبع مرات في اليوم الأخير. وكان ترتيب الموكب: المتجردون، ثم الكهنة يحملون تابوت العهد ثم الساقة، وليس كل الشعب، لكن عندما ضربت الأبواق لتعلن سقوط المدينة شارك كل الشعب في ذلك الهجوم: «وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة- يش ٦: ٢٠»، وعلى الأرجح المقصود بالمتجردون هم المحاربون من سبطي راؤبين وجاد ونصف سبط منسى، والساقة هم المحاربون من باقي الأسباط، وكان تابوت العهد يتوسط المسيرة. (الترجمة الحرفية للكلمتين هي: المتجردون = حاملي السلاح، الساقة = مؤخرة الجيش).

قد نتساءل عن امكانية أن يدور الناس سبع مرات حول المدينة في نهار واحد، لكن الاكتشافات الأثرية في موقع أريحا القديمة أوضحت أن التل القائم مكانها يبلغ محيطه حوالي ١٢٠٠ متر، سبع أضعافها يزيد قليلاً على ثمانية كيلومترات وهي مسافة يمكن للفرد العادي أن يقطعها سيراً في زمن ساعتين الى ثلاث ساعات، فما بالك بمن تمرسوا على السير في البرية لسنوات!

ما أن اكتملت الدورات السبع حتى هتف الشعب كله فانهار السور، واقتحم الشعب المدينة. ولا توجد إشارة في الكتاب المقدس على حدوث زلزال؟، لكن من الثابت علمياً أن وادي الأردن منطقة زلازل لأنه يقع في الطرف الشمالي للفالق الشرقي العظيم الذي يمتد من سفح جبل حرمون حتى هضبة البحيرات في وسط إفريقيا، ولو فرضنا حدوث زلزال فلا شك أن تدخل الرب واضح في توقيت الزلزال مع هتاف الشعب.

كانت تعليمات الرب واضحة بقتل كل حي داخل المدينة دون تفريق بين رجل أو إمرأة، شيخ أو طفل، إنسان أو حيوان. باستثناء راحاب الزانية ومن لجأ الى بيتها، ومن الصعب أن نستوعب حكمة الرب في هذا الأمر لو لم نفهمه في إطار مفهوم العدل الإلهي وهو ما ناقشناه قبلاً. ثم يعلن يشوع لعنة على من يعيد بناء أريحا، وهو ما حدث بالفعل في أيام آخاب الملك (١ مل ١٦: ٢٦).



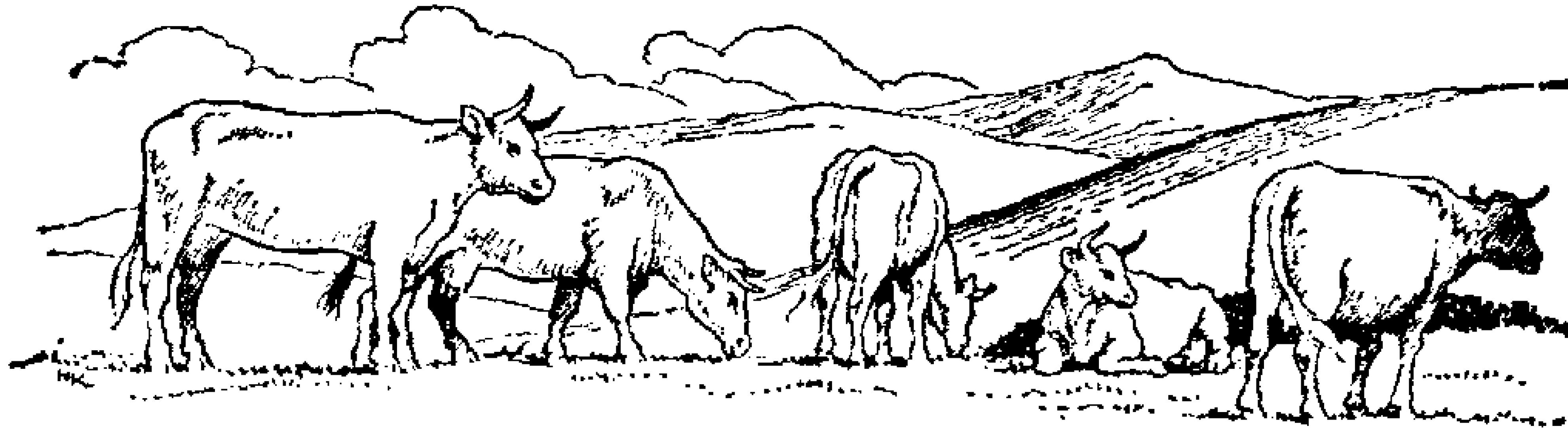
الخيانة الفردية والعقاب الجماعي

رغم التعليمات الواضحة: «كل الفضة والذهب... تكون قدساً للرب - يش ٦: ١٩» طمع عاخان بن كرمي في الغنيمة (ذهب وثياب نفيسة... أشياء لم يرها منذ كان طفلاً في أرض مصر)، فماذا كانت النتيجة؟

أرسل يشوع جواسيس ليتعرفوا على أحوال قرية «عاي»، فعادوا بأخبار مطمئنة، أن سكان القرية قليلون، ولا داعي لتحريك الشعب كله، بل يكفي أن نرسل ألفين أو ثلاثة آلاف رجل، وبالفعل هاجم عاي ثلاثة آلاف رجل، لكن يا للمفاجأة إذا بهم ينهزمون أمام أهل القرية الصغيرة، ويلفت النظر أن المهاجمين كان ثلاثة آلاف، بينما انحصرت الخسائر في ٣٦ رجلاً، مما يجعلنا نستنتج أن الرعب قد دب في هؤلاء الآلاف فهربوا، إذن النصر ليس بقوة الجنود، بل بقوة رب الجنود. وسرعان ما انتشر الخوف كوباء بين الشعب:

«فذاب قلب الشعب وصار كالماء- يش ٧: ٥». كانت هذه هي الهزيمة الثانية التي يواجهها الشعب منذ أن خرج من أرض مصر. كانت الهزيمة الأولى في «حرمه»، لكنها كانت بسبب عصيان جماعي (عد ١٤: ٣٩-٤٥)، أما هذه المرة فقد أخطأ فرد وعوقب شعب! طمع عاخان في بعض أشياء ثمينة وجدها في أريحا، ولم يعلم أحد بما فعل، وكان العقاب فورياً، فانهزم الشعب أمام قرية عاي وهي أصغر بكثير من أريحا مدينة النخيل، بل ودفع عدد من أبناء الشعب حياتهم ثمناً في هذه الهزيمة التي جلبها عليهم الرب.

ورغم أن الناموس يأمر بوضوح «لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل. تث ٢٤: ٢٦»، إلا أننا نرى عقاباً يشمل المخطئ وأولاده، ولا مجال هنا لطرح أي تفسير يخالف النص الصريح للكتاب المقدس، لكن النص السابق يشير الى الجرائم العادية، لذا لا ينطبق على حالة عاخان بن كرمي وما يشابهها من حالات. لقد سرق عاخان من الغنيمة ثم طمرها في الخيمة وهو أمر يصعب إخفاؤه عن أسرته، وبتصرفه هذا جعل منهم شركاء في الجريمة والتعدي على أمر مباشر من الرب، لذا وقع الحرم عليهم جميعاً، ومعهم أيضاً الماشية المملوكة لعاخان!



ولكن ما ذنب الماشية حتى تقتل وهى بلا إرادة أو عقل من الأساس؟

نعلم أن الإنسان هو كاهن الخليقة، وهو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يشكر الرب على عطاياه ويستمطر رحمته على المخلوقات، فبسقوطه أيضاً تسبب في ضرر بالغ للطبيعة المادية:

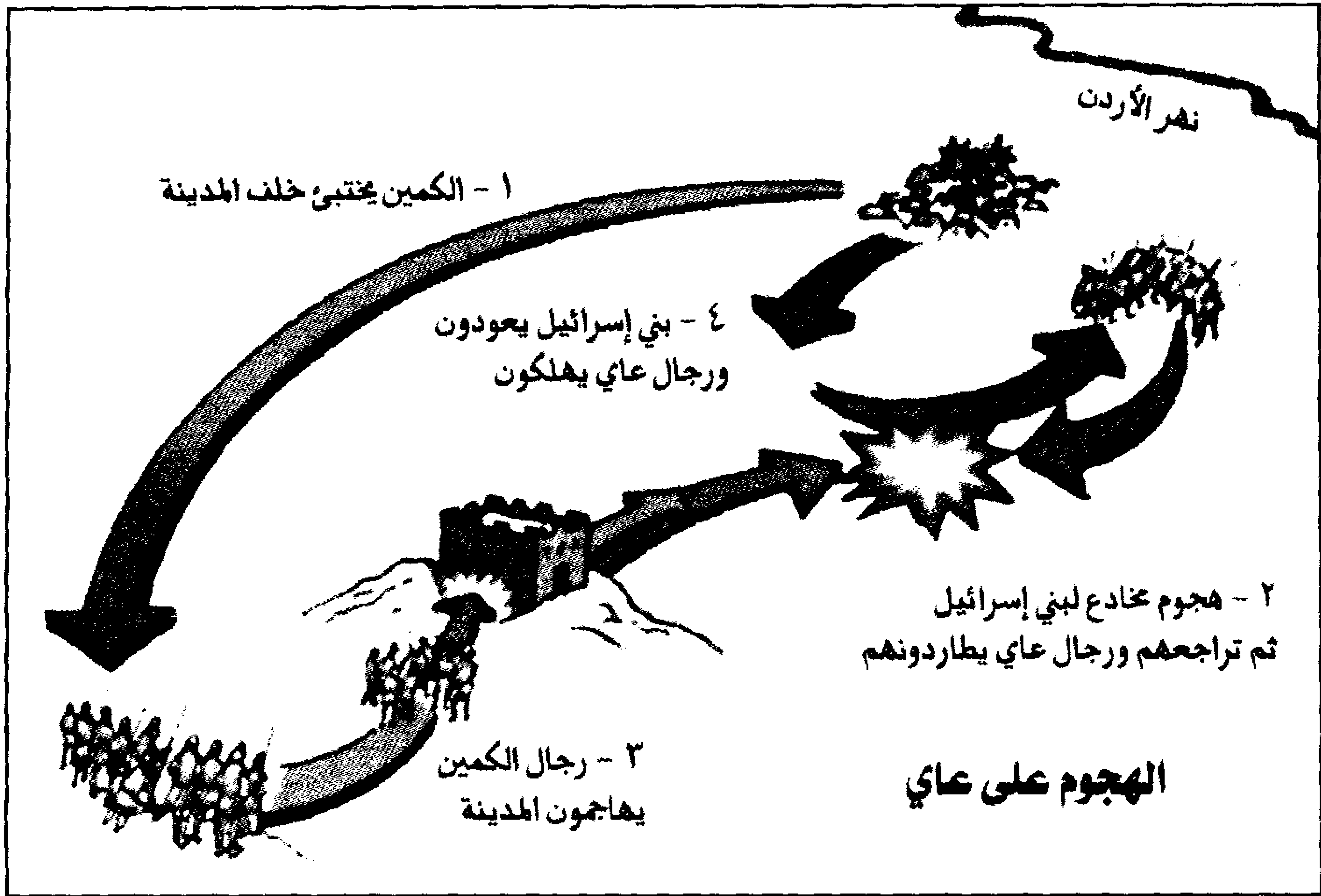
لقد صرخت الأرض (مجازياً) عندما قبلت دم هابيل البار إذ قتله اخوه (تك ٤: ١٠)، والشجر يصفق وتشيد الجبال ترنماً عندما يحين خلاص الرب للإنسان (أش ٥٥: ١٢). أنظروا كيف تحول الخليقة المادية وجهها عن الإنسان (إن جاز التعبير)، عندما يبتعد عن الله، فتحدث المجاعات والزلازل والعواصف: «ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص ان تعمل بجميع وصاياه... تكون سماؤك... نحاساً والأرض التي تحتك حديداً، ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك- تث ٢٨: ١٥-٢٤»

هل هذا الفهم يبدو معقولاً أم أنني قد ذهبت بعيداً؟ لا أعلم، لكنني أعلم أن الخليقة المادية (الحيوان والنبات والجماد) كانت المجال الأول الذي فيه استعلنت محبة الله للإنسان، وأن الكون تم إعداده بشكل فائق قبل خلق الإنسان، هي منظومة متكاملة إذن، عندما يختل تاج الخليقة وأهم إعضائها لابد أن تختل المنظومة كلها.

أنظروا الآن والكون يعاني من غلو الإنسان وإسرافه وتطرفه وتلويثه للأرض والبحار والسموات..

كان عقاب الخيانة هو الهزيمة المذلة أمام قرية صغيرة. ولا شك أن تحريك يشوع جيشاً من ٣٠ ألف رجل لمواجهة أقل من ستة آلاف رجل هم رجال عاي سببه حرصه الزائد بعد النكسة المفاجئة!

ولكن ما ذنب الذين قتلوا في المعركة؟ هذا سنناقشه لاحقاً. لماذا يتحمل الشعب كله عاقبة خطية فرد؟

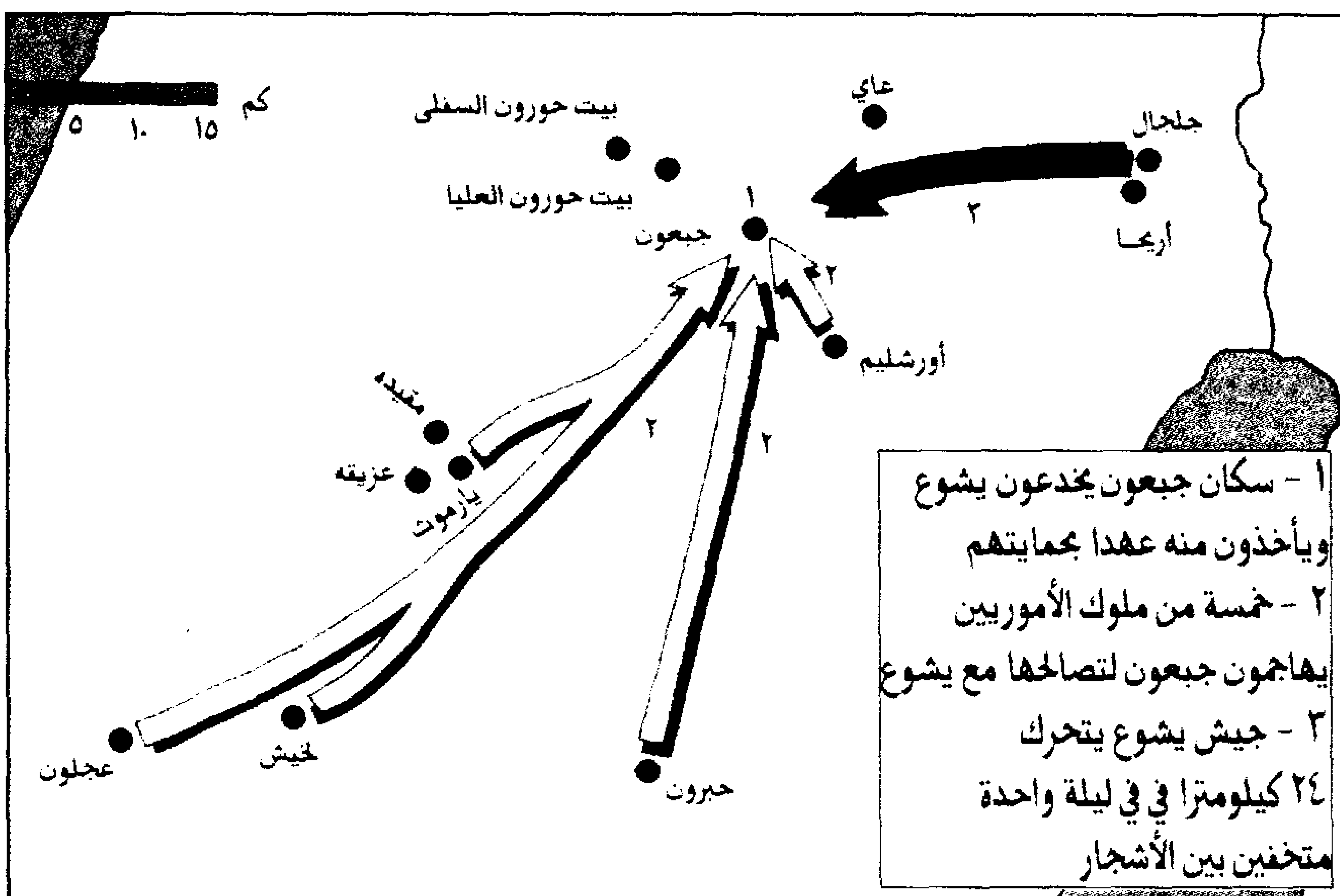


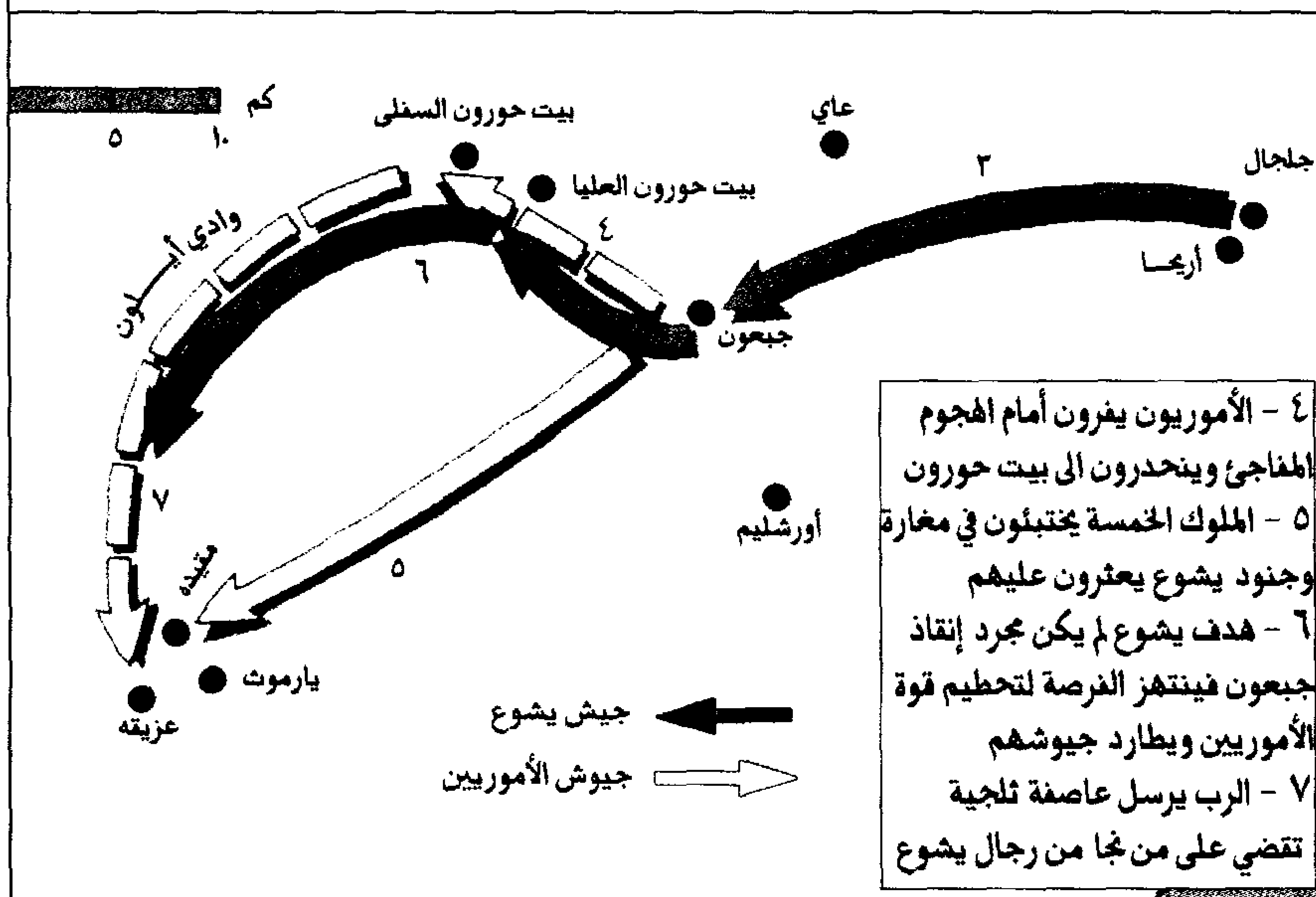
يشوع يبني مذبحاً

يقع جبلا جرزيم وعيبال على جانبي وادى شكيم ويؤدي التكوين الصخري الى تضخيم الصوت وترديده في الوادي، وبينهما تقع مدينة شكيم التى سميت فيما بعد نابلس (نيا بوليس = المدينة الجديدة). يبني يشوع مذبحاً للرب في جبل عيبال ويكتب على حجارته نسخة من توراة موسى، ولا نعلم ما الذي كتبه بالضبط ؟ هل كانت الوصايا العشر كما هو شائع عما كتب على لوحي الشريعة ؟ هل كانت كلمات البركة واللعنة التي رددها الشعب عقب بناء ذلك المذبح ؟ فلا يبدو منطقياً أن الشريعة كتبت كلها على جدران ذلك المذبح.

قام يشوع بتنفيذ وصية موسى النبي فردد ناحية جبل جرزيم كلمات البركة أولاً، ثم قام بترديد كلمات اللعنة ناحية جبل عيبال على كل من لا يلتزم بالوصايا. (تث ٢٧)، ويؤكد السفر أن يشوع قام بتلاوة كل ما كتب في التوراه. وقد محي ذكر هذا المذبح تماماً من تاريخ بني إسرائيل، خاصة بعد نصب خيمة الاجتماع في شيلوه وبالأكثر بعد بناء هيكل أورشليم، وقصر تقديم الذبيحة عليه. وسيتأكد هذا للقارئ حين يرى أن مواجهة دموية كادت أن تحدث بين أسباط الغرب وأسباط الشرق عندما قاموا ببناء مذبح في عبر الأردن (يش ٢٢).

{في التوراة السامرية استبدل اسم عيبال باسم جرزيم لكي يبرر السامريون لأنفسهم بناء مذبح على جبل جرزيم وكأنه تجديد للمذبح الذي بناه يشوع، وقد بقي هذا المذبح حتى دمره يوحنا هيركانوس في القرن الثاني قبل الميلاد، في حملته لفرض الديانة اليهودية على كل سكان فلسطين}.





سكان جبعون ومشكلة الحل الوسط

كانت جبعون قريبة من أريحا، لكن سكانها سلكوا بدهاء ودبروا تمثيلية متقنة، استطاعوا بها أن يقنعوا بني إسرائيل ويشوع أنهم يقيمون في منطقة خارج حدود أرض كنعان، واستصدروا منهم عهداً بألا يقتلوهم، بل وأن يدافعوا عنهم وقت الضرورة! ورغم انكشاف الخدعة بعد أيام قليلة إلا أن يشوع

لم يجسر على نقض العهد، لأن العرف السائد بين القبائل كان تقديس وحفظ العهود، ولعلنا نذكر أن الرب أكد لإبراهيم بأنه سينال الأرض هو ونسله عندما قطع له عهداً بالأسلوب المتعارف عليه في ذلك الزمان. كان خطأ شيوخ الشعب أنهم لم يسألوا الرب قبل قطع العهد لسكان جبعون. ورغم هذا تمسكوا بعهدهم، لأن العهد كان باسم الرب، وقد صادق الرب على خروج يشوع لنجدة جبعون عندما تحالف ملوك بعض المدن الجنوبية بزعامة أدوني صادق ملك أورشليم، وقرروا ضرب جبعون عقاباً لها على الخنوع لبني إسرائيل حتى لا تكون مثالاً يحتذيه آخرون من سكان كنعان.

كان الحل الوسط هو أن يبقوا في وسط الجماعة على أن يكلفوا بالأعمال الشاقة؛ وقد يكون من المثير أن يتتبع الباحث قضية الجبعونيين وتأثيرها على الشعب، فلم تكن هذه آخر مشكلة تسبب فيها هذا الحل الوسط، ويذكر هنا ما فعله شاول لتصحيح خطأ بقاء الجبعونيين بين الشعب، ثم ما اضطر لفعله داود الملك لتصحيح التصحيح! (٢ صم ٢١: ١-٩).

الغــــــــــزو

كان الوضع السياسي في أرض كنعان مناسباً تماماً لخطة يشوع حيث كانت كل مدينة تعتبر نفسها مملكة مستقلة (أنظر يشوع ١٠: ٢و ٢٠) وتطلق على شيخ المدينة لقب ملك، وحين فكروا في التحالف في مواجهة بني إسرائيل لم يفلح هذا التحالف في إيقاف يشوع، وقد تجلى هذا التفكك في مواقف سكان الأرض حين تباينت مواقفهم بين المهادنة، والخضوع، وبين التصدي ليشوع ومن معه.

معركة الجنوب

تحالف خمسة من ملوك الجنوب بقيادة أدوني صادق ملك أورشليم وصعدوا لضرب جبعون، فاستنجد الجبعونيون ببني إسرائيل. يتحرك يشوع بجنوده بعد أن تأكد من مساندة الرب له (يش١٠: ٨). كان هجوم يشوع مفاجئاً للأموريين أخذهم على غرة ففروا من أمامه، ويتدخل الرب فيسقط البَرَدْ (الثلج) على الفارين، ويذكر الكتاب المقدس أن الذين هلكوا بفعل الرب كانوا أكثر من الهالكين بسيف يشوع ورجاله. يطلب يشوع من الرب أن يتيح له فرصة كافية لسحق الأموريين. وبالفعل يتم هذا.

احتفل الشعب بالفصح قبل أسابيع قليلة في منتصف نيسان (إبريل)، من الوارد إذن أن تكون معركة وادي إيلون قد وقعت في الثلث الأخير من يونيو حيث يطول النهار الى ١٤ ساعة، وهو ما يصوره الوحي بشكل ملحمي بقوله وقفت الشمس نحو يوم كامل، واليوم هنا = ١٢ ساعة، فقد كان ثابتاً لدى كل شعوب ذلك الزمان أن اليوم هو النهار ١٢ ساعة بينما ينقسم الليل الى ٤ أجزاء كل منها ٣ ساعات، لكن الفهم الحرفي للكتاب المقدس يصر على أن الكرة الأرضية قد توقفت بالفعل، وهو ما يتعارض مع قوانين الكون التي أسسها الرب نفسه، ولا يوجد ما يعيب هذا الرأي، حيث أننا نرى في كثير من المواقف فيما بعد مع رجال الله مالا يمكن تفسيره باستخدام قوانين الفيزياء، ويكفي أن تقرأ ما فعله الرب مع أليشع النبي العظيم.

بصفة عامة يثير الفهم الحرفي للكتاب المقدس مشاكل عديدة، والعجيب أنه يندر أن تجد باحثاً أو دارساً قبطياً يهتم بمثل هذه الأمور، لكن هذه قصة أخرى!

كانت معركة إيلون حاسمة لأنها فتحت باب الغزو لكل مدن الجنوب المحصنة، لكن بني إسرائيل لم يكن في مقدرتهم احتلال الأرض فاكتفوا بهذه الضربة ثم عادوا الى معسكرهم في الجلجال.

معركة الشمال

كان رد الفعل الطبيعي لانتصار يشوع في الجنوب، هو تحالف مدن الشمال بقيادة ملك حاصور لقتال إسرائيل، لتنتهي المواجهة، بمعونة الرب، بنصر ساحق للشعب، ولكنه لم يكن نصراً نهائياً، فقد بقيت مدن كثيرة خارج سيطرة يشوع (أنظر يش ١١: ١٣ و ٢٢). ونرى في قول السفر «واستراحت الأرض من الحرب- يش ١١: ٢٣ + ٢١: ٤٤» نغمة رجاء أكثر مما هو وصف للواقع، على أية حال لقد كانت راحة الى حين.

يحصي السفر ٣١ ملكاً ضربهم الشعب بقيادة يشوع. لم تعرف كنعان في تاريخها هذا العدد من الممالك، لكن التشرذم السياسي جعل من كل مدينة تطلق على حاكمها لقب «ملك»، وساعد على هذا عدم التجانس الجغرافي للأرض فلم تقم في أرض كنعان مملكة موحدة على امتداد تاريخها، فوجود قوى عظمى على جانبي كنعان في مصر وفي ما بين النهرين لم يسمح بقيام مثل هذا الكيان الموحد.

يظن البعض أن قيام دولة إسرائيل الحالية وبقاءها دليل على مساندة القوة الإلهية، لكن المسألة لم تحتاج لعمل إلهي، بل فقط الى عمل إستعماري.

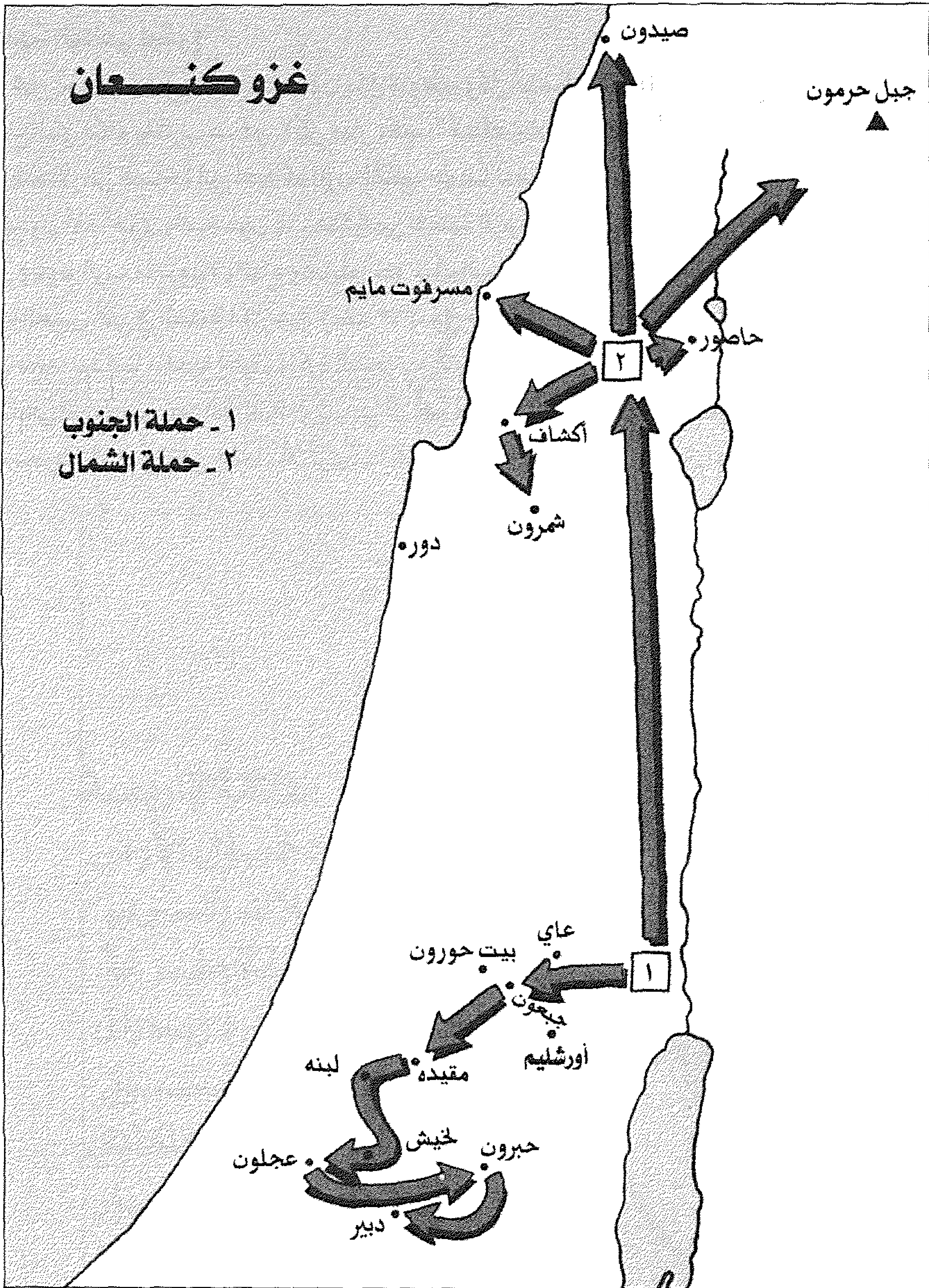
تقسيم الأرض

قام يشوع بتقسيم الأرض التي يسيطر عليها بالفعل بين سبط راؤبين، وسبط جاد ونصف سبط منسى، كما خصص مدناً لسبط لاوي، أما باقي الأسباط فكانت انصبتهم تحت سيطرة الشعوب المقيمة بالفعل في الأرض. (وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك - يش ١٣: ١).

كان الإنجاز الحقيقي ليشوع هو فتح باب للشعب لدخول الأرض، وتثبيتهم في كنعان وتأكد سكان الأرض أنهم لن يتمكنوا من طردهم (لم يسُن أحد لسانه على بني إسرائيل - يش ١٠: ٢١).

أرسل يشوع رجالاً قاموا بمسح الأرض، ثم قام بتقسيم الأرض على الأسباط السبعة الباقية، ولكنه كان تقسيماً نظرياً. واستكمل التقسيم بتحديد مدن الملجأ، ونصيب يشوع شخصياً. وسيلاحظ القارئ أن سبط يوسف لا يذكر، بل يذكر سبطي منسى وأفرايم أبنا يوسف، وهنا فقط تحقق ما قاله يعقوب لابنه يوسف، أن منسى وأفرايم سيكونا بالنسبة له كباقي ابنائه، ونال يوسف نصيب البكورية المضاعف (١ أخ ٥: ١).

ويعلق السفر في النهاية تعليقاً يعتبر استشرافاً للمستقبل أكثر منه توصيفاً للحاضر حين يقول: «فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم... ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم... لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل، بل الكل صار - يش : ٤٣-٤٥»

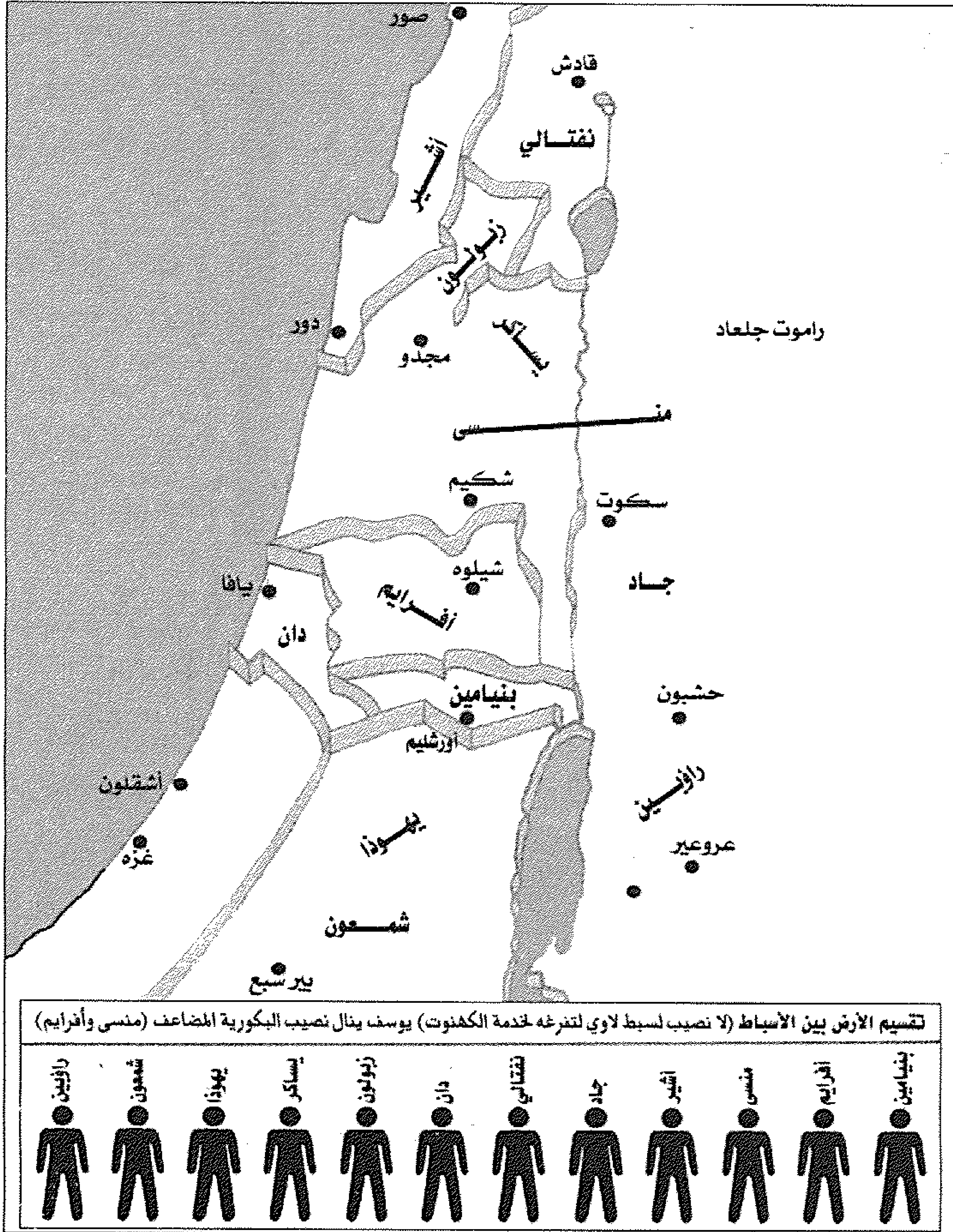


أين ذهب السبطان ونصف الذين اختاروا أن يسكنوا في شرق الأردن خارج أرض الموعد؟

إننا نرى دورهم يتضاءل الى أن ينمحي ذكرهم تقريباً من التاريخ المقدس، فقد ذابوا وسط الشعوب التي سكنوا وسطها، وهو نفس الخطر الذي هدد بقية الأسباط في عصر القضاة كما سنرى.

الحديث الوداعي ليشوع

كان محور حديث يشوع هو: «وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم... كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردئ حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التي أعطاكم الرب إلهكم. حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذي أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. هذا يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعاً - يش ٢٣: ١٥-١٦ فكل وعود الرب مشروطة باتباع وصاياه، لقد ترك السيد كل الناس يدخلون ولكن الذي لم يكن مرتدياً ثياب العرس ألقي في الظلمة الخارجية (مت ٢٢). وفي حديث لاحق يراجع يشوع البار تاريخ الشعب وعمل الرب معه، ليذكرنا بأهمية إحياء ذاكرة الشعوب. ألا تجد أيها القارئ أن ذاكرة المسيحيين تحتاج الآن الى أن تستدعى لنخرج من نفق الطائفية، وفي رأيي أن أهم ما سنجده في تاريخنا هو عناية الرب المستمرة بأبنائه، مما سيطرد الخوف والقلق جانباً، ألا ترى أننا نحتاج الى هذا الآن، ربما أكثر من أي وقت مضى؟



عصر القضـــاة

مقدمة تاريخية
دخـــول الأرض
ملاك الـــرب
حلقة مفـــرغة
دبـــوره وبـــاراق
جدعـــــون
يفتاح الجلعادي
شمشون الجـبار
مأســاة بنيامين
راعوث المواَبـــية

مقدمة تاريخية:

١. استطاعت الانتصارات التي حققها يشوع أن توطد أقدام شعب إسرائيل في كنعان، ولكن السكان الأصليين بقوا، كل في المنطقة التى يسكنها. [يلاحظ القارىء الأسماء الكثيرة التى ترد لشعوب الأرض: اليبوسيين والجرجاشيين والأموريين والفرزيين...].

٢. قسم يشوع الأرض تقسيماً نظرياً، فلم تكن الأرض خالية وكان على كل سبط أن ينتزع نصيبه بالحرب.

٣. بعد وفاة يشوع اجتمع الشعب وألقوا قرعة فوقعت على سبط يهوذا أن يبدأ الحرب.

٤. حارب سبط يهوذا واستطاع بمساعدة سبط شمعون أن يستولي على أغلب نصيبه، عدا وادي أفيق، حيث كان سكان الوادي أقوى حربياً (لديهم مركبات حديدية). فنلاحظ شكلاً من توازن القوى ولو إلى حين، بين سبطي يهوذا وشمعون في الجبال والفلستيين في الوادي.

٥. أما باقي الأسباط فتعايشوا بشكل أو بآخر مع السكان كل في منطقته. (أنظر الخريطة)

٦. عانى سبط دان معاناة شديدة، ولم يستطع أن يستقر في الأرض لأن نصيبه كان على الساحل الجنوبي حيث سكن شعب قادم من جزيرة كريت (كفتور) أطلق عليه اسم الفلستيين، وكانوا أقوى من شهدت كنعان من شعوب محاربة، خاصة بعد أن استطاعوا إقامة أفران لتشكيل الحديد فصنعوا منه أسلحتهم، ولم تستطع أسلحة باقي الشعوب المصنوعة من النحاس أو البرونز أن تواجهها. لذا تنقل سبط دان طويلاً حتى وصل إلى أقصى شمال كنعان حيث كان يقيم الصيدونيون المسالمون، فأنقضوا عليهم واستولوا على أرضهم.

٧. كان سكان الأرض يقيمون في كنعان قبل إسرائيل بمئات السنين حيث بنوا حضارة زراعية، بينما كان الإسرائيليون لا يجيدون سوى رعاية الماشية، ورغم إقامتهم الطويلة في مصر إلا أنهم لم يمارسوا الزراعة.

٨. لذا احتاج العبراني إلى جاره الكنعاني ليتعلم منه الزراعة؛ من أين يأتي بالماء، والمحاصيل التي تزرع، وكيف يقاوم الآفات ومتى يأتي المطر؛ باختصار خضع الإسرائيليون للحضارة الأقدم والأقوى في الأرض، لذا يتكرر في سفر القضاة القول بأن بني إسرائيل سكنوا وسط الكنعانيين وصاهروهم وعبدوا آلهتهم.



٩. كانت نقطة الضعف الأخرى في موقف شعب إسرائيل أنهم لم يكونوا متحدين بل واجه كل سبط مصيره بمعزل عن أغلب الأسباط.

١٠. لا توجد حدود طبيعية لأرض كنعان تفصلها عن المناطق المحيطة. في مصر مثلاً عاش الناس على ضفاف النيل تحميهم الصحراء من الجانبين من الغزاة الأجانب. أما كنعان كما سبق القول فهي معبر بين القارات فصارت طريقاً للتجارة وللحملات الحربية عبر العصور.

١١. كما أن أرض كنعان تحيط بها قبائل قوية مثل: عمون وموآب في شرق الأردن وأدوم وعماليق في سيناء ومديان في شمال جزيرة العرب وأرام في سوريا والفينيقيون في لبنان، فضلاً عن القوى الكبرى في النيل

والفرات، لذا لم تتوقف الحروب في هذه المنطقة التعسة، وتعرض سكان الأرض لغارات شبه متصلة ظهرت في التاريخ المقدس طوال عصور القضاة والملوك والأنبياء.

١٢. صمدت عباده يهوه إله إسرائيل في بعض الأسباط والتي خرج منها القضاة، والقاضي هنا لا يفصل في المنازعات، بل هو غالباً قائد في قبيلته مميز بالجرأة، دعته الظروف إلى القيام بإنقاذ عشيرته، ولا يتعدى عمله حدود منطقته وأن جمع أحياناً تحت رايته أكثر من سبط يهددها خطر الكنعانيين أو بدو ما عبر الأردن.

١٣. يذكر سفر القضاة إثنا عشر قاضياً: أولهم عثنئيل من سبط يهوذا وآخرهم شمشون من سبط دان، وسوف نتحدث عن كل منهم بشئ من التفصيل حسب ما ورد في الكتاب المقدس.

١٤. لكن التفتت بين الأسباط كان له أثر سئ أيضاً في العلاقة بين الأسباط وبعضها حتى وصل الأمر إلى حروب بين أبناء الشعب الواحد، وفي إحدى المرات إلى إبادة سبط بنيامين تقريباً كعقاب على جريمتهم الشنيعة، والتى جسدت، وإن بشكل متطرف، التدهور الأخلاقي الذى عانى منه الشعب في عصر القضاة، والذى يشير إليه الوحي في عبارة بليغة «أنه لم يكن ملك في إسرائيل وكان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه» أي كل واحد ماشي على كيفه!» حتى أن أحد أثرياء بني إسرائيل أقام لنفسه كاهناً خاصاً.

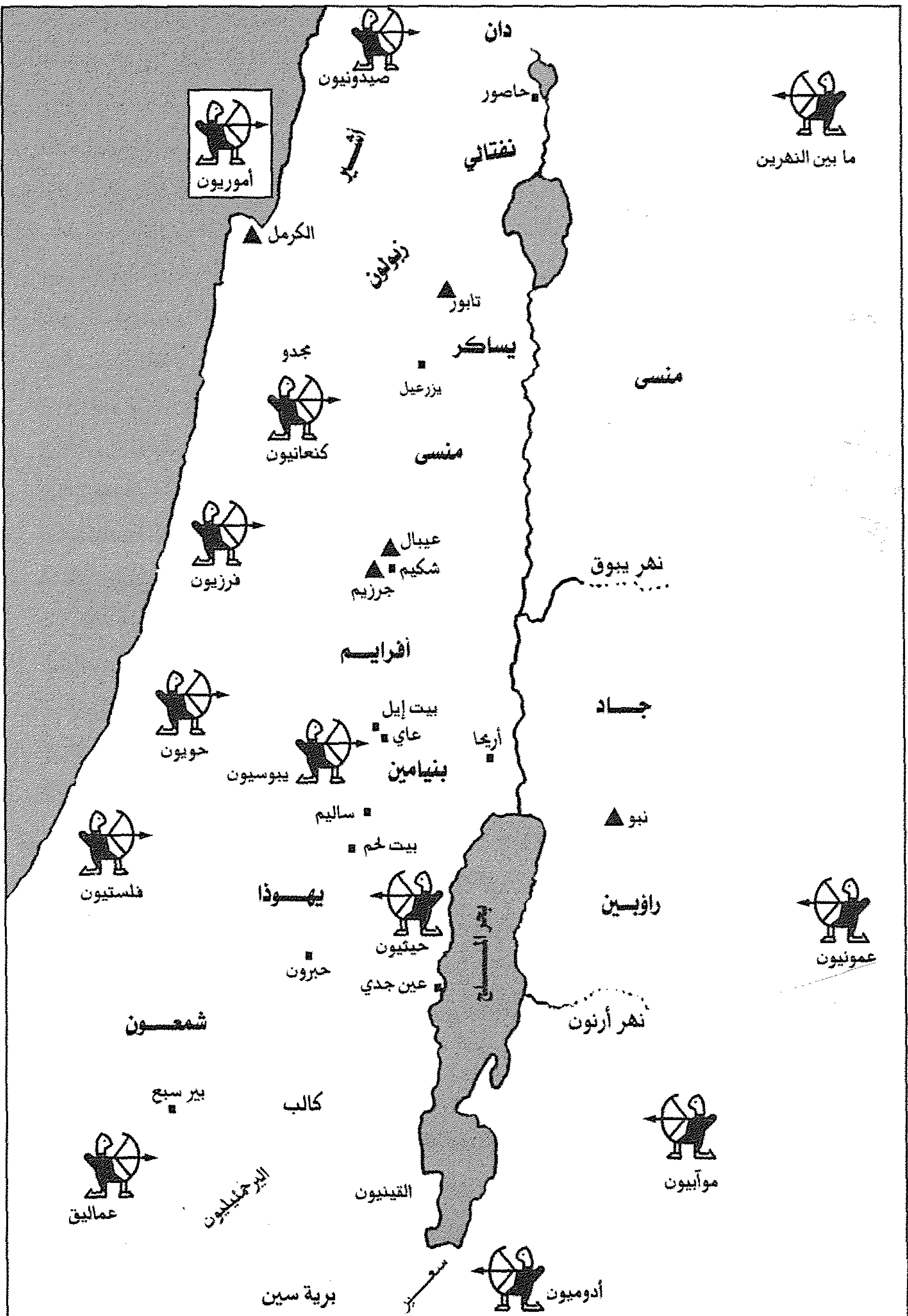


١٥. استمر الانحدار حتى أيام عالي الكاهن حين ضرب الفلستيون ضربتهم واستولوا على تابوت العهد، ورغم أن التابوت قد عاد إلى الشعب، وأن بني إسرائيل تأروا هزيمتهم، إلا أنهم استشعروا الخطر الذي يهددهم، فأمسكوا بصموئيل النبي يلحون عليه «إجعل لنا ملكا كسائر الشعوب .. يخرج أمامنا (يقودنا) للحرب، فقد أدركوا أنه لا أمل لهم في البقاء بدون توحيد الأسباط. أخيرا رضخ صموئيل النبي، وبتوجيه من الرب، تم اختيار شاول ليصبح أول ملك على إسرائيل ولتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ التدبير الإلهي.

والملاحظ أن سفر القضاة قد كتب أو تم جمعه بعد وقوع أحداثه بفترة طويلة. بعدما صارت إسرائيل مملكة، أي حوالي عصر داود الملك. الآن ندخل في السفر...

صحيح أن يشوع قد قسم الأرض بين الأسباط لكن نصيب كل سبط لم يكن خالياً أو متاحاً بسهولة، بل كان نصيباً وسط أعداء.

نصيب وسط أعداء



ماذا فعلت الأسباط بعد وفاة يشوع

بدأ الشعب يفكر في القتال للاستيلاء على الأرض، فكما سبق القول أن حروب يشوع لم تفعل سوى أن فتحت الباب للشعب للدخول إلى الأرض، ويُطرح الأمر أمام الرب فيختار يهوذا لبدء الحرب، فيستعين بسبط شمعون للإستيلاء على نصيبه، وكانت هذا منطقياً لأن نصيب شمعون كان في قلب نصيب يهوذا. فبدأوا باهجوم على قرية تدعى بازق فأخذوها وقتلوا ملكها (أدوني بازق = سيد بازق)، والعجيب أن هذا الرجل يزعم أن سبعين ملكاً كانوا في أسره، حقاً لا حد لتجبر الإنسان! ويلفت النظر أنه يذكر اسم الله، وهو ما يؤكد ما سبق أن ناقشناه في عرضنا لعصر الآباء، أن اسم الله كان معروفاً لدى كل قبائل الشرق.

لماذا تحول المجهود القتالي لسبط يهوذا إلى مدينة أورشليم؟

لا نعلم، وربما أراد سبط يهوذا تأمين ظهره قبل الانخراط في معارك الجنوب. على أية حال قام سبط يهوذا بضرب أورشليم (قض ١: ٨)، ولكن بدون نية للإقامة فيها فيذكر السفر أنهم أحرقوها بالنار، ورغم أن المدينة كانت تقع ضمن نصيب سبط بنيامين، إلا أن السفر لا يشير إلى مشاركة البنياميين في القتال. وسرعان ما عاد اليبوسيون لسكناها وسكن فيها سبط بنيامين معهم (قض ١: ٢٢)، حتى افتتحمها داود الملك بعد قرون، لتبقى تحت سيطرة سبط يهوذا وأسرة داود الملكية، «وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادى لان هم مركبات حديد - قض ١: ١٩»، والمقصود هو وادي أفيق في المنطقة التي تفصل السهل الساحلي عن الجبال الوسطى. ويبدو أن نوعاً من توازن القوى قد نشأ بين يهوذا في الجبال، وبين سكان الوادي من الفلستيين، لكن الصراع على هذه المنطقة استمر لعشرات السنين.

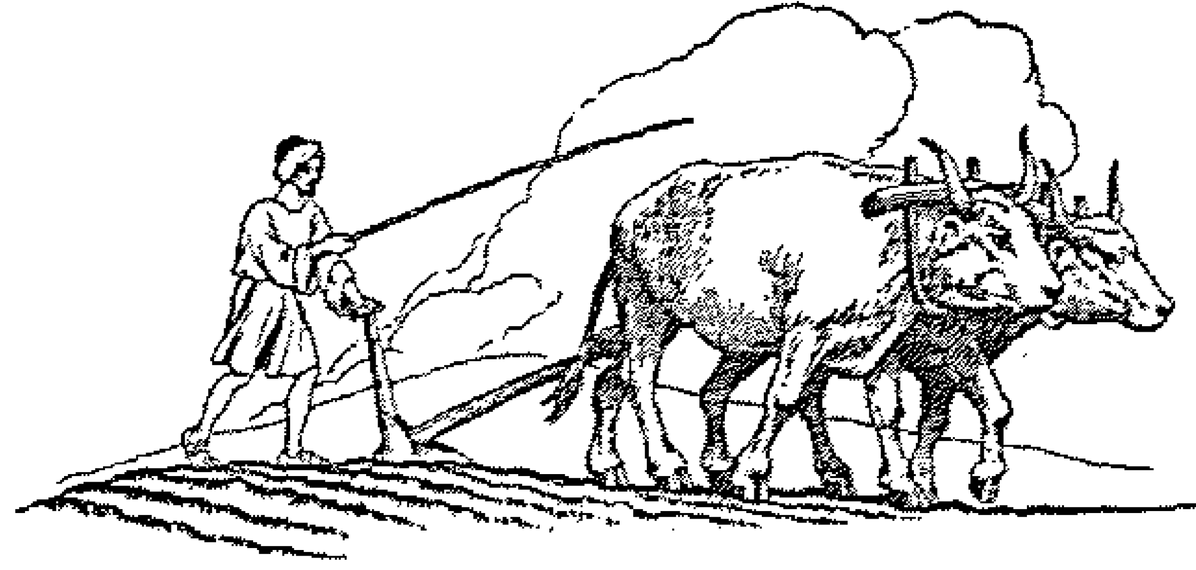
استولى سبط أفرايم (بيت يوسف) على بيت إيل، بينما تعايشت أسباط منسى وإفرايم وزبولون وأشير ونفتالي مع السكان الأصليين، أما سبط دان فلم يتمكن من الوصول إلى الجزء الأكبر من نصيبه، ويقول السفر أن الأموريين قد حصروا سبط دان في الجبل، في الواقع هم الفلستيون، لكن كما سبق الذكر كثيراً ما يشار إلى سكان الأرض بوصفهم جميعاً بالأموريين لأنهم كانوا الأكثر انتشاراً في كنعان (قض ١: ٣٤).

ملاك الرب

لا نعلم في أية صورة وصل كلام الرب إلى الشعب وإن كان الأرجح أن المقصود بملاك الرب هو رسول أو نبي كلف بحمل الرسالة (في اللغة العبرية: ملاك = رسول). ما الذي حدث حتى أن الرب يرسل ملاكه لينذر الشعب بقوة دفعتهم إلى البكاء؟ لا شك أن المخالفة الرئيسية كانت هي التعايش مع الشعوب الساكنة في الأرض، فقد كانت هذه بداية تورط الشعب في العبادات الوثنية، وبدلا من أن ينقل بني إسرائيل معرفة الرب إلى الأمم، انتقلوا هم إلى عبادة آلهة الكنعانيين، لكن ما السر في هذا؟

لقد كانت هذه القبائل تقيم في كنعان قبل شعب إسرائيل بمئات السنين حيث بنوا حضارة زراعية، بينما كان الإسرائيليون لا يجيدون سوى رعاية الماشية، لذا احتاج العبراني إلى جاره الكنعاني ليتعلم منه الزراعة.

باختصار خضع الإسرائيليون للحضارة الأقوى في الأرض، لذا يتكرر القول بأن بني إسرائيل سكنوا وسط الكنعانيين وصاهروهم وعبدوا آلهتهم. لكن الشعب اكتفى بالبكاء ثم عاد إلى سيرته الأولى! موقف سيتكرر كثيراً فيما بعد، ولماذا نذهب بعيداً، ألا نرى هذا يحدث في حياتنا الآن..



جدول زمني تقريبي

م	القاضي	السبط	شارك معه	العدو	العبودية	الراحة
١	عثنئيل	يهوذا		أرام النهرين	٨ سنوات	٤٠ سنة
٢	أهود بن جيرا	بنيامين	أفرايم	موآب وعمون وعماليق		٨٠ سنة
٣	شمجر بن عناه			الفلستيون		
٤	باراق	نفتالي	زبولون	ملك حاصور		٤٠ سنة
٥	جدعون	منسى	أفرايم	مديان وعماليق		٤٠ سنة
٦	تولع بن فواه	يساكر				٢٣ سنة
٧	يائير	أفرايم ؟				٢٢ سنة
٨	يفتاح	منسى	جلعاد	عمون	١٨ سنة	٦ سنوات
٩	إبصان	يهوذا				٧ سنوات
١٠	أيلون	زبولون				١٠ سنوات
١١	عبدون	أفرايم				٨ سنوات
١٢	شمشون	دان		الفلستيون		٢٠ سنة

في البداية نقرأ ما يمكن أن نعتبره ملخصاً للسفر كله:

«وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب... وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب... فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد اعدائهم... فضاق بهم الأمر جداً. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم... حادوا سريعاً عن الطريق التى سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب... وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى... لم يكفوا عن أفعالهم وطرقهم القاسية – قض ٢: ١١ – ١٩».



حلقة مفرغة..

١. ابتعاد عن الرب
٢. اتكال على آلهة الكنعانيين
٣. فقدان للتميز الأخلاقي
٤. سقوط في العبودية
٥. صراخ إلى الرب
٦. الرب ينقذ شعبه
٧. الشعب يرتاح من العبودية فينسى عمل الرب معه، فيعود إلى الابتعاد عن الرب !

لقد تكرر سقوط الشعب تحت العبودية الأدبية تحت نير الخطية، والعبودية المادية تحت سلطان شعوب أخرى، وفي كل مرة تحرر الشعب من الخطية بالتوبة، حرره الرب من العبودية، إلا أنه في كل مرة أيضاً عادت الحية القديمة تطل برأسها من جديد. ولندخل في التفاصيل...

عثنئيل – كوشان رشتعايم

سرعان ما تعرض جنوب كنعان لهجوم من كوشان رشتعايم ملك أرام النهرين واضطروا للخضوع له ثمان سنوات، حتى قاد عثنئيل سبط يهوذا وحرره من العبودية، واستمرت قيادة عثنئيل أربعين سنة. (أرام النهرين: اسم يطلقه الكتاب المقدس على المنطقة التي يعود إليها أصل عشيرة إبراهيم، وهي الآن المنطقة الكردية الواقعة حول الحدود المشتركة بين سوريا والعراق وإيران وتركيا).

لأول وهلة نفهم أن عثنئيل هو شقيق كالب بن يُفنا، ونعلم عنه أنه كان رجلاً محارباً، وهو الذي قاد المعركة التي سقطت فيها مدينة حبرون (مدينة يهوذا التي ملك فيها داود ٧ سنوات، واسمها القديم « قرية أربع » وهو الاسم الذى اختاره اليهود للمستوطنة التي بنيت في الخليل، الاسم الحالي لحبرون)، والغريب أن السفر يذكر زواجه من ابنة أخيه، رغم أن الشريعة تحرم ذلك، لكن لينتبه القارئ: «عثنئيل ابن قناز اخو كالب – قض ١ : ١٣»، أي أن كالب كان عم عثنئيل، فالزواج إذن تم بين عكسة ابنة كالب وابن عمها عثنئيل.

أهود البنياميني – عجلون ملك موآب

جاء الهجوم هذه المرة من شرق الأردن، فاستطاع الموآبيون أن يستولوا على مدينة النخيل (أريحا)، بعد أن تحالفوا مع بني عمون وعماليق، وتسلطوا على أسباط الوسط (بنيامين وأفرايم). لكن أهود يستخدم قوته وحيلته فيقتل عجلون ملك موآب، ثم يقود معركة ضد الموآبيين ينتصر فيها، لترتاح الأرض ٨٠ سنة. وعاد الشعب إلى عبادة الأوثان بعد موت أهود. هل كانوا يهابونه إلى هذه الدرجة؟ أم كانوا ينتظرون وفاته ليعودوا إلى خطاياهم المحبوبة؟ هل كان أهود متشدداً على الشعب؟ الحق أننا لا نجد ما يؤكد أياً من هذه الاحتمالات، لكننا نكرر أن المسألة لم تكن شهوة من الشعب لعبادة الأوثان، بل خضوعاً للحضارة الأقوى.

شمجر - الفلستيون

لا يرد عنه سوى أنه ضرب عدداً من الفلستيين بمنساس البقر (عصاة ذات طرف معدني مدبب تستخدم لنخس الماشية)، ويبدو أنه كان رجلاً فائق القوة ويرجح أنه كان من سبط يهوذا.

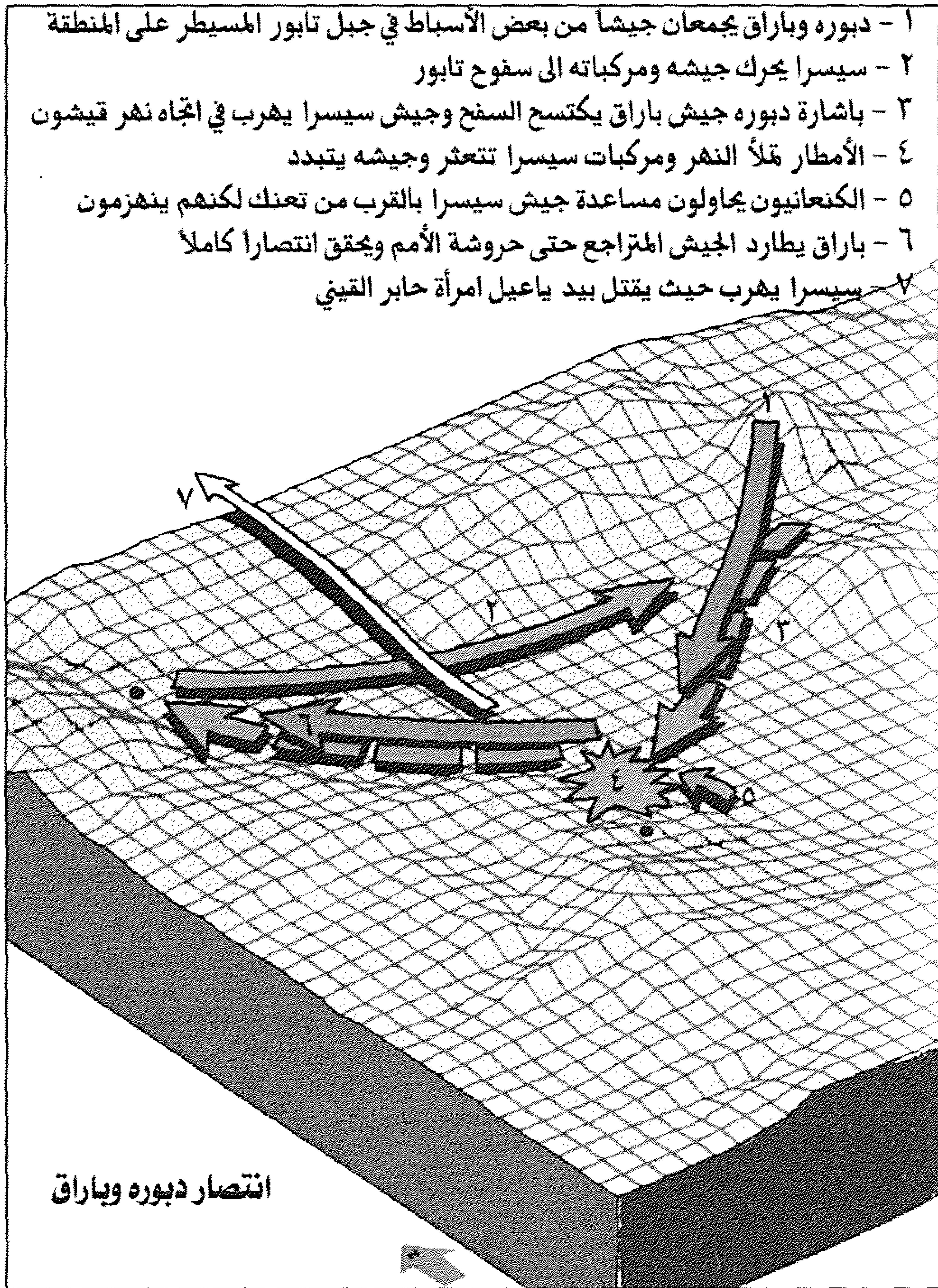


البعل: الإله الكنعاني؟ من هو؟

البعل تعني الرب أو السيد وكان يعبد على أنه إله المطر والعواصف ويصور على هيئة إنسان جالس على عرش وعلى رأسه تاج مخروطي، وكانت عبادة البعل هي أكثر العبادات شيوعاً في كنعان، وفي بعض الأحيان كان البعل ينسب إلى المدينة التي تقوم فيها عبادته مثل بعل صفون وبعل زبوب، لذا يشار إليه أحياناً بصيغة الجمع «البعليم».

دبوره وباراق - ملك حاصور

ولعل السفر يذكر عودة الشعب إلى عبادة البعل كتمهيد للفصل التالي: وهو سقوط الشعب تحت عبودية يابين ملك حاصور كبرى مدن الشمال الكنعانية.
كانت مركبات حاصور الحديدية قوة لا قبل للشعب بمواجهتها، ويذكر أن جيش حاصور بقيادة سيسرا أقام معسكره وسط الأسباط دون أدنى خوف!
كانت دبوره قاضية لإسرائيل بمعنى النبوة فكان الشعب يلجأون إليها طلباً لكلمة الرب في مشاكل حياتهم، ويوجه الرب دبوره وهي بالتالي تدعو باراق لقيادة الشعب، ويقود باراق سبطي نفتالي وزبولون ومعه دبوره تسانده بل وتخبره بخطة الرب للانتصار، الذي يتحقق بالفعل، وإن كان شرف القضاء على قائد الكنعانيين يذهب إلى ياعيل زوجة حابر القيني (كان القينيون من نسل يثرون والد زوجة موسى، وأخذوا نصيباً في الأرض حسب وعد موسى النبي لجدهم حوباب الذي قام بدور الدليل للشعب في البرية - عد ١٠: ٢٩-٣٢).
فقد لجأ سيسرا قائد جيش حاصور إلى خيام حابر القيني لأنهم كانوا في الأصل حلفاؤه، لكن هذا التحالف لم ينقذه من مصيره التعس. وبعد انتصار باراق ترتاح الأرض لمدة ٤٠ سنة كالعادة.
يسجل سفر القضاة أنشودة النصر (قض ٥: ١-٣١) وهو تقليد نراه يتكرر منذ عبور بحر سوف وحتى عصور الأنبياء، ونلفت نظر القارئ وهو يقرأ هذه الأناشيد إلى أن يميز بين الحقيقة المجردة، وبين الصورة الشعرية التي تغلب فيها المشاعر على المنطق. في النشيد يغلب الحديث عن أبطال (١٣ مرة) وعن أسباط منفردة (٨ مرات)، ولا يذكر إسرائيل في هذا النشيد الطويل سوى خمس مرات. ويستنزل اللعنة على «ميروز»، ويبدو أن سكانها تقاعسوا عن الحرب ضد سيسرا، ويرجح أنها تبعد حوالي ١٢ كيلومتراً من قادش نفتالي، وكان موقعها هاماً إذ كان بامكانهم مهاجمة مؤخرة جيش سيسرا.



جدعون

يثير الدهشة أن شعب مديان رغم قلة عدده، خاصة وأنه يعيش في منطقة جدباء، يتفوق على سبط غني كثير العدد مثل سبط منسى، لكننا نلاحظ: أن القصة تدور عن نصف سبط منسى الساكن في غرب الأردن، كما أن المديانيين تحالفوا مع عدة قبائل (عماليق وبني المشرق). لكن التخاذل والشعور بالضعف الذي كان سائداً بين أغلب الأسباط، كان هو العامل الرئيسي في الخضوع لمديان، وسائر قبائل الأرض، لكن السبب الأهم كما نرى هو عجزهم عن طلب معونة الرب، وكيف يطلبون معونته وهم يعبدون آلهة أخرى؟

أصبحت موارد الحياة لسبط منسى في قبضة النهابين، حتى اضطروا لبناء مخابئ لهم في الجبال الوسطى شمال أورشليم: «بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لأنفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون، وإذا زرع إسرائيل كان... المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم، وينزلون عليهم ويتلفون

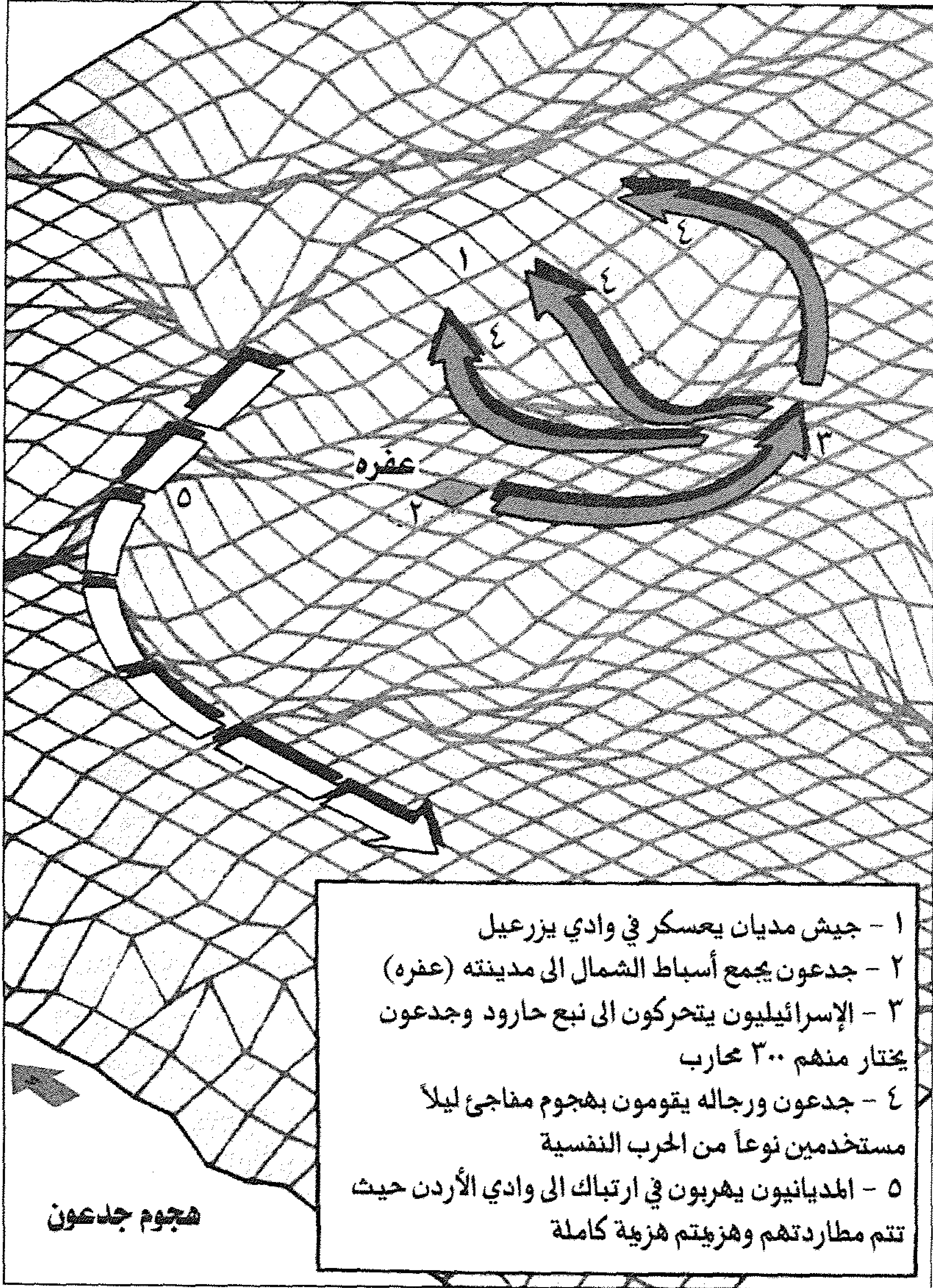
غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة... ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً... ويجيئون كالجراد في الكثرة... ودخلوا الأرض لكي يخربوها . فذُل إسرائيل جداً- قض ٦: ٢-٦»
نفهم أن هؤلاء كانوا يكتسحون وسط وشمال اليهودية «إلى غزة» أي أنهم كانوا يهاجمون مناطق يهوذا وشمعون أيضاً، لكن هؤلاء أيضاً لم يتحركوا، فيصرخ الشعب إلى الله فيرسل الرب هم أحد الأنبياء ليقول هم ما يعرفونه! ونلاحظ قول الرب على لسان هذا النبي للشعب: وقلت لكم انا الرب اهكم. لا تخافوا آهة الأموريين... ولم تسمعوا لصوتي- قض ٦: ١٠»، وهذا هو مربط الفرس، ففي أول الأصحاح يذكر الوحي المقدس بوضوح: «وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم ليد مديان- قض ٦: ١»
يأتي ملاك الرب إلى جدعون، ولكنه الذي أتى هو الرب (قارن: ٦: ١٣ مع ٦: ١٤)، ونلاحظ أنه لا يفتح الموضوع مباشرة بل يكتفي بأن يلقي السلام، وكأنما جدعون ينتهز الفرصة ليبوح بما يثقل قلبه، فيصرخ بمرارة: «إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه، وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا»، والجميل أن الرب لا يعود لمناقشة الماضي بل يلقي بالحمل على أكتاف جدعون مباشرة، لكن جدعون يتساءل: من أنا حتى أفعل هذا؟ فيؤكد له الرب:» إني أكون معك – قض ٦: ١٦»
لكن جدعون يطلب علامة، ويسرع فيعد تقدمة للرب، ويقبلها الرب بصورة ملموسة واضحة، ويفهم جدعون أن الذي أمامه هو الرب وليس مجرد ملاك أو رسول، فيصاب بالرعب لأنه يعلم جيداً قول الرب: ليس أحد يراني ويعيش (خر ٣٣: ٢٠) فيطمئنه: لا تخف، لا تموت. وفي نفس الليلة يكلف الرب جدعون أن يهدم مذبح البعل ويقطع السارية ويبني بدلا منه مذبحاً للرب.
إن تأصل عبادة البعل في سبط منسى، أو على الأقل في مدينة جدعون يظهر واضحاً في أنه حطم الصنم ليلاً خوفاً من أهل مدينته وعشيرته، وفي موقف هؤلاء الذين طالبوا بموته لأنه حطم صنم البعل، لكن بالأكثر في أن المذبح الذي هدمه كان خاصاً بأبيه، فهل كان لكل عائلة في العشيرة مذبحاً خاصاً؟
وبحافز من روح الرب يدعو جدعون عشيرته للقتال ويرسل إلى أسباط الشمال: أشير وزبولون ونفتالي فينضمون إليه، لكن جدعون ما زال غير مطمئن، فيطلب علامة ثانية وثالثة: فمرة يجد الندى على جزة (فراء) الخروف والأرض جافة، ومرة ينحسر البلل عن الجزة والأرض مبللة.

> في تأمل لأحد أباء الكنيسة يرى في قصة الجزة رمزاً لانحصار معرفة الله في بني إسرائيل وغيابها عن باقي الأمم، وعندما رفض اليهود رسالة الملكوت هجرتهم معرفة الرب بينما انتشرت في كل أمم العالم.

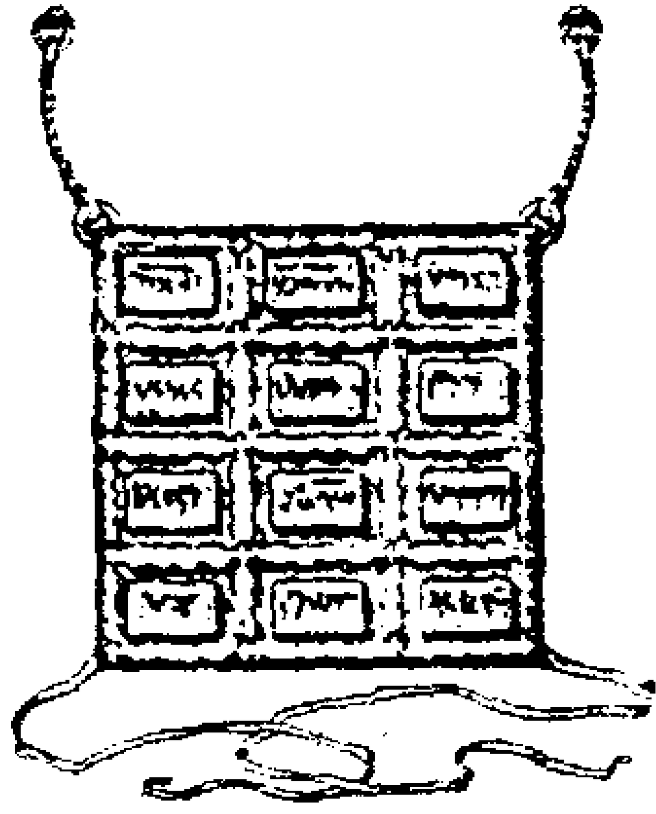
لكن الله لا يريد أن يظن الشعب القوة في ذاته، فيدعو جدعون كل من هو خائف إلى العودة، والعجيب أنه عاد ١١٠ ألفاً ولا يبقى سوى عشرة آلاف، مما يؤكد ما ذكرناه آنفاً عن شيوع الخوف بين الشعب، فها هم أكثر من ٩٠ ٪ يتخاذلون، لكن الرب يريد أن يجيب على تساؤل جدعون: أين عجائب الرب؟ فيختصر العدد إلى ٣٠٠ فقط، وبهذا يتأكد أن فضل النصر من الرب. كيف تشجع هذا العدد القليل ليواجه جيش المديانيين؟ لا شك أن روح الرب قد ملأهم، ولماذا نذهب بعيداً، ألم يرسل الرب اثني عشر يكرزون للعالم

كله، وقد فعلوا هذا لا بقوتهم بل بقوة الرب. لكن هذا لا يغني عن خطة محكمة للقتال وإثارة الرعب في صفوف العدو، ولنلاحظ هتاف الرجال: للرب ولجدعون؛ الله يعمل والإنسان يجتهد.

يستعين جدعون برجال أفرايم للقضاء على الفارين من رجال مديان، والغريب أنهم يغضبون لأنه لم يطلب منهم القتال من البداية، ألم يروا جيش مديان؟ وهل كانوا يحتاجون إلى دعوة؟ على أية حال اكتمل الانتصار، واستطاع جدعون باتضاعه أن يصرف غضب الأفراميين.



ينبهر الشعب بنصر جدعون فيطلبون منه أن يصير ملكاً هو وأولاده لكنه يرفض، ويجمع منهم ذهب كثيراً ليصنع منه أفوداً كتذكار للنصر. كان مصدر الذهب هو الأقراط الذهبية التي غنمها الشعب من المديانيين، الذين يصفهم بأنهم اسماعيليون وكان من عادتهم التحلي بالذهب (٨: ٢٤).



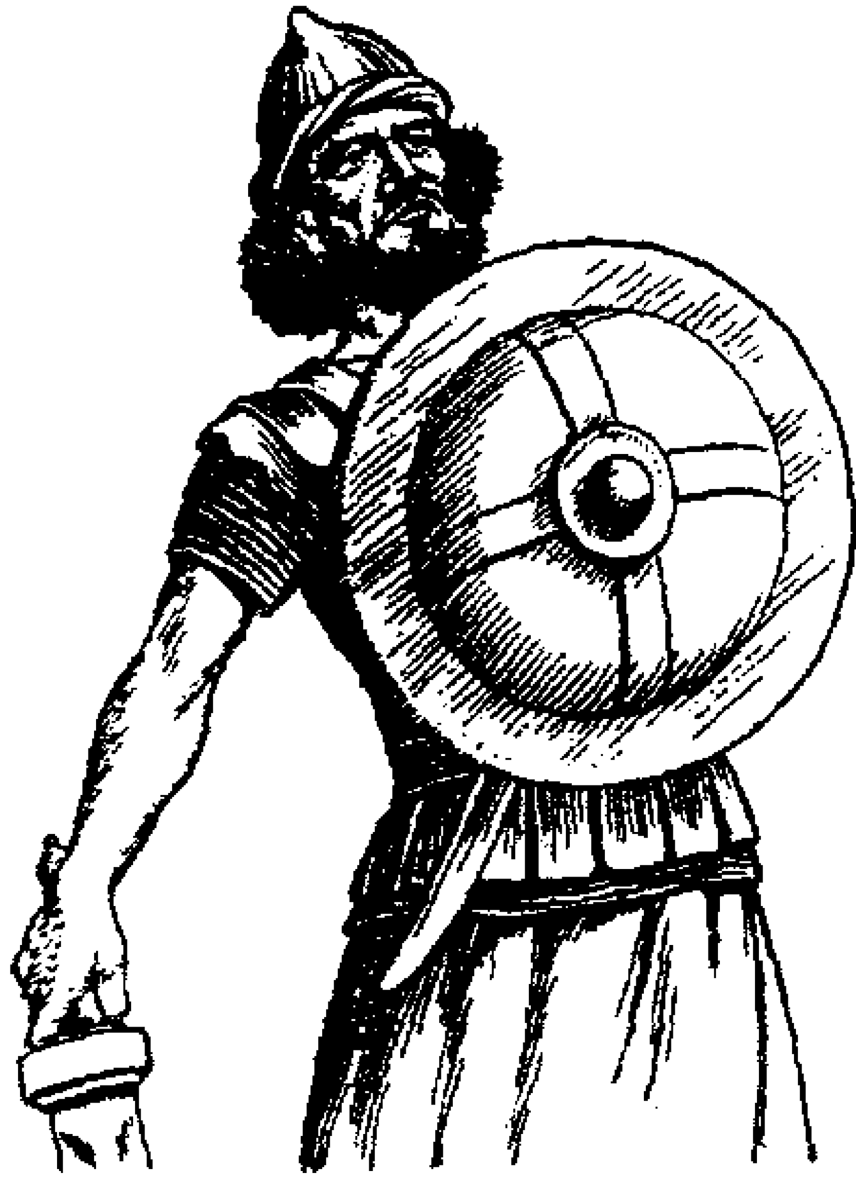
الأفود: في الأصل الأفود هي الصدرة التي يرتديها رئيس الكهنة والمزينة بأحجار كريمة منقوش عليها اسماء الأسباط، لكنها تطلق أيضاً على رموز أخرى مرتبطة بالعبادة الوثنية، وهي التي صنعتها فيما بعد أم ميخا الذي أنشأ كهنوتاً خاصاً، لذا يرفضها الرب. كان الأفود الذي صنعه جدعون مصنوعاً من أثقال من الذهب، ولعل الناس كانوا يذهبون للفرجة أوللتبرك. فيصف الوحي تصرفهم بالزنى، فعبادة الأوثان = الزنى. وبمجرد وفاة جدعون (يَرُبَّعل بن يوآش) يعود الشعب إلى سيرته الأولى. يظهر ابيمالك بن جدعون في الصورة، ويبدأ بداية دموية، فيستأجر قتلة يذبحون اخوته جميعاً، والغريب أنه جمع أجر هؤلاء القتلة من عائلة أمه، ولا ينجو سوى يوثام، وينصب أهل شكيم ابيمالك ملكاً كما أراد.

الفزورة !

تتنوع الأساليب الأدبية في الكتاب المقدس من النثر إلى الشعر ومن النشيد إلى القصة، وهنا نجد أسلوباً جديداً، فها هو يوثام الوحيد الذي نجا من المذبحة، يقف وسط الناس ومشاعره مزيج من الحزن والغضب، فكيف يختار هؤلاء الناس سفاحاً ليكون ملكاً، ويطرح هذه القصة عن اجتماع الأشجار لتختار ملكاً عليها، لكن أفضل الأشجار ترفض، وفي النهاية يسفر الاجتماع عن اختيار الشوك ليكون ملكاً للأشجار، لكن القصة لا تنتهي فالشوك يشترط أن تحتمي الأشجار في ظله! نعم فلكل اختيار ثمن. لقد اختار رجال شكيم أن ينصبوا ابيمالك، وسرعان ما انقلبوا ضده، وفي قصة طويلة تنتهي بابادة كل شعب شكيم وهدم المدينة، وأخيراً يقتل ابيمالك بحجر رحى تلقيه امرأة على رأسه...

ماذا نستفيد من هذه القصة: «فرد الله شر ابيمالك الذي فعله بابيه لقتل اخوته السبعين، وكل شر أهل شكيم رده الله على رؤوسهم، واتت عليهم لعنة يوثام بن يربعل (بن جدعون)- قض ٩: ٥٦» لكننا نستنتج أيضاً أن كاتب هذه القصة الدموية كان شاهد عيان لما حدث بكل تفاصيله.

زرع المدينة ملحاً؟ يذكر الكتاب أن أبيمالك دمر مدينة شكيم وزرعها ملحاً، ترى ما المقصود بهذا؟ كان إلقاء الملح في المدينة إشارة رمزية إلى أن المدينة أصبحت أرضاً بور كصحراء ملح، كما كان سائداً في ثقافة تلك العصور. (حمار الوحش الذي جعلت البرية بيته والسباخ مسكنه- أيوب ٣٩: ٦ +... يجعل... والأرض المثمرة سبخة - مز ١٠٧: ٣٣-٣٤) «السباخ» ومفردها «سبخة» هي السهول الملحية مثل سبخة البردويل في شمال سيناء والتي لا تصلح لزرع أو سكنى.



تولع بن فواه

من سبط يساكر يقضي لإسرائيل ٢٣ سنة، ولا نعلم عنه سوى أنه كان يقيم في جبل أفرايم، وأنه مات ودفن في مدينته شامير.

يائير الجلعادي

يقضي لإسرائيل ٢٢ سنة، ولا يذكر عنه سوى أنه كان له ثلاثين ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً ويسيطرون على ثلاثين مدينة (قرية) وأنه مات ودفن في أرض جلعاد ولعله كان من سبط منسى.

وتدور الدائرة من جديد: «وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة بني عمون وآلهة موآب وآلهة الفلستيين وتركوا الرب ولم يعبدوه، فحمي غضب الرب وباعهم (تخلى عنهم) - قض ١٠: ٦-٧»

هذه المرة يأتي للهجوم من ناحيتين: العمونيون من الشرق، والفلستيون من الجنوب. ولا يكتفي بني عمون بسحق الأسباط الساكنة في شرق الأردن، فعبروا الأردن ليهاجموا أسباط الوسط والجنوب (يهوذا وبنيامين وأفرايم)، وهنا فقط يلجأ الشعب إلى الله، لكن الرب يذكرهم بأنه في كل مرة طلبوه لم يقصر عن أن يخلصهم، وفي كل مرة أيضاً عادوا للوثنية، لذا يقول الرب:»لذلك لا أعود أخلصكم. امضوا وأصرخوا إلى الآلهة التي اخترتموها لتخلصكم هي في زمان ضيقتكم - قض ١٠: ١٣-١٤». الآن فقط يسرعون لينزعوا الآلهة الغريبة ويخضعون أمام الرب الحنون، الذي يستجيب لصراخهم، ويجتمع الشعب ليقرر اختيار يفتاح قائداً لهم.

«**إنزعوا الآلهة الغريبة**»: نداء يتكرر في التاريخ المقدس:

يعقوب يطلب ذلك من أسرته حين طلب منه الرب أن يبني له مذبحاً في بيت إيل (تك ٣٥: ٢)

يشوع يطلبه أيضاً في خطابه الوداعي، بعد أن تعهد الشعب بالتمسك بعبادة الرب (يش ٢٤: ٢٣)

ونرى آسا ملك يهوذا ينزع كل الرجاسات ورموز الوثنية (٢ أخ ١٤: ٣+ ١٥: ٨)، ثم يتكرر الأمر في عهد حزقيا ملك يهوذا (٢ أخ ٢٩: ١٦)، وأيضاً في أيام يوشيا الملك (٢ أخ ٣٤: ٣)

وللقارئ أن يتساءل: لماذا تنزع الآلهة الغريبة ثم تعود مرة أخرى إلى بيوت وقلوب بني إسرائيل؟

وهوسؤال يمكن أن أوجهه لنفسي الآن: لما أفعل الخطأ بينما أعلم الصواب جيداً؟

يفتاح الجلعادي

ما الذي كان يميز يفتاح؟ لقد كان ابناً غير شرعي لامرأة سيئة السمعة، وبعد وفاة ابيه يطرده اخوته غير الأشقاء، وتجتمع حوله عصابة من قطاع الطرق، لكن شهرته كمحارب جبار بأس جعلتهم يستدعونه ويتفقون معه على قيادتهم، ويشترط يفتاح أنه لو انتصر يصير رئيساً على هؤلاء الذين سبق أن طردوه.

يتكلم يفتاح بهذا أمام الرب في مقر قيادته في مصفاة جلعاد [1] ، ونستنتج أن الاتفاق بين شيوخ جلعاد وبينه أعلن للشعب ليكون معروفاً للكل.

في البداية يرسل يفتاح إلى ملك بني عمون يتساءل عن سبب الحرب، فاذا به يطالب بالأرض التي استولى عليها إسرائيل عندما جاء من مصر، وهذه كذبة صريحة، لأن الرب شدد على بني إسرائيل ألا يمسوا أراضي الأدوميين والعمونيين والموآبيين على أساس أنهم اخوة لهم (تث ٢: ٥و ٩و ١٩)

يحاول يفتاح أن يعبر في أرض أدوم ليلتف حول مؤخرة العمونيين، لكن الأدوميين ومن بعدهم الموآبين ثم الأموريين يرفضون. يتشجع يفتاح ويعبر الأردن ليحارب بني عمون مواجهة، ويبدو أنه لم يكن واثقاً بالنصر فينذر نذراً عجيباً: «إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيته للقائي عند رجوعي بالسلامة ... يكون للرب وأصعده محرقة – قض ١١: ٣٠-٣١». ينتصر يفتاح ويعود لتلقاه ابنته الوحيدة، فتدفع حياتها ثمناً لنذره ولعلها دفعت ثمن جرائم ابيها وهو مطارد في أرض طوب. ويلفت نظر القارئ خضوع هذه الفتاة العذراء لنذر ابيها دون مجادلة.

لكن متاعب يفتاح لم تنته بعد، فشعب أفرايم يثور لأنه لم يدعى للمشاركة في القتال، بل ويهدد بقتل يفتاح، ولا ندري ما هي قصة هؤلاء الأفراميون! لقد فعلوا هذا مع جدعون لكنه امتص غضبهم بتواضعه. لكن هذه المرة يذكرهم يفتاح أنه سبق وطلب مساعدتهم ولم يستجيبوا له، الآن وبعد أن تحقق النصر وزال الخطر يطلبون أن يذكروا في قائمة المحاربين، وبالفعل ينالون ما أرادوه، فقد انقض يفتاح في هجوم ساحق على أفرايم ينتهي بمذبحة مفزعة. ويموت يفتاح بعد أن يقضي لإسرائيل ٦ سنوات.

أبصان ثم أيلون ثم عبدون

لا نعلم عن أبصان سوى أنه من بيت لحم أي من سبط يهوذا، وأنه كان له ثلاثين ابناً وثلاثين ابنة قام بترتيب زيجاتهم جميعاً! ثم يموت بعد أن يقضي ٧ سنوات. يأتي بعده أيلون من سبط زبولون ويقضي لإسرائيل ١٠ سنوات حتى وفاته ودفنه في أرض زبولون. ويليه عبدون من سبط أفرايم، وهو أيضاً كان له سبعون ابناً وحفيداً يركبون على سبعين جحشاً، ثم يموت بعد أن يقضي ٨ سنوات.

شمشون الجبار

وإذ عاد الشعب إلى عبادة الأوثان يدفعهم الرب ليد الفلستيين ٤٠ سنة، ليتهيأ المسرح لظهور شخصية دخلت تراث الحضارة، كنموذج لقوة الإنسان وضعفه، لصعوده وهبوطه، لمجده ومأساته.

كانت أغلبية سبط دان قد لجأت إلى أقصى الشمال، لكن بقية صغيرة التصقت بالجزء الضيق الذي تركه لهم الفلستيون حول بيت شمس.

---

١ توجد عدة مدن تحمل نفس الاسم "المصفاة"، والمدينة المشار إليها هنا كانت في شرق الأردن في جلعاد، وغالباً هي نفس المكان الذي أقام فيه يعقوب كومة الحجارة شاهدةً على تصالحه مع خاله لابان (تك ٣١: ٤٥-٥٢)

يظهر ملاك الرب أولاً لزوجة منوح، وكما تعود الكتاب المقدس، يختار الرب عاقراً ويبشرها بأنها ستلد ابناً سيكون نذيراً للرب من البطن، ولما أخبرت زوجها، يصلي إلى الرب ليرشده ماذا يفعل مع هذا المولود عندما يأتي، والرب يأتي إليه في مشهد قريب مما حدث مع جدعون لكنه يزيد عليه في أمرين:

- تأكيد الرب على ألا تشرب المرأة خمراً أو مسكراً، وهو ما يفترض أن يسير عليه فيما بعد المولود المنتظر طبقاً لشريعة النذير (سفر العدد ٦).
- أن منوح يسأل ملاك الرب عن اسمه فلا يعطيه جواباً شافياً.

يولد شمشون ويصبح رجلاً ويعجب بامرأة فلسطيه، رغم معارضة أبويه، لكن الوحي المقدس يرجع هذا إلى تدبير الرب لمواجهة الفلسطيين. ونفهم أن شمشون كان يتكرر نزوله لزيارة خطيبته حتى أنه كون صداقات مع شباب الفلسطيين. يضطر والد شمشون لخطبة المرأة لابنه، فيقيم لهم وليمة، يحضرها ثلاثين من عشيرة المرأة. في الوليمة يدخل شمشون في رهان مع الضيوف، والحق أنه كان رهاناً مستحيلاً، فكيف هؤلاء أن يعرفوا أنه قاتل أسداً وقتله، ليجد جيفته بعد أيام وقد بنى النحل داخلها عشاً له. يهدد الفلسطيون خطيبة شمشون محتجين: هل دعوتمونا لتسرقونا؟!، فتحصل هم على حل الفزورة من شمشون، ليحمى غضبه، ويبدأ روح الرب يحركه نحو رسالته التي نُذر لأجلها وهو بعد في بطن أمه.

بعود شمشون مرة أخرى إلى نفس المرأة ليعلم أنها تزوجت من أقرب أصدقائه، فيطلق النار في مزارع الفلسطيين وكرومهم. ورغم أن الفلسطيين قتلوا المرأة ليغلقوا باب انتقامه، لكن غضبه لا يهدأ، فينزل ضرباته بالفلسطيين كلما اتيحت له الفرصة فيضربهم ساقاً على فخذ، وهو تعبير دارج في ذلك العصر يفيد أنه ضربهم بقوة ساحقة، أو كما نقول الآن «أن الحرب كانت إلى الرُكب!» ثم يقيم في إحدى المغائر.

أراد الفلسطيون أن يقضوا على شمشون، فهاجموا سبط يهوذا، ثم اتفقوا معهم على تسليم شمشون هم مقيداً، في مقابل انسحابهم. فيصعد عدد من رجال يهوذا إلى شمشون يطالبونه بتسليم نفسه. ونرى من رجال يهوذا قناعة كاملة بأن السيطرة في يد الفلسطيين ولا يفكرون ولو للحظة واحدة في المقاومة وهو ما يؤكد مدى الرعب الذي أحدثه وجود شعب الفلسطيين القوي في نفوسهم. على أية حال يوافق شمشون على أن يقيدوه ويسلموه إلى الفلسطيين. ويحل روح الرب على شمشون فيقطع قيوده ويضرب الفلسطيين ضربة عظيمة (قض ١٥: ٩-٢٠). يبقى وجود شمشون كجدار أمام الأعداء لمدة ٢٠ سنة، لكن شمشون لا يحفظ عهده كنذير للرب، وثقة منه في قوته، ينزل إلى غزة أحد أكبر معاقل الفلسطيين ليبيت عند امرأة زانية، وبالفعل يتمكن من خلع باب المدينة ليهرب من كمين أعدائه، لكن نهاية الجبار تقترب.

يسقط شمشون في هوى امرأة فلسطية تدعى «دليله»، فيتفاوض قادة الفلسطيين معها لتعرف سر قوته، فتستغل الرغبة التي استبدت به وتلح عليه حتى يكشف لها أن سر قوته في أنه نذير للرب، والعجيب أنه يفصح بمكنون قلبه لأنها «كانت تضايقه بكلامها كل يوم والحت عليه، ضاقت نفسه إلى الموت»، وبالفعل تقوده إلى الموت! لقد فقد شمشون قوته لأنه قطع صلته بالرب مصدر قوته، والرب يتأنى عليه أكثر من مرة، لكن الشهوة عندما تتمكن من الإنسان، يصير مبصراً ولا يرى، وسامعاً ولا يفهم، ويفقد شمشون بصره على يد أعدائه، ويصبح هدفاً للإذلال. لقد كان سقوط الجبار إساءة للرب فقد اعتبر الفلسطيون أن إلههم

أقوى من آله العبرانيين، ويصبح الجبار وسيلة للتسلية فيجلبونه ليرقص في احتفالاتهم. وفي النهاية يستعيد شمشون قوته، لا لأن شعرة نبت ثانية، بل لأنه عاد إلى الرب (قض ١٦: ٢٨). مأساة حقيقية حفرت لنفسها مكاناً في التراث الإنساني، وقدمت للناس درساً لا ينسى: «كيف يسقط الجبابرة – ٢ صم ١: ١٩».

ميخا وكهنوت خاص !

تبدأ قصة ميخا الأفرايمي بداية غريبة إذ أنه يعترف لأمه بسرقته لمبلغ من المال منها، ويبدو أنها أرادت أن تكفر عن لعنتها للسارق الذي لم تكن تعلم أنه ابنها، فتخصص المبلغ لعمل صنم فضي، ويقرر ميخا أن يعين أحد ابنائه كاهناً لهذا الصنم، ثم يغري غلاماً من سبط لاوي ليكون كاهناً خاصاً له في مقابل عشرة شواقل فضية سنوياً، ويعتبر ميخا أنه بهذا ينفذ إرادة الرب. ولا يجد الوحي تعليقاً على هذا أفضل من: «وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه- قض ١٧: ٦».

سبط دان يجد لنفسه أرضاً

عجز الدانيون عن السكن في المنطقة التي خصصها لهم يشوع في أرض كنعان، لأنها كانت تحت سيطرة الفلستيين، فأرسلوا مجموعة من الرجال تستكشف لهم موضعاً، حتى وقعوا على شعب مسالم [٢] (وليس لهم أمر مع إنسان – قض ١٨: ٧)، فهاجموهم وقتلوهم وأخذوا أرضهم. لكنهم أيضاً في طريقهم إلى مهاجمة هذه الجماعة المسالمة من الصيدونيين، يمرون ببيت ميخا الأفرايمي، فينهبون ممتلكاته، ويأخذون قسراً الأفود والترافيم والأصنام التي أقامها، بل والكاهن الذي نصبه لنفسه. إننا ندخل في هذه التفاصيل لأنها تكشف لنا المستوى الأخلاقي الذي انحدر إليه الأسباط في عصر القضاة، لكن السفر يدخر لنا خاتمة تغنينا عن الشرح.

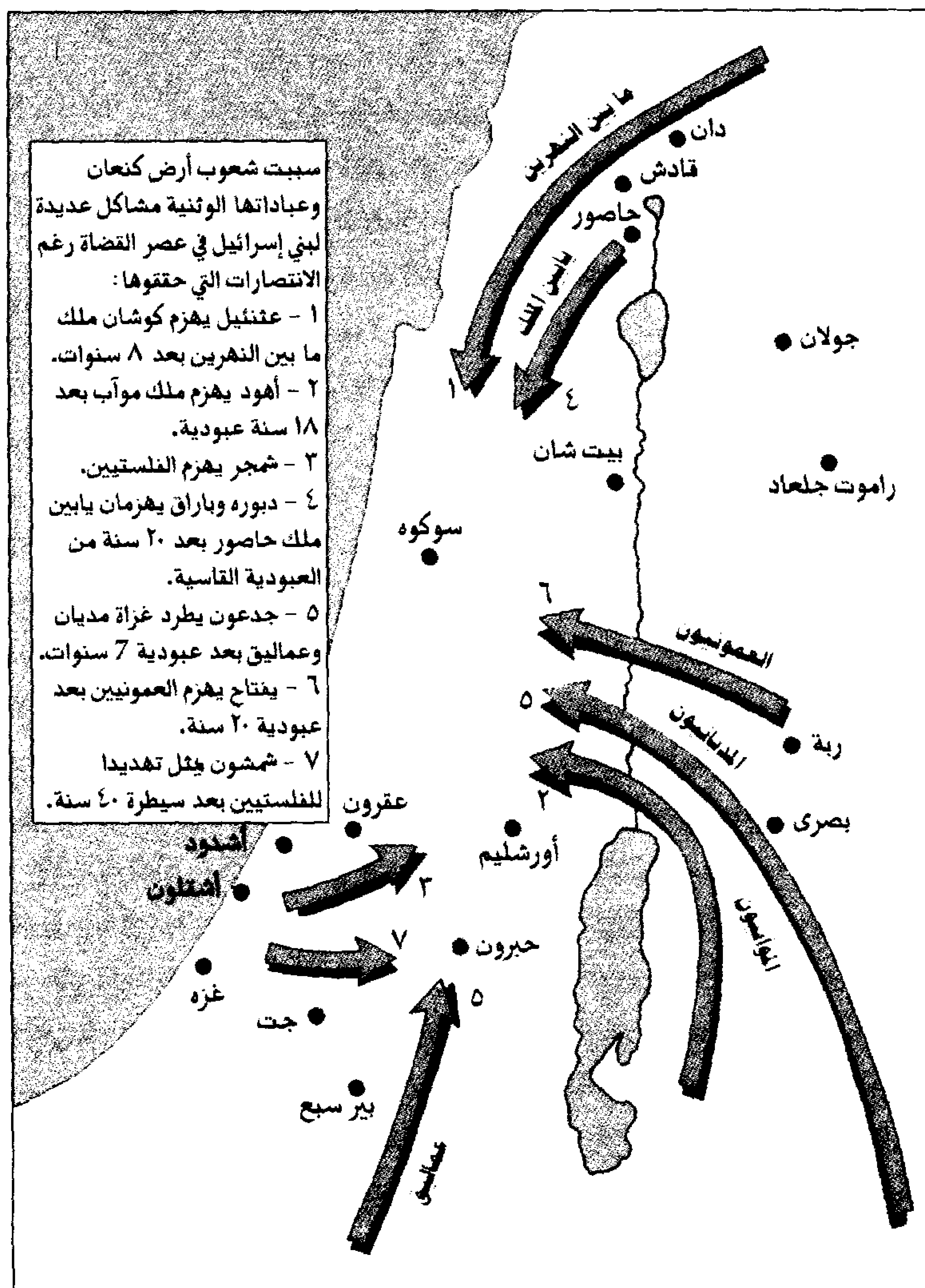
مأساة بنيامين

رجل لاوي يستعيد جاريته (سريته) الهاربة، وفي طريق العودة يفضل أن يبيت وسط سبط بنيامين معتقداً أنه سيكون آمناً بدلا من المبيت وسط أغراب، فينصب خيمته في ساحة وسط جبعة البنياميين. يجده رجل طيب في المدينة فيستضيفه في بيته حماية له ولامرأته، ولكن بعد فوات الأوان، فقد علم ذئاب بنيامين بأمر الرجل وامرأته، فينقضون عليه ليستبيحوا المرأة طوال الليل، حتى لفظت أنفاسها. يرسل الرجل اللاوي أشلاء الضحية إلى الأسباط الذين تستفزهم بشاعة الجريمة، فيقومون قومة رجل واحد، ويحاربون أخوتهم،

---

٢ توضيح الترجمة الغامضة للآية قضاة ١٨: ٧: ليس في الأرض مؤذٍ بأمر وارث رياسة = ليس مذلٌ أمراً في الأرض وارث سلطة. بمعنى: لا يذلهم أحدٌ بحكم وراثته للسلطة { مثل ملك أو أمير أو حاكم}.

وبعد خطوب تنتهي القصة، بمذبحة أوشكت على إفناء سبط بنيامين. يحلف رجال إسرائيل بألا يعطوا من بناتهم زوجات لمن تبقى من بنيامين، ويبتكرون هم حلاً بأن يختطفون لأنفسهم زوجات من عذارى موآب. من هذه القصة التعسة نفهم: عمق الهوة الأخلاقية التي تردى فيها الشعب بابتعاده عن الرب، كما نرى التفكك الواضح بين الأسباط حتى لم يعد للأخوة أو لرابطة العهد قيمة بين أبناء الشعب الواحد. لقد لجأ أغلب بني إسرائيل إلى العبادات الكنعانية، معتقدين أن هذا هو السبيل لكي يثمروا في الأرض، وها هم يجنون الثمر المرير. وقد ألقت هذه الحادثة بظلالها على سبط بنيامين، فنرى أنه عند انقسام المملكة، سبط يهوذا ينفصل، ومملكة الشمال تدعى مملكة العشر أسباط، فقد كاد بنيامين أن ينسى لتناقص عدده.



راعوث المؤابية

موجز القصة تضطر عائلة من سبط يهوذا إلى التغرب في موآب، وهناك تنهمر عليها مصائب الحياة، فيموت الأب ثم ولداه ولا يبقى سوى الأم وكنتاها، ولا تجد الأم نعمى إلا أن تعود إلى بلدها، فتحرر الأرملتين الشابتين من أي حرج تجاهها، وتطلب منهما أن يبقيا في موطنهما لتجد كل منهما زوجاً لنفسها، ففي ذلك الزمان لم يكن ممكناً للمرأة الوحيدة أن تواجه الحياة. ترفض راعوث وتصر على الرحيل مع حماتها، هل أشفقت راعوث على المرأة العجوز من مواجهة الحياة بمفردها، أم أنها أحبت نعمى من معاملتها الطيبة رغم كل ما يقال عن قسوة الحموات! على أية حال اعتبرت نعمى هذا التصرف من راعوث جميلاً يطوق عنقها، ولا شك أنها ارتاحت أنها ستجد من تتوكأ عليه في أيام الشيخوخة.



من كلام راعوث ندرك عمق محبتها لحماتها، فلم تكن المسألة مجرد واجب اجتماعي:«لا تلحي عليَّ أن أتركك وأرجع عنك، لأنه حيثما ذهبت أذهب، وحيثما بت أبيت، شعبك شعبي وإلهك إلهي، حيثما مُت أموت وهناك أندفن. هكذا يفعل بي الرب وهكذا يزيد. إنما الموت يفصل بيني وبينك – را ١: ١٦-١٧»

(«هكذا يفعل بي الرب وهكذا يزيد»: قول شائع في الثقافة السائدة، بمعنى ليعاقبني الرب عقاباً شديداً أن لم أفعل كذا...، أو كما نقول في مصر «إن شاء الله يجيني ويحط عليَّ !»)

تعود المرأتان إلى موطن نعمى في بيت لحم، ثم تذهب راعوث لتعمل في حقل يملكه رجل من أعيان بيت لحم يمت بصلة قرابة إلى زوجها الراحل أليمالك، وبالفعل يراها بوعز ويعلم إخلاصها في العمل، فيدعوها ويطمئنها، ويعرفها بأنه يقدر موقفها النبيل مع حماتها، وييسر لها مناخ العمل ويوصي غلمانه عليها، وعندما تعود إلى حماتها، إذا بنعمى تخبرها أن بوعز هو «ثاني ولينا» بمعنى أنه التالي في القرابة لزوج راعوث الراحل بعد الولي، والولي هو الرجل الذي ترشحه الشريعة ليتزوج براعوث بعد أن ترملت (را ٣: ١٢)، ثم تطلب منها أن تلازم حقل بوعز تجنباً للمشاكل التي قد تتعرض لها في أي حقل آخر. لكن نعمى كانت لها خطة أخرى، فتطلب من راعوث أن تتزين، ثم تذهب إلى حيث بوعز ينام، وتنام أسفل قدميه، بعد أن تكشف طرف ثوبه عن رجليه، ويبدو أن هذا في العرف السائد كان معناه أنها تتوسل إلى الرجل أن «يستر عليها»، كما يقولون في ريف مصر حتى الآن.

وبالفعل يسعى بوعز ليتمم الأمر مع الولي الأقرب، ويعلن أمام شيوخ بيت لحم أنه سيشتري ميراث أسرة أليمالك، وسيأخذ راعوث زوجة «ليقيم اسم الميت على ميراثه»، وتنجب راعوث ابناً لبوعز هو عوبيد الذي أصبح فيما بعد جداً لداود الملك. (للتفاصيل أنظر تث ٢٥: ٥-١٠ + لا ٢٥: ٢٣)، ويبقى السؤال : لماذا ينسب عوبيد إلى بوعز ولا ينسب إلى محلون الزوج الأول لراعوث، وكيف لا ينقرض اسم الميت في هذه الحالة، رغم أن هذا هو الأساس الشرعي الذي بنيت عليه الزيجة؟

عن دخول الأجانب في شعب الله

يرد نسب السيد المسيح في الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا ولا نجد فيه سوى الرجال من آدم وحتى يوسف البار خطيب السيدة العذراء، لكن يلفت النظر في نسب السيد المسيح كما أورده القديس متى في مقدمة إنجيله، أنه يذكر أربعة نساء، هن على الترتيب: ثامار، راحاب، راعوث ، وإمرأة أوريا، ولكل منهن قصة:

١. ثامار التي كانت من أصول كنعانية ثم تزوجت من ابن يهوذا ابن يعقوب ، ولما توفي عنها زوجها، تزوجت أخيه فمات أيضاً، فيرفض يهوذا تزويجها من ثالث أبنائه خوفاً على حياته، لكن ثامار بخدعة ما تعاشر يهوذا (أبي زوجيها) وتنجب منه.
٢. راحاب التي لم تكن أصلاً من شعب إسرائيل بل كانت زانية تقيم في أريحا، لكنها تؤمن بإله إسرائيل وتساعد جواسيس يشوع، ثم تتزوج من سلمون وتنجب منه بوعز.
٣. راعوث من شعب موآب التي تزوجت بوعز وصارت الجدة الكبرى لداود الملك كما ذكرنا آنفاً. إذن داود الملك جاء من نسل إمرأتين أجنبيتين هما راحاب الكنعانية ثم راعوث الموآبية.
٤. بتشبع امرأة أوريا الحثي التي اغتصبها داود من زوجها ودبر مؤامرة لقتله ثم صارت زوجة له، ومنها أنجب سليمان الحكيم خليفة داود على عرش إسرائيل.

لم تكن هاته النسوة أول من انضممن إلى شعب الله:

فنقرأ عن زوجة يوسف وكانت مصرية (تك ٤١: ٤٥)، وزوجة موسى النبي وكانت مديانية (خر ٢: ١٦-٢١ + عد ١٢: ١)، بل إن شيوخ إسرائيل اقترحوا حلاً لسبط بنيامين الذي أوشك أن ينقرض، فيتزوج رجال بنيامين من فتيات جلعاد بعد سبيهن ومعاشرتهن بالقوة! وإذ لم يكون عددهن كافياً استكمل رجال بنيامين حاجتهم من راقصات شيلوه الكنعانيات! (قض ٢١: ٧-٢٣).

نعلم جيداً أن الشريعة التي أعلنها الرب لموسى النبي كانت تحرم التزاوج مع الشعوب الآخرى (الأمم):

«احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض ... وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن - خر ٣٤: ١٥-١٦» «متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض... لا تقطع لهم عهداً... ولا تصاهرهم. بنتك لا تعطِ لابنه وبنته لا تأخذ لابنك. لأنه يرد ابنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى - تث ٧: ١-٤» «لا يدخل عموني أو موآبي في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر.. إلى الأبد - تث ٢٣: ٣»

ونلاحظ الاهتمام الشديد لدى نحميا وعزرا بفسخ الزيجات المختلطة. يقول نحميا :«في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ... فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله قائلاً: لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم - نح ١٣: ٢٣-٢٥» ، لكن الشريعة لم تغلق الباب أمام انضمام الغرباء:

للغريب والنزيل أن يأكل الفصح بشرط الختان (خر ١٢: ٤٣-٤٩)

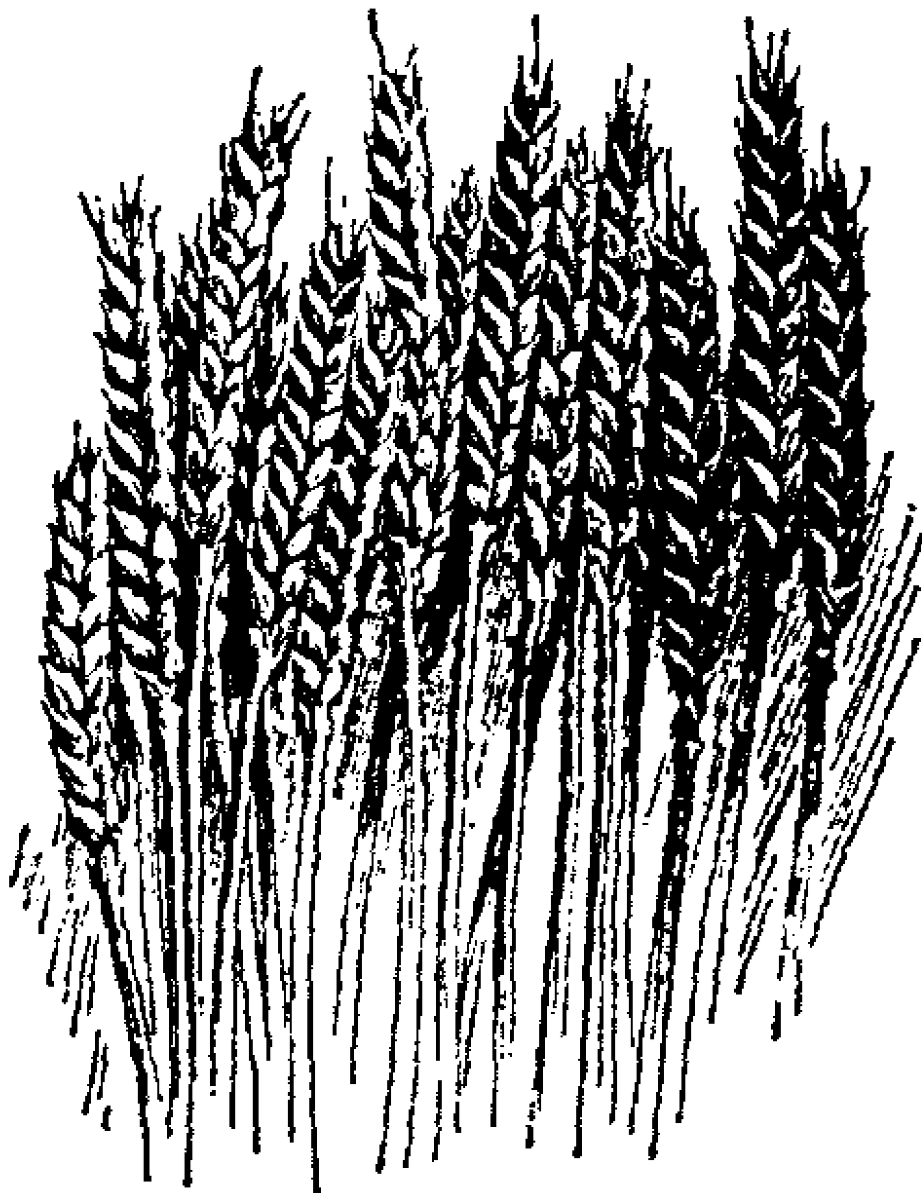
«حكم واحد يكون لكم. الغريب يكون كالوطني - لا ٢٤: ٢٢».

«إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر - لا ١٩: ٣٣-٣٤» (إنظر تث ١٠: ١٩).
ونقرأ عن امرأة إسرائيلية تزوجت وأنجبت من رجل مصري (لا ٢٤: ١٠).
ومن الشيق أن نتتبع اهتمام الله بالأمم، وستجده بالتفصيل في القسم الثالث من هذا الكتاب. ويتطور الفهم اليهودي للشريعة ليصل إلى ما سمي «شريعة الدخيل»، والدخيل هو الغريب الذي اقترن بالرب:
«فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلاً: إفرازاً أفرزني الرب من شعبه، ... وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ... آتي بهم إلى جبل قدسي وأفرِّحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب - أش ٥٦: ٣-٦»

رغم أن شعب إسرائيل كان يعلم أن إلهه هو رب كل البشر، إلا أنه لم تنشأ حركة تبشير باليهودية على امتداد العهد القديم، رغم ما ذكرناه من اهتمام للرب بنشر معرفته بين الأمم. لكن هذا الاتجاه لم يتجسد إلا بعد سبي بابل وتشتت إسرائيل بين الشعوب.

عندما بدأت العودة من السبي، كان عزرا ونحميا من الذين مالوا إلى الانغلاق واعتزال الأغراب، وكان هذا رد فعل طبيعياً لما حدث للشعب من خراب ودمار بسبب تورطهم في العبادات الغريبة التي تأثروا بها من الأمم التي جاورتهم. وكان لابد أن تمر مئات السنين حتى يستقر في الفكر اليهودي مسألة انضمام الأغيار إلى الإيمان بيهوه (الأغيار في العبرية «جوييم» وتترجم في العهد القديم إلى «الأمم»)، وتم تحديد الخطوات والاختبارات والطقوس التي يتعين على هذا الغريب أن يجتازها ليعتبر ضمن رعية يهوه إله إسرائيل.

كانت قصة راعوث ضرورية ليعرف الشعب الأصل الذي جاء منه ملكهم وبطلهم المحبوب داود، ويعرف جده الأكبر بوعز كرجل بار متمسك بشريعة الرب، وجدته التي قدمت المحبة وآمنت بيهوه إله إسرائيل، رغم أنها من أصل موآبي. وجذور الإنسان لها أهمية بالغة لدى الثقافة البدوية.



المملكة الموحدة

صموئيل النبي
ثنائية السلطة
شاول أول الملوك
صعود داود
سقوط الجبابرة
الهروب من شاول
نياحة صموئيل
نهاية شاول

صموئيل النبي

كانت دعوة صموئيل ليصير نبياً وقاضياً لإسرائيل نقطة تحول في التاريخ المقدس:

١- كقاض كان على صموئيل أن يقود الشعب للخروج من عصر القضاة إلى عصر الملوك، وأن يضع الأساس لنمو المملكة، وكنذير للرب من بطن أمه، مثل شمشون، واصل صموئيل المهمة التي بدأها شمشون وهي خلاص شعبه من نير الفلسطيين، لكن ليس بقوة ذراعه، بل بالقوة الروحية لتعليمه وصلواته، التي استرد بها الشعب من ضلال عبادة الأوثان إلى عبادة الرب.

٢- وكنبي وضع الأساس لوظيفة الأنبياء، وكان أول من جسدها، ومنحها القوة التي جعلت لها التأثير الأقوى على الشعب جنباً إلى جنب مع الكهنوت والملكية، التأثير الذي استمر بعد نياحته وحتى آخر تاريخ العهد القديم. فمنذ دخول الأرض ظهر أنبياء قبل صموئيل، يعلنون عن إرادة الرب، إلا أن ظهورهم كان بشكل متقطع، دون أن يتركوا أثراً ممتداً. بينما منذ صموئيل فصاعداً، شكل الأنبياء الدعم المستمر للحياة الروحية للأمة الإسرائيلية، وكانوا الأداة التي لا تخيب في التعرف على مقاصد الرب وأحكامه.

ولتأصيل الدور الخطير الذي سيقوم به صموئيل البار، كان لابد للوحي الإلهي أن يصف لنا أولاً الأحوال الدينية والسياسية للشعب، ثم يعود ليوثق ولادة صموئيل وتكريسه بتدبير من الرب.

كانت خيمة الاجتماع في شيلوه منذ أن نصبها يشوع بن نون، وكانت إحدى الأسر التقية التي تنتمي إلى سبط لاوي تصعد كل سنة (على الأرجح في عيد الفصح) لتقدم نذورها، ولا يوجد في الشريعة ما يفرض على العبراني أن يقدم نذراً سنوياً، لكن تقديم ألقانه لنذوره يكشف لنا تقواه الشخصية، إلى جانب لطفه في معاملة زوجته حنه رغم أنها كانت عاقراً لا تنجب، وما كان يفعله ليخفف عنها استفزاز ضرتها لها.

كان المجتمع في ذلك الوقت ينظر إلى الأبناء على أنهم عطية من الله، وحرمان الاب أو الأم منهم يعتبر غضباً أو على الأقل عدم استحقاق لنوال نعمة الرب، وكان اللوم كله يقع على المرأة، خاصة إذا كان زوجها قد أنجب بالفعل من زوجة أخرى، ولكن لهذا العرف جذور عتيقة في التراث البشري، فقد كان الناس يرون الطفل يخرج من بطن أمه، فاعتبروا الأم هي المسئولة عن الإنجاب بشكل أساسي، ووصل الأمر ببعض الحضارات إلى تقديس الأمومة وتصوير معبوداتهم في شكل أنثوي، ما دامت المرأة هي مصدر الحياة الجديدة.

لجأت حنه للرب تصلي بقلب متألم، والكلمات تتدفق من ذهنها دون صوت مسموع، حتى ظنها عالي الكاهن مخمورة. وتنذر حنه أن النسل الذي يعطيه الرب لها ستقدمه نذيراً للرب يخدمه منذ الطفولة، لكن إيمان حنه يظهر جلياً، فبعد أن طمأنها عالي الطيب، تنصرف ووجهها غير متغير موقنة أن الرب سيستجيب.

وبالفعل يهبها الرب صموئيل، وتفي المرأة بنذرها فتأخذه إلى عالي، بعد الفطام، ومعه تقدمة سخية. (كان الصبي يفطم بعد ثلاث سنوات - ٢ مك ٧: ٢٧) لكن إيمان حنه يثير الإعجاب مرة أخرى عندما تسلم طفلها الوحيد والذي أتاها بعد انتظار مرير، وها هي تترنم بتسبحة تفوح منها رائحة المزامير وأناشيد

الأنبياء، يتلخص محتواها حول أن الفقر والغنى والمجد والهوان بيد الرب وحده، يهب المتضعين ويسلب المتكبرين. ويهب الرب حنة نسلاً عوضاً عن بكرها الذي نذرته للرب، فالله لا يترك نفسه مديناً لأحد.
كان أبناء عالي الكاهن صورة للانحراف والاستهانة بمقادس الرب، فلم يكتفوا بطلب نصيب الكهنة من الذبائح، قبل أن يقدم نصيب الرب (الشحم) على المذبح، بل زادوا على ذلك بارتكابهم المعاصي في حرم مسكن الرب، فكانوا يخطئون مع النساء المتفرغات لخدمة بيت الرب، لذا لا يجب أن نندهش عندما نقرأ العقاب الذي أعلنه الرب لعالي الكاهن على فم أحد الأنبياء ثم يؤكده لصموئيل الصبي، فلن يكفر عن ذنوب بيت عالي، بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد، وهو ما ناقشناه تفصيلاً في باب الشريعة، لأن مجرد تقديم الذبيحة لا يجلب تلقائياً رضا الرب، بل النية المخلصة والتوبة الصادقة لمن يقدم الذبيحة.
يعلن الله العقاب الرهيب على عالي: فسيموت كل رجال بيته شباناً، وسيحرم بيته من وظيفة الكهنوت، لكن رجلاً واحداً سيبقى في الكهنوت حتى تكل عيناه وتذوب نفسه (المرجح أن المقصود بهذا هو عالي نفسه، فحين يتحدث الرب إلى صموئيل يقول أن سيأتي بكل ما أعلنه رجل الله على عالي وأسرته).
يذكر النص: أن كلمة الرب كانت عزيزة والرؤيا نادرة، ثم يقول وعاد الرب يستعلن في خيمة الاجتماع مما يؤكد أن هذا حدث بعد مدة غياب، وهو ما جعل الشعب كله يعرف (من دان إلى بئر سبع) أن أمانة الخدمة قد انتقلت إلى صموئيل. وقد نتساءل: كيف يمكن لصموئيل أن يتولى الكهنوت، بينما يذكر الكتاب أن اباه ألقانة كان أفراميا، لكن سفر الأخبار يؤكد أن ألقانة كان ينتمي إلى سبط لاوي (١ أخ ٦: ٢٦-٢٨)، وربما كان تكريس صموئيل منذ طفولته، بل من قبل ولادته، كان سببا في إلحاقه بسبط لاوي، فيدرج الكتاب المقدس والد صموئيل وأعمامه في نسل قهات بن لاوي، لكن الأرجح أن الأسرة كانت تنتمي بالفعل إلى سبط لاوي، وإن دعي ألقانه أفراميا لإقامته في الرامه وسط سبط أفرايم.

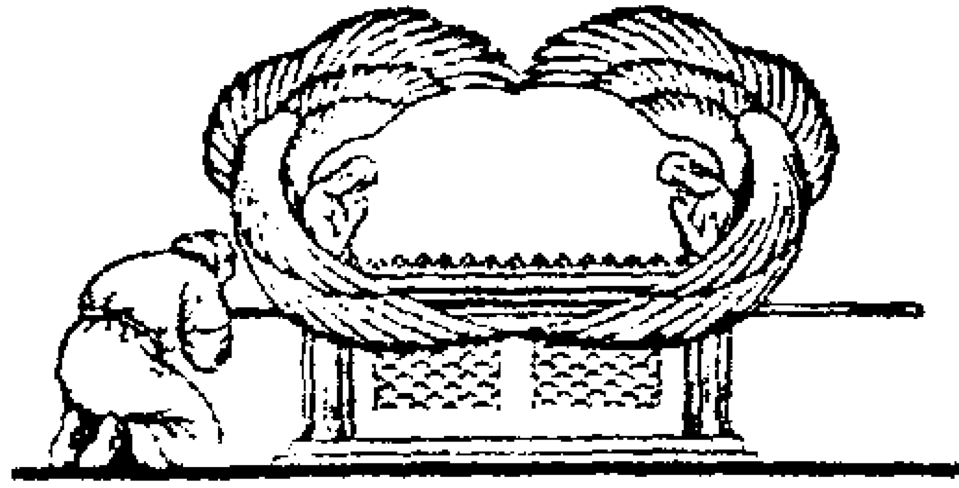
الرب يتخلى عن شعبه، أم أن الشعب هو الذي تخلى عن إلهه؟



كان التهديد الرئيسي لشعب إسرائيل هو الفلستيين الأشداء، فهاجموا وادي أفيق عند حجر المعونة (أطلق هذا الإسم على المكان بعد المعركة بسنوات، فنفهم أن السفر كتب بعد هذه الأحداث بفترة طويلة).
انهزم إسرائيل في المواجهة الأولى، فظنوا أنه بادخال تابوت الرب في الحرب يضمنون النصر، على أساس أن الرب لن يقبل بسقوط أقدس مقادسه في يد الأمم، لكن الله له ترتيب آخر. فالرب لا يساند شعبه بصورة تلقائية، وكيف للرب أن يساند الذين يتعدون وصاياه، فلا نتعجب عندما يسمح الرب بأن يدمر بيته، وتنهب مقادسه، وهي قضية سنناقشها بشكل كامل عندما نتعرض لفترة السبي.

لا يملك القارئ نفسه من الاعجاب بشجاعة الفلستيين، فرغم معرفتهم بجبروت الرب، إلا أنهم يتنادون للقتال ويستجمعون عزيمتهم فينتصرون، وينكسر شعب إسرائيل، وينتزع الفلستيون تابوت عهد الرب من أيديهم، وهو الذي أحضروه معهم ليهبهم النصر! كانت الصدمة رهيبة، ففي يوم واحد ذهب التابوت إلى يد الأعداء، وقتل إبنا عالي، وسقط عالي صريعاً، حتى أن زوجة فينحاس ابن عالي يباغتها المخاض، وتفقد حياتها وهي تضع طفلها الذي اختارت له اسماً ذا مغزى (إيخابود = زوال مجد).

التابوت في أيدي الفلستيين



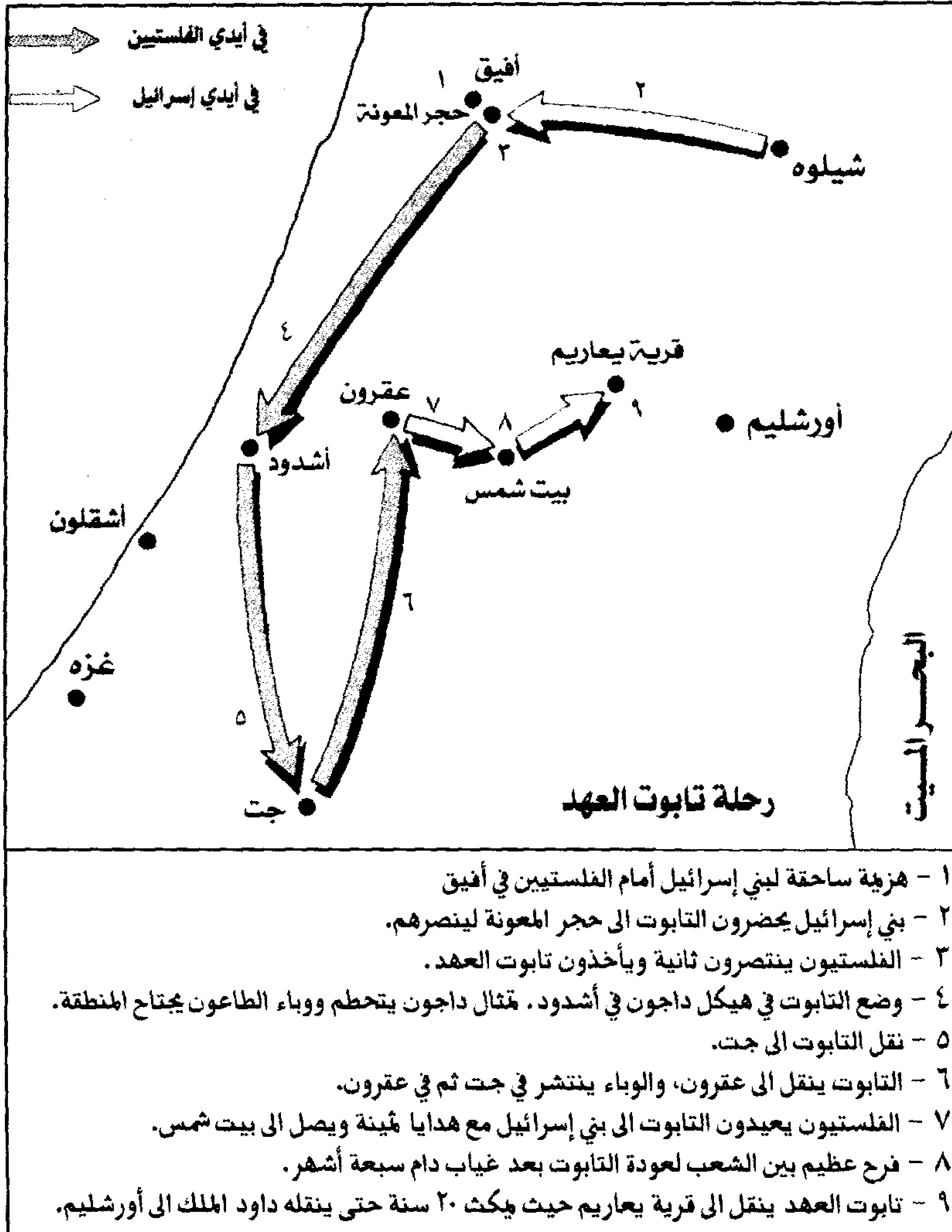
بقي التابوت في أيدي الفلستيين سبعة أشهر تنقل خلالها من أشدود إلى جت ثم إلى عقرون، وفي كل مكان حل به التابوت أنزل الرب ضربات ثقيلة على أهل المكان، كان منها مرض البواسير ويرجح أيضاً انتشار الفئران التي هددت المحاصيل وأزعجت الناس.

يرى البعض أن الإشارة إلى الفئران توحي بأن الرب ضربهم بمرض الطاعون، لكن هذا غير منطقي، حيث أن الإنسان لم يكتشف أن الفئران تنقل جراثيم الطاعون إلا في القرن الثامن عشر الميلادي. وفي النهاية اضطر الفلستيون إلى إعادة التابوت بمشورة من عرفائهم، إذ وضعوا التابوت على بقرتين حديثتي الولادة، وإذ ابعدوا عنهما مولوديهما، سارت البقرتان على عكس غريزتهما في اتجاه بيت شمس ليتأكدوا أن هذه هي إرادة الرب. للمرة الثانية يذكر الناس جبروت الرب الذي تجلى في ضربات مصر، ويفعلون ما فعلوه حتى لا يقعون تحت يده الساحقة. يصل التابوت إلى قرية بيت شمس ويبدو أن السكان تشوقوا إلى رؤية ما بداخل التابوت فتعرضوا بدورهم إلى ضربة من الرب فاستغاثوا بأهل "يعاريم" القريبة الذين نقلوا التابوت إلى قريتهم، وخصصوا أسرة تقية لخدمته، ليبقى هناك نحو ٢٠ سنة.

كانت هذه الحادثة مؤشراً قوياً، وذكرى أليمة استعادها الشعب فيما بعد حين استشعر الخطر الداهم الذي لا يهدد مقدسات الرب فحسب بل ويهدد وجودهم ذاته في كنعان. لذا نرى الشعب يحزن ويلجأ إلى صموئيل النبي الذي يوجه فكرهم إلى سبب كل هذه الآلام، وهي تركهم للرب وعبادتهم للأوثان، ويكرر هم ما سبق أن طلبه منهم قادة سابقون، إنزعوا الآلهة الغريبة من بينكم (تك ٣٥: ٢ + يش ٢٤: ٢٣ + قض ١٠: ١٦).

اجتمع الشعب للصوم والصلاة في المصفاة بقيادة صموئيل البار ويذكر الكتاب المقدس أنهم سكبوا ماء أمام الرب. والمقصود أنهم سكبوا قلوبهم كالماء، وكتعبير رمزي سكبوا ماءً بالفعل أمام الرب كتعبير عن محنتهم النفسية والروحية، وليس هذا التفسير من عندنا بل نأخذه من الكتاب المقدس: "اسكبي كالماء قلبك قبالة وجه السيد - مراثي ٢: ١٩" (أنظر أيضاً ٢ صم ١٤: ١٤+ مز ٦٢: ٨+ مز ٢٢: ١٤).

وكانت النجاعة فورية، فسرعان ما حقق الشعب نصراً كبيراً على الفلستيين كان من نتيجته أن يعيش الشعب لفترة متحرراً من تهديدهم، ولعل الأموريون أيضاً شاهدوا عمل الرب مع شعب إسرائيل فلجأوا إلى عقد هدنة طويلة معهم. حين يخطئ الناس يتأنى الرب عليهم كثيراً، وإذ يرفضون الرجوع، يؤدبهم كما يؤدب الآب ابنه، لكن بمجرد أن يقدم الناس توبة حقيقية، يأتي رضاء الرب وبركته سريعاً.

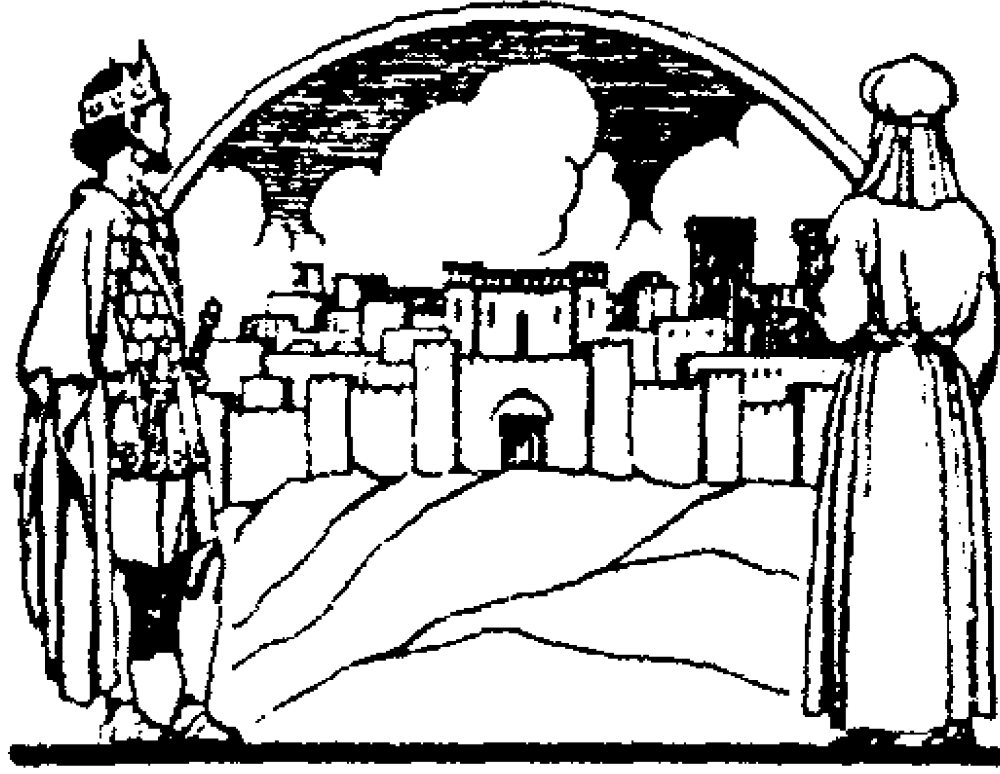


أصبح صموئيل قائداً روحياً ومدنياً للشعب، فقد تأكد ما عرفه الشعب في أيام عالي، بالنصر الكبير على الأعداء، ثم بالسلام والطمأنينة طوال عهد صموئيل، ولما كانت خيمة الاجتماع قد دُمرت على أيدي الفلستيين، والتابوت موضوعاً في قرية يعاريم، يبني صموئيل مذبحاً في الرامة ليذبح للرب، وفي هذه الفترة كانت الخدمة الكهنوتية غير مرتبة، حتى جاء داود ملكاً لينظمها تنظيماً محكماً استمر لمئات السنين.

تولى إبنا صموئيل القضاء للشعب، لكنهما لم يملكا من المواهب سوى أنهما ولدا صموئيل، وسرعان ما ضج الشعب من فساد القضاء، فصرخوا إلى صموئيل ليقيم لهم ملكاً مثل سائر الشعوب المحيطة بهم، لكن كان هناك سبب آخر وهو قلق الشعب من تهديد العمونيين بقيادة ملكهم ناحاش (١ صم ١٢: ١٢).

لم يوافق هذا فكر صموئيل، لذا يهدئ الرب روعه، ويطلب منه أن يحذر الشعب مما يمكن أن يصيبه عندما يقيم ملكاً، فسوف يستعبدهم الملك الذي يطلبونه ويأخذ من أبنائهم وبناتهم ومحاصيلهم وجهدهم وأموالهم ليؤسس ملكاً وحاشيةً وقصوراً وجيوشاً (وهو ما تحقق خاصة من بداية عهد سليمان)، لكن المطلب الشعبي كان غالباً، فيكلف الرب صموئيل بالخضوع لرغبتهم، ويرشده لاختيار أول ملوك إسرائيل.

ثنائية السلطة في إسرائيل



كان التحول من أسباط (قبائل) متفرقة إلى مملكة أخطر مما تصور الشعب، فحتى ذلك اليوم كان الشعب يتلقى إرشاده مباشرة من الرب من خلال الرجال الذين يختارهم ويكلفهم، فقد خرجوا من مصر بقيادة موسى، ودخلوا كنعان بقيادة يشوع، وبعد فترة مضطربة في عصر القضاة، خضعوا لصموئيل، وكل من هؤلاء أيَّده الرب بآيات لا تقبل الجدل، فكان الإسرائيلي يخضع لصوت موسى أو يشوع أو صموئيل وهو موقن أنه يخضع لصوت يهوه إله إسرائيل، ولكن في عصر المملكة جاء ملوك أبرار وملوك أشرار، منهم من تمسك بالوصايا الإلهية مثل حزقيا ويوشيا ملوك يهوذا، ومنهم من أطاح بهذه الوصايا وانخرط في عبادة الأوثان مثل صدقيا، ومن هؤلاء من تمادي إلى سفك دماء الأبرياء مثل منسى ملك يهوذا، بل وأقام مذابح للأوثان داخل هيكل الرب، وحتى الأبرار منهم سقط بعضهم في أخطاء وصلت إلى الزنا والقتل مثل داود، أو كسر الشريعة مثل عزيا.

من يطيع الإسرائيلي إذن؟ هل يطيع الملك ويعصى الله فيعرض نفسه للهلاك، أم يطيع الله ويعصى الملك فيضع نفسه تحت طائلة العقاب؟ لذا منذ بداية المملكة ظهرت هذه الثنائية في السلطة (نبي – ملك): ملك يقود الشعب في الحرب ويهتم بشئونه المدنية والاجتماعية، ونبي يرشد وينصح ويعلم الوصايا للشعب وللملك أيضاً، وتعددت المواجهات:

صموئيل النبي/ شاول الملك، ناثان النبي/داود الملك، إيليا النبي/آخاب ملك إسرائيل، ميخا النبي/ يهوشافاط ملك يهوذا، أليشع النبي/ يوآش ملك إسرائيل، أشعياء النبي/ أحاز ملك يهوذا ...

شاول أول ملوك إسرائيل

وقع اختيار الرب على شاول الذي يصفه الكتاب ببهاء الطلعة وطول القامة، ويرتب له أن يلتقي بالنبي صموئيل، إذ خرج يبحث عن ماشية ضالة ويقوده البحث قريباً من الرامة موطن صموئيل، فيقرر أن يلجأ إلى صموئيل «الرائي» ليدله على مكان الماشية الضالة بحكم قدرته على كشف المخبئات، ويبدو أن العادة جرت أن يقدم الطالب هدية أو مبلغاً من المال في مقابل هذه الخدمة. بينما يُعلم الرب صموئيل بمجئ شاول المختار. يلتقي شاول مع صموئيل النبي فيفاجئه بأنه يعرف طلبته، ويطلب منه أن ينزل ضيفاً في بيته.

تتلاحق المفاجآت في هذا اليوم، فها هو صموئيل يضع شاول على رأس المائدة، ويقدم له نصيباً خاصاً من الذبيحة، ثم يفاجئه أكثر بقوله: أن كل مشتهيات إسرائيل ستتقدم له، رغم احتجاج شاول بأنه ينتمي إلى أصغر العشائر في أصغر الأسباط (بنيامين). لكن اليوم لم ينته بعد فيقضي صموئيل الليل كله يتحدث مع شاول على سطح البيت (ولعلها كانت ليلة صيف)، وفي الصباح الباكر يمسحه ملكاً على إسرائيل، وكانت هذه مفاجأة أخرى، فالمسحة كانت قاصرة على الكهنة.

يخبر صموئيل شاول بالأحداث التي ستأتي عليه طوال اليوم، أهمها أن روح الرب سيحل عليه وسط مجموعة من الأنبياء على سفوح تلال جبعه (موطن شاول)، ويمنحه أسبوعاً ليختبر عمل الله معه، على أن يلقاه بعد ذلك في الجلجال. ويختار الرب أن يحل الروح القدس على شاول في بلدته ليشاهده كل من يعرفونه فيتعجبون (أشاول أيضاً بين الأنبياء؟!) فصارت مثلاً على كل ما هو غير متوقع.

لكن صموئيل الحكيم في اجتماع لشيوخ الشعب لا يعلن اختيار شاول ملكاً، بل يجرى قرعة حتى يأتي الاختيار من الله مباشرة. ويبدو أن بعض الناس استخفوا بشاول أو كان في رأيهم لا يصلح أن يكون ملكاً، لكن شاول لم يعيرهم اهتماماً (كان كأصم - ١ صم ١٠: ٢٧)، ويلقب الكتاب هؤلاء «بني بليعال» (بليعال = عديم الفائدة، وترد في العهد الجديد إشارة إلى الشيطان - ٢ كو ٦: ١٤). وسرعان ما يتصدى شاول بقوة لتهديد بني عمون، ويحقق نصراً ساحقاً عليهم، ليبرهن على قدرته كملك، وفي فرحة الانتصار يرفض أن يعاقب من اعترضوا على اختياره، ويجرى تنصيبه ثانية في الجلجال، بعد أن أثبت جدارته بشكل عملي.



وفي حديث ختامي، يبرئ صموئيل النبي ذمته أمام الشعب، ويؤكد أن ما فعله كان بترتيب من الرب، إذ يطلب من الرب أن يرسل مطراً في غير موسمه، ثم يتعهد بألا يتوقف عن الصلاة من أجل الشعب والملك. أوضح صموئيل للشعب أن حريتهم وخلاصهم لا يتوقف على مجرد اختيار الملك، بل على التزامهم بوصايا الرب، وإلا فسيهلكون هم وملكهم ... لكن رسالة صموئيل لم تكن قد انتهت بعد ...

الله يعمل والإنسان يعمل

عندما اختار الرب شاول ملكاً، دعمه بعمل الروح القدس وأعطاه قلباً آخر (القلب = الفكر + العاطفة + الإرادة)، فكيف انحرف شاول إذن عن مقاصد الرب؟

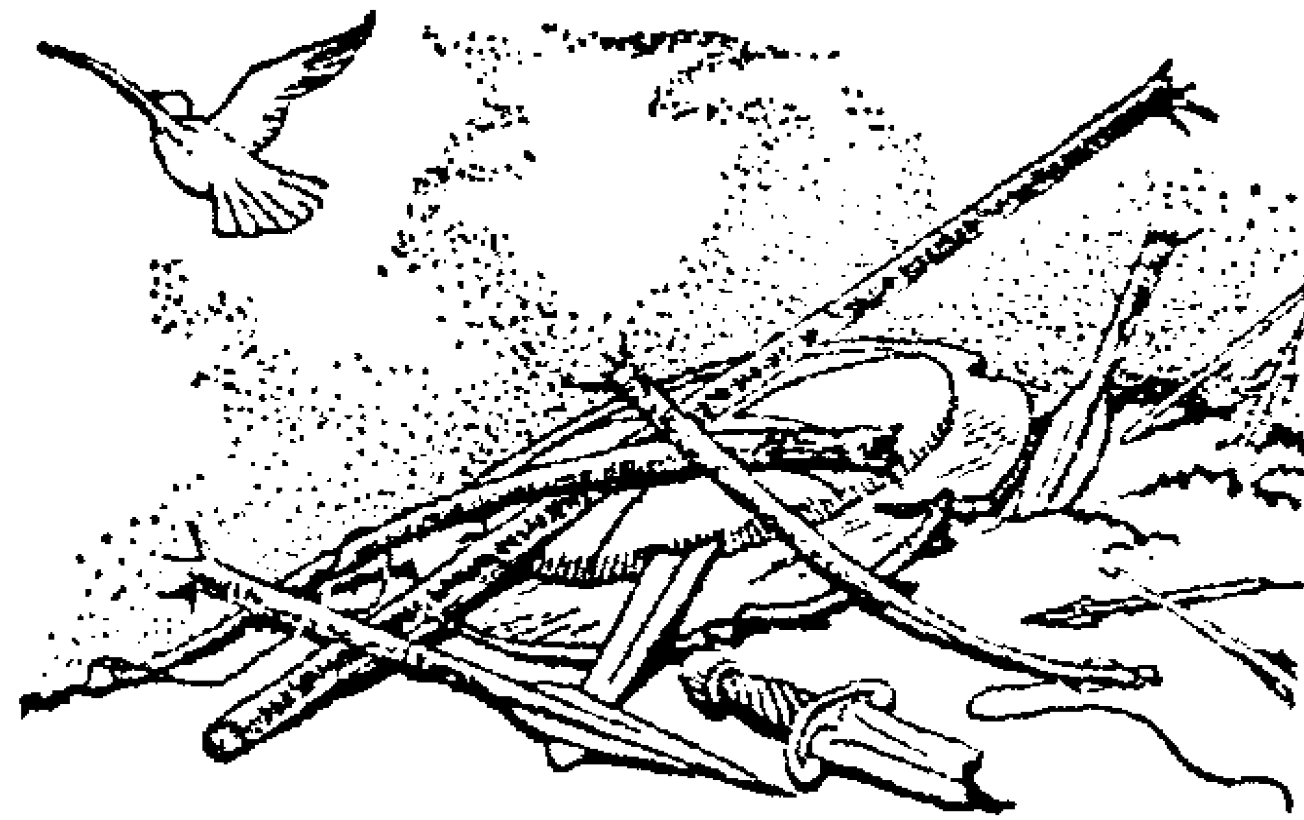
صحيح أن الله يعطيني الروح القدس، يرشدني ويعزيني ويعمل في صميم كياني، لكن الروح القدس لا يعمل ضد إرادة الإنسان، ولنتفكر في قول القديس أغسطينوس: «إن الله الذي خلقك بدونك، لا يقدر أن يخلصك بدونك»، صحيح أن الله وهبني الوجود دون أن يستشيرني، لكنه لا يقدر أن يهبني الخلاص دون رضاي وقناعتي أن أتخلى عن أهوائي الأنانية، وهو ما حدث مع شاول كما سنرى.

يبدو أن زهوة الانتصار على العمونيين، قد دفعت شاول إلى تجميع رجال إسرائيل لمواجهة الفلستيين، وتجمع الشعب بحماس شديد، سرعان ما تبخر، عندما شاهدوا جيش الفلستيين الأشداء، وما أن طالت المواجهة الصامتة دون قتال، حتى تسرب الخوف بين الشعب، فبدأوا يتسللون إلى المغاير والجبال ويهربون إلى منازلهم، بل إن بعضهم انضموا إلى معسكر الأعداء (١ صم ١٤: ٢١).

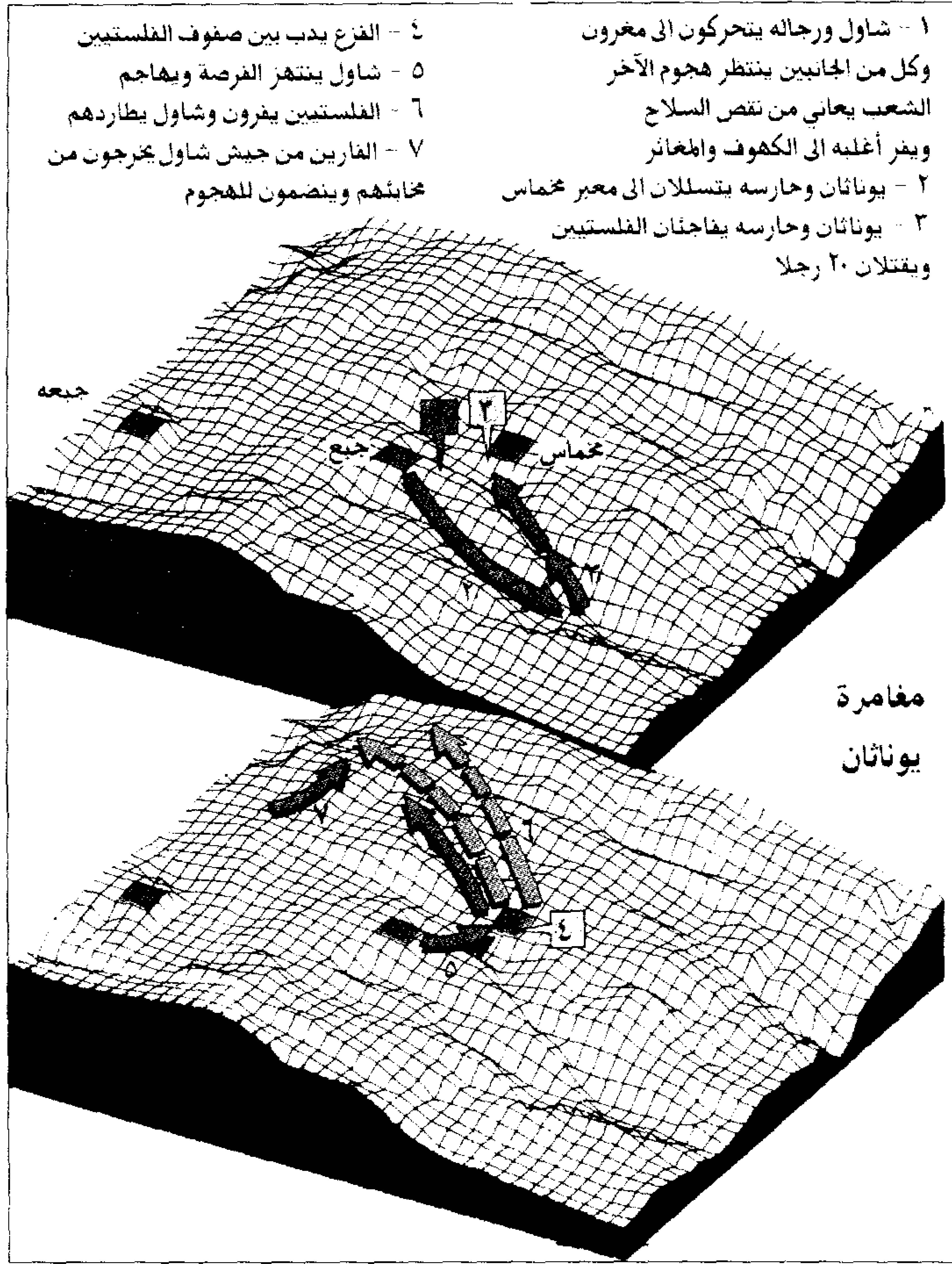
تأخر صموئيل النبي عن الموعد الذي أعطاه لشاول، الذي ما أن رأي روح الهزيمة تسري بين جنوده، حتى تعجل بتقديم الذبيحة قبل مجئ صموئيل. قد يرى البعض تصرف شاول منطقياً، فقد تبدد الجميع من حوله حتى رجال المختارين (٢٠٠٠) لم يبق منهم سوى أقل من الثلث (٦٠٠)، لكن فكر الله يفوق فكر الناس، ألم يتعلم شاول كيف انتصر جدعون على الأعداء، بجيش تناقص من عشرات الألوف إلى مجرد ٣٠٠ رجل؟

وقد يرى البعض رد فعل صموئيل قاسياً، فهل كان تقديم الذبيحة على غير ما رتبت الشريعة، سبباً كافياً لنزع المملكة من شاول؟ لقد نظر الله إلى القلب ووجد شاول حريصاً على مكانته أكثر من حرصه على حفظ الوصية، فاختار لنفسه شخصاً آخر حسب قلبه (١ صم ١٣: ١٤)، «لأن الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فينظر إلى القلب - ١ صم ١٦: ٧)، كان درساً عملياً لصموئيل، ومرة أخرى، الخلاص يأتي بعمل الرب وليس بكثرة الرجال.

تحرج الموقف بشدة، فنظراً لاحتكار الفلستيين لورش تصنيع السلاح، لم يتوفر سلاح صالح بأيدي رجال إسرائيل (١ صم ١٣: ١٩-٢٣)، ولم يكتف الفلستيين بهذا، بل قاموا بحرب عصابات أدت إلى تشتت فكر الشعب، ونشر القلق بين الناس. فاذا بالرب يأتي بحل لم يتوقعه أحد، فاستخدم رجلين فقط هما يوناثان وخادمه، ليحول هذا الفزع إلى صفوف الفلستيين، وتنقلب الكفة ويتطور الهجوم الضئيل الذي قام به يوناثان إلى معركة شاملة تنتهي بنصر كبير على الفلستيين.



(**نصف تلم فدان من الأرض؟** الفدان: وحدة المساحات الوحيدة المذكورة في الكتاب، وهي المساحة التي يستطيع فدان من البقر (بقرتان) أن يحرثها في يوم واحد. التلم: هو الأخدود، أو الأثر الذي يتركه المحراث عند مروره في الأرض. نصف تلم فدان = مساحة ١٥ متراً مربعاً تقريباً، والمقصود هو أن يوناثان ومساعده قتلا عشرين فلستياً في قطعة صغيرة من الأرض، مما نستنتج منه أن هجومه كان مفاجأة تامة للأعداء).



الهجوم على عماليق - جنوح شاول

كان أمر الرب الذي قام صموئيل بتكليف شاول به صريحاً لا لبس فيه، فقد أمر الرب بإبادة شعب عماليق بأكمله، رجاله ونساؤه وأطفاله، ومقتنياته وماشيته، ولا ندعي العلم بالحكمة وراء هذا الأمر. على أية حال لم يلتزم شاول فعفا عن أجاج ملك عماليق، وعن خيار الماشية، وعندما لامه صموئيل، يجيب عليه بصلف: لقد استبقينا الماشية الجيدة لتُقدم كذبائح للرب إلهك! عجيب كلامك ياشاول! هل الرب هو إله صموئيل فقط وليس إلهك يا شاول؟ وهل كانت نيتك عندما عفوت عن أجاج أن تقدمه ذبيحة هو الآخر؟ أم أن يذيع صيتك كملك كريم يعفو عند المقدرة ؟ أم ماذا؟

وكما كان الأمر صريحاً، كانت مواجهة صموئيل: «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش، لأن التمرد كخطية

العرافة (التعامل مع الشياطين) والعناد كالوثن والترافيم، لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك – ١ صم ١٥ : ٢٢-٢٣» . كان حزن صموئيل على تجربة شاول الفاشلة عظيماً، حتى أن الرب يقول له كفاك، ثم يوجهه لاختيار بديل لشاول، فيذهب إلى قرية صغيرة ليمسح داود أصغر أبناء يسى البيتلحمي ملكاً أمام اخوته. ولاشك أن حدثاً مثل هذا كان ولابد أن يصل إلى علم شاول بل والشعب كله.



ويستمر تدبير الرب من أجل داود فيتعرف إلى شاول، كمرتل وضارب عود، فقد فارق روح الرب شاول، فيسكنه روح ردئ من قبل الرب، وهنا يجب أن نتوقف قليلاً. إننا نعلم عن يقين أن الله لا يجرب بالشرور، أي أن الروح الشرير لم يهاجم شاول بأمر الرب، لكننا نفهم المسألة من كلام السيد المسيح؛ فعندما يصر الإنسان على الابتعاد عن الرب ووصاياه، يتخلى عنه الروح القدس، فيصبح مسكناً مريحاً للأرواح الشريرة التي تجول كالأسود تتحين الفرصة (مت ١٢: ٤٣-٤٥ + لو ٢٢: ٢٣-٢٤). كانت أغاني داود وسيلة لصرف الروح الشرير عن شاول ولو إلى حين، وليست المسألة سحراً، فهذه المزامير كانت كلها تسابيح وتماجيد للرب، فكانت كفيلة بوقف التأثير المدمر للروح الشرير، وحتى الآن تستخدم الكنيسة مزامير داود لإخراج الأرواح الشريرة ممن تسلطت عليهم، لكن الكنيسة تفعل ذلك مستندة إلى قوة الصليب الخلاصية.

صعود داود

كانت نقطة التحول الحقيقية في حياة داود، عندما أرسله ابيه ليفتقد أخوته الذين ذهبوا إلى الحرب مع شاول. أربعون يوماً مضت والمواجهة بين بني إسرائيل والفلستيين قائمة، وكل يوم يخرج العملاق جوليات الجتي ينادي هل من مبارز ؟ ولا يجد، رغم وعد شاول بمكافأة هائلة لمن يتصدى له، فقد كانت الحياة أثمن من أية مكافأة قد ينالها من يتصدى لجوليات. كانت المكافأة أن شاول سيجعله رئيس ألف من الجنود، وأن يعفيه هو وأسرته من الضرائب، وفوق ذلك أن يزوجه ابنته فينضم إلى الأسرة الملكية. ويتصدى داود الشاب بجسارة وإيمان فائقين، فإن كان الرب يعاقب شعبه بالهزيمة عندما يبتعدون عنه، فبالأولى أن يهب النصر لمن يثق بقوة الرب ويتكل عليه. والمحزن أننا حتى الآن لم نتعلم هذا الدرس كمسيحيين، فلا زلنا نعاني من الخوف من جوليات، والحق أن سبب هذا الخوف ليست قوة جوليات، بل إدراكنا العميق أننا بعيدون عن الرب فلا نتجاسر على طلب معونته. وبحجر صغير ومقلاع وقوة إيمان داود، ينزع الرب العار عن شعبه وتتحول الهزيمة الوشيكة إلى نصر، ويصبح داود بطلاً شعبياً، وصديقاً حميماً لابن الملك يوناثان، بل ويضعه الناس في مكانة أعلى من شاول الملك نفسه. وكان على داود أن يدفع الثمن ...

في البداية يدفع شاول بداود إلى مواجهات صعبة لعله يتخلص منه، لكن داود خرج منتصراً في كل مرة، لذا ترسخت كراهية داود في قلب شاول، والعجيب أنه في نفس الوقت نشأت محبة قوية بين داود وبين ميكال ابنة شاول التي صارت زوجة له، وبين يوناثان ابن الملك وولي عهده، والذي يفترض أن داود أصبح

منافساً له. ورغم أن شاول يقسم ألا يمس داود بأذى، إلا أنه كان لابد للأمور أن تسير في مجراها الطبيعي، فيضطر داود إلى الهرب من وجه شاول ويساعده في ذلك كل من ميكال ويوناثان.

كيف سقط الجبابرة ؟

في شخصية شاول سنجد تناقضات الإنسان، قوته وضعفه، تواضعه وعناده، مجده ومأساته !

في البداية نرى عنفاً زائداً في مواقف شاول، فحين يستدعي الشعب للقتال يختار أسلوباً مفزعاً، إذ يمزق زوجاً من البقر ويرسل القطع إلى الأسباط محذراً أن هذا سيكون مصير من يتقاعس (١ صم ١١ : ٧)، وحين ينفتح باب النصر بيد يوناثان يقسم ألا يذوق الشعب طعاماً في تجبر بلا مبرر حقيقي.

كما نرى حرصاً شديداً على صورته أمام الشعب، فلا يطيق انتظار صموئيل ويقدم الذبيحة متجاوزاً الشريعة، وفي مرة أخرى يتوسل إلى صموئيل ليحفظ هيبته أمام الناس، ثم يخصص رجالاً كحرس خاص له (٣٠٠٠)، ويضم إليهم كل جبار بأس من الشعب، وها هو يضع ابن عمه «أبنير» قائداً للجيش.

ثم نرى شخصية متقلبة بشكل غريب:

يكلم عبيده أن يقتلوا داود، ثم يستجيب لوساطة يوناثان فيقسم بالرب ألا يقتل داود (١ صم ١٩: ١ - ٧) وبقسوة شديدة يأمر بذبح الكهنة ونسائهم وأطفالهم (١ صم ٢٢: ١٩)، لمجرد أنهم أعطوا خبزاً لداود ورجاله، ثم يعود ويبكي ويخاطب داود «ابني داود - ١ صم ٢٤: ١٦». يقسم بألا يمس داود، ثم يرتب لقتله، يعفو عنه ثم يطارده مرة تلو المرة. ويتساءل القارئ عن عدم استجابة الرب لشاول يوم قام يوناثان بمغامرته الناجحة: هل كانت عقاباً ليوناثان أم تنبيهاً لشاول أنه أقسم يميناً بالرب في غير موضعها «فسأل شاول الله ... فلم يجبه في ذلك اليوم - ١ صم ١٤: ٣٧»

صحيح أننا نرى الجانب الطيب في شخصية شاول، لكن حب الذات والأنانية دائماً هي الداء القتال لكل إنسان يستسلم له، وفي النهاية يختار شاول أن يقتل نفسه، بدلاً من عار السقوط في أسر الفلستيين.

داود البطل الفريد

داود اسم عبرى بمعنى «محبوب» ولا نجد في العهد القديم كله شخصا آخر يحمل هذا الاسم ولكن نجد «دوداياهو» أى المحبوب من يهوه (٢ أى ٢٠ : ٣٧)، ويعود نسب داود إلى بوعز جده الأكبر الذي أنجب عوبيد من راعوث الموآبية، واذا رجعنا عدة أجيال نصل إلى فارص الذى أنجبه يهوذا من ثامار زوجة ابنه في القصة المعروفة (تك ٣٨)، ثم يمتد إلى راحاب المذكورة في سفر يشوع التي كانت تحترف البغاء في أريحا، وكأنما أراد الرب أن يجمع في نسب داود كل ما يمكن أن يعتبر نقيصة طبقاً للشريعة!

كان داود أصغر اخوته الثمانية يقيم مع أسرته في بيت لحم، ولصغر سنه لم يكن يعتبر من رجال الأسرة، حتى أنه لم تتم دعوته إلى الوليمة عندما حضر إليهم صموئيل النبي. ولا شك أن داود أحب بلدته بيت لحم حباً شديداً مما يؤكد ذكرياته الطيبة في أيام الصبا، وبلغ هذا الحب أن يخاطر رجاله بحياتهم ليحضروا له ماء اشتهى أن يشربه من بئر بيت لحم (٢ صم ٢٣ : ١٥)، كما أننا نجد ذكريات أيام الرعي ظاهرة في المزامير التي أنشدها في تلك الفترة، هذه المزامير التي ذاعت حتى وصل خبرها إلى من رشحوه أن يكون نديماً لشاول

الملك. ويذكر التقليد اليهودى أن داود كان يصنع الآلات الموسيقية التى كان يعزف عليها ويرتل مزاميره (عا ٦ : ٥). على أية حال فالقارئ يرى حياة الراعي وخبراته في المزامير:

«أرى سمواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كونتها – مز ٨: ٣»، «أحمد الرب بكل قلبي. أحدث بجميع عجائبك – مز ٩: ١»، «الرب راعيَ ... في مراع خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني – مز ٢٣: ١و٢» «صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد .. صوت الرب يزلزل البرية ... صوت الرب يولِّد الأيل ويكشف الوعور – مز٢٩: ٣-٩»

فالطبيعة عند داود طبيعة معبرة وليست مجرد جماد. لم ينس داود أبداً حياته الأولى، وكم شكر الرب الذي رفعه من مجرد راع للغنم، ليصير راعياً للشعب كله (مز ٧٨ : ٧٠ – ٧٢).

صموئيل يمسح داود ملكاً

في زيارة ارتجت لها بيت لحم يقوم صموئيل بمسح داود ملكاً بتوجيه مباشر من الرب، بعد أن أصر شاول على عصيانه، فرفضه الرب رغم شجاعته. ولا شك أن هذه الزيارة قد تركت أثراً عميقاً في كل الحاضرين وبالأكثر في نفس داود، وان كان لا يوجد ما يشير صراحة إلى أن داود علم بأنه سيصير ملكاً على اسرائيل.

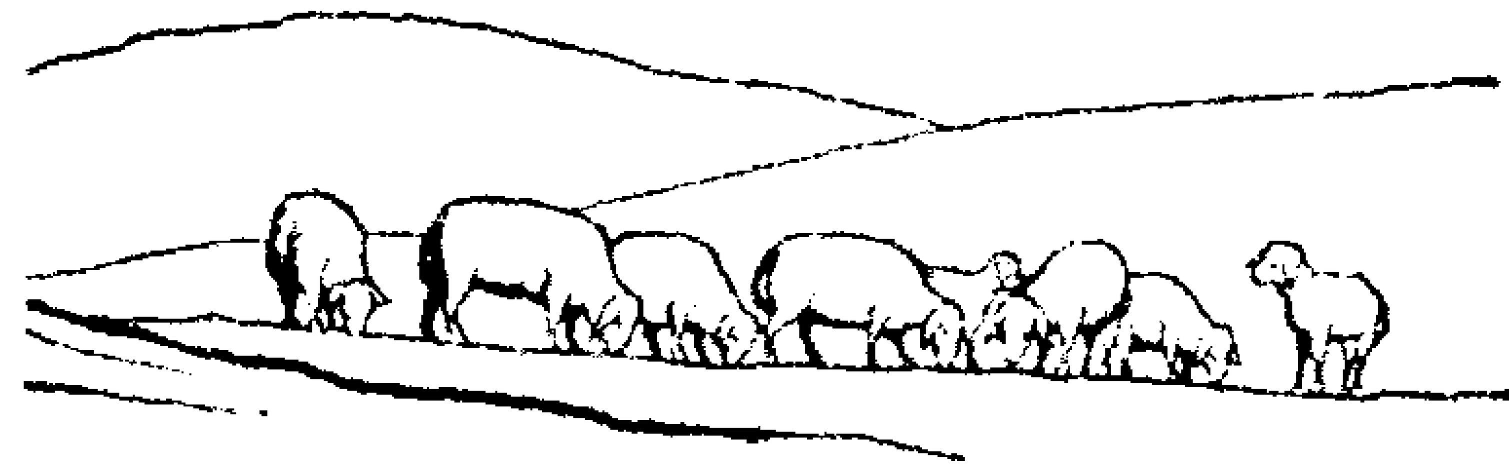
تضطرب أحوال شاول ويفارقه روح الرب، فيرشح له البعض الراعي داود كمرنم وعازف قادر أن يصرف القلق عن الملك، فيدخل داود إلى بلاط الملك لأول مرة ولكن ليس بصفة دائمة بل يستدعونه كلما دعت الحاجة، وكان عليه أن يسافر من بيت لحم إلى جبعه مقر شاول إلى الشمال قليلاً من اورشليم (لم تكن أورشليم في حوزة بنى اسرائيل بعد). «أما داود فكان يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم ابيه – ١ صم ١٧ : ١٥»

ولكن الذى دفع بداود إلى مصاف الشهرة هو مواجهته بالغة الشجاعة لبطل الفلستيين جوليات الجتي والذي تخاذل أمامه أبطال بني إسرائيل بينما تقدم الفتى الأشقر في جسارة، اعتبرها المحاربون المحترفون من باب الجهل، بينما اعتبرها أشقاء داود من باب الغرور، لكن المواجهة تكشف عن إيمان متين بقوة الرب التي تتمجد في الضعف، وهو إيمان لم يفارق داود طيلة حياته سوى في لحظات قلائل، هذه المواجهة تظهر أيضاً ثقة داود الشاب في نفسه، التي تكونت عبر اختبار الإيمان وعلى امتداد الأيام والليالي التى حمل فيها المسئولية بمفرده في التلال (مز ١٤٤).

وفي شاول بوعده وأعطى ابنته زوجة لداود رغم أنه تمنى أن يكون المهر المطلوب فخاً قاتلاً لداود، ولنا أن نستنتج من نجاح داود في القضاء على مائتين من الأعداء أنه لم يكن بمفرده بل معه مقاتلين من رجال اسرائيل. لكن نية قتل داود ظلت كامنة في قلب شاول، ظهرت من حين لآخر عندما كانت نوبات الغضب تداهمه بعد أن تخلى عنه روح الرب.

يجد القارئ في شخصية داود حضوراً طاغياً حتى أن كل من عرفوه أحبوه محبة شديدة، ولابد أن هذا الشاب كان متضعاً بسيطاً منفتحاً مع الناس حتى أنهم أحبوه كل هذا الحب فنرى: ميكال تساعده في الهرب

من أبيها، ويوناثان ولي عهد شاول يصبح صديقاً حميماً له وينجيه من مؤامرات أبيه، ولا يجد غضاضة في التسليم له بأن يكون ملكاً على اسرائيل: «... أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود، وأحبه يوناثان كنفسه... وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم - ١ صم ١٨: ١و١٦» ونرى رجاله يخاطرون بحياتهم ليحضرون له الماء من وسط الأعداء (٢ صم ٢٣: ١٦). وحتى آخيش الجتي الذى ينتمي لمعسكر الأعداء يوفر له الحماية والمأوى وهو في أضعف حالاته (١ صم ٢٧:٢). وفيما بعد تساعد هذه المحبة داود في أسوأ أيامه حين سقط في جريمة العمر وتآمر لقتل أوريا واغتصاب زوجته، وقبل الشعب عذره وبرأه بسهولة من جريمة قتل أبنير قائد الجيش إلى جانب هفوات أقل خطورة.



الهروب من وجه شاول

بعد أن تأكد داود من اصرار شاول على التخلص منه، اضطر إلى الهرب بمساعدة زوجته ميكال إبنة شاول ليلجأ في البداية إلى معسكر الأعداء، وإذ لم يقبلوه تظاهر بالجنون لينجو بحياته، ونفهم من المزمور ٣٤ والمزمور ٥٦ أنه ربما تعرض للسجن ولكن آخيش الجتي أطلق سراحه.

يلجأ داود إلى مغارة عدلام بالقرب من بيت لحم لينضم اليه كل رجل متضايق في اسرائيل فتجمع معه حوالي ٤٠٠ رجل. وبوجود جاد الرائي وابياثار الكاهن معهم شعر هؤلاء الرجال بطمأنينة كبيرة. لكن المطاردة لم تكن إلا في بدايتها، ويلاحظ أن داود طوال سنوات المطاردة لم يلجأ إلى الهجوم أبداً، لسبب بديهي هو التفوق الساحق لقوات شاول على جماعة داود.

كانت هذه السنوات المريرة مدرسة تربت فيها نفس داود وصقلت فيه كل صفات القيادة والحزم والصبر والبسالة، وجمعت بينه وبين رجاله برباط متين ولدته المعاناة المشتركة في مواجهة الخطر، وفوق هذا عمقت هذه التجربة بشكل هائل اتكاله المطلق على الله، حتى أنه كان يسأل الله قبل كل عمل. وتعالوا نسير مع داود المرنم في رحلة هروبه خطوة خطوة:

تتزايد كراهية شاول لداود فيحاول قتله برمح في يده، ثم يضع شاول رجالاً حول البيت ليقتلوه في الصباح، ولولا تحذير ميكال ومعاونتها لتعرض داود للقتل (١ صم ١٩: ١١-١٧). يهرب داود إلى صموئيل ليحميه، وبالفعل يفشل المطاردون بمن فيهم شاول نفسه في اقتناص داود، فكل من يصل إلى الرامة يسيطر روح الرب عليه. ويعبر داود في ترانيمه عن هذا الاختبار: «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر، يسترني بستر خيمته - مز ٢٧: ٥»، لذا يطلب «أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي - مز ٢٧: ٤».

تمكن داود من أن يتسلل ليقابل يوناثان، ويتفق معه على مهلة حتى يقطعا الشك باليقين في نوايا شاول الملك. وفي الغد وعلى مائدة الملك لا يخجل يوناثان من مواجهة ابيه، ولا يتخاذل عن الحق، رغم غضب ابيه وإهانته له أمام رؤساء الشعب. وفي لقاء أخير يتوادع الصديقان ويوصي يوناثان داود أن يعتني بنسله، فقد أدركت روحه النقية أن أبيه سائر لا محالة في طريق الهلاك، وأن مصيره كابن للملك قد تحدد. ويقنع يوناثان البار باختيار الله ويمضي في طريقه لينقذ صديقه داود. آه ياسيدي الرب، أين نجد في أيامنا هذا النموذج الفائق للمحبة والصداقة الحقيقية(١ صم ٢٠).

في قرية نوب

كانت «نوب» بلدة صغيرة جداً (كل سكانها ٨٦ رجلاً مع نسائهم وأطفالهم)، وفقيرة جداً (فلم يوجد فيها سوى خبز التقدمة)، ومن اللقاء بين داود وأخيمالك الكاهن نفهم أن داود كان معه عدد من رجاله المقربين. وتدفع جماعة الكهنة حياتها ثمنا لخمس خبزات قدموها لداود، ليدرك القارئ إلى أي مدى كان غضب شاول مشتعلاً ضد داود وضد كل من يساعده ولو بكسرة خبز (١ صم ٢١).

ويستطيع القارئ أن يدرك مشاعر وأفكار داود أثناء هذه الأحداث في المزمور ٥٢ ، والذي نجد في مقدمته «قصيدة لداود عندما جاء دواغ الأدومي وأخبر شاول وقال له جاء داود إلى بيت أخيمالك».

يتعجب داود في المزمور من موقف دواغ الأدومي: «لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار... أحببت الشر أكثر من الخير... أحببت كل كلام مهلك - مز ٥٢: ١-٤» فقد حل الهلاك بعشيرة الكهنة نتيجة لدسيسة دواغ، ولم ينج منهم سوى ابياثار بن أخيمالك. لكننا نجد في نفس المزمور طمأنينة داود رغم الخطر «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكلت على رحمة الله إلى الدهر - مز ٥٢: ٨»

وفي لحظة ضعف يقرر داود الهرب إلى جت وكان هذا تصرفاً غريباً، أليس هو قاتل بطل المدينة جوليات الجتي! لكننا سنرى فيما بعد أن علاقة قوية ربطت داود بأخيش ملك جت، لكن هذه المرة لا يقبل رؤساء جت إضافة داود، الذي ما أن استشعر الخطر حتى يتظاهر بالبله فيطرده أخيش ملك جت، فيرتد ومن معه ليقيموا لفترة في مغارة عدلام. ويصور داود هذا الموقف في المزمور ٥٦: «تهممني أعدائي اليوم كله لأن كثيرين يقاومونني بكبرياء» (تهمم = داس أو وطأ بقدميه).

في مغارة عدلام

إلى مغارة عدلام لجأ داود وسرعان ما انضم إليه ابويه واخوته وكل مري النفس ومنهم من هرب من دين عجز عن سداده. أدرك داود أنه سيضطر إلى التنقل للهرب من وجه شاول، ففضل أن يستأمن ملك موآب على ابويه، ولعل صلة الدم شجعته على هذا، فقد كانت جدة أبيه موآبية (راعوث ٤: ٢١-٢٢). من السهل أن نستنتج أن الذين انضموا إلى داود لم يكونوا قديسين، بل كان منهم رجال قساة القلوب، لكن داود لم يكتف بقبولهم بل استخدم هذه الفترة في المغارة ليجذبهم إلى الرب.

أرجو من القارئ أن يعطي وقتاً ليقرأ هذا المزمور الجميل ٣٤. انظروا روح الرب ينطق على لسان مرنم إسرائيل الحلو ليبث الطمأنينة في نفوس من معه. والحق أنني لم أجد كلاماً يناسب روعة هذه الأنشودة

البديعة: الرجل المطارد الذي لا يعلم ما الذي سيسفر عنه الغد يترنم: «أبارك الرب في كل حين... طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني. نظروا اليه واستناروا ووجوههم لم تخجل. هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه. ملاك الرب حالّ حول خائفيه... الأشبال احتاجت وجاعت وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شئ من الخبز»، ثم يستدير نحو جماعته:» ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب... هلم أيها البنون استمعوا اليَّ فاعلمكم مخافة الرب... صَن لسانك عن الشر... حِد عن الشر واصنع الخير واسع وراءها. عينا الرب نحو الصديقين»، وإذا خطر لواحد منهم أن يتساءل: إذا كان الرب معنا فلماذا نقاسي ؟ يجيب روح الرب «كثيرة هي بلايا الصديقين ومن جميعها ينجيه الرب»، لكن ماذا عن خطاياي التي ارتكبتها بالفعل؟ «الرب فادي نفوس عبيده وكل من اتكل عليه لا يعاقب».

تجمع نحو ٤٠٠ رجل كان منهم جاد النبي وسرعان ما انضم اليهم ابياثار الكاهن الوحيد الذي تمكن من النجاة من المذبحة، فجاء إلى داود ومعه الأفود. وبنصيحة من جاد النبي يترك داود المغارة إلى وعر حارث.

من وعر حارث يذهب داود إلى قعيلة بعد أن يسأل الرب، ويأخذ رجاله رغم معارضتهم ليصد الفلستيين، شخص آخر غير داود كان يرفض التدخل حتى لا يكشف مكانه لشاول، ويتباهى أنه ما أن ترك جيش شاول حتى أصبحت أرض إسرائيل مباحة للأعداء، لكن الإنسان المخلص لمبادئه لا يفكر بهذه الطريقة. حين أنظر الآن حولي أري بحزن شديد كثيرين يرسمون تصرفاتهم طبقاً لحسابات مصالحهم وليس لصالح الشعب!

أما ما تلا ذلك فيستحق التدبر؛ يصل الخبر إلى شاول فيراها فرصة ليحصر داود داخل مدينة قعيلة، ويسأل داود الرب: هل يهاجمني شاول؟ فقال له الرب: نعم، فيسأله مرة ثانية: هل يسلمني أهل قعيلة ليد شاول؟ فقال له الرب أيضاً: نعم يسلمون!

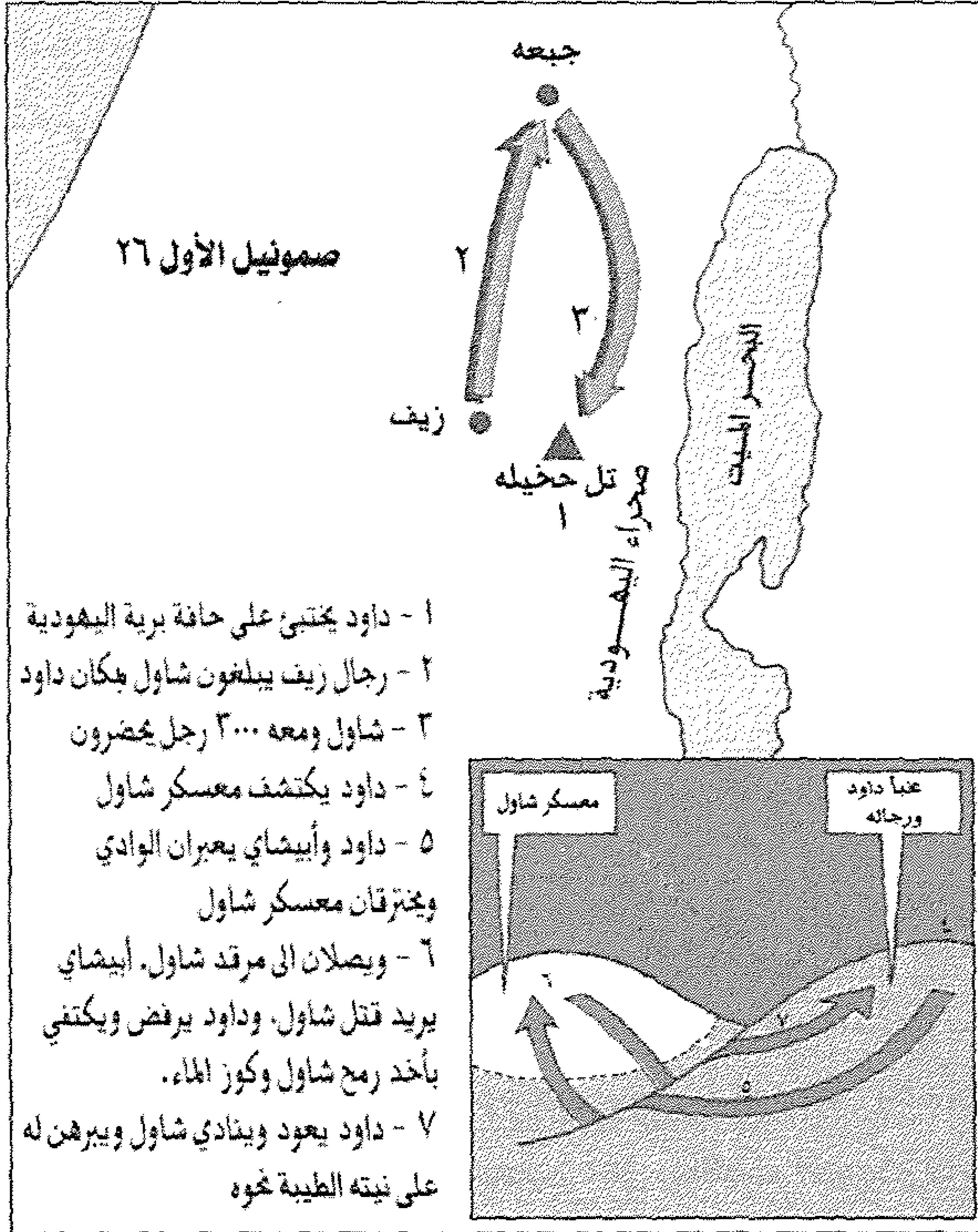
أهل قعيلة والذين خلصهم داود لتوه من الفلستيين، كانوا مستعدين أتم الاستعداد لخيانة داود والتخلي عنه!... رباه ! ما هذه الدنيا، أين نعيش؟ أتجاسر وأسالك يارب، كيف تجد لذتك في بني آدم ؟!

ولكن ما الذي يجعل هؤلاء وغيرهم يتجسسون لصالح شاول، رغم أنهم يعلمون جيداً أن الرب مع داود؟ السبب يجمله شاول في مقولته لرؤساء الشعب: «هل يعطيكم جميعكم ابن يسى حقولاً وكروماً وهل يجعلكم جميعكم رؤساء ألوف ورؤساء مئات حتى فتنتم على كلكم وليس منكم من... يخبرني - ١ صم ٢٢: ٧و٨».

ينسحب داود إلى برية زيف، وهناك يتسلل يوناثان ليقابله، ويشدده بالرب. كيف لا يتوقف دراسو الكتاب والمعلمون الكثيرون أمام هذه الشخصية الفريدة في نبلها، لقد هرب تلاميذ الرب وتركوه، أما يوناثان فيتخفى من ابيه ليشدد عدو ابيه، لأنه آمن أن هذه هي إرادة الرب.

يتطوع الزيفيون بالذهاب إلى شاول ليخبروه بوجود داود قريباً منهم فيكلفهم بتتبع آثار أقدامه وتقصي كل مخابئه، ولما تأكد من مكان داود صعد شاول بجنوده وبالفعل يتمكن من حصاره، لكن في هذه اللحظة الحاسمة يصل خبر إلى شاول بأن الفلستيين قد اقتحموا أرض إسرائيل فيضطر للرجوع عن داود لمواجهتهم، فيطلق على هذا المكان «صخرة الزلقات» (صخرة الهروب أو الافتراق). يستأنف شاول المطاردة المريرة من برية زيف إلى حجيلة إلى برية معون، وداود يهرب من مكان إلى مكان، حتى يضطر شاول إلى التراجع، إذ انتهز الفلستيون الفرصة واقتحموا أرض إسرائيل، بينما لجأ داود إلى برية عين

جدى حيث تكثر الكهوف، وهناك يؤكد داود أن قلبه حسب قلب الرب (١ صم ٢٤: ٤-٦)، فيرفض الفرصة التي وضعها أمامه الشيطان ليقتل شاول، بل ويؤنبه ضميره على قطعه لطرف رداء شاول. وفي الموقف التالي نستطيع أن نفهم أن الكهف الذي نام فيه شاول كان قريباً من وادي عين جدى، وهو وادي ضيق بين جبلين، ويبدو أن داود نادى شاول من مكان على أحد الجبلين بينما كان شاول يتأهب للرحيل وهو في قاع الوادي.



ويكشف لنا المشهد عدة أشياءً:

١- داود يتعفف عن قتل شاول ويكبح جماح رجاله المتحرقين للتخلص من شاول الذي يطاردهم ويدفعهم إلى الحياة في خوف دائم.

٢- داود ينادي شاول ولا يخجل أن يصف نفسه بأنه كلب ميت وبرغوث أمام رجاله.

٣- داود يترك دعواه للرب يقضي له فلن ينتقم لنفسه من مسيح الرب.

٤- شاول يبكي! من تأثره بموقف داود، أم من يقينه من مصيره المحتوم، لا نعلم، لكنه في النهاية يوصي داود بنسله من بعده !

في هذا المشهد نرى: اتضاع داود، ضبطه لنفسه، ثقته أن الله سينصفه، كما نرى التناقض في شخصية شاول. ويتكرر هذا المشهد على تل حخيله، لكن موقف شاول لا يتغير، «اللي في القلب في القلب!»

وفاة صموئيل

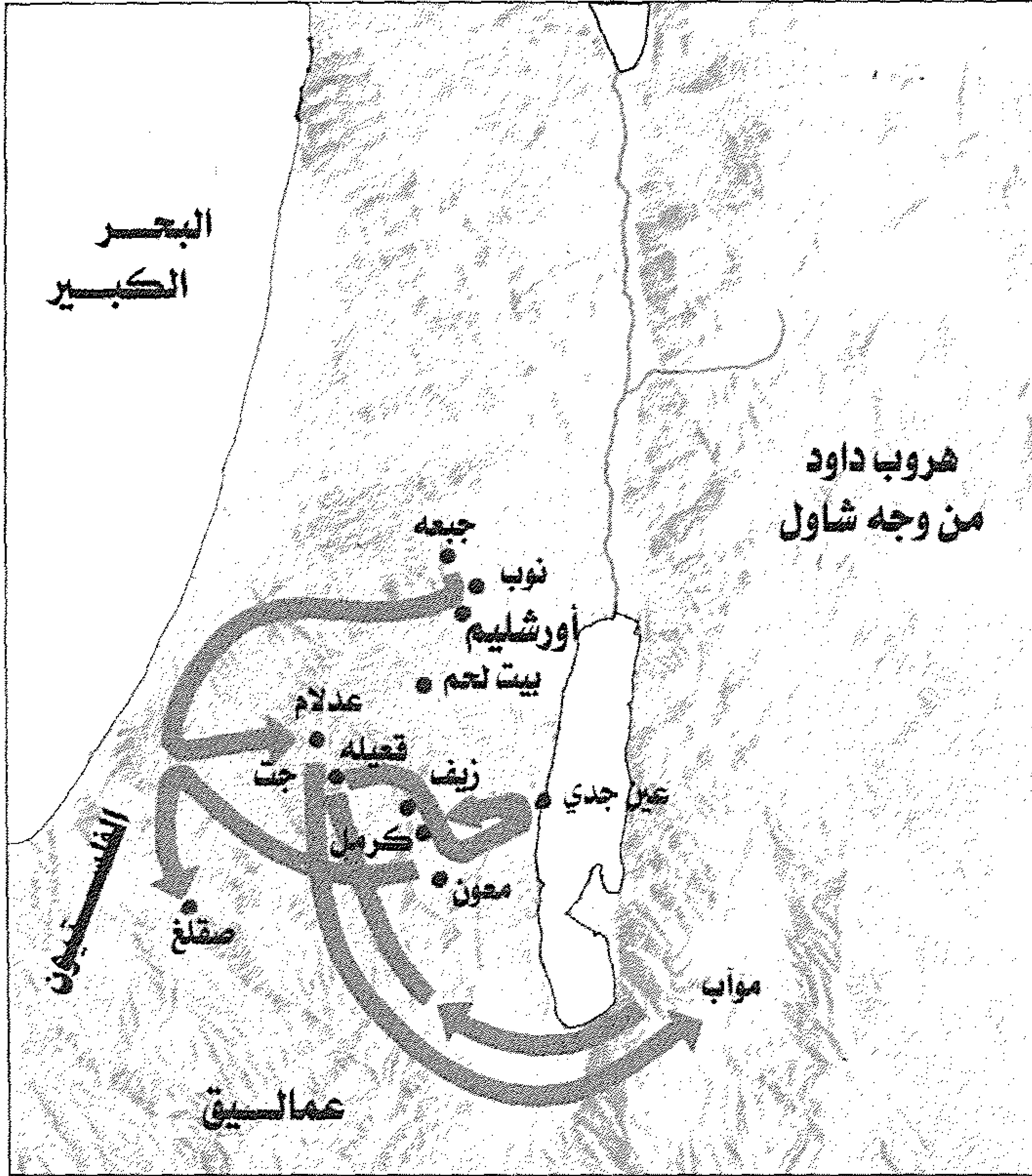
يتنيح صموئيل النبي ويدفن في الرامة في مسقط رأسه، ويدرك داود أن اختفاء صموئيل من الساحة يزيل الحاجز الأدبي الوحيد الذي كان باقياً أمام شاول، فيهرب إلى أقصى الجنوب إلى برية فاران على مشارف سيناء، ثم يلجأ إلى أخيش ملك جت، ليقيم هناك ١٦ شهراً، ويقبله الفلستيون هذه المرة، بعد أن تأكدوا من العداوة المميتة التي يكنها له شاول ملك إسرائيل، وخلال فترة إقامته يقوم بعدد من الغارات على قرى الجنوب حريصاً على ألا تبلغ الحقيقة إلى الفلستيين، ليظنوه يأتي بغنائمه من قرى إسرائيل. الصورة التي نراها هنا لعصابة من الرجال الأشداء يقتلون ويسلبون، لكن بالنسبة لداود كان الأمر يختلف في شيئين:

١- أنه في أغلب تحركاته يلجأ إلى مشورة الرب من خلال جاد النبي وابياثار الكاهن.
٢- أنه يلتزم غالباً بأخلاقيات عالية ولا يتجاوز حدوداً وضعها من خلال عشرته مع الله، وهنا تبدو أهمية قصته مع نابال وابيجايل، حين يتراجع عن الانتقام لنفسه. وما أسهل أن كان يبرر لنفسه بأنه مطارد ومطلوب قتله، فلتوضع الأخلاق جانباً حتى يطمئن على حياته، ثم بعد ذلك يستطيع أن يلتزم بوصايا الرب حرفياً! كم من مرة أبرر لنفسي الإهمال أو التعدي بسبب المشغولية أو الإرهاق أو كثرة الهموم.

في رحلة الهرب نتوقف عند:

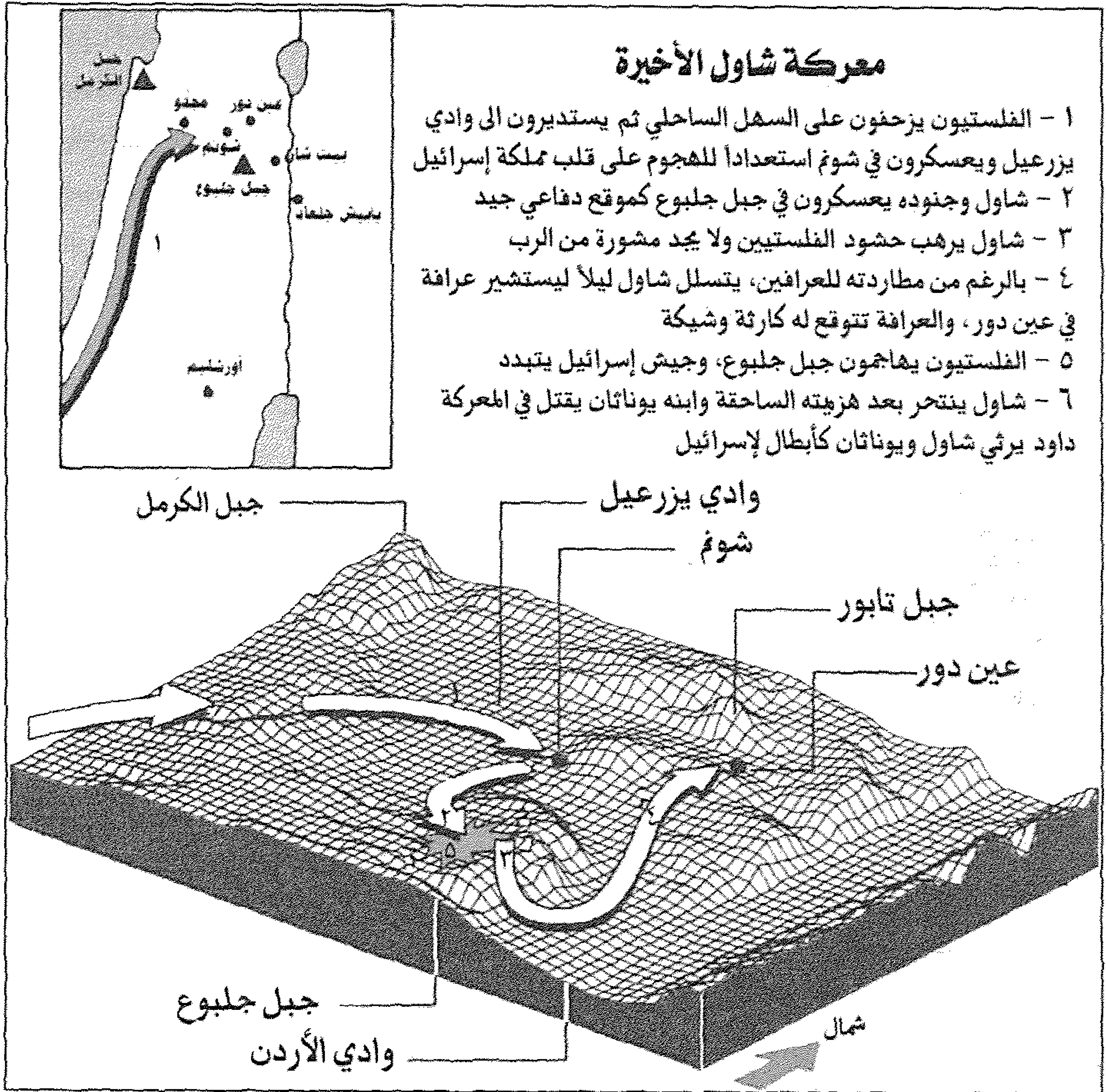
أولاً: الفرصتين اللتين اتيحتا لداود لقتل شاول:

الحق أن تراجع داود، وهو المحارب المتمرس، عن قتل غريمه يؤكد صفاء نفسه وخلوها من الحقد تجاه الرجل الذى حرمه من بيته وزوجته وأجبره على الفرار والحياة مثل اللصوص. ومن الصعب ألا تترك هذه المعاناة أثراً من الغل في نفس داود لو لم يكن على علاقة حميمة بالرب. وقد يكون المزموران ٧ و ٥٧ يحملان إختبار هذا اللقاء مع شاول.



ثانياً: تورط داود في بعض اعمال للخداع:

في النهاية داود بشر، فلا ينبغي لنا أن نبني استنتاجات على ما سرده من أكاذيب على الكهنة أو على الفلستيين، ولكنه رجلٌ متمسكٌ بالرب رغم ضعفاته، خاصة بعد أن تنيح صموئيل، وترك فراغاً مكانه، ولعل داود أحس أن وجود صموئيل كان يشكل نوعا من الرادع لشاول أو أملا في الصلح معه، فكانت وفاة صموئيل هي ما دفعه إلى الرحيل إلى منفى اختياري في جنوب يهوذا حيث التقى بابيجايل في القصة التى انتهت بزواجه من الأرملة الحكيمة، ثم يتزوج أيضاً من أخينوعم اليزرعيلية (١ صم ٢٥ : ١٤ - ٤٣) وهاتان الزيجتان تشيران إلى مرحلة نسبية من الاستقرار لداود وجماعته رغم تهديد شاول.



نهاية شاول

يتجمع الفلستيون لمعركة رئيسية، مستخدمين نفس خطة يشوع: ضربة في الجنوب وهي المعركة التي انتصر فيها شاول عليهم وكان بطلها داود حين واجه جوليات الجتي، ثم ضربة في الشمال ...

في وادي يزرعيل كانت المواجهة بين الفلستيين وشاول، الذي يحاول معرفة الغيب، لكن ما سمعه من عرافة عين دور يزيده خوفاً. وفي الغد ينهزم جيش إسرائيل ويتبدد، وإذ أيقن شاول بالهزيمة يجد الشجاعة اليائسة لقتل نفسه، وإن كان هذا لم يردع الفلستيين عن التمثيل بجثته وجثث ابنائه، لينتهي فصل مرير من تاريخ إسرائيل.

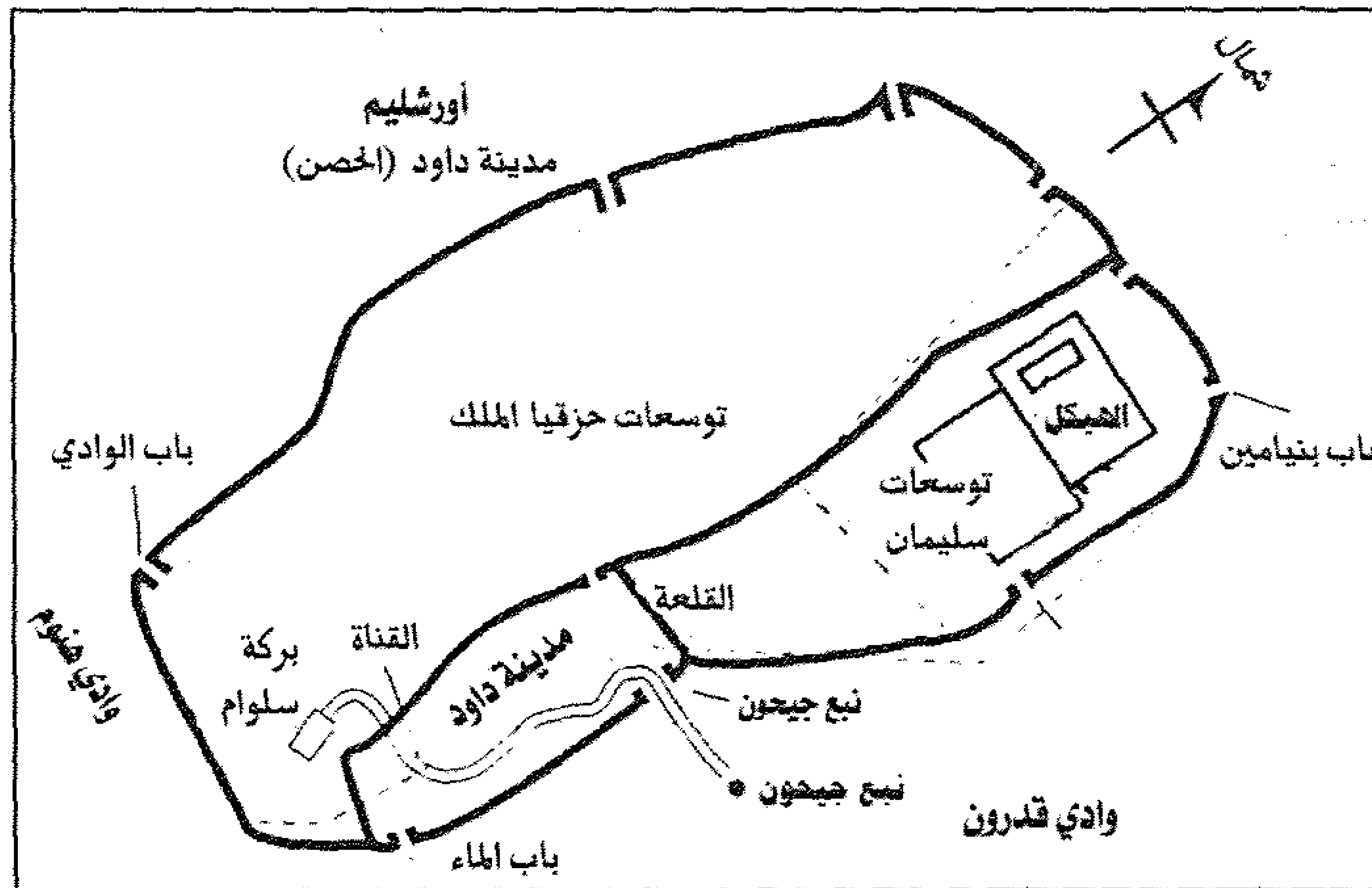
العصر الذهبي - داود وسليمان

داود ملك يهوذا
داود ملك إسرائيل
انتصارات داود
الجريمة والتوبة
تمرد أبشالوم
مشكلة جبعون
مشكلة الإحصاء
تركة داود
عصر سليمان
حكمة سليمان
نساء سليمان
تجارة سليمان

داود يملك على يهوذا

بعد مصرع شاول ويوناثان، ومدعوماً بتأكيد الرب أن العرش له، يتقدم داود إلى حبرون حيث يمسحه رجال يهوذا ملكاً عليهم، ويظهر نبل داود في رسالته إلى رجال يابيش جلعاد يشكرهم على إكرامهم لشاول ويوناثان بعد مصرعهما، ولكن الجلعاديين لم يبدوا استجابة لما أبلغه هم داود بانه أصبح ملكاً على يهوذا؛ بينما وضع أبنير قائد جيش اسرائيل وصاحب السلطة الحقيقية بأحد ابناء شاول على العرش، ليبدأ صراع بين مملكتي اسرائيل ويهوذا يتصاعد باستمرار فى صالح داود. في إحدى هذه المواجهات ودفاعاً عن نفسه، يضطر أبنير إلى قتل عسائيل شقيق يوآب قائد جيش داود. يخطئ أبنير مع إحدى سراري شاول فيتوتر الموقف بينه وبين أيشبوشت بن شاول، وينتهز أبنير هذه الفرصة لكي يتخلى عن قضيته الخاسرة، ويتصل بداود معلناً استعداده للإنضمام اليه، لكن يوآب ابن أخت داود يقتل أبنير غدراً لكي يثأر لأخيه عسائيل.

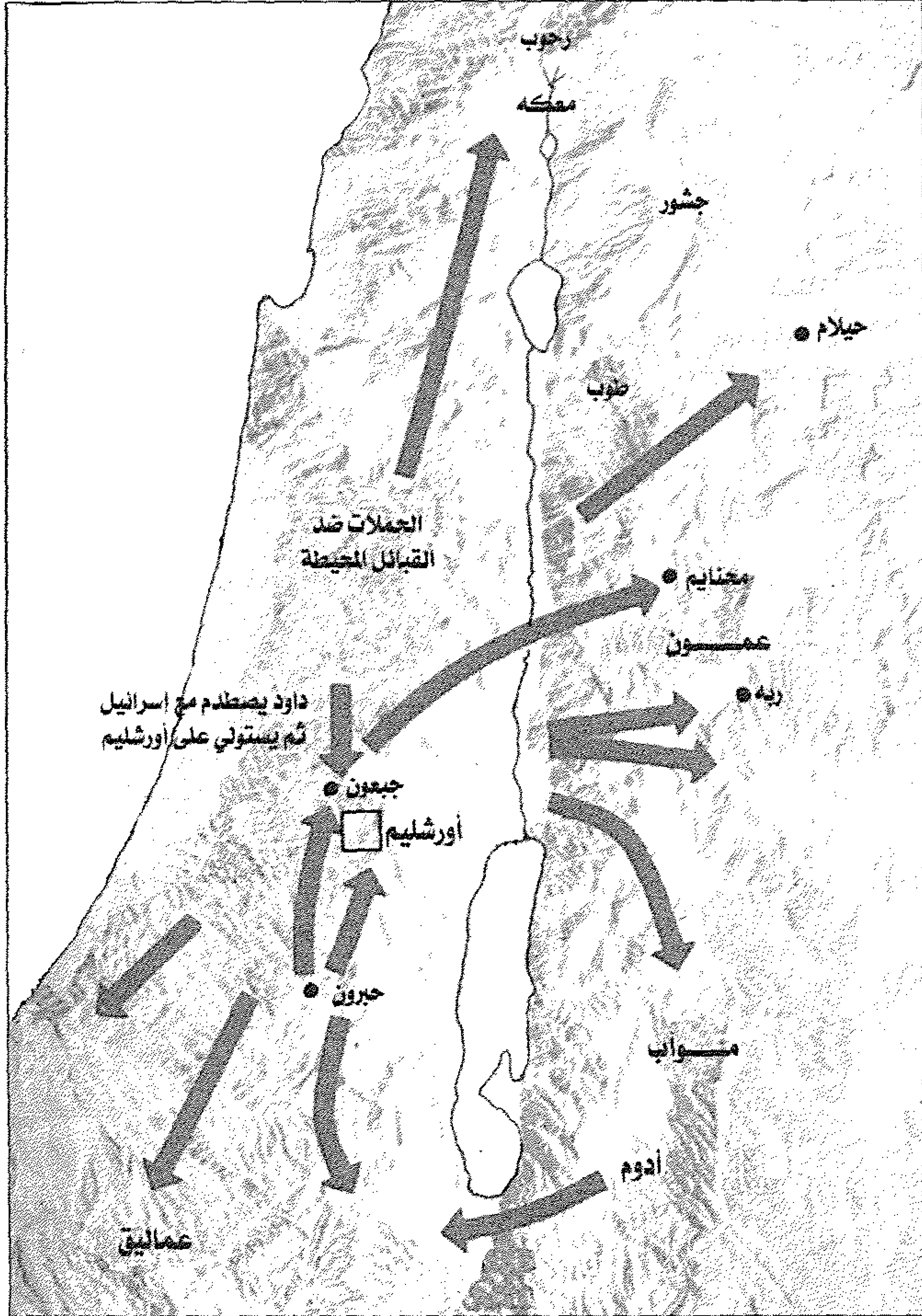
كان من الممكن أن يؤدى هذا إلى حرب أهلية، ولكن داود استطاع أن يربح رجال أبنير، وفى الوقت نفسه لا يخسر ولاء يوآب ابن اخته وقائد جيشه، وهو أمر يؤكد المكانة الفريدة التى منحها الرب هذا القادم من وراء الغنم! ولا يمكن أن يتظاهر داود بالنبل والشهامة في كل مرة، فلا شك أن هذه الصفات كانت أصيلة ثابتة فيه، فها هو يحزن لإغتيال أيشبوشت رغم أن هذا يختصر طريقه إلى العرش، كما سبق وحزن حزناً صادقاً على مصرع شاول، فيأمر بقتل من حمل إليه الخبر ظاناً أنه سينال مكافأة فاذا به يفقد رأسه !



داود يملك على كل إسرائيل

أعلنت الأسباط الشمالية ولاءها لداود، الذى أثبت جدارته بمواجهات متتالية مع الفلستيين انتهت بمعركة فى بعل فراصيم أدت إلى خروجهم من أرض اسرائيل (٢ صم ٥ : ١٧ - ٢١) . وقد أظهر داود عبقرية حربية فى استيلائه على اورشليم التى كانت ما زالت فى يد اليبوسيين ليجعلها عاصمة حصينة له.

وليلاحظ القارئ أن مدينة داود اسم يطلق على جزء من اورشليم هو الحصن الذى شمل فيما بعد القصر والهيكل. وبإحضار التابوت إلى أورشليم أصبحت العاصمة الدينية والمدنية (٢ صم ٦ + مز ٢٤).



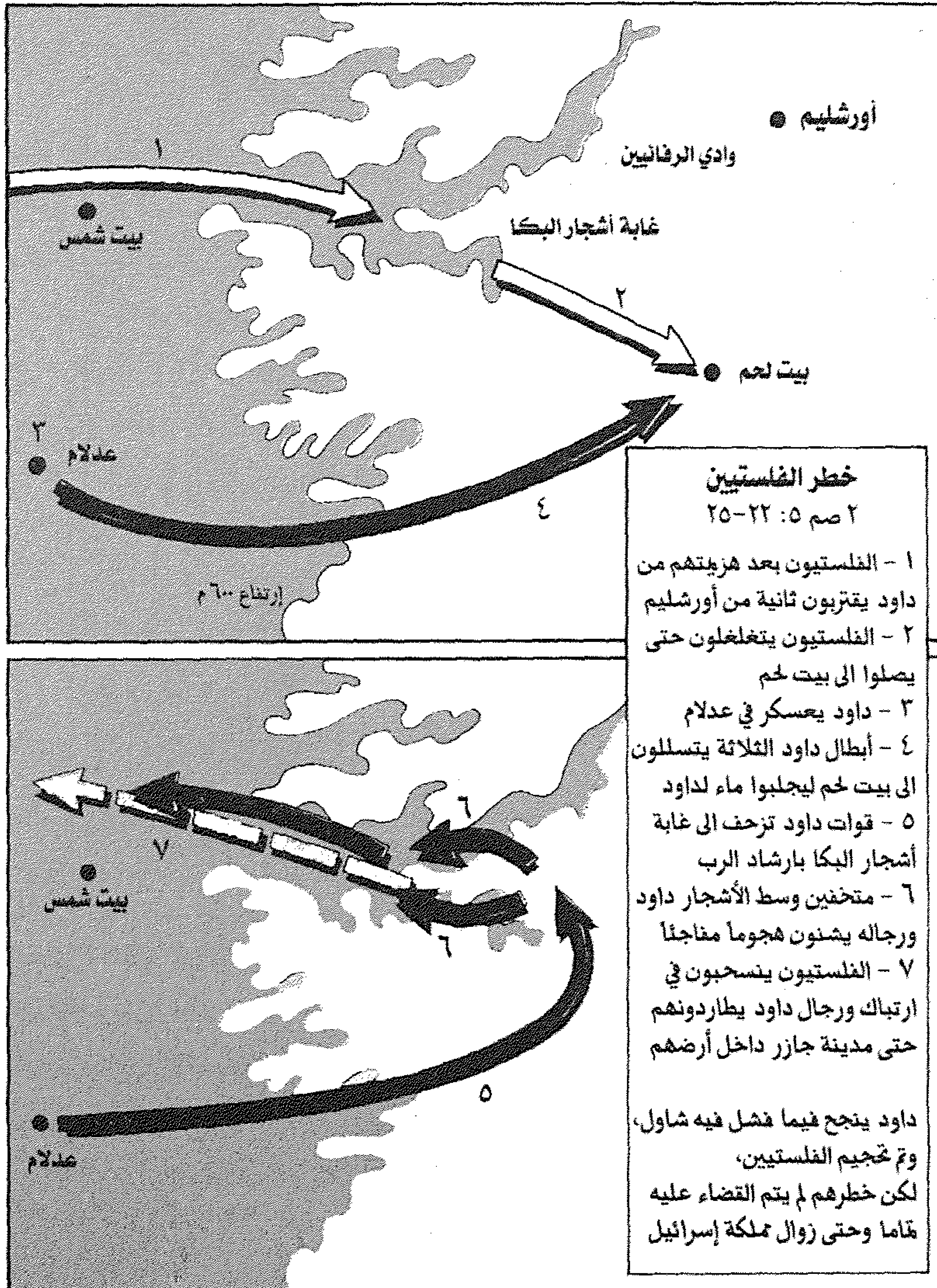
حروب داود

داود هو البطل الأسطوري في تاريخ اليهود، فعلى كثرة معاركه، لم يخسر معركة واحدة، فقد قام بضرب كل القبائل المحيطة بأرض كنعان، والتي تتداخل حدودها مع أرض إسرائيل:

عماليق: قبيلة من نسل عيسو تقيم جنوب أرض كنعان وتتجول بين شمال سيناء وجنوب النقب وتميزوا بطول القامة. حاربوا إسرائيل في أيام موسى (خر ١٧: ٨ + عد ١٤: ٣٩-٤٥)، وفي أيام القضاة (قض ٣: ١٢-١٣)، وفي أيام شاول (١ صم ١٥)، كما حاربهم داود أخيراً في وقت مزامن لمعركة شاول الأخيرة مع الفلسطينيين (١ صم ٣٠)، وفي هذا تأكيد لقول الرب «للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور - خر ١٧: ١٦»

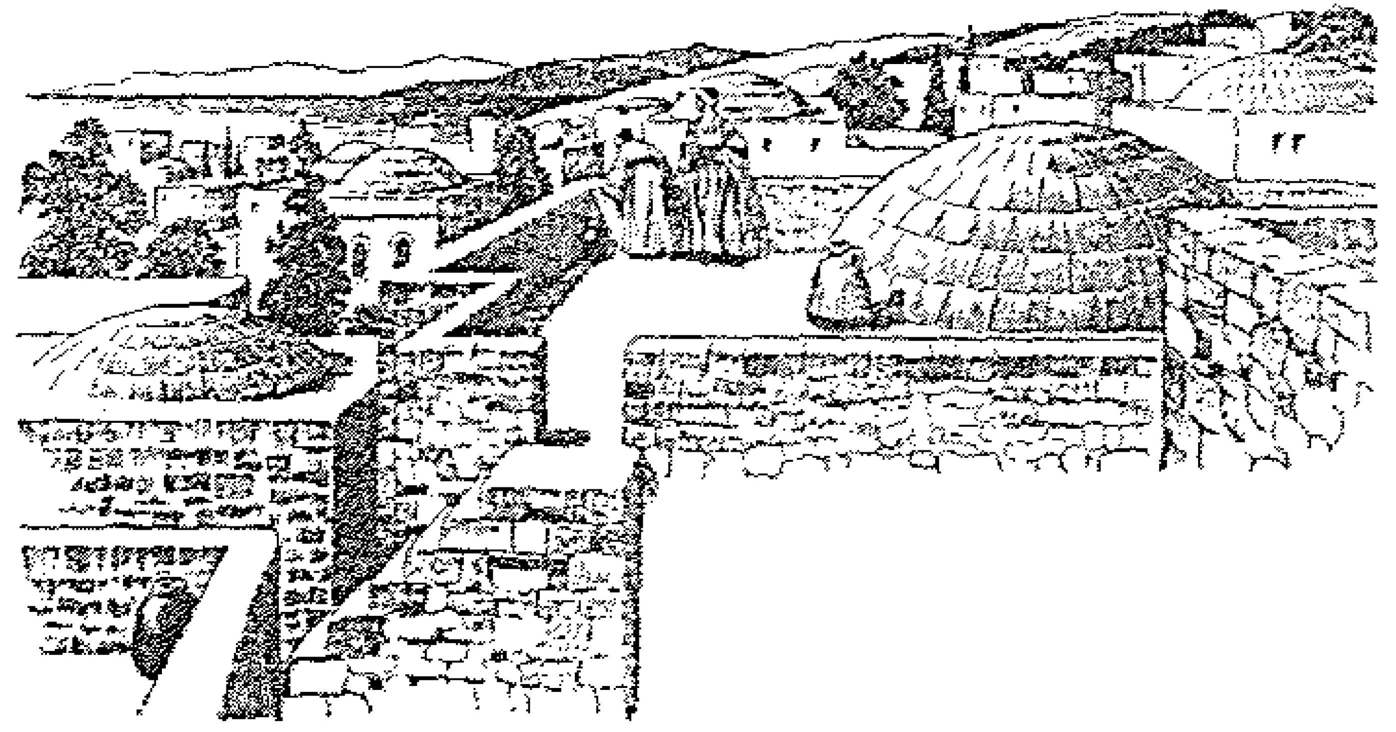
الفلستيون: حاربهم شاول أكثر من مرة وفي آخر لقاء انهزم وقتل نفسه كما رأينا. كانوا الخطر الرئيسي الذي هدد إسرائيل طوال أيام داود فحاربهم مرات عديدة. نذكر جميعاً اللقاء الشهير بين داود وجوليات بطل الفلستيين (١ صم ١٧)، وغزوته اللاحقة حين قتل مائتين من الفلستيين كمهر لميكال ابنة شاول (١ صم ١٨: ٢٧). لكنه بعد أن صار ملكاً حاربهم عدة مرات انتصر فيها جميعاً بارشاد ومعونة الرب: في وادي الرفائيين عند بعل فراصيم (٢ صم ٥: ١٧-٢١)، ومن جبع إلى مدخل جازر (٢ صم ٥: ٢٢-٢٥)، ومرة ثالثة (٢ صم ٨: ١)، ورابعة (٢ صم ٢١: ١٥) وخامسة وسادسة (٢ صم ٢١: ١٨-٢٠).

وباستثناء شعب صور وصيدا الذي تصادق مع إسرائيل، ضرب داود موآب وعمون وأرام ومديان وأدوم.



الجريمة

ينتصر داود على كل الأعداء، لكنه ينهزم من نفسه، فيسقط في جريمة مزدوجة سمتها النذالة مع اوريا الحثي وزوجته بثشبع (٢ صم ١١). فحينما تثور الغريزة وتغيب الحكمة، ينحدر الإنسان إلى هاوية الشهوة والغدر ويصل إلى الجريمة، فلم يكتف داود بخيانة أحد الذين يقاتلون لأجله، بل حاول أن يستر نتائج جريمته باستدعاء زوج بثشبع من الحرب حتى يستطيع أن ينسب الحمل إليه، ولما لم يفلح التدبير، إذا به يضع خطة في غاية الخسة بالاتفاق مع يوآب قائد الجيش. يضع يوآب أوريا الحثي في الصفوف الأولى، ولما يشتد القتال يأمر الجنود بالتخلي عن أوريا، فيسقط قتيلاً، وتكتمل الجريمة ويضم داود بثشبع الجميلة إلى حريمه.



لعلنا ندرك الآن لماذا تجرأ يوآب على داود في أكثر من موقف، فقد كان شريكاً أساسياً في الجريمة، وكان يمكنه أن يفضح داود في أية وقت، فنراه يتحدى أمر داود ويقتل أبنير بن نير رغم أن الملك أعطاه الأمان، ونراه يوبخ داود بعد مقتل أبشالوم (٢ صم ٣: ٢٢-٣٠ + ١٩: ٥-٧)، ويصل الأمر إلى أن يقتل يوآب عماس بن يثر، خوفاً من أن يضعه الملك كقائد للجيش بدلاً منه (٢ صم ١٩: ١٩: ١٣ + ٢٠: ١٠)، لكن داود لم يترك ثأره من يوآب، وإن ألقى به على كاهل سليمان.

ما الذي نراه في هذه القصة المؤلمة: نرى ضعف الإنسان خاصة عندما يستريح من كل أعدائه، ويعلمنا الآباء المختبرون أن الضعف يظهر في وقت الراحة وليس في وقت الشدة، ونرى رحمة الرب وقبوله التوبة الصادقة، مهما كانت الخطيئة بشعة، فيعطي الرجاء لمن هو كثير الخطأ مثلي.

درس التوبة المقبولة

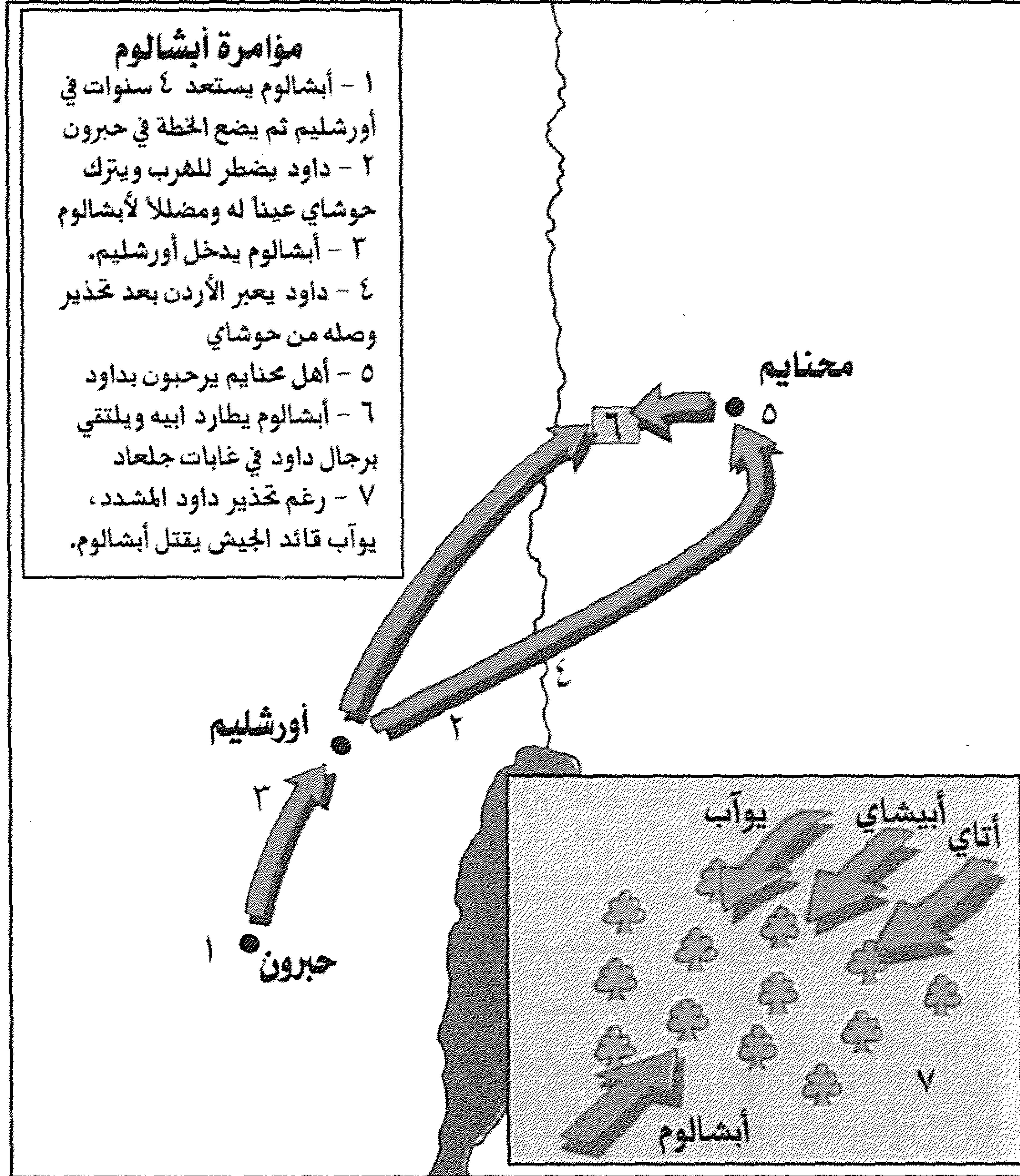
قد يتساءل الإنسان كيف يمكن أن يغفر الرب هذه الجريمة لداود، هل أن الرب يغفر لمختاريه كما يردد البعض، بمعنى أن مصير الإنسان مقرر سلفاً، مهما أحسن أو أساء؟

لكننا من مزامير داود نعلم أنه عانى بشدة، بعد أن أفاق من نزوته، وسكب قلبه أمام الرب:

مزمور ٣٢: رغم أن المزمور يبدأ بعبارة مريحة «طوبى للذي غُفر اثمه وسُترت خطيته» إلا أنه يجدد مشاعره وأفكاره عندما سكت على خطيئته «لما سكتُّ بليت عظامي من زفيري اليوم كله، لأن يدك ثقلت عليَّ نهاراً وليلاً» ولم يجد داود حلاً للفكاك سوى أن «اعترف لك بخطيتي ولا أكتم اثمي. قلت اعترف للرب بذنبي وانت رفعت أثام خطيتي»، فنراه في نهاية المزمور يتغنى «افرحوا بالرب وابتهجوا يا ايها الصديقون».

مزمور ٥١: هذا المزمور يقدم لنا درساً ثميناً جداً، فالشائع لدي كثيرين أن التوبة تحتاج إلى مجهود كبير لترك الخطية وإلى تعهد قاطع أمام الرب بعدم العودة إلى الخطية، لكن المفاجأة الحقيقية حين نقرأ المزمور فلا نجد داود يتعهد بأي شئ، بل المزمور كله طلبات من الرب، فنفهم أن طريق التوبة يبدأ بأن اعترف

بضعفي، وإيماني بأننى لن أنجو من فعل الخطية القاتل إلا بعمل روح الله في داخلي «إنضح عليَّ بزوفاك فأطهر، إغسلني فأبيضَّ أكثر من الثلج. قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي» رغم مغفرة الرب، إلا أن عقاب الخطيئة يظهر أمام الناس، ليعلم الجميع ثمار التعدي على الوصية وعلى الضعفاء من الناس، فالله يأخذ للضعيف حقه. فما أن هدأت قصة أوريا الحثي حتى يفاجأ داود بجريمة شبيهة بجريمته، ولكن هذه المرة في بيته وبين أبنائه. الله يغفر لكنه يؤدب. ونرى تأديب الرب مفصلاً :



الثمن - تمرد أبشالوم

يعتدي أمنون بكر داود على أخته غير الشقيقة ثامار ويغدر بها بكل نذالة، ويتخاذل داود عن اتخاذ موقف حاسم مع أمنون الذى كان عقابه الموت طبقاً للشريعة، وحين يأخذ أبشالوم ثأر أخته بيده لا يتحرك داود لمعاقبته، وبدا للبعض أن داود القوي قد تآكل وتوارى، مما شجع أبشالوم على أن يقوم بانقلاب كاد أن ينجح، لأن عدداً كبيراً من الشعب قد ابتعد عن داود لينضم لإبنه وغريمه! (يؤكد هذا اقتراح أخيتوفل بأن يجمع جيشاً من ١٢٠٠٠ رجل لمطاردة داود، مما يقطع أن انقلاب أبشالوم جاء على

هوى كثيرين من الشعب) والعجيب أن أخيتوفل هذا كان جد بثشبع زوجة داود، لكن لما أهملت مشورته التي كانت كفيلة بالقضاء على داود، أيقن أخيتوفل بالفشل وبسقوط أبشالوم، فينتحر ليصبح مثالاً مختاراً لفشل مشورة الأشرار (٢ صم ١٧). (أنظر القداس الإلهي - قداس الموعوظين).
ويتجرع داود مرارة الهزيمة والذل والفضيحة والخيانة من أقرب الناس، ونرى في قبول داود لكل ما مر به من ضربات، إدراكه التام أن كل ما يحل به هو من الرب، فخضع تماماً لأنه أكثر الناس علماً ببشاعة ما ارتكبه.

يلبسون ثوب الوحدة، والقلوب بدوية:

يعبر داود إلى محنايم، ويرسل رجاله لقتال أبشالوم، مع وصية مشددة بالحفاظ على حياته، لكن يوآب كان يعلم أنه لو عاد أبشالوم سينال صفح أبيه، ويصبح يوآب نفسه مهدداً، فيصر على قتل أبشالوم والتخلص منه بشكل زائد القسوة (٢ صم ١٨: ١٠-١٧). ويسعى داود لكي يعود إلى عاصمته وكرسي عرشه بشكل يحفظ له ماء وجهه، وبالفعل يعود به رجال يهوذا إلى أورشليم. ولنتوقف عند الحوار الذي دار بين سبط يهوذا وممثلي باقي الأسباط بعد عودة داود:
رجال إسرائيل: لماذا سرقك اخوتنا رجال يهوذا وعبروا الأردن بالملك وبيته (دون أن يشركونا معهم) ؟
رجال يهوذا: لأن الملك قريب اليّ، ولماذا تغتاظ من هذا الأمر، هل أكلنا شيئاً أو وهَبَنا هبة (مكافأة)؟
رجال إسرائيل: لي عشرة أسهم في الملك (عشرة أسباط)، وأنا أحق منك بداود، فلماذا استخففت بي ولم يكن كلامي أولاً في إرجاع ملكي؟ ويعلق الكاتب: وكان كلام رجال يهوذا أقسى من كلام رجال إسرائيل !
كان الناس في الظاهر شعباً واحداً، لكن الروح القبلية البدوية التي رأيناها في عصر القضاة، ظلت كامنة في نفوسهم، فالناس لا يتغيرون بسهولة!
من هنا نستطيع أن نفهم ماحدث بعد ذلك مباشرة، حينما تمرد شبع بن بكري، ونادي «لا نصيب لنا في ابن يسى»، واستجاب له الشعب بسرعة عجيبة: «فصعد كل رجال إسرائيل من وراء داود إلى وراء شبع بن بكري - ٢ صم ٢٠: ١-٢)، ورغم فشل شبع بن بكري ومصرعه إلا أننا لابد أن نستنتج أن مهابة داود تراجعت لدى شعب إسرائيل، ليلقى ذلك بظلاله على من خلفوه من نسله على عرش أورشليم.

مشكلة دماء الجبعونيين

بعد ثلاث سنين من المجاعة، يلجأ داود إلى الرب فيكشف له السبب، ويخبره بأنها دماء الجبعونيين التي سفكها رغم العهد الذي قطعه يشوع لهم، ويرد في النص عبارة «بيت الدماء» والمقصود بالطبع هو بيت شاول [أنظر حديث الرب إلى حزقيال عن مدينة الدماء أورشليم (حز ٢٢: ٢ + ٢٤: ٦و٩)، ونرى داود يتوسل إلى الرب: لا تجمع مع الخطاة نفسي ولا مع رجال الدماء حياتي - مز ٢٦: ٩». أنظر مز ٥: ٦]
يرسل داود إلى الجبعونيين يسألهم، ما الذي يرضيكم حتى تصفو نفوسكم تجاه الشعب «ماذا أفعل لكم وبماذا أكفر فتباركوا نصيب الرب - ٢ صم ٢١: ٣». يرفض الجبعونيون أخذ فدية أو دية، بل يطلبون قتل سبعة ذكور من نسل شاول، على أساس شريعة إسرائيل (ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يُقتل - عد ٣٥: ٣١)، فقتلوا ثم صلبوا كإعلان عن تكفير بيت شاول عن ذنب أهل جبعون.

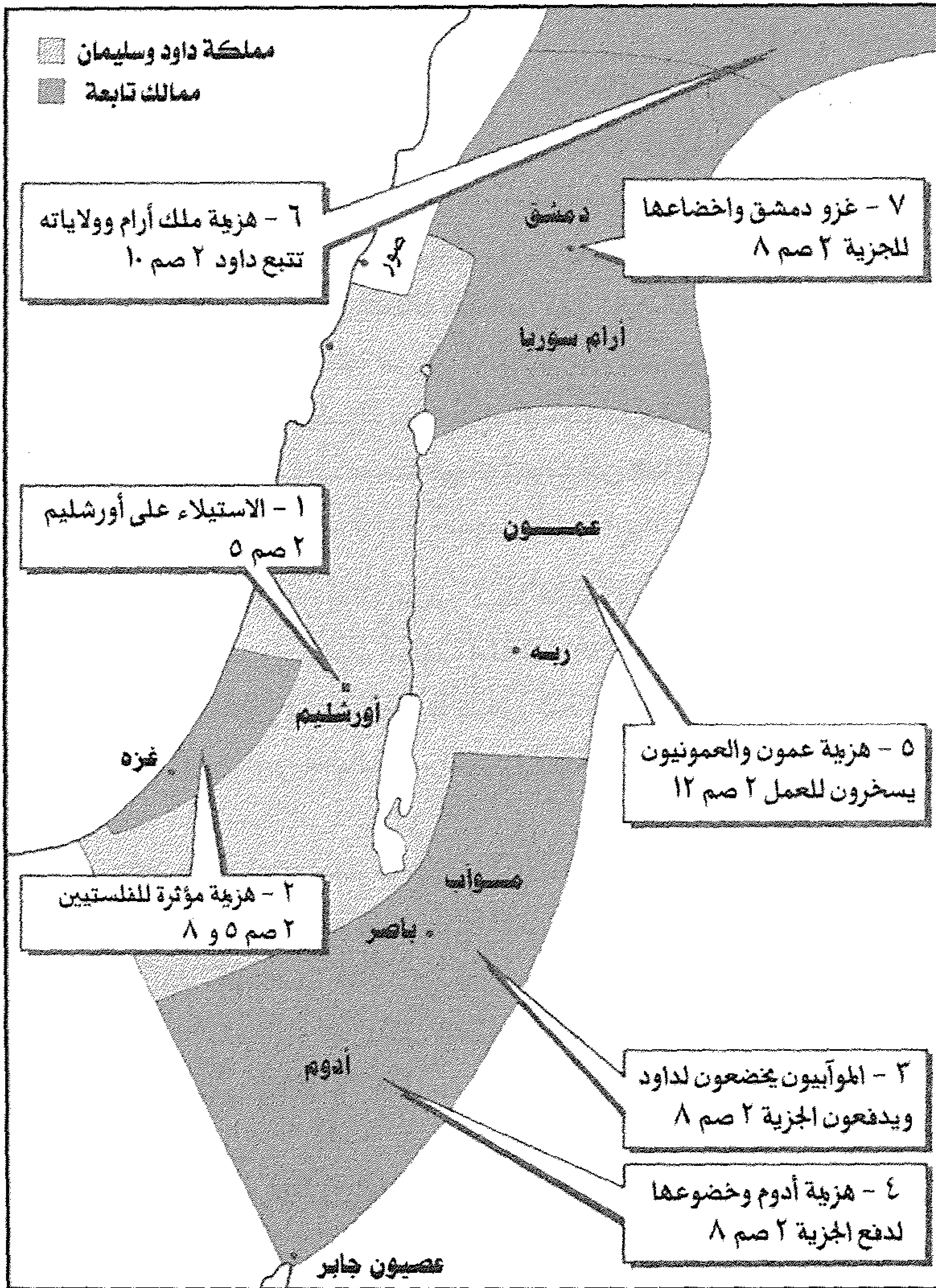
كان العدد سبعة مقدساً ويعتبر رمزاً لعمل الرب، وكان تنفيذ الحكم سيتم في جبعة مسقط رأس شاول وموطن عائلته. ويلاحظ القارئ التهكم الكامن في كلام الجبعونيين عندما يشيرون إلى «شاول مختار الرب – ٢ صم ٢١: ٦». لكن الشريعة لم تطبق على السبعة جثث المعلقة، والتي كان ينبغي أن تدفن قبل غروب الشمس (تث ٢٢: ٢٢و٢٣)، وربما كان الناس ينتظرون حتى يتأكدوا من استجابة الرب لهذا العمل وذلك بنزول المطر (٢ صم ٢١: ١٠)، ولا نعلم كم بقيت الجثث معلقة، فقد وضعت في بدء حصاد الشعير (منتصف نيسان – إبريل)، وبقيت حتى نزل عليها المطر، لكن المؤكد أنها بقيت معلقة لفترة حتى أنه عندما أرسل داود من يتولى دفنها وجدت عظاماً. وهكذا كان على أحفاد شاول أن يدفعوا ثمن خطيئته بحياتهم. ثم يذكر الكتاب المقدس أنه «وبعد ذلك استجاب الله من أجل الأرض – ٢ صم ٢١: ١٤».
قد يرى البعض أن هذا لا يتفق مع رحمة الرب؟ لا أعلم، واترك تفسير هذا لمن هم أعلم مني.

مشكلة الإحصاء

أراد داود تعداد رجال الحرب، وهو أمر لم يكن مألوفاً مما أثار غضب الشعب وغضب الرب، وبعد وباء استمر لثلاثة أيام يتوقف الوباء ويقيم داود مذبحاً شكراً للرب، ولا تتكرر هذه الغلطة من أى من ملوك اسرائيل فيما بعد (٢ صم ٢٤). لكن السؤال: ما الذي يغضب الرب في أن يتم إحصاء الشعب؟
واضح أن هذا التعداد كان لأسباب عسكرية: «ألف ألف ومائة ألف رجل مستلي السيوف – ١ أخ ٢١: ٥»، وأنه تم رغم معارضة واضحة من رؤساء الشعب خاصة يوآب قائد الجيش، واعتقاده أن هذا سيكون إثماً يحسب على الشعب، وبالفعل «قبح في عيني الله هذا الأمر فضرب إسرائيل – ١ أخ ٢١: ٧»، ولعل الدافع الكامن لدى داود كان التفاخر بعدد المقاتلين في الشعب الذي يملك عليه.
لكن داود لا يكف عن إثارة اعجابنا بشجاعته، فيسقط على وجهه أمام الرب: «وقال داود لله: ألست أنا هو الذي أمر باحصاء الشعب، وأنا هو الذي أخطأ وأساء وأما هؤلاء الخراف فماذا عملوا. فايها الرب إلهي لتكن يدك عليَّ وعلى بيت أبي، لا على شعبك – ١ أخ ٢١: ١٧». هكذا يكون القائد وهكذا يكون الراعي الصالح.
ويستجيب الرب استجابة رائعة ليطمئن داود، فيرسل ناراً من السماء لتصعد الذبائح التي قدمها داود على المذبح الذي أقامه في حقل أرنان اليبوسي حيث حدد له جاد النبي (١ أخ ٢١: ١٨و٢٦)، ويتوقف الوباء.

ذاكرة الأفيال

وتمضي السنوات العشر الأخيرة فى هدوء، وحتى يتجنب الصراع بين الأخوة ينصب داود ابنه سليمان ملكاً، بناء على رغبة بثشبع زوجته المفضلة، وهو بعد حي ليحبط تدبير أكبر أبناءه الذكور أدونيا. لكنه لا ينسى أن يوصي ابنه بأن ينتقم له ممن ضايقوه خاصة في محنته أمام أبشالوم، ويحددهم بالاسم.



نشيد الختام

يورد الكتاب المقدس نشيداً جميلاً، يترنم فيه داود باختباراته مع الله، والتي تتلخص في أن الرب هو محور حياتي، حتى إن سقطت فلا منقذ سواه «لأنه من هو إله غير الرب ومن هو صخرة غير إلهنا - ٢ صم ٢٢: ٣٢»، نشيد يستحق أن أعطيه وقتاً لأتعلم منه الكثير.

ويضعف داود بعد سنوات من الجهد الشاق ليسلم روحه أخيراً. ويصفه الكتاب المقدس بأنه «مرنم إسرائيل الحلو» لكن لا ينسى له جريمته مع أوريا الحثي (١ مل ١٥: ٥). ويدفن داود فى اورشليم ويظل قبره معروفاً (أع ٢ : ٢٩)، وحتى الآن يزوره الناس وفي نفس الغرفة يوجد قبر سليمان، في القدس الشرقية.

عصر سليمان

رغم كل ما يقال أن عصر سليمان هو أمجد العصور التي عاشتها الأمة الإسرائيلية، لكن القارئ قد يصل إلى فهم مغاير، صحيح أنه في هذا العصر بني الهيكل وجرى عمران شامل في أرجاء المملكة، وساد السلام ولم يجرؤ شعب واحد على تعكير صفو الشعب وعاش كثيرون في رغد من العيش، لكن في هذا العصر نفسه تجسدت كل الأسباب التي أدت فيما بعد إلى انهيار الأمة الإسرائيلية كشعب مختار للرب، وليس معنى هذا أن سليمان الملك هو المسئول الوحيد عن انحطاط الشعب، فقد كانت التطورات التاريخية أقوى منه، لكن هذا لا يبرئ قادة الشعب في العهود التالية من مسئولياتهم عن التدهور الديني والأخلاقي، والذي أدى بشكل حتمي إلى تشتت الشعب، وبالأكثر لا يبرئ أفراد الشعب من طرحهم وصايا الرب جانباً وسيرهم وراء ملوكهم وقادتهم، وفي النهاية كان الشعب هو الذي دفع ثمن حماقاته كاملاً وحتى الفلس الأخير.

ما الذي تركه داود لسليمان:

١. ثروة هائلة غنمها داود خلال حروبه التي انتصر فيها جميعاً، وإن اعتبرت كل هذه الغنائم ملكاً للرب وليس لداود أو لمن خلفوه، وإن توقف أسلوب استخدام هذه الثروة على حسن نوايا الملك.
٢. سيادة شبه كاملة على المجال الحيوي المحيط بأرض كنعان، فقد خضعت أغلب الشعوب المحيطة بشكل مباشر أو غير مباشر لسيادة إسرائيل، وإن غرست انتصارات داود أحقاداً لدى هذه الشعوب
٣. جيش قوي شبه محترف، له قادته المتمرسين بالقتال يؤمنون للشعب وجوده وسط الشعوب المحيطة، وأن شكل هؤلاء القادة عنصر ضغط فعال على الملك، وأصبحوا بشكل ما ارستقراطية عسكرية.
٤. تقاليد أبوية تربط الملك بالشعب، فباب داود ظل مفتوحاً لأبسط الناس، يطرحون أمامه شكاواهم، ويطلبون منه احتياجاتهم، وإن كان باب الإغراء مفتوحاً للملك أن يتخلى عن هذه المسئولية الثقيلة، ويقتصر عنايته على الدائرة المحيطة به، وهو ما ظهرت بشائره بالفعل منذ أيام شاول الملك.
٥. وجود فعال للكهنة والأنبياء في الدائرة اللصيقة بالملك، فهم في النهاية من يعلنون إرادة الله لشعب الله، ويعلمون بوصاياه وفرائضه.
٦. تنظيم متميز للإدارة وتأسيس المحاكم لتحقيق العدالة وتوسيع دائرة التجارة مع تعيين مشرفين للزراعة، كما نظم داود خدمة التسبيح وفرق الكهنة واللاويين في خيمة الاجتماع (١ أخ ٢٧).

ويتضح للدارس أن استمرار صلاح الحكم كان متوقفاً على حسن نوايا الملك، وإن شئنا الدقة على مدى ارتباط الملك بالرب، وحرصه على اتباع وصاياه، وإدراكه أن مصير الشعب ومصير الملك شخصياً يعتمد بشكل حاسم على خضوعه لله ولمشورة رجال الله المخلصين. فهل استمر كل هذا في عهد سليمان ؟

لكن تركة داود أيضاً تضمنت وصية مشددة بالانتقام من يوآب قائد الجيش، ومن شمعي بن جيرا، ولا يتعجب أحدٌ من هذا، ففي النهاية كان داود مجرد إنسان له ضعفاته.

يبدأ عصر سليمان بمشكلة!

تقدم داود في العمر، وكان الشعب يترقب من فمه كلمة لتحديد خليفته على العرش(١ مل ١ : ٢٠). ورغم أن داود كان قد وعد سليمان بأن يملك بعده، إلا أن محاولة جرت لتنصيب أدونيا ملكاً، كانت الخطة يمكن أن تنجح خاصة مع انضمام يوآب قائد الجيش إلى أدونيا ومعه ابياثار الكاهن، لكن داود رغم تقدمه في السن استطاع بمساندة ناثان النبي وعدد من رجال الحرب (الجبابرة) أن يجهض هذه المؤامرة، وبحنكته يعلن أمام الشعب أن خليفته هو سليمان. يرتعد أدونيا لكن سليمان يطمئنه بكلام يحتمل أكثر من معنى! (١ مل ١ : ٥٢)، لكن سليمان لم ينسَ ما فعله أدونيا...

أسلم داود روحه ولكن بعد أن أوصى ابنه بالانتقام له من كل من يوآب بن صرويه، وشمعي بن جيرا، وبالفعل تصرف سليمان بشكل أو بآخر وأمر بقتلهما، ثم أضاف أيضاً ثأراً شخصياً له:

جاء أدونيا إلى بثشبع أم سليمان يطلب منها أن تتوسط لدى الملك ليعطيه أبيشج الجميلة زوجة، وكانت أبيشج سرية لداود في أيام شيخوخته، وأن لم تربط بينهما علاقة زوجية. تتعهد بثشبع بأن تتوسط له وتدخل إلى ابنها سليمان الملك، وتعالوا نقرأ الحوار الذي دار بينهما:

فقام الملك للقائها وسجد لها... ووضع كرسياً لأم الملك فجلست عن يمينه

بثشبع: أسالك سؤالاً واحداً صغيراً. لا تردني

سليمان: اسألي يا امي لأني لا أردك

بثشبع: لتُعط ابيشج الشونمية لأدونيا أخيك امرأة

سليمان:... فاسألي له الملك، لأنه اخي الأكبر مني... ! حيٌ هو الرب... أنه اليوم يُقتل أدونيا !

وكأنما سليمان يتحين الفرصة، فإذا به في يوم واحد يأمر فيُقتل أدونيا، ويُقتل يوآب بن صرويه، ويُنفى ابياثار الكاهن، ويتم تحديد إقامة شمعي بن جيرا، وفي النهاية يقتل شمعي أيضاً، ثم يكتب الوحي «وتثبَّت الملك بيد سليمان - ١ مل ٢: ٤٦»، أمر طبيعي فقد تم التخلص من كل المعارضين.

كانت الظروف التاريخية في صالح سليمان فقد كانت القوي والحضارات الكبرى المجاورة في مصر ومابين النهرين تمر بفترات ضعف أو إعادة بناء، فيصاهر فرعون مصر، ثم تتعدد نساؤه ويعمل لنفسه حريماً يضم ألف امرأة، فقد كان الحريم من ضرورات الوجاهة لملوك تلك العصور.

يقوم سليمان بتنظيم البلاط الملكي، متأثراً بالنموذج المصري، فنقرأ عن خيول وحظائر وجنود وفرسان ومخازن ومركبات، وبالطبع كانت له خطة للبناء، وكما خلد فراعنة مصر اسماءهم على جدران المعابد، حفر سليمان اسمه على الأسوار والحصون التي قام ببنائها في مدن حاصور وجازر ومجدو، وكان يتبادل المدن كهدايا مع الملوك! فنراه يمنح ملك صور عشرين مدينة في أرض الجليل، ثم يقبل مدينة جازر من فرعون مصر كبائنة لابنته التي تزوجها سليمان.

حكمة سليمان

تراءى الرب لسليمان وأعلن له أنه سيعطيه ما يطلبه، ولا شك أنه في تلك اللحظة الفريدة كان قلب سليمان منفتحاً نحو الرب، فيطلب الحكمة ليستطيع قيادة الشعب، ويهبه الرب الحكمة، ولأن سليمان لم يطلب شيئاً لمجده الشخصي يهبه الرب فوق الحكمة، غنىً وكرامةً. صارت هذه الهبات مثلاً سار في التاريخ حتى الآن، بل وأضاف لها بعض الناس أشياء من خيالهم مثل قدرة سليمان على التخاطب مع الطير والحيوان وسلطانه على الجن والعفاريت وهو ما لم يذكره الكتاب المقدس قط. لكن هذه المنحة، مثل كل الهبات الإلهية، كانت مشروطة بأن يتبع سليمان وصايا الرب وشرائعه. لقد ظهر الرب لسليمان أربع مرات:

١. في جبعون ليهبه ما طلب: »هوذا أعطيتك قلباً حكيماً... وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله، غنى وكرامة حتى أنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك. فإن سلكت في طريقي وحفظت فرائضي ووصاياي،... فإني أطيل أيامك- ١ مل ٣: ١٢-١٤»، إذن الهبات مرتبطة بشرط واضح.

٢. المرة الثانية أثناء بناء الهيكل: »هذا البيت الذي أنت بانيه، إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي للسلوك بها، فإني أقيم كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك، وأسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل- ١ مل ٦: ١١-١٣» الله يكرر شرط استمراره في مساندة الشعب والملك.

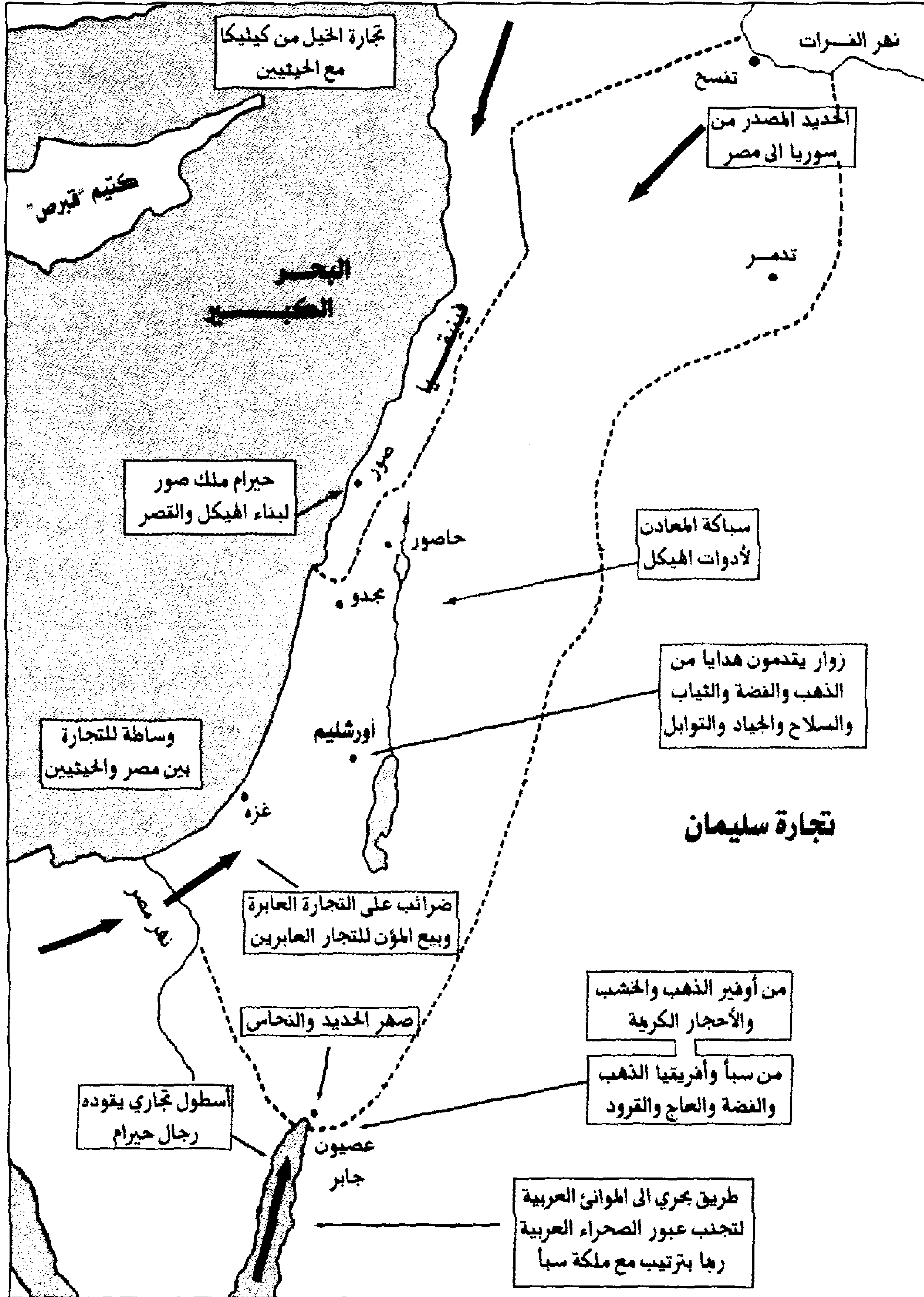
٣. المرة الثالثة بعد أن اكتمل بناء الهيكل، وبعد الصلاة الرائعة التي قدمها سليمان يقول له الرب: »قد سمعت صلاتك ... قدست هذا البيت الذي بنيته ... وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام، وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت حسب ما أوصيتك وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقيم كرسي ملكك»، لكن هذه المرة يضيف الرب شيئاً لم يذكره في المرتين السابقتين: »إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي ... بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى ... فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزأةً في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرةً كل من يمر عليه يتعجب ويصفر- ١ مل ٩: ١-٨»

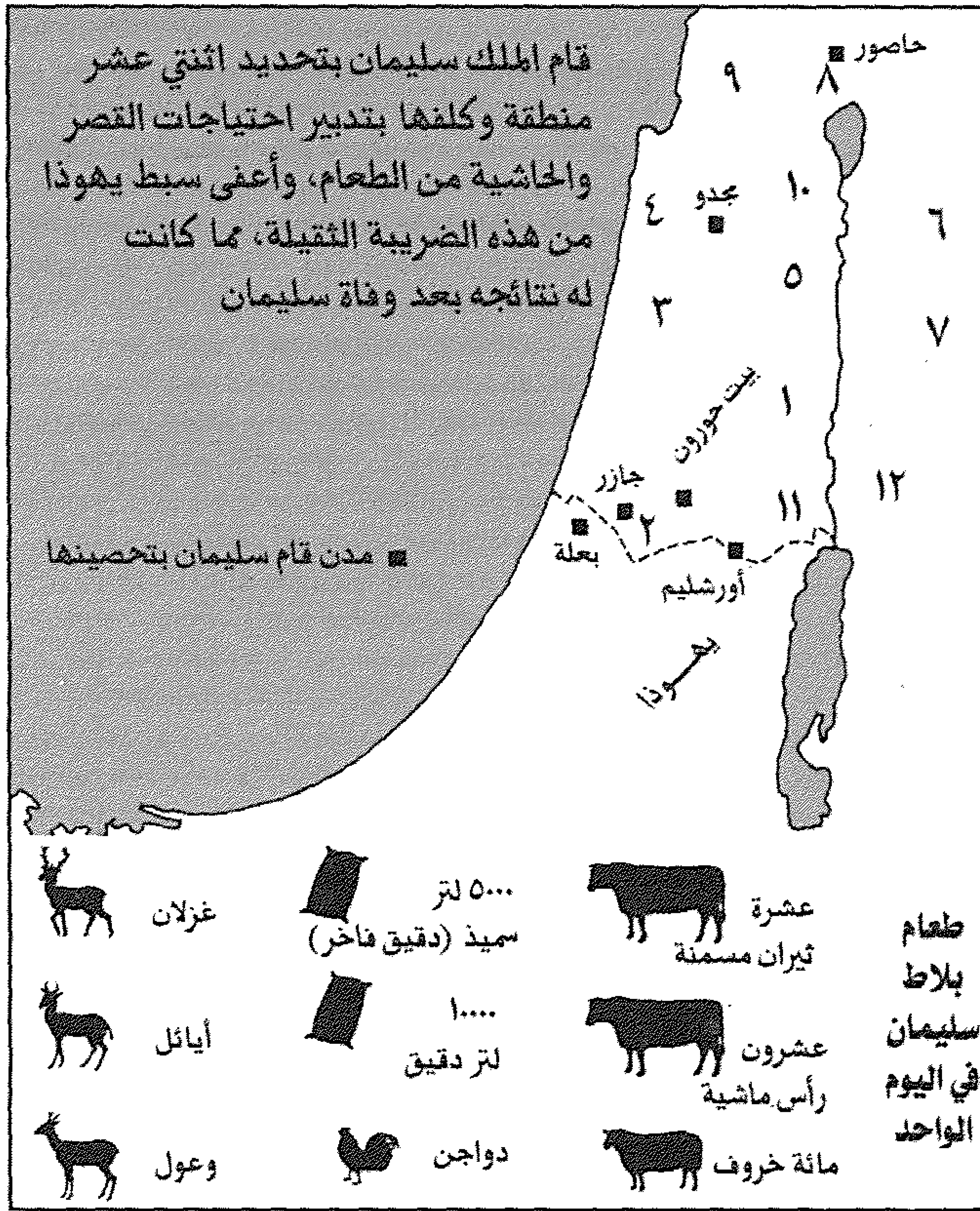
٤. وفي المرة الرابعة كان الحساب، فقد كان سليمان قد أقام مرتفعات للأوثان إرضاءاً لنسائه، وتورط هو شخصياً في عبادة الأوثان، وهو ما لم يكن يتصوره أحد. «فقال الرب لسليمان: من أجل ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك - ١ مل ١١: ١١-١٣»، لكن رحمة الرب تحتفظ بسبط واحد لابن سليمان، ليس لأجل سليمان بل لأجل داود.

لكن الحكمة التي أضفاها الله على سليمان منحتنا أسفاراً فريدة كتبها الوحي الإلهي على يد سليمان وبقيت تراثاً للبشرية كلها يتعلم منه ويتدبر فيه. فقد كتب سليمان أسفار الأمثال والجامعة والنشيد، كما ينسب اليه كتاب حكمة سليمان ضمن الأسفار القانونية الثانية، وكل منها يعتبر كنزاً ثميناً في حد ذاته، ففي سفر الأمثال نجد خلاصة التجربة الإنسانية، وفي النشيد نجد ترنيمة بديعة عن الحب الإلهي، ثم يكتب سفر الجامعة بعد أن عاش حياته بالطول والعرض وأدرك أخيراً أنه لا منفعة تحت الشمس!

تجارة سليمان

كان السلام الذي ساد فرصة ذهبية لرواج التجارة، ويسَّر موقع كنعان كمعبر بين القارات أن تكون ممراً للقوافل بين مصر ومابين النهرين وآسيا الصغرى. استثمر سليمان هذا وفرض ضريبة على التجارة العابرة «وجماعة تجار الملك أخذوا جليبة بثمن، وكانت المركبة تصعد وتخرج من مصر بست مائة شاقل من الفضة، والفرس بمائة وخمسين، وهكذا لجميع ملوك الحثيين وملوك أرام كانوا يخرجون- ١ مل ١٠: ٢٨-٢٩»



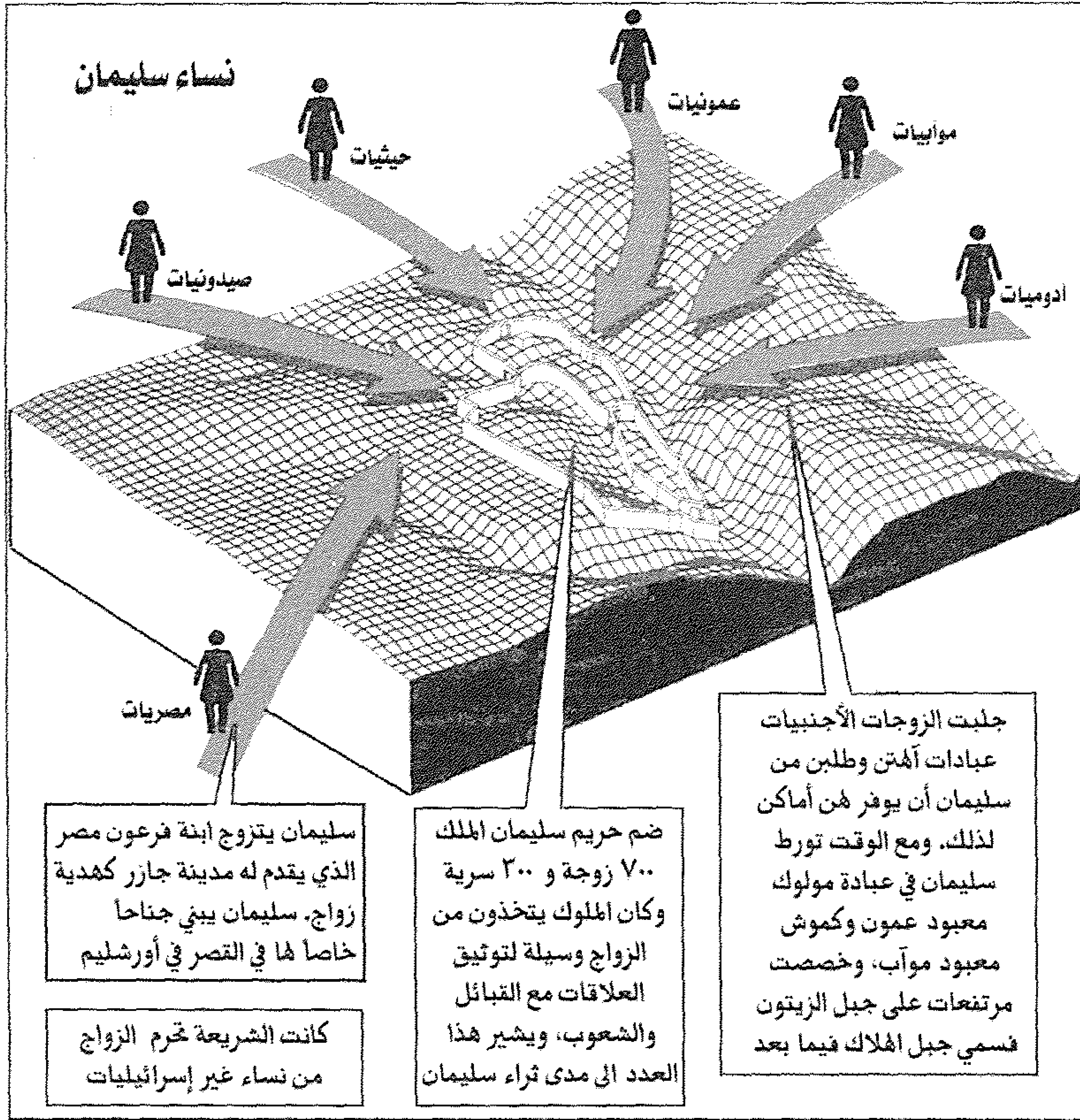


لكن هذا لم يكن مصدر المال الوحيد فقد انهمرت عليه الهدايا من الشعوب المحيطة التي كانت تحت سطوته منذ أيام داود (١ مل ٤: ٢١)، كما اشترك سليمان مع حيرام ملك صور في قوافل تجارية في البحر الأحمر جلبت أموالاً طائلة (١ مل ٩: ٢٦-٢٨)، ويحدد الكتاب المقدس كمية الذهب التي كانت تصل سنوياً إلى سليمان الملك ٦٦٦ وزنة (الوزنة = ٣٠ كيلوجرام)، أي حوالي ٢٠ طناً من الذهب! عدا الأموال التي حصلها من التجار العرب وغير العرب ومن ولاة الأرض (١ مل ١٠: ١٤). تجلى هذا الغنى الفاحش في بذخ فاق كل تصور، «وجميع آنية شرب الملك سليمان من ذهب، وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص، لا فضة، هي لم تحسب شيئاً في أيام سليمان - ١ مل ١٠: ٢١»، ويقول الكتاب أنه من كثرة الذهب «جعل الملك الفضة في أورشليم مثل الحجارة - ١ مل ١٠: ٢٧». كان ولابد أن ينعكس هذا البذخ على الناس، لكن المقربين من الملك فقط كما سنرى.

بناء الهيكل وأشياء أخرى

وضع سليمان همَّه في بناء الهيكل وبمعاونة فعالة من ملك صور تم توفير المواد والصناع حتى اكتمل بناء الهيكل بعد سبع سنوات، ووضع فيه ذهب بغير حساب سوى الفضة والنحاس والحديد، وطاقات آلاف العمال، وتم افتتاحه في حفل هائل، ويقف سليمان أمام الرب ليصلي ويطلب من الرب أن يجعل عيناه نحو الهيكل ليس لشعبه فقط بل وللغريب الذي يلجأ إلى رب السماء وإله إسرائيل. ولا شك أن البذخ الشديد في بناء الهيكل كان تمجيداً للرب، لكننا نرى في هذا البذخ أيضاً رغبة كامنة في إعلان مجد ومكانة لسليمان الذي بنى الهيكل، واقترن باسمه فقال الناس «هيكل سليمان»، وما زالوا.

والذي حدث أن ذهب الهيكل أصبح مطمعاً في حد ذاته، وتعرضت أورشليم لأكثر من غارة بهدف الاستيلاء على هذه الذخائر، واضطر ملوك يهوذا إلى تقشير الذهب من على جدران الهيكل ليبعدوا المهاجمين. لو قرأنا تاريخ الكنيسة القبطية سنجد أشياءً مماثلة، فقد تعرضت الكنائس والأديرة لهجمات اللصوص والناهبين الذين استقر في فكرهم أن هذه الأماكن تضم كنوزاً لا حصر لها! ماذا لو بنيت أشياء أقل بذخاً خاصة في المناطق التي تعاني من الفقر؟ لكن هذه قصة أخرى.



على أي أساس بنينا هذه النظرة؟ أن الذي يعطي القدسية للهيكل ليس الذهب بل الرب، ولم يكن من الحكمة أو من الرحمة أن يلقي كل هذا الذهب والفضة في بناء الهيكل بينما أغلب الشعب يعانون بشدة؛ المعاناة التي ظهرت حين جاء وقت الحساب في أيام رحبعام ابن سليمان وخليفته. ويحلو للبعض أن يرددوا أن بيت الرب يجب أن يكون أفخر من أجمل بيوتنا، لكن لن تجد عاقلاً يسرف في زخرفة بيته بينما أبناؤه جوعى.

انقسام المملكة

في عصر داود تذوق الشعب النصرة والسيادة على الشعوب المحيطة كما لم يعرفها في تاريخه قط، فقد حقق داود انتصارات ساحقة في كل معاركه. وفي داود نرى مثالاً للمسيح، فهو الذي منح البشرية كلها الحرية الحقيقية ليقودها في موكب نصرته (٢ كو ٢: ١٤). لقد استرد داود زوجتيه من أيدي العمالقة، كما استرد المسيح قطيعيه من الهلاك: اليهود والأمم (١صم ٣٠: ٥و١٨ + يو ١٠: ١٦):

١- اخينوعم البزرعيلية: وقد أخذها داود بكراً كما دعا الرب إسرائيل ابنه البكر.

٢- ابيجايل: وكانت زوجة لآخر، ولعلها تشير إلى الأمم التى عبدت الأوثان أولاً إلى أن صار الخلاص للكل.

يرث سليمان الملك، وقد تحدثنا عنه بالتفصيل، ونراه يشجع الوثنية (١ مل ١١: ١ - ٨). فيعلن الرب أن المملكة سوف تنشق بعد وفاته. ويلتقي آخيا الشيلوني نبي الله مع يربعام بن نباط، وكان رجلاً مقتدراً من سبط أفرايم، ويعلن له أنه سيكون ملكاً على إسرائيل، ويصل الخبر إلى سليمان فيطلب أن يقتله، لكن يربعام يلجأ إلى مصر ويبقى هناك حتى وفاة سليمان (١ مل ١١: ٢٩- ٤٠).

كان الفرعون الذي زوَّج ابنته لسليمان قد مات، واستولى على السلطة شيشونق (شيشق) القائد الليبي الأصل الذي كان ضابطاً مرتزقاً في الجيش المصري، ويصبح شيشق أول فراعنة الأسرة ٢٢، وتتحول الصداقة بين سليمان ومصر إلى عداوة، ويوفر شيشق الحماية لخصوم سليمان (١ مل ١١: ١٤-٢٢).

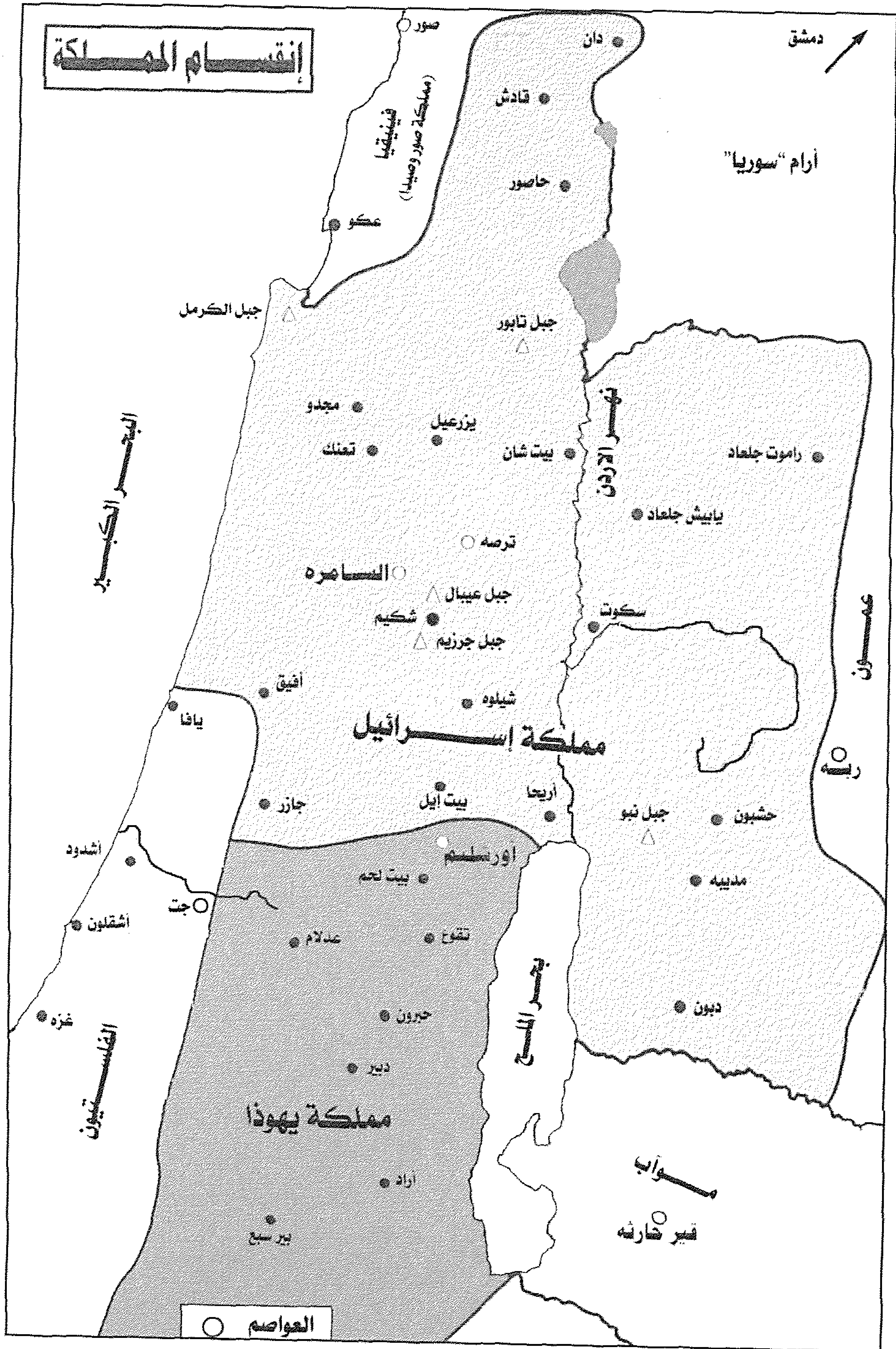
يجتمع شيوخ إسرائيل لينصبوا رحبعام ملكاً خلفاً لأبيه طالبين منه أن يخفف النير القاسي الذي وضعه عليهم سليمان، وهذا الموقف يؤكد ما سبق أن ذكرناه، وكيف تنعم الملك ورجاله بينما قاسى بقية الشعب من التسخير في العمل وما فُرض عليهم لتوفير البذخ للبلاط الملكي، لكن رحبعام يتعالى عليهم، فيثور الناس وتنقسم المملكة ويمضي عشرة أسباط خلف يربعام ولا يبقى مع بيت داود سوى عشيرته يهوذا، بينما ينقسم سبط بنيامين بحكم الجغرافيا، فقد كانت الحدود بين المملكتين تشق نصيب سبط بنيامين.

يربعام بن نباط - أول ملوك إسرائيل

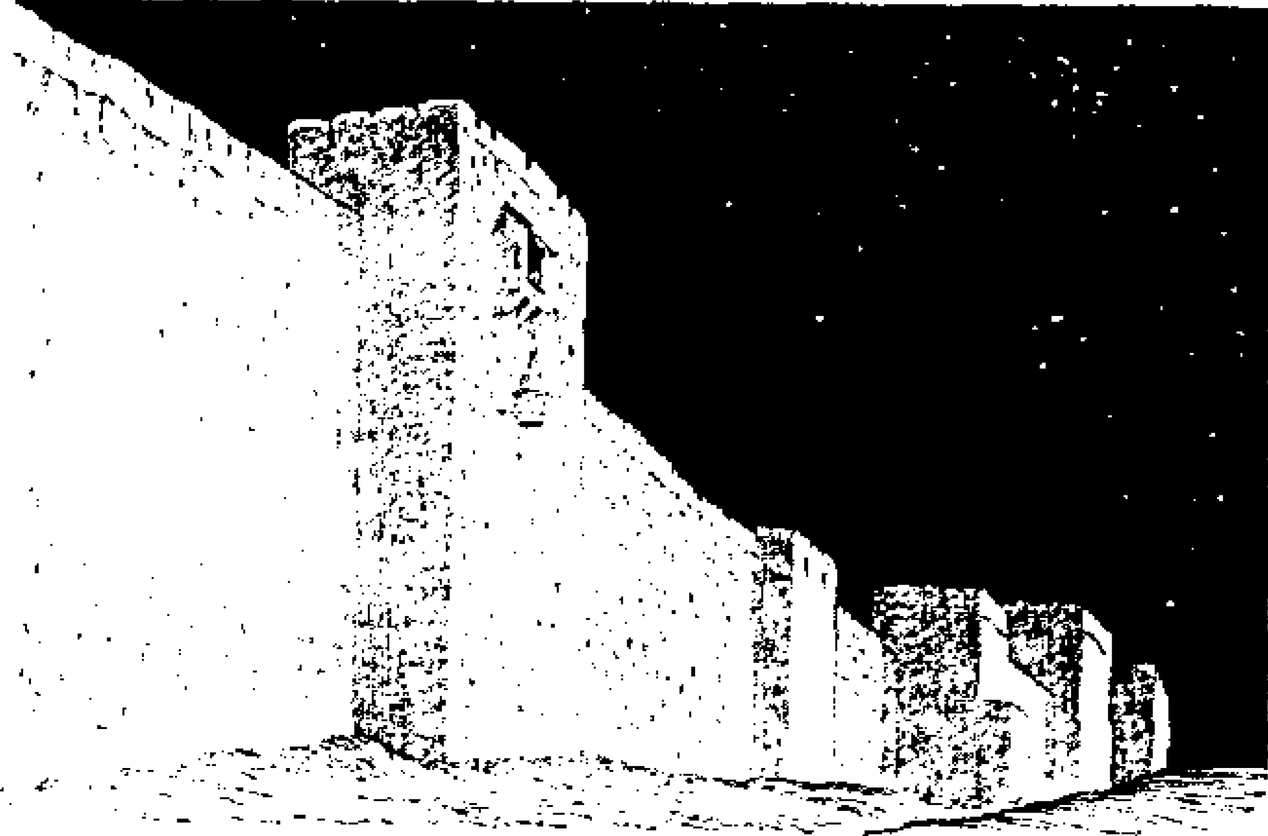
أصبح يربعام بن نباط أول ملوك إسرائيل واتخذ مدينته ترصه في افرايم عاصمة له، بينما استمر الملك في نسل داود في مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم.

أدى انقسام المملكة إلى ازدياد الشر وانتشار عبادة الأوثان بشكل خطير، فسرعان ما يترك يربعام وصية آخيا النبي ولا يهتم بشئ سوى تثبيت ملكه ناسياً أن الرب هو الذى رفعه وجعله ملكاً (١مل ١٤: ٧).

كانت الشريعة تحتم تقديم الذبائح في هيكل الرب في أورشليم دون سواه، وكان على الشعب أن يصعد إلى أورشليم في الأعياد وغيرها من المناسبات ليذبح للرب (تث ١٦: ١٦ + ١ صم ١: ٣ + لو ٢: ٤١)، لذا خشي يربعام أن يتأثر الناس بملوك يهوذا، نسل داود البطل الأسطوري، خاصة وأن كثيرين كانوا يذهبون إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح ويبقون في المدينة حوالي شهرين حتى عيد الأسابيع (الخمسين).


إنقسام المملكة
صور
دان
دمشق
قادش
فينيقيا
(مملكة صور وصيدا)
أرام "سوريا"
حاصور
عكو
جبل الكرمل
جبل تابور
البحر الكبير
مجدو
يزرعيل
نهر الأردن
تعنك
بيت شان
راموت جلعاد
يابيش جلعاد
ترصه
السامره
جبل عيبال
شكيم
سكوت
جبل جرزيم
عمون
أفيق
شيلوه
يافا
مملكة إسرائيل
ربه
أريحا
بيت أيل
جازر
جبل نبو
حشبون
أشدود
أورشليم
بيت لحم
مديبه
جت
أشقلون
عدلام
تقوع
بحر الملح
غزه
حبرون
دبون
الفلسطينيون
دبير
مملكة يهوذا
مواب
أراد
قير حارثه
بير سبع
العواصم

ويسير بعشا على درب الوثنية مثل كل من خلفوا يربعام دون استثناء، ولعلهم ظنوا كيربعام أن العودة إلى عبادة الرب سوف تعيد لملوك أورشليم مكانتهم لدى الشعب، وتتكرر العبارة المحزنة: «وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق يربعام وفي خطيته التى جعل بها إسرائيل يخطئ – ١ مل ١٥: ٣٤» لكن صبر الرب وأناته لا تفرغ، وكما أرسل آخيا الشيلوني إلى يربعام، يرسل نبياً آخر هو ياهو بن حناني إلى بعشا ملك إسرائيل ليكرر له نفس الكلام الذي وجهه آخيا إلى يربعام (١ مل ١٦: ١-٧).



يموت بعشا ويخلفه إيله ابنه، فيقتل على يد زمري قائد المركبات، لكن زُمري لا يملك سوى سبعة أيام، فقد أقام الجيش قائده عمري ملكاً، الذي يسرع ليحاصر زمري الذي لم يجد مهرباً فينتحر، ويستولي على السلطة عُمري قائد الجيش ويصبح ملكاً لإسرائيل. كانت «تِرصه» هي عاصمة مملكة إسرائيل حتى بني عمري مدينة السامره في الجبال الوسطى لتصير عاصمة محصنة لإسرائيل مملكة الشمال.

آخاب الملك – إيليا النبي

بعد وفاة عمري يرث الملك ابنه آخاب الذى تزوج من ايزابل ابنة ملك صيدا، وبتشجيع من ايزابل زاد آخاب في عبادة الأوثان، وتفشى الفساد الديني والأخلاقي:»وكأنه كان أمراً زهيداً سلوكه في خطايا يربعام بن نباط ... وعمل آخاب سواري وزاد آخاب في العمل لاغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله – ١ مل ١٦: ٣١-٣٣». لكن القوة الحقيقية وراء كل هذا كانت إيزابل زوجة الملك، فقد كانت لها الكلمة النافذة. ويذكر أنه في عهد آخاب أُعيد بناء مدينة أريحا التى دمرت في أيام يشوع وأعلن الرب اللعنة على من يعيد بنائها (يش ٦: ٢٦ + ١ مل ١٦: ٣٤).

كانت للنبي إيليا مواقف مع آخاب الملك إلا أن آخاب استمر في طريقه و»باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب الذى أغوته إيزابل امرأته – ١مل ٢١: ٢٥ « وينتصر آخاب على أرام ثلاث مرات وفي المرة الرابعة يقتل وتلعق الكلاب دمه بحسب ما تنبأ رجال الله (١ مل ٢١: ١٩ + ٢٢: ٣٨). ولنبدأ القصة من أولها ...

إيليا النبي الناري

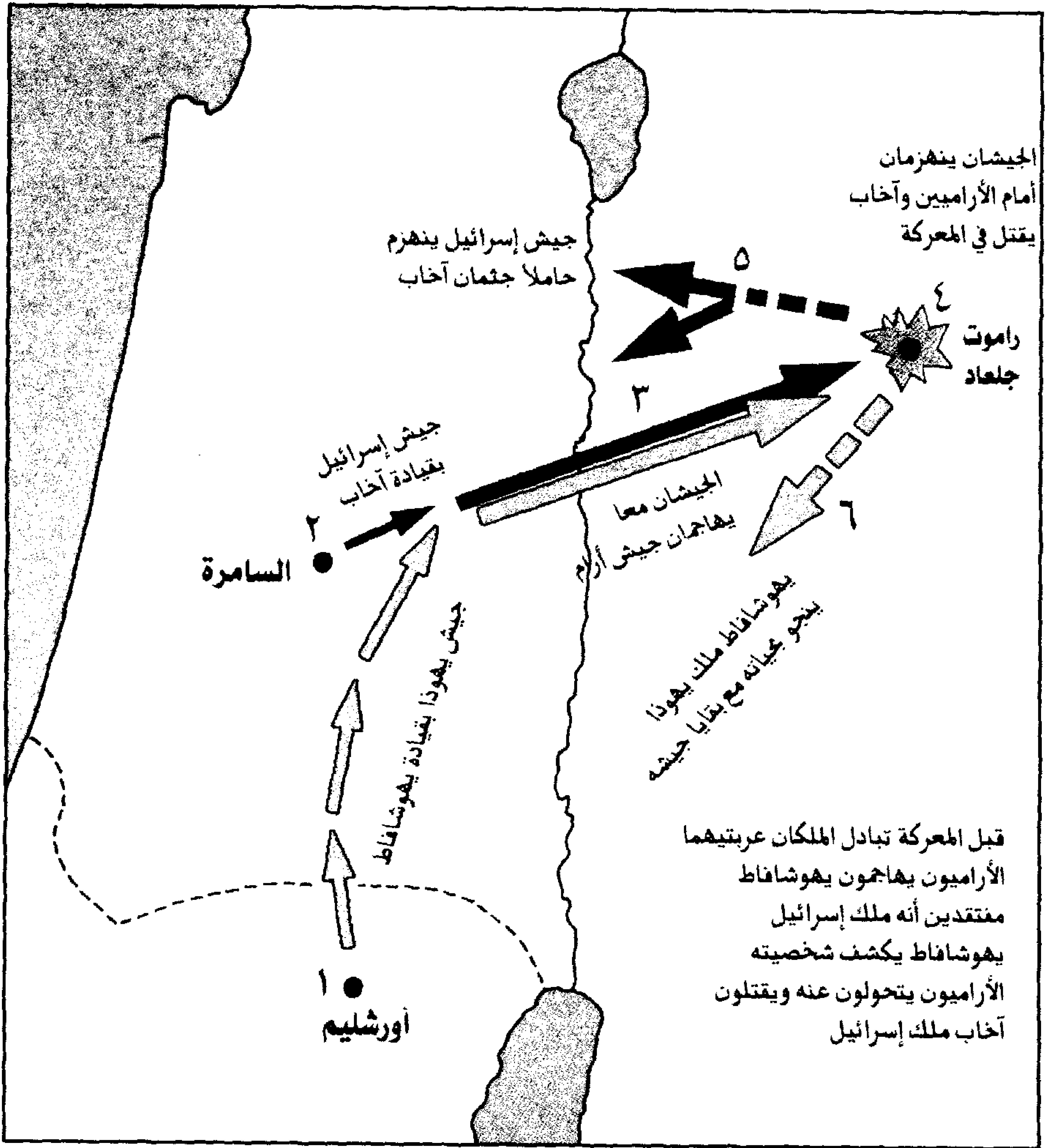
أول ما نسمع عن إيليا نراه يقول:»حيّ هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه أنه لا يكون طلّ ولا مطرٌ في هذه السنين إلا عند قولي – ١ مل ١٧: ١»، ولأن كنعان لا تتمتع بأنهار دائمة الجريان، كانت النتيجة الطبيعية للجفاف هلاك المحاصيل، ثم جفاف الأنهار والآبار ثم تموت الماشية وفي النهاية يموت الناس.

لم يكن إيليا ينطق بهواه الشخصي، بل بكلام الرب، (عند قولي = عند قول الرب). وطبقاً لأمر الرب يهرب إيليا من وجه آخاب الملك إلى شرق كنعان إلى جوار نهر كريث ليشرب منه، ويرسل له الرب طعامه من الخبز واللحم يوماً بيوم، «وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر– ١ مل ١٧: ٢-٧».

فينتقل إيليا بأمر الرب أيضاً إلى صرفة صيدا (نلاحظ أن الأماكن التي اختبأ فيها إيليا كانت بعيدة عن أيدي رجال إيزابل) حيث تعوله أرملة وحيدة، وهناك أيضاً لا يرسل الرب لهم أكياساً من الدقيق أو براميل من الزيت، بل كما فعل في البرية، يرسل الرب القوت يوماً بيوم. وفي صرفة صيدا يمرض ابن الأرملة ويموت. هنا ندرك الدالة القوية بين إيليا والله، ونرى محبة الرب الفياضة نحو أبنائه. إيليا يعاتب الرب: «قد أسأت باماتتك ابنها»، والرب يستجيب لتضرعه إيليا ويحيي الطفل (١ مل ١٧: ٨-٢٤).
(يقول التقليد اليهودي أن هذا الطفل هو الذي صار يونان النبي، لكننا لا نجد دليلاً يقطع بذلك، كما وأن الكتاب المقدس يذكر بوضوح أن يونان كان من مدينة جت حافر من سبط زبولون - ٢ مل ١٤: ٢٥).

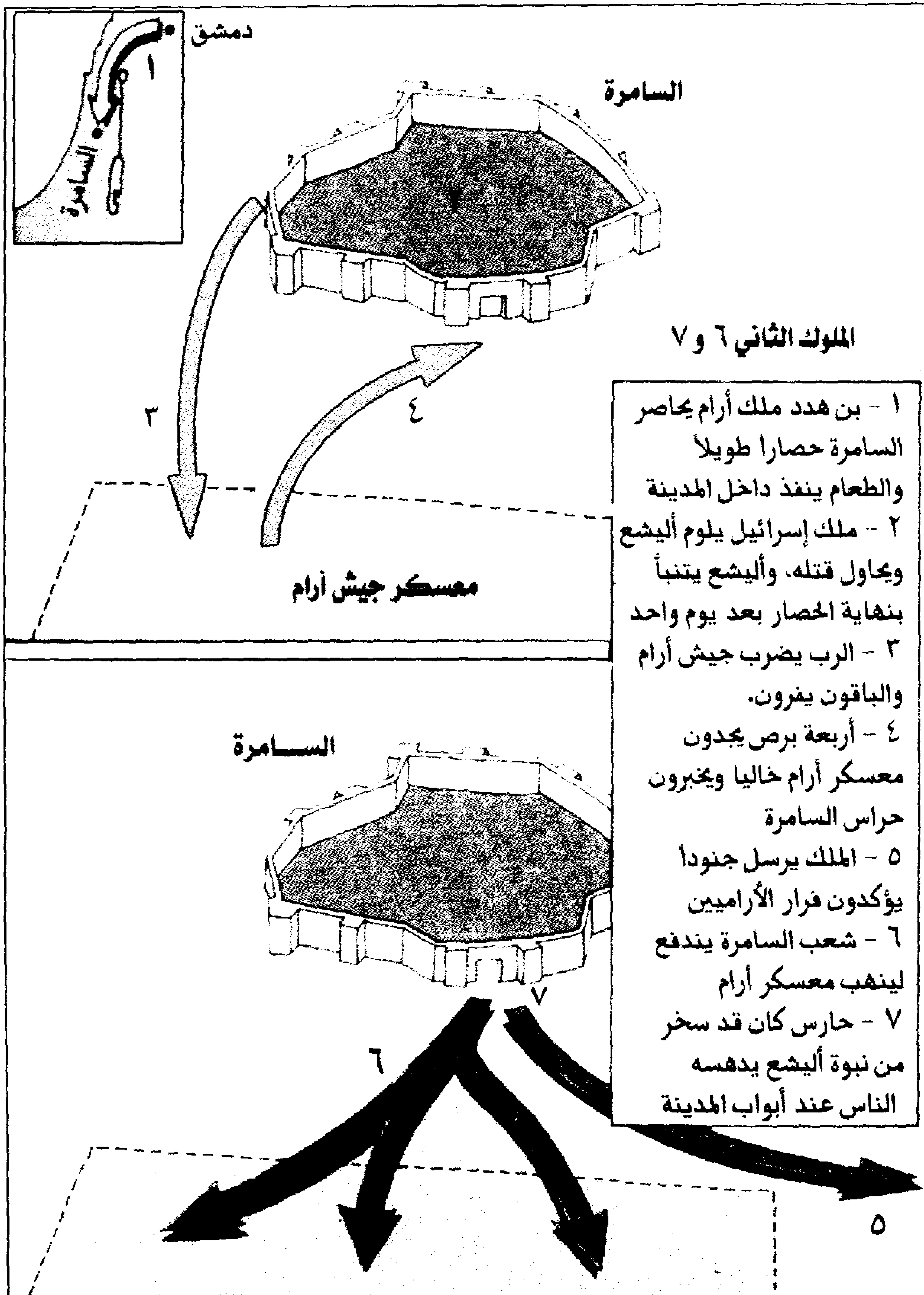
لقاء على جبل سيناء

بعد ثلاث سنوات من الجفاف يأمر الرب إيليا أن يذهب ليقابل آخاب لأن الرب قرر أن يعطي المطر على الأرض. يذهب إيليا إلى عوبديا أحد المقربين من الملك ليخطر آخاب بمجئ إيليا. ونفهم من كلام عوبديا أنه رغم كل ما أصاب الأرض من جوع كانت مطاردة إيزابل الملكة لرجال الله مستمرة لقتلهم (١مل ١٨: ١٣).
وعلى جبل الكرمل يعيش إيليا أمجد لحظات حياته. يتواجه إيليا مع آخاب الملك بشجاعة فائقة:
آخاب: أأنت هو مكدر إسرائيل؟
إيليا: لم أكدر إسرائيل، بل أنت وبيت ابيك بتركِكم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم
وبطلب من إيليا يجتمع الشعب كما يحضر أنبياء الأوثان الذين ترعاهم إيزابل الملكة، ويواجه إيليا الشعب بسؤال منطقي: حتى متى تعرجون بين الفرقتين، إن كان الرب هو الله فاتبعوه، وإن كان البعل فاتبعوه.
(سؤال بسيط لكنه اختيار يستلزم أن يدفع الإنسان ثمن اختياره، سؤال قائم حتى الآن!)
وأمام الجميع يقدم اتباع الأوثان ذبيحة، ويقدم إيليا ويستجيب الرب بقوة فائقة، ويصرخ الشعب: الرب هو الله، الرب هو الله، وكأنهم يعرفون ذلك لأول مرة! ويقتل إيليا نحو ألف من أنبياء الأوثان.
وبقدر ما كان انتصار إيليا بقوة الرب عظيماً مجيداً، بقدر ما تبخر هذا كله في لحظات، فما أن ترسل اليه إيزابل تهديداً بالقتل، حتى يهرب لحياته ويندفع بعيداً في اتجاه الجنوب، ويستمر حتى لا يلحق به أحد. يتوغل إيليا في الصحراء ويرقد تحت شجرة ويطلب الموت لنفسه، فيرسل الرب ملاكه ليطعم إيليا، ويبدو أنه أوحى إليه بأن يذهب إلى جبل حوريب، حيث تراءى الرب لموسى قديماً. ويدور حوار:
الرب: مالك ها هنا يا إيليا؟
إيليا: قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها.
ويكرر الرب السؤال، لكن إيليا لا يفهم أن إجابته الأولى لم ترض الرب ويكرر إيليا نفس الإجابة.
صدق إيليا في كلامه عدا نقطة واحدة، أنه لم يعد في الأرض سواه متمسك بالوصايا، لكنه لم يعترف بأنه هرب خوفاً من الموت، وكأنما الرب الذي أطعمه طوال المجاعة، واستجاب له بنار من السماء، عاجز عن حمايته.



ياهو الملك – الضربة الحاسمة

تولى أخزيا بن آخاب الملك في إسرائيل، وبتشجيع من أمه إيزابل استمر في طريق الشر، هو وابنه وخليفته يهورام إلى أن امتدت يد الرب لتوقف مد الخطية. وبأمر من الرب يذهب أليشع النبي إلى ياهو أحد قادة الجيش ويمسحه ملكاً على إسرائيل. وفي عملية دموية يصفها سفر الملوك الثاني بالتفصيل، يقضي ياهو على أخزيا ملك يهوذا ويورام ملك إسرائيل وإيزابل أمه وكل اخوتهما . وهكذا أصبح «بيت آخاب كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن آخيا - ٢مل ٩: ٩». ورغم بداية ياهو الطيبة نحو إزالة الأوثان (٢ مل ١٠) إلا أن مراكز العبادة الوثنية في دان وبيت إيل استمرت كما هي.



لم تكن هذه المرة الوحيدة التي يتدخل فيها الرب لينقذ شعبه، فقد صعد جيش أرام وحاصر السامرة لفترة طويلة، وبدأ الشعب يعاني من مجاعة داخل المدينة، حتى أن ملك إسرائيل (على الأرجح هو يوآش حفيد ياهو) يقسم أن يقتل أليشع النبي لأنه لا يفعل شيئاً! ويضرب الرب بقوة فينقذ شعبه وينقذ أليشع أيضاً! وابتدأ الرب يحاول أيقاظ الشعب بضربات حزائيل ملك أرام «أبتدأ الرب يقص إسرائيل (يقتطع منها) - ٢ مل ١٠ : ٣٢»، فيهاجم حزائيل أورشليم ثم ينصرف بعد أن أخذ بعضاً من ذهب الهيكل (٢مل ١٢ : ١٨).

الفصل الأخير في حياة مملكة إسرائيل - سبي جزئي

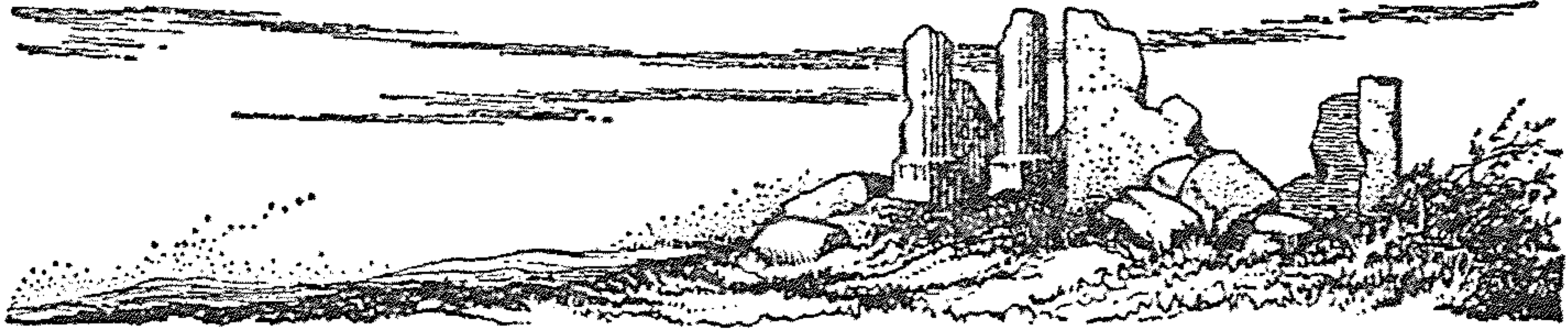
«جاءت أيام العقاب، جاءت أيام الجزاء – هو ٩: ٧»

قتل زكريا بن يربعام – الجيل الرابع من نسل ياهو – وملك شلوم لمدة شهر واحد، ثم ينقلب عليه منحيم وينتزع منه الملك لمدة عشر سنوات، ولإنقاذ المملكة يخضع منحيم ويدفع جزية ثقيلة إلى تغلث فلاسر الثالث ملك أشور (فول ملك أشور) (٢ مل ١٥: ١٧-٢٢).

بعد وفاة منحيم يملك ابنه فقحيا لمدة سنتين فقط ثم تتكرر القصة. فتنة وانقلاب ويقتل فقحيا ويملك مكانه فقح بن رمليا لمدة ٢٠ سنة، وفي أيامه صعد تغلث فلاسر ملك أشور ويستولى على كل الجليل وجلعاد ويسبي سبط نفتالي، ويؤخذ الى أرض أشور، وكان من المسبيين طوبيا البار (أنظر سفر طوبيت).

في أواخر أيام فقح بن رمليا ملك إسرائيل، يتحالف فقح مع ملك أرام ضد أحاز ملك يهوذا لرفضه القتال معهما ضد أشور. يستغيث أحاز ملك يهوذا بملك أشور ويدفع إليه قدراً كبيراً من الفضة والذهب، فيأتي جيش أشور وينقذه من تحالف إسرائيل – أرام. وإن القارئ ليتعجب من صيغة التذلل التي استخدمها أحاز ليستنجد بتغلث فلاسر، إذ يقول «أنا عبدك وابنك. إصعد وخلصني – ٢ ملوك ١٦: ٧»، مفضلاً الاتكال على ذراع بشر بدلا من الرب رغم تحذير أشعياء النبي (أش ٧).

يقتل فقح بن رمليا ويملك مكانه هوشع بن ايله على إسرائيل، وتتسارع الأحداث نحو نهايتها المحتومة.



سبي السامرة – نهاية مملكة إسرائيل

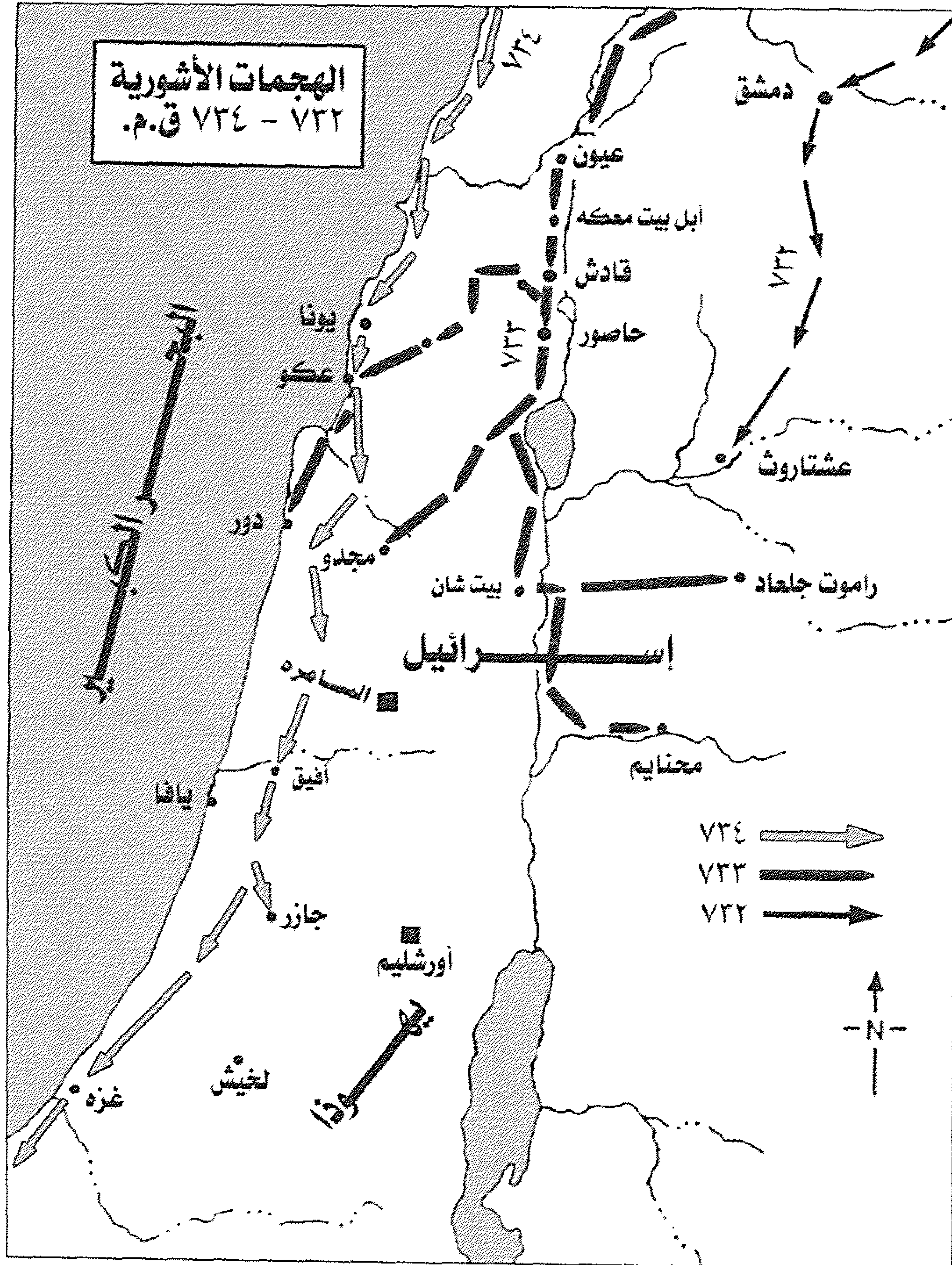
يخضع هوشع بن إيله ويدفع الجزية إلى أشور، إلا أنه بعد وفاة تغلث فلاسر يتمرد هوشع ملك إسرائيل على خليفته شلمناسر الخامس، ويحاول التآمر سراً مع مصر ضد أشور. فيصعد شلمناسر ويحاصر السامرة حصاراً طويلاً يستمر ثلاثة سنوات. مات شلمناسر في هذه الأثناء ويليه سرجون الثاني الذي يأخذ المدينة.

وبسقوط السامرة عام ٧٢١ ق.م. تنتهي مملكة إسرائيل الى الأبد.

«وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين. في السنة التاسعة لهوشع (ملك إسرائيل) أخذ ملك أشور السامره وسُبى إسرائيل إلى أشور – ٢ مل ١٧: ٥و٦»

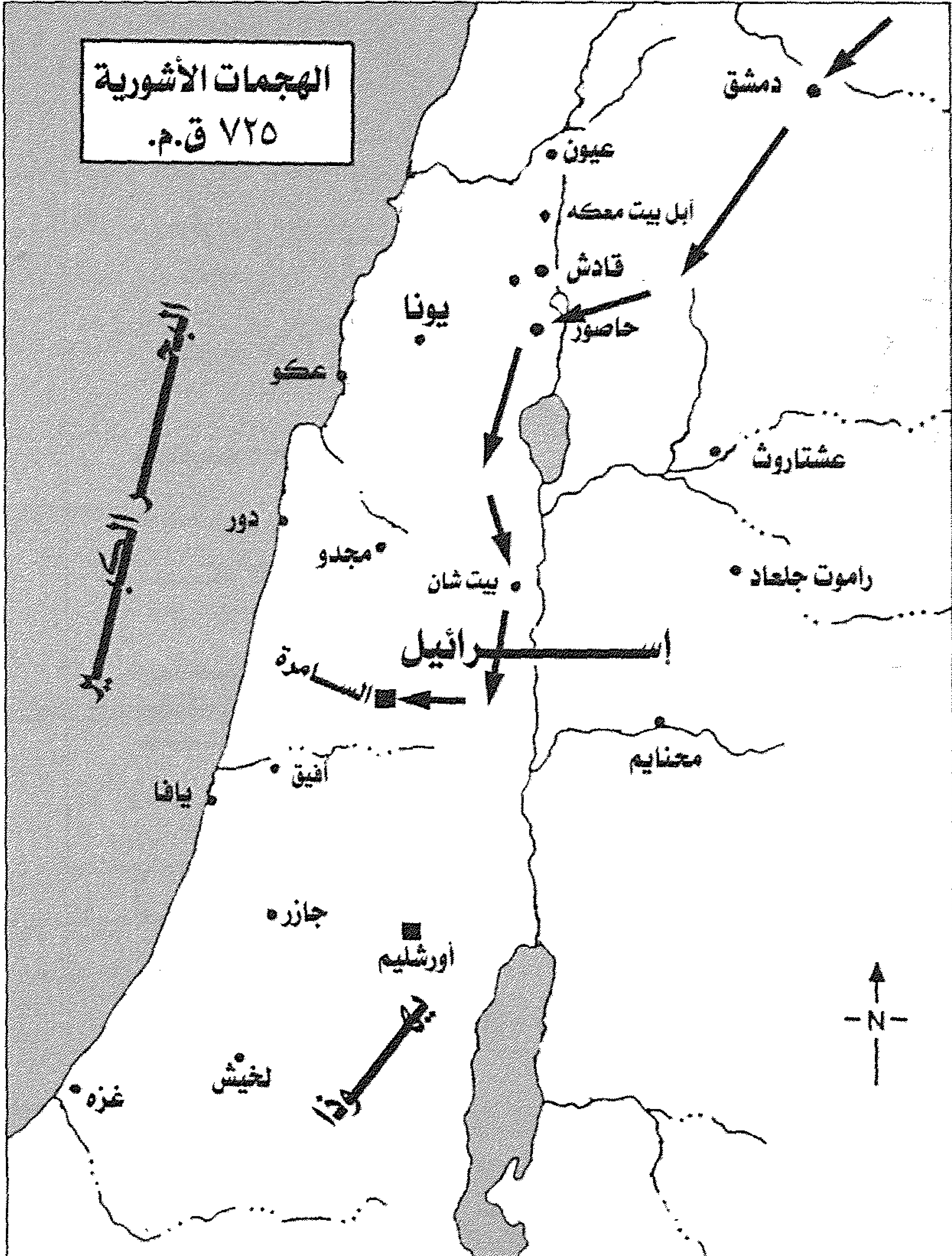
وهكذا تحققت النبوات. لقد تمسك شعب إسرائيل بخطاياه فكان العقاب: «إسرائيل جفنة ممتدة يخرج ثمراً لنفسه، على حسب جودة أرضه أجاد الأنصاب (هياكل الأوثان).. الآن يعاقبون. هو (الرب) يحطم

مذابحهم يخرب انصابهم.. يُجلب إلى أشور.. السامره مُلكها يبيد كغثاء على وجه الماء.. يطلع الشوك والحسك على مذابحهم ويقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطي علينا – هو ١٠: ١-٨». وهذه العبارة نراها في حديث الرب يسوع المسيح عن خراب أورشليم، ثم تتكرر في سفر الرؤيا حين فُتح الختم السادس واقتربت ساعة الدينونة (لو ٢٣: ٣٠ + رؤ ٦: ١٦).



اننا لا ندرس العهد القديم من أجل المعرفة فقط، بل من أجل حكمة تبنى الكل. فما شعب الرب اليوم إلا كنيسة المسيح. إن كل من يبتعد عن وصية الرب يجابه ضياعاً وسبياً في قبضة الخطية والشيطان والموت. «فسبي إسرائيل من أرضه إلى أشور ... وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم واسكنهم في مدن السامره عوضاً عن بنى إسرائيل – ٢ مل ١٧: ٢٣-٢٤»، وإن اضطر هؤلاء السكان إلى تكريم يهوه إله إسرائيل إلى جانب عبادتهم لآلهة أشور وبابل حتى يستقروا في الأرض (٢ مل ١٧)

ويصير كلام الأنبياء حقيقة واقعة:
«لأني لا أعود أرحم بيت إسرائيل بل أنزعهم نزعاً.. يصير افرايم خراباً في يوم التأديب - هو ١: ٦+ ٥: ٩»
«هكذا قال السيد الرب. ضيق حتى في كل ناحية من الأرض فيُنزل عنك عزك وتُنهب قصورك.. يوم معاقبتي إسرائيل على ذنوبه - عا ٣: ١١و١٤»
«هوذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سلطانها - أش ١٤: ١»



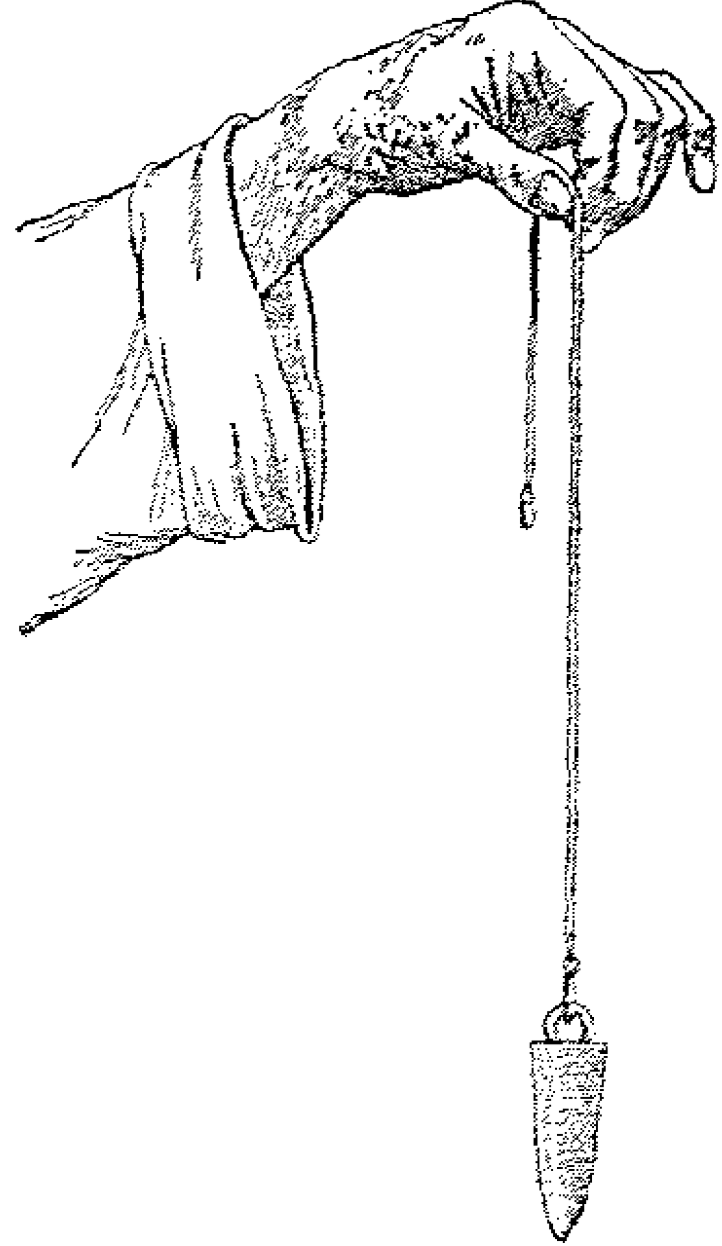
استمر حصار السامرة ٣ سنوات في نهايتها سقطت السامره وزالت مملكة إسرائيل إلى الأبد

عقـــاب يهــــوذا

يروي الرب لحزقيال النبي المأساة كاملة: «وكان كلام الرب قائلاً :.. كان امرأتان ابنتا أم واحدة.. واسماهما السامره اهوله وأورشليم اهوليبه، وزنت أهوله.. وعشقت محبيها أشور.. لذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بنى أشور الذين عشقتهم.. أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء.. فلما رأت اختها اهوليبه ذلك افسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا اختها - حز ٢٣: ١-١٠»

لقد دعا الرب المملكتين اختين؛ سقطت السامره الأخت الكبرى فعوقبت، ولم يكن الحكم الذى أجراه الأشوريون حكمهم بل هو قضاء الرب، وما كانت الأمم سوى أدوات غضب الرب. حاول الرب تحذير يهوذا مستخدماً سقوط السامرة كمثال لما يمكن أن يصيب أورشليم لو استمرت في خطاياها، وتعاقب الأنبياء يحذرون دون جدوى. «ان كنت انت زانياً يا إسرائيل فلا يأثم يهوذا - هو ٤: ١٥»

«إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها ... لم تخف الخائنة يهوذا اختها بل مضت وزنت هي أيضاً... فقال لي الرب قد بررت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا - أر ٣: ٨و١١»



لاحظ وصف إسرائيل بالعصيان ويهوذا بالخيانة وهي درجة أكثر شراً، من أجل هذا عوقبت يهوذا بكيل أوفر. «في طريق اختك سلكت فادفع كأسها ليدك، هكذا قال السيد الرب انك تشربين كأس اختك العميقة... من أجل أنك نسيتني وطرحتني من وراء ظهرك فتحملي أيضاً رذيلتك وزناك- حز ٢٣: ١١-٣٥»

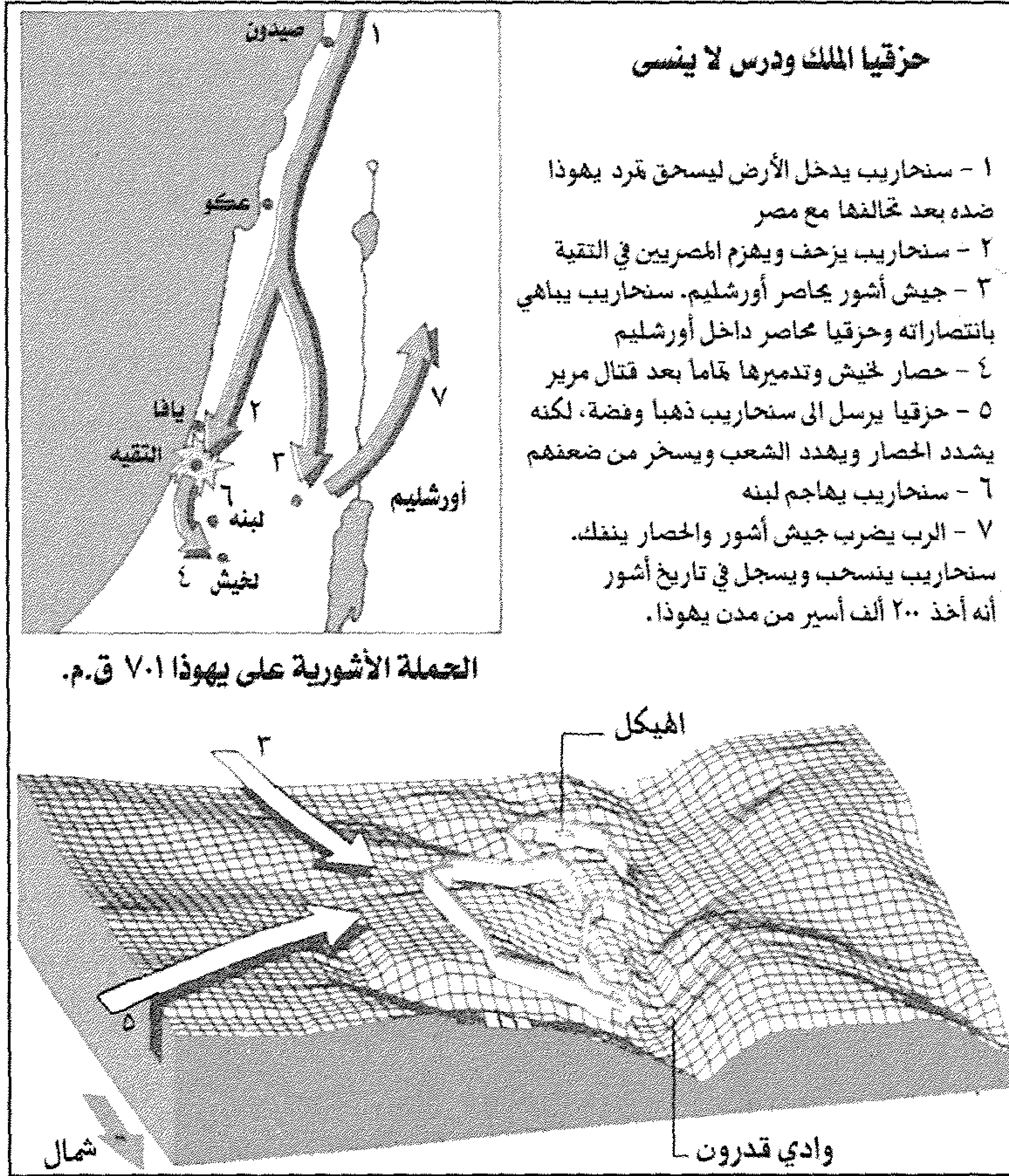
سقطت السامرة في السنة السادسة لحزقيا ملك يهوذا ويبدو أن سرجون الثاني قد اكتفى بهذا النصر فلم يهدد مملكة يهوذا الصغيرة تهديداً جدياً. ولكن بعد سقوط السامرة بنحو ١٠ سنوات، أرسل ولي عهده سنحاريب فصعد بجيشه واستولى على مدن يهوذا الحصينة واضطر حزقيا إلى دفع جزية ثقيلة فرضها عليه سنحاريب. قشر حزقيا الذهب عن أبواب الهيكل ليؤدي ٣٠ وزنة من الذهب و ٣٠٠ وزنة من الفضة إلى الأشوريين (٢ مل ١٨: ١٣-١٦). أصبح سنحاريب ملكاً لأشور عام ٧٠٥ وبعد سنوات قليلة في عام ٧٠١ صعد مرة أخرى طامعاً في ذخائر الهيكل الشهيرة، لكن حزقيا الملك يواجهه بأسلوب يستحق التأمل.

درس لا ينسى

استخدم سنحاريب اسلوباً للحرب النفسية، إذ أرسل من يقرأون على مسامع الشعب الواقف على الأسوار تهديدات بالحصار والمجاعة والقتل، منذراً بأنه لا مفر من الإستسلام، فعلى من يتكلون لينقذهم من يده؟ على فرعون مصر الذى يشبه القصبة المرضوضة والتى اذا توكأ أحدٌ عليها دخلت في كفه وثقبتها - ٢ مل ١٨: ٢١»، أم على الرب الذى أزال حزقيا مرتفعاته ومذابحه (هكذا ظن الأشوريون، وكان حزقيا الملك قد أجرى تطهيراً جزئياً لأورشليم من مظاهر العبادة الوثنية).

تعالوا ننظر كيف واجه حزقيا البار هذه المحنة المرعبة: (٢ مل ١٨و ١٩ + أش ٣٦و٣٧)

١. أمر حزقيا رجاله بألا يردوا على تهديدات العدو.
٢. تغطى حزقيا بمسح (ثوب خشن) ودخل ليصلي إلى الرب.
٣. طالب الشعب كله بالصلاة والاتضاع أمام الرب.
٤. أخذ رسالة التهديد ووضعها على مذبح الرب معتبراً أن ما جاء بها موجهاً إلى الرب ذاته.
٥. أرسل إلى أشعياء النبي يطلب إليه أن يرفع صلاة من أجل البقية الموجودة (بعد زوال مملكة إسرائيل).



الحملة الأشورية على يهوذا ٧٠١ ق.م.

وجاءت استجابة الرب سريعة جبارة، إذ ضرب ملاك الرب في تلك الليلة جيش أشور واضطر سنحاريب إلى العودة: «يسقط جيش أشور بسيف غير رجل... فيهرب من أمام السيف - أش ٣١: ٨». ويُذكر أن جيش بابل الذى دمر اورشليم فيما بعد كان أقل عدداً من جيش أشور الذى بدده الرب (قارن يهوديت ١).

إن درس النصرة الذي لا ينسى الذى اجراه الرب بيد اشعياء النبي وحزقيا الملك يمكن تلخيصه في عبارة واحدة : «بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم – أش ٣٠: ١٥»
يمرض حزقيا إلا أن الرب يشفيه ويضيف إلى حياته خمسة عشر عاماً، وفي أثناء مرضه أرسل ملك بابل يسأل عن صحته، وكانت مملكة بابل تتمتع بقدر من الحكم الذاتي مع دفع جزية سنوية إلى أشور. كانت زيارة مردوخ بلادان ملك بابل إلى حزقيا تمهيداً لإنشاء تحالف ضد سنحاريب ملك أشور، ويبدو أن تصرفات مردوخ لم تعجب الأشوريين فعزلوه وعينوا ابنه ملكاً لبابل بدلا منه.

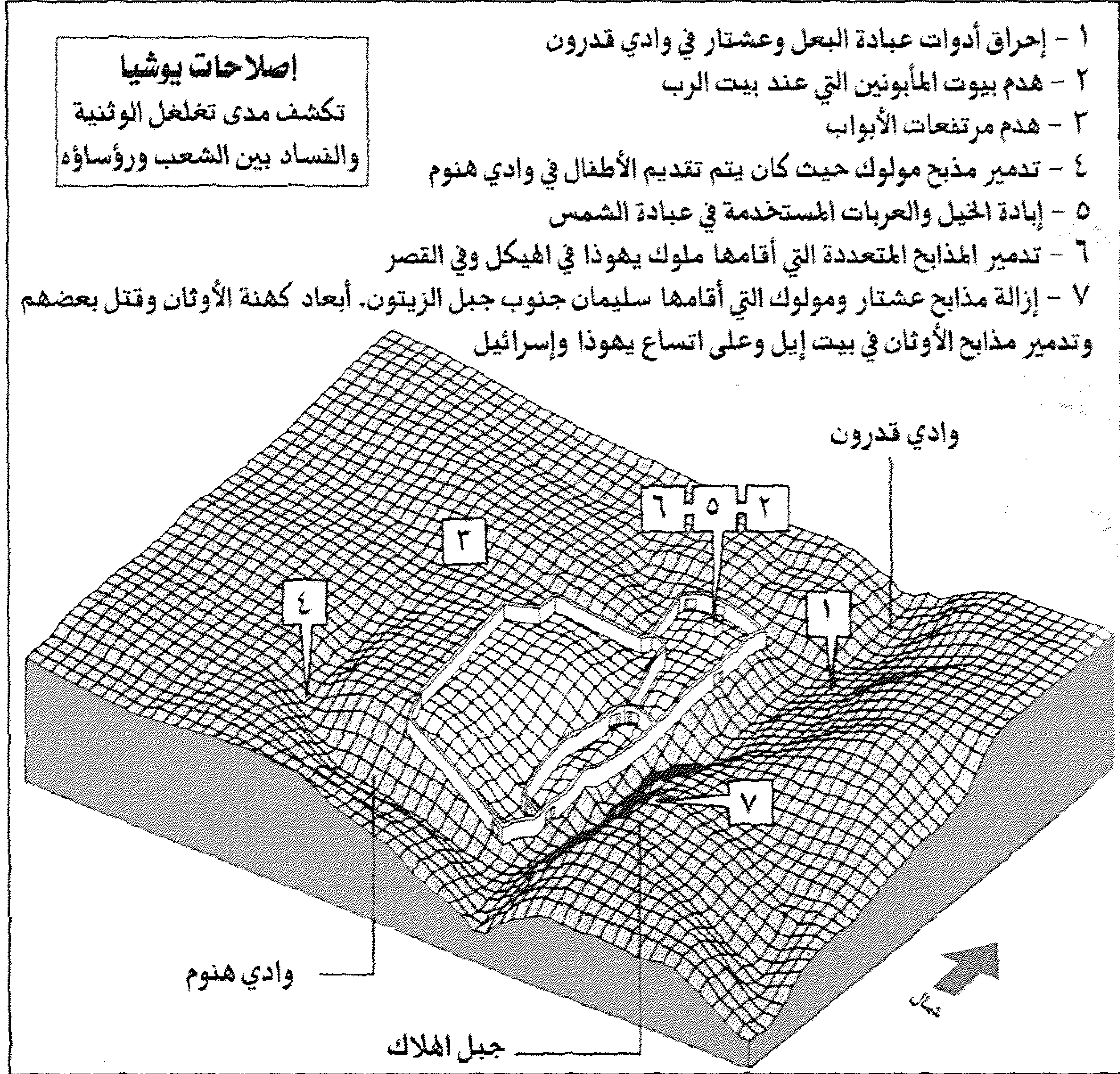
فترة مظلمة

بعد وفاة حزقيا مرت مملكة يهوذا بأسوأ فترة منذ نشأتها، فقد تولى الحكم منسى الذى أسرف في تشجيع العبادات الوثنية حتى فاق كل من سبقوه، وانتشر الفساد الديني والأخلاقي بصورة لم يسبق لها مثيل، وانحدر منسى لدرجة اقامته مذابح للأوثان في داخل الهيكل، وزاد على ذلك بسفكه دماء الأبرياء بغزارة حتى أنه لم يبق واحد ممن حاولوا نصح الملك أو دعوته للعودة إلى طريق الرب دون أن يشمله التعذيب والقتل.
يذكر تقليد الكنيسة أن أشعياء النبي قتل بيد منسى الملك الذي أمر بنشر جسده بمنشار خشبي لإطالة أمد تعذيبه. ولا يقلل ما نقرأه عن توبة هذا الملك في أواخر أيامه من الصورة الوحشية التى ظهر بها طوال سني حكمه (٢ مل ٢١: ١-١٦١٧ + ٢ أخ ٣٣: ١٢-٢٠). ويستمر أمون بن منسى في طريق ابيه الشريرة لكنه يقتل بعد سنتين لترتاح الأرض قليلاً. وقد عقب الوحي الإلهي على شرور منسى تعقيباً موجزاً رهيباً:
«من أجل أن منسى.. قد عمل هذه الأرجاس.. لذلك هكذا قال السيد الرب..: هانذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن اذناه، وأمد على أورشليم خيط السامره ومطمار بيت أخاب وأمسح أورشليم كما يمسح واحدٌ الصحن ويقلبه على وجهه – ٢ مل ٢١: ١٠-١٥»

محاولة للإصلاح

حين بلغ الملك يوشيا بن أمون سن الخامسة والعشرين، اهتم بترميم الهيكل، وأثناء العمل عُثر على سفر الشريعة مطموراً في أرضية الهيكل، وقُرئ السفر – يرجح أنه جزء من سفر التثنية – وما أن سمع يوشيا كلمات الغضب الإلهي حتى مزق ثيابه وأعلن بداية التطهير الكامل من الرجاسات الوثنية. ولأول مرة منذ أيام داود قبل اربعمائة عام عادت أورشليم نظيفة من كل ما يمت إلى الوثنية، وتحققت النبوة التى قيلت ليربعام بن نباط (١ مل ١٣:٢)، واحتفل الشعب بالفصح كما لم يحدث منذ أيام القضاة (٢ مل ٢٣: ٢٢).
كان صفنيا النبي قد بدأ ينادى بكلام الرب إلى يهوذا، بينما أطلق ناحوم النبي انذار الرب للأمم، أما أرميا البار فقد دعاه الرب إلى الخدمة قبل بدء اصلاحات يوشيا بنحو خمس سنوات (أر ١: ٢).
«ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمي على يهوذا ... فقال الرب أنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامي كما نزعت إسرائيل – ٢ مل ٢٣: ٢٦و٢٧»

لم تصل اصلاحات يوشيا إلى قلوب الشعب بل كانت مجرد تغييرات مظهرية، وعودة إلى شكل العبادة وليس إلى جوهرها الحق والرحمة والإيمان، لذا لا نرى دوراً لأرميا النبي في هذه الاصلاحات، ولا يذكرها في سفره، رغم امتداحه ليوشيا من أجل عدله وبره (أر ٢٢: ١٥و١٦)، ورثائه ليوشيا بعد مصرعه (٢ أخ ٣٥: ٢٥).

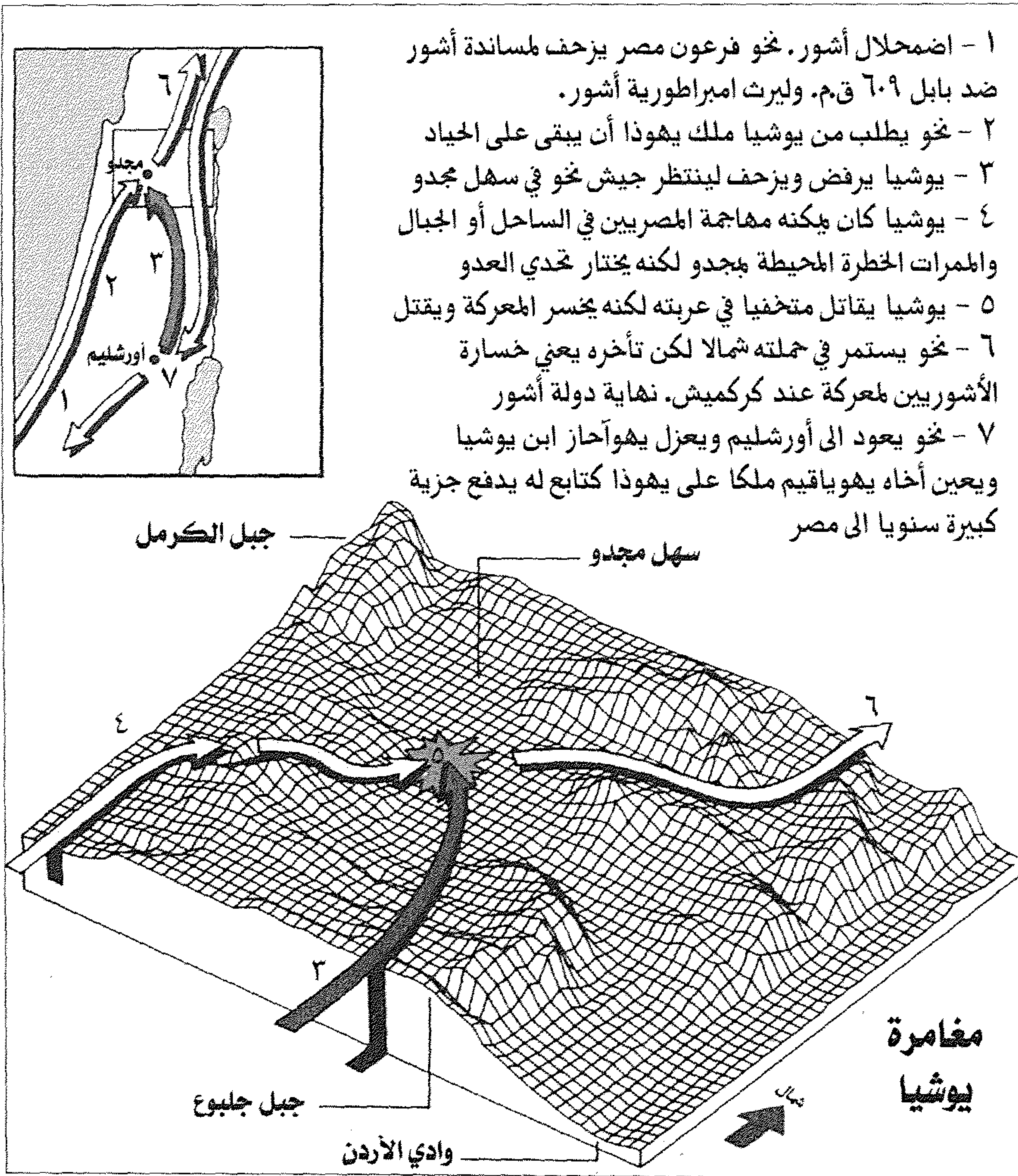


قبيل النهاية

كانت بلاد الشرق تمر بفترة تحول خطير، فبينما كان يوشيا منهمكاً في اصلاحاته الدينية، جددت مصر قوتها في نهضة بدأها بسماتيك أول فراعنة الأسرة السادسة والعشرين، وكانت قوة بابل تتعاظم بقيادة نبوبلاسر حتى استطاعت القضاء على سلطان أشور. وفي عام ٦١٢ ق.م. دخل البابليون (الكلدانيون) نينوى عاصمة أشور وأصبح السبيل ممهداً أمامهم للسيطرة على الشرق.

لكن نخو بن بسماتيك ثاني فراعنة الأسرة السادسة والعشرين يقرر اغتنام الفرصة ليستولي على بضعة من تركة الإمبراطورية الأشورية الآفلة، وما أن استكمل قوته عام ٦٠٨ حتى بدأ حملته مستأذناً من ملك يهوذا في العبور بجيشه في أرض كنعان. وربما يكون يوشيا ملك يهوذا قد تشكك في أن تكون خدعة من

المصريين للإستيلاء على مملكته، أو لسبب آخر لا نعلمه يرفض يوشيا السماح للمصريين بالعبور في أرضه لقتال البابليين ويتورط في صراع للكبار ينتهى بهزيمته ومصرعه بيد الرماة المصريين في مدينة مجدو الاستراتيجية (٢ أخ ٣٥: ٢٣). ويفرض نخو ارادته على مملكة يهوذا فيأسر يهوآحاز بن يوشيا ويعين بدلا منه اخيه ألياقيم ويغير اسمه إلى يهوياقيم على أن يؤدي له جزية سنوية (٢ مل ٢٣: ٣١-٣٥). يستمر الجيش المصري في التقدم، وكان أكثره من المرتزقة اليونانيين، حتى يلتقى مع الكلدانيين في موقعة فاصلة في كركميش على ضفاف الفرات. تنتهي المعركة بهزيمة حاسمة للمصريين أمام النجم البازغ في سماء الشرق، نبوخذ نصر الذى كان عتيداً أن يصبح ملك الملوك (دا ٢: ٣٧)، وينسحب المصريون إلى داخل حدودهم، بينما يستولي نبوخذ نصر على كل أرض كنعان حتى مشارف سيناء (٢ مل ٢٤: ٧).



أيـــام مريـــرة

في بداية حكم يهوياقيم الملك ألقى أرميا النبي عظته الشهيرة المسماة بعظة الهيكل (أر٧: ١-١٥) حيث وبخ الرب الشعب بشدة لاتكالهم على الهيكل، واعتقادهم أن مجرد وجود الهيكل كافٍ لضمان أمن الأمة اليهودية إلى الأبد. دعا أرميا الشعب إلى أن يعيشوا اصلاحاً حقيقياً، أخلاقياً وروحياً، وتنبأ بأن الرب سوف يدمر هيكل اورشليم كما فعل قبلاً بخيمة الاجتماع في شيلوه، ما لم يرجعوا عن طرقهم الشريرة، وعلى الفور يلقى القبض على أرميا ويحاكم بتهمة خطيرة، وهي أنه يتنبأ ضد المملكة والشعب (كمن يدعو عليهم أو يلعنهم) كأنما أرميا يأتي بهذا الكلام من ذاته، إلا أن رؤساء الشعب والجموع منعوا الكهنة ومحترفي النبوة من قتله، مشيرين إلى ما صدر من ميخا النبي من أقوال مماثلة في أيام حزقيا الملك (أر ٢٦: ١٦-١٩)، وكيف أنه لم يعاقب، لأن الأنبياء لا يتكلمون من عندياتهم بل بما يأمرهم به الرب.
ويذكر أن رجلاً يدعى أوريا سبق أن تنبأ بمثل هذا ثم هرب إلى مصر، فأرسل يهوياقيم الملك رجالاً طاردوه وأحضروه حيث قتل أمامه (أر ٢٦: ٢٠). إلا أن أرميا النبي ينجو من مصير مماثل، بمساعدة أحد رؤساء الشعب يدعى اخيقام بن شافان، ويرجح أن أرميا النبي مُنع من التعليم في الهيكل بعد هذه الواقعة.

حلت النهاية... «هكذا قال السيد الرب. شرّ شرّ وحيدٌ هوذا قد أتى. نهاية قد جاءت . جاءت النهاية.. بلغ الوقت.. الآن أصب رجزي عليك وأتم سُخطي عليك واحكم عليك كطرقك واجلب عليك كل رجاساتك. فلا تشفق عيني ولا أعفو... فتعلمون أني أنا الرب الضارب - حز ٧: ٥-٩»

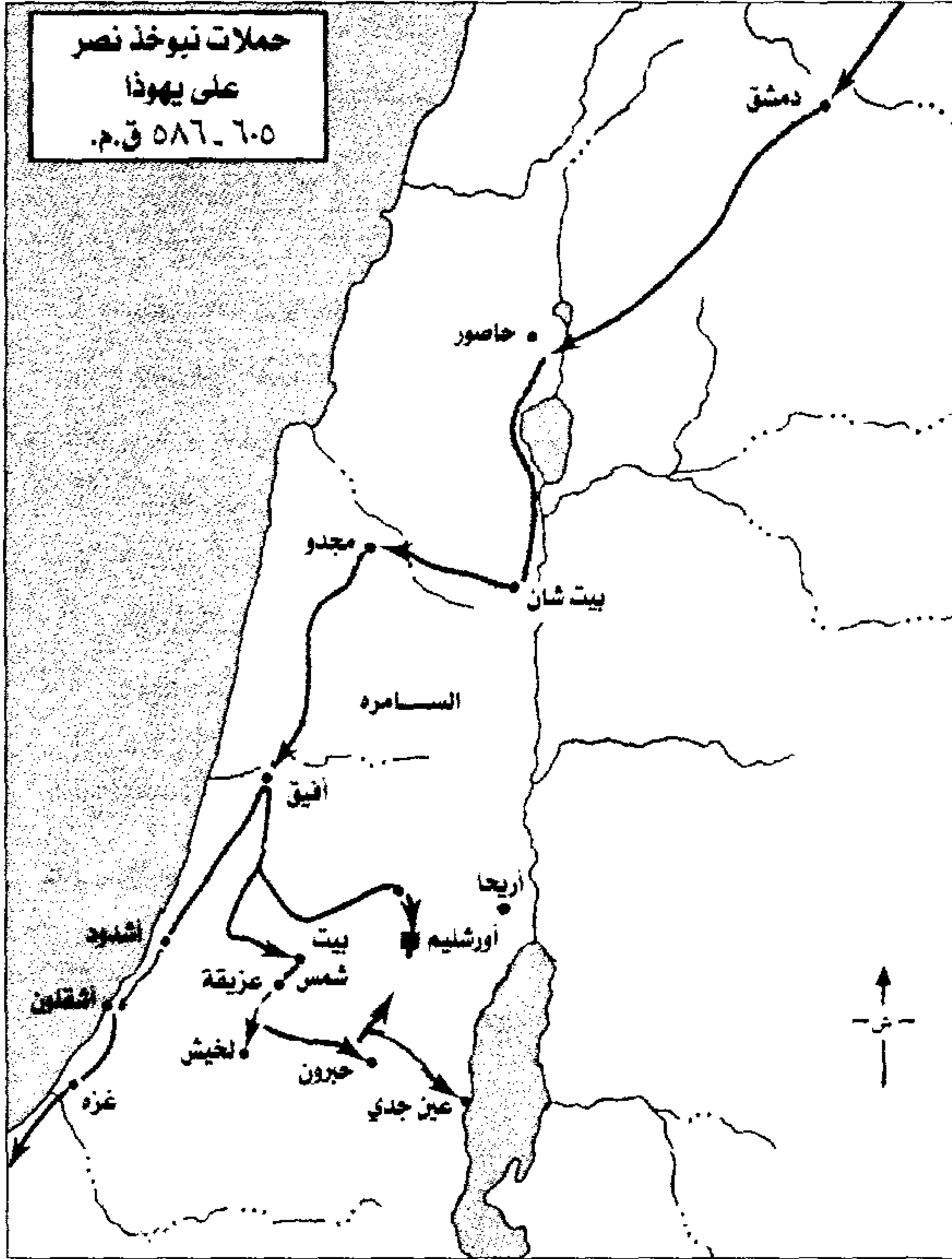
مراحل السبي

في السنة الثالثة ليهوياقيم الملك وبعد موقعة كركميش وصل جيش نبوخذ نصر إلى المدينة ليحاصرها، وسرعان ما استسلم يهوياقيم. يدخل نبوخذ نصر إلى اورشليم ويثبت يهوياقيم ملكاً على يهوذا على أن يكون ولاءه لبابل بدلا من مصر، ويأخذ البابليون ما تبقى من ذخائر الهيكل، كما أخذوا عدداً من ابناء الأشراف لتربيتهم في بابل علي التقاليد والشرائع البابلية كان منهم دانيال الفتى ورفاقه (دا ١: ١-٧).
خضع يهوياقيم للجزية التى فرضها عليه ملك بابل، أما أرميا النبي فبدأ يحذر شعب يهوذا من أنه سيأتي اليوم الذى يُضربون فيه بأيدى الكلدانيين الذين يظنوهم أصدقاءً.
بعد سنوات يتمرد يهوياقيم ضد بابل بتشجيع من مصر، فيرسل نبوخذ نصر جيشاً يحاصر المدينة ويسقط يهوياقيم في أيديهم أسيراً. ويذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن يهوياقيم قد قُتل وألقي بجثته من فوق أسوار أورشليم. «هكذا قال الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا. لا يندبونه ... يُدفن دفن حمارٍ مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم - أر ٢٢: ١٨و١٩»
بعد مصرع يهوياقيم يملك يهوياكين مكان أبيه، لمدة ثلاثة أشهر فقط، ثم يقبض عليه نبوخذ نصر الذي لحق بجيشه (٢ مل ٢٤: ٨-١٦)، ويسبيه إلى بابل ومعه عشرة آلاف من أقوياء الأرض والصناع المهرة،

ويؤخذون جميعاً إلى السبى. وكان من ضمن المسبيين هذه المرة حزقيال الكاهن الذى يبدأ خدمته كنبي في أرض بابل بعد سبيه بخمس سنوات (حز ١ : ٢).

تنبأ أرميا أنه لن يملك أحد من نسل يهوياكين (أر ٢٢: ٢٤-٣٠)، وبالفعل عين نبوخذ نصر صدقيا بن يوشيا (عم يهوياكين) ملكاً على يهوذا، وأخذ عليه تعهداً مقدساً بألا يخون بابل أو يتمرد عليها.

في بداية حكم صدقيا أرسل أرميا النبي إلى المسبيين في بابل ينصحهم بألا يتوقعوا عودة سريعة إلى الأرض، كما كان الأنبياء الكذبة يزعمون، بل أن يوطدوا أنفسهم على الإستقرار، وأن يطلبوا سلام المدينة التى أخذوا إليها، وسلامة من سبوهم، ففي سلامتهم سلامة للمسبيين، بمعنى آخر أن يتقبلوا قضاء الرب (أر ٢٩: ٤-٩).



وعندما جاء الرسل من الشعوب المحيطة بيهوذا ليحثوا على تضامنها في التمرد على حكم بابل، وضع أرميا على عنقه نيراً خشبياً وجال ينادي بأن يهوذا ينبغى أن تخضع لنير بابل، لأن الرب هو الذي أسلمهم ليدها (أر ٢٧: ١-٢٢). ورغم الضربة الثقيلة التى أصابت يهوذا فما برحت الرجاسات الوثنية تملأ أورشليم. ويصف حزقيال النبي الخرافات عديدة رآها حين أخذه الرب بالروح إلى المدينة في أيام صدقيا الملك (حز ٨: ٣-١٧).

كان صدقيا ميالاً لاتباع نصيحة أرميا النبي أكثر من سلفه يهوياقيم، لكنه كان صغير السن ضعيفاً متردداً، وكانت حاشيته منشقة إلى حزبين، أحدهما يحبذ الخضوع لبابل، والآخر يميل إلى التحالف مع مصر ضد بابل. استمر صدقيا مطيعاً لبابل نحو عشر سنوات، ثم يقيم تحالفاً مع مصر ضد الكلدانيين، وما أن وصل الخبر إلى نبوخذ نصر حتى يسرع إلى التحرك بجيشه لحصار أورشليم.

ينفك الحصار مؤقتاً بسبب اقتراب جيش مصري، فيحاول أرميا الخروج من المدينة لينساب واعظاً بين الشعب، إلا أنه قبض عليه بتهمة محاولة الفرار إلى معسكر الأعداء، ويُضرب ثم يلقى في جب ملئ بالوحل حيث أشرف على الموت لولا أن أنقذه عبد ملك الكوشي أحد ضباط صدقيا، أما صدقيا فأمر باخراجه من الجب ووضعه في السجن. ورغم أن صدقيا يستدعي أرميا النبي من السجن مرتين ليسأله عن كلمة الرب،

إلا أنه لم يصغِ إلى نصيحته بالاستسلام لجيش بابل (أر ٣٧و ٣٨). وقد يبدو هذا غريباً لكن الحق أن أرميا كان يطلب من صدقيا الملك الخضوع لتأديب الرب.

أخيراً وبعد حصار مرير استمر ثمانية عشر شهراً، اشتدت المجاعة داخل المدينة وانهارت المقاومة واقتحم الكلدانيون المدينة. يقبض على صدقيا الملك ويذبح أولاده أمامه، ثم تُسمل عيناه ويسبى إلى بابل حيث مات هناك، بينما يخرب البابليون المدينة تخريباً منظماً، ويستولون على كل ما له قيمة، ويسبون أغلب الشعب عدا الفلاحين ومساكين الأرض، ويقتلون عدداً كبيراً من رؤساء الشعب.

وبسقوط أورشليم في أغسطس عام ٥٨٦ ق.م. انتهت مملكة يهوذا إلى الأبد، وسبي يهوذا من أرضه واكتمل العقاب المريع (٢ مل ٢٥: ٢١).

١ - بعد ١٨ شهرا من الحصار، البابليون يقتحمون المدينة (أر ٣٩: ١-٣)
٢ - صدقيا الملك يحاول الهروب ليلا، فيقبض عليه قرب وادي الأردن ورجاله يتخلون عنه قتل أبناء صدقيا أمامه، وقلع عينيه واقتياده ليموت في سجون بابل (٢ مل ٢٥: ٣-٧)
٣ - البابليون يحرقون الهيكل وقصر الملك وكل المباني الهامة في أورشليم ويهدمون الأسوار
٤ - أغلب سكان المدينة يؤخذون الى السبي ولا يبقى سوى الفقراء والمساكين.
٥ - البابليون يزيلون بقايا الهيكل ويستولون على كل ما له قيمة (٢ مل ٢٥: ٨-١٧)
٦ - نبوخذ نصر يأمر بالافراج عن أرميا فيقيم مع صديقه جدليا الذي أصبح واليا لليهودية (أر ٤٠: ١-٦)



الغضب والعقاب

أسباب الغضب
العلاقة الخاصة
العبادة الشكلية
الخلاص والإختيار
العقاب الرهيب
أسباب العقاب
العبادة الوثنية
شرور الشعب
شرور الملوك
الرعاة الجشعون
الأنبياء الكذبة

الغضب والعقاب

إن القارئ لأسفار الأنبياء يكاد يلمس غضباً إلهياً مشتعلاً، فليست المسألة مجرد خطاة والرب يجري عليهم عقاباً. وليحتفظ القارئ بدهشته من عنف الغضب الإلهي حتى يعرف ماهية هذا الغضب، ولنقرأ معاً:

"من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه – أش ٥: ٢٥"

"لأن الفجور يُحرق كالنار.. بسخط رب الجنود تحرق الارض ويكون الشعب كمأكل للنار.. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد. أش ٩: ١٢ – ٢١"

"هوذا الرب يخلى الأرض ويقلب وجهها ويبدد سكانها – أش ٢٤: ١٠"

"نزعاً أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب – صف ١: ٢"

"قريب يوم الرب العظيم.. ذلك اليوم يوم سخط يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب... بنار غيرته تؤكل الأرض كلها – صف ١: ١٤-١٨"

"يخرج كنار غيظي فيحرق وليس من يطفئ – أر ٤: ٤"

"يوم الرب قادم قاسياً بسُخط وحمو غضب ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خطاتها – أش ١٣: ٩"

أسباب الغضب:

أولاً: العلاقة الخاصة بين الرب وشعبه:

لقد أعطى الرب لشعبه كل شئ: خلصه من العبودية ورعاه وقاده في البرية ومنحه قوتاً من السماء واختصه بمعرفته ووصاياه وميزه بالعبادة النقية وأحبه واهتم به، حتى أن الوحي يصور هذه العلاقة كزواج بين الرب والشعب (الكنيسة)، ويتكرر تشبيه عبادة الأوثان بالزنى. لذا نرى غضب الرب مريراً كزوج هجرته زوجته لتتعلق برجل آخر "قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهاً وأن تسلك في طرقه وتحفظ فرائضه... وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً... وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل – تث ٢٦: ١٧-١٩"

"هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها، أما شعبى فقد نسيني أياماً بلا عدد، حقا كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يابني إسرائيل – أر ٢: ٣٢ + ٣: ٢٠"

ولا يمس القلب في هذا المجال قدر حديث الرب إلى حزقيال النبي: "هكذا قال السيد الرب لأورشليم. مخرجك ومولدك من أرض كنعان. ابوك أمورى وأمك حيثية... يوم وُلدت لم تشفق عليك عين...، بل طُرحت على وجه الحقل بكراهة نفسك... فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب، فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي. فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت.. وألبستك.. وكسوتك.. وحليتك بالحلى.. وجَمُلت جداً جداً فصلحت لمملكة وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذى جعلته عليك... فاتكلت على جمالك وزنيت... وسكبت زناك على كل عابر... أمر لم يأت ولم يكن... فلذلك يا زانية إسمعي كلام الرب... أحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم وأجعلك دم السخط والغيرة – حز ١٦: ٣-٣٨".

لقد أعطى الرب لشعبه وزنات كثيرة، ولما استثمرت هذه الوزنات لحساب الذات والأهواء، كان العقاب ثقيلاً إذ أهمل الشعب خلاصاً هذا مقداره (عب ٢: ٣). ويفيض الوحي في شرح العلاقة الخاصة بين الرب وأولاده:

"ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا عليَّ - أش ١: ٢".

"إن كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا. فانتظر حقاً فاذا سفك دم، وعدلاً فاذا صراخ... ويل للبنين المتمردين - أش ٥: ٧ + ٣٠: ١"

"إياكم وحدكم عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك اعاقبكم على جميع ذنوبكم - عا ٣: ٢"

"كما تلتصق المنطقة بحقوي الإنسان هكذا ألصقت بنفسي كل بيت إسرائيل وبيت يهوذا ليكونوا لي شعباً واسماً وفخراً ومجداً، ولكنهم لم يسمعوا... يقول الرب لا أشفق ولا أتراءف ولا أرحم - أر ١٣: ١١-١٤"

ثانيا: العبادة الشكلية:

"لأن هذا الشعب قد اقترب اليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فابعده عني - أش ٢٩: ١٣"

لقد ظن الشعب أن مجرد التزامه بالطقوس يضمن له مناعة ابدية وحصانة من غضب الرب ومن سطوة الشعوب المجاورة. وماذا يريد الرب منا ؟! ألسنا نقدم له ذبائحه وتقدماته ونحتفل بأعياده ورؤوس شهوره وسبوته. ولكن هذا الموقف بالذات كان سبباً أساسياً لغضب الرب بشدة، لذا أعلن مسبقاً على فم هوشع النبى (هو ٢: ١١) أن كل هذه الطقوس ستبطل، وحتى تابوت العهد لن يذكر فيما بعد (أر ٣: ١٦).

ولعل أكثر الأشياء مدعاة للحزن هو أن يفشل شعب الله في إدراك المعنى الباطني للناموس والشريعة الطقسية، فقد أدوها كواجب ثقيل يتعين إداؤه ففقدت مغزاها. إن الذى يعطي المغزى والأهمية للذبيحة هو الشعور الباطني الكامن خلفها، فمنذ البداية حين قدم نوح ذبيحة المحرقة تنسم الرب رائحة الرضا، الرضا عن طاعة نوح وليس عن شواء اللحم! ولعلنا نذكر كلام الرب إلى صموئيل الصبي بأن شر بيت عالي لن يكفر عنه بذبيحة أو تقدمة إلى الأبد (١ صم ٣: ١٤). لقد كانت الذبيحة تقبل ممن ارتكب خطيئته سهواً (ضعفاً)، أما الذى يصمم على خطيئته فلن تنفعه الذبيحة بل تجلب عليه غضب الرب أكثر وأكثر.

"إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات ولكنهم كآدم تعدوا العهد... أما ذبائح تقدماتي فيذبحون لحما ويأكلون. الرب لا يرتضيها الآن. يذكر إثمهم - هو ٦: ٦ + ٨: ١٣"

"هلم إلى بيت إيل واذنبوا في الجلجال واكثروا الذنوب، واحضروا كل صباح ذبائحكم وكل ثلاثة أيام عشوركم... لأنكم هكذا احببتم يقول السيد الرب - عا ٤: ٤و٥"

"إنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها، لماذا يأتى لي اللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة (المواد التي يصنع منها البخور). محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لي - أر ٦: ١٩و٢٠"

"ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً... أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذى دعي باسمي عليه وتقولون قد أنقذنا... لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو - أرميا ٧"

"اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب.. الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم.. قائلين أليس الرب في وسطنا لا يأتي علينا شر، لذلك بسببكم.. تصير أورشليم خرباً... اتقدم إلى الرب وانحني للآله العلي. هل أتقدم بمحرقات وعجول.. هل يسر الرب بألوف كباش.. هل أعطى بكري عن معصيتي... وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك - مي ٣: ٩ - ١٢ + ٦: ٦-٨"
"هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش.. لأنك رفضت كلام الرب رفضك - ١ صم ١٥: ٢٢و٢٣"

الخلاص والاختيار

إن عبور الأردن ودخول الشعب إلى أرض الموعد لا يعني الراحة النهائية "قوموا واذهبوا لأنه ليست هذه هي الراحة - مي ٢: ١٠". لقد حقق يشوع عدة انتصارات ولكن الرب يقول له في النهاية" أنت قد شخت. تقدمت في الأيام وقد بقيت أرض كثيرة للإمتلاك - يش ١٣: ١" موضحاً أن جهاداً كثيراً ينبغي أن يتم من أجل اكتمال النصرة. لقد دخل الشعب إلى الأرض، وانتصر على كل أعدائه في أيام داود وبنى الهيكل في أيام سليمان، ولكن كل هذا تبدد عندما مال الناس نحو الشر، فضاعت الأرض وتخرب الهيكل. فقد ندعى بل وندخل إلى العرس ولكن قد ننتهي إلى الظلمة الخارجية لو لم نحتفظ بثياب العرس (مت ٢٢: ١١-١٤).

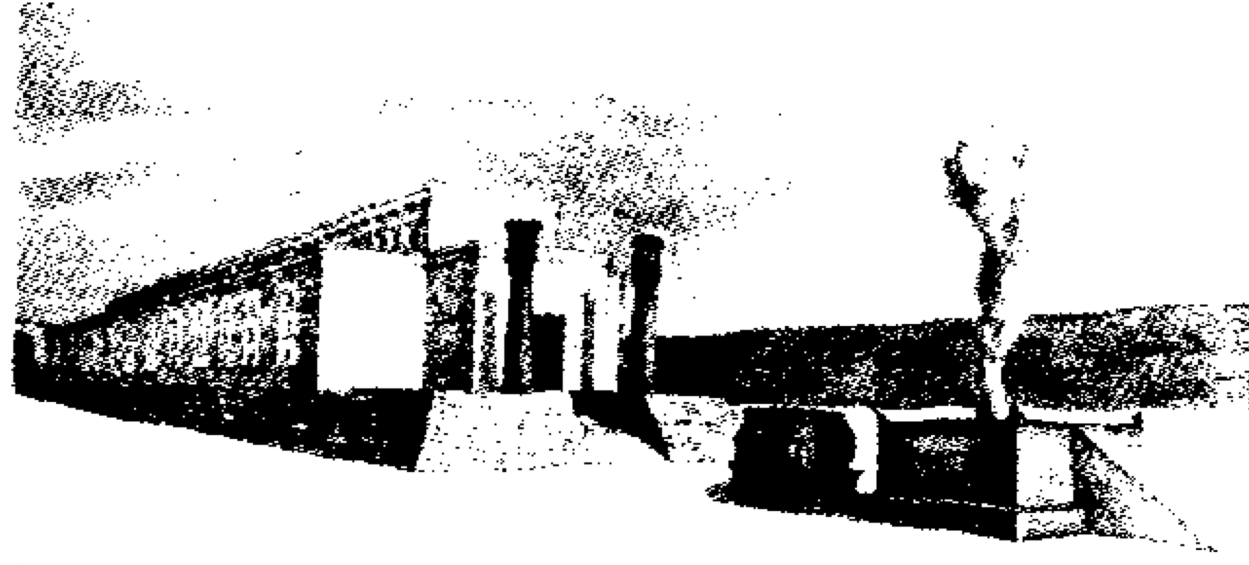
الخلاص عملية مستمرة. إن المعمودية وأخذ لقب المسيح لا يعنى تمام الخلاص قد تم، وأن نصير أبناء لإبراهيم بالإيمان لا يضمن الأبدية، بل من الممكن جداً أن نرفض لو لم نجاهد (١ كو ٩: ٢٧).

لا يوجد خلاص في لحظة كما يقولون، بل الخلاص عملية مستمرة، تبدأ بعبور الأردن (المعمودية) وتستمر حتى المجئ الثاني، ولو كان الخلاص يتحقق في لحظة فلم يتكرر السقوط ؟ لقد كانوا جميعاً أبناءً لإبراهيم، أخذوا الوعد ونالوا العهد، ورغم ذلك انتهوا جميعاً إلى السبي في أرض غريبة.

"من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا ابراهيم أباً... إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار - لو ٣: ٧-٩"، "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم - يو ٨: ٣٩-٤٤"

لقد فهم الشعب مبدأ الاختيار فهماً خاطئاً، إن الله لم يخترهم لمجرد أنهم أبناء ابراهيم ونسل يعقوب وإلا لكان إلهاً عنصرياً، لكن الله اختار من يحبه ويحفظ وصاياه ويطيعها: "في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض ونحن كثيرون. لنا أعطيت الأرض ميراثاً... هكذا قال السيد الرب: تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟ وقفتم على سيفكم. فعلتم الرجس وكل منكم نجس إمرأة صاحبه، أفترثون الأرض؟ قل هم هكذا قال السيد الرب: حيّ أنا.. يسقطون

بالسيف.. يموتون بالوباء.. أجعل الأرض خربة مقفرة... فيعلمون أني أنا الرب - حز ٣٣: ٢٤-٢٩"
هذا يتحدث أشعياء النبي عن بنوة من نوع آخر، بنوة بالروح والإيمان:"فانك أنت أبونا وان لم يعرفنا ابراهيم وأن لم يدرنا (ينجبنا) إسرائيل - أش ٦٣: ١٦"، وهذا أظهر الرب لحزقيال الملائكة تفارق أورشليم بسبب شرور الشعب (حز ١٠: ١٨)، وكانت هذه الصورة الذهنية رداً على تساؤلات المسبيين: كيف تخربت المدينة والهيكل الذى قدسه الرب؟ (حز ١١: ٢٢و٢٣). فليحرص كل من يظن أنه قائم لئلا يسقط (١ كو ١٠: ١٢).



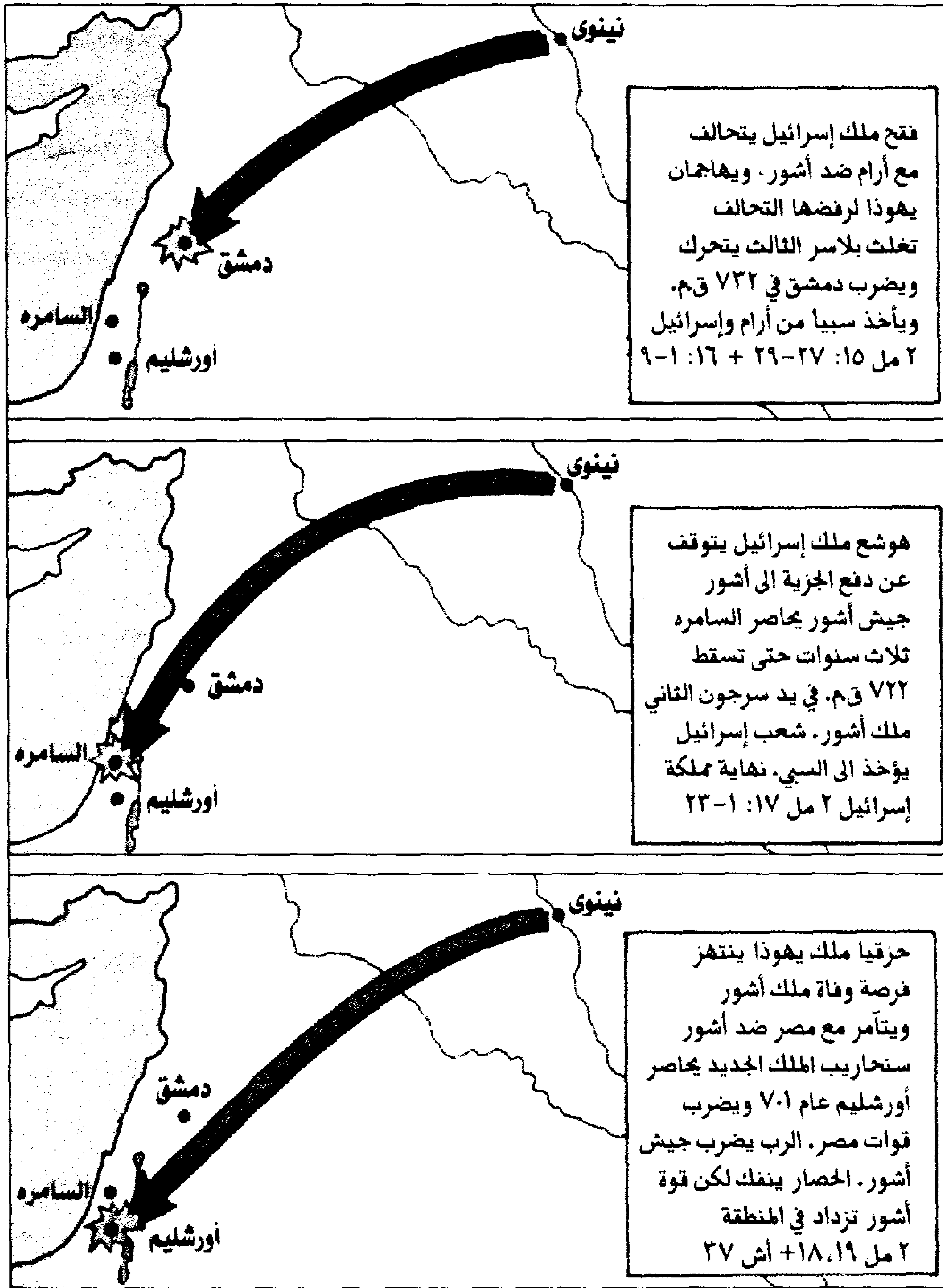
العقاب الرهيب

تحدث الأنبياء عن العقاب المزمع أن يحل بالشعب، لكن الصورة الأشمل يرسمها الوحي على فم موسى:
«إن لم تسمع لصوت الرب... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك. ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل. ملعونة تكون سلتك ومعجنك. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك ونتاج بقرك وإناث غنمك. ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك. يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل مكان تمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني. يلصق الرب بك الوباء حتى يبيدك عن الأرض... يضربك الرب بالسل والحمى والبُرداء والإلتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك. وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً والأرض التى تحتك حديداً. ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك. يجعلك الرب منهزماً أمام اعدائك... وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض. وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض... يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب فتتلمس في الظهر كما يتلمس الأعمى في الظلام... تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها، تبني بيتاً ولا تسكن فيه. تغرس كرماً ولا تستغله، يذبح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه... يذهب بك الرب وبملكك... إلى أمة لم تعرفها... وتكون دهشةً ومثلاً وهزأةً في جميع الشعوب... وكما فرح الرب لكم ليحسن لكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض - تث ٢٨»... لا تعليق !

أسباب العقاب :

أولاً: العبادة الوثنية :

«قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذى قطعته مع آبائهم لذلك هكذا قال الرب: هانذا جالب عليهم شراً لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون إلى فلا أسمع لهم - أر ١١: ١٠و١١»
وقد تحدثنا بالتفصيل عن سبب السقوط المتكرر للشعب في العبادات الوثنية، وقلنا باختصار لقد سادت الحضارة الأقوى بفكرها وعبادتها.

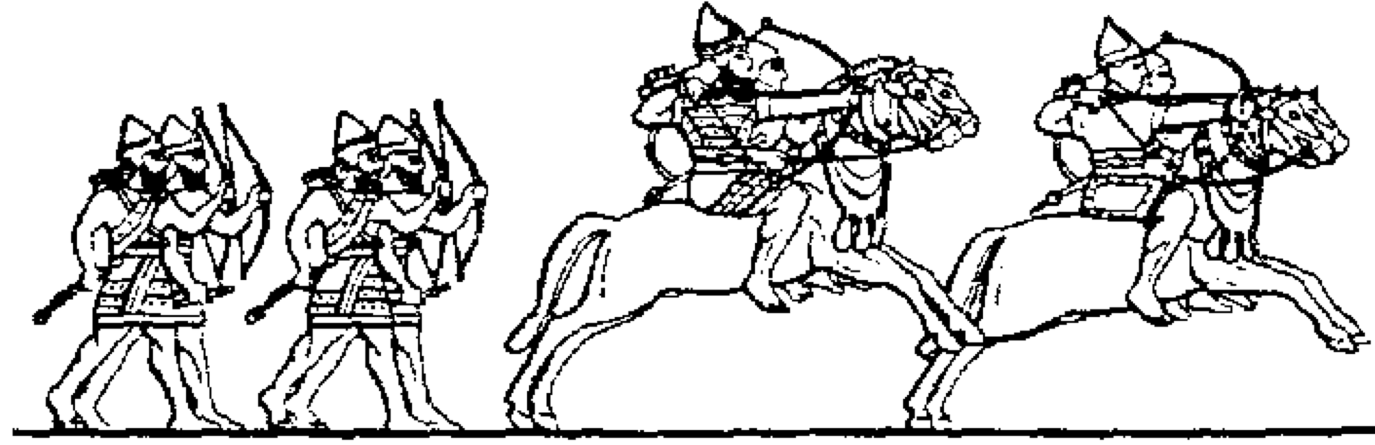


وكان مصدر الخطر الأساسي هو معاشرة الشعب للأمم الأخرى والتزاوج فيما بينهم وسرعان ما عبدوا آلهتهم (قض ٣: ٦)، والمثال الواضح هنا هو سليمان الحكيم حين تبع نسائه وإذ به يقيم مرتفعات لعبادة الأوثان. ولعلنا نذكر أن هذا هو ما اقترحه بلعام بن بعور على ملك موآب ليحطم قوة الشعب ويبعدهم عن الرب إلهم (يه ١١ + عد ٢٥: ١-٥).

«شعبي يسأل خشبة وعصاه تخبره لأن روح الزنى أضلهم فزنوا من تحت إلههم... «أفرايم موثق بالأصنام. أتركوه. متى انتهت منادمتهم زنوا زنىً - هو ٤: ١٢+ ١٧»

«صنعوا لأنفسهم.. أصناماً لكي ينقرضوا... إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة - هو ٨: ٤-٧».

«الذين يحلفون... ويقولون حي هو إلهك يادان... فيسقطون ولا يقومون- عا ٨: ١٤»
«فأجعل السامرة خربة... وجميع تماثيلها المنحوتة تحطم... وجميع أصنامها أجعلها خراباً - مي ١: ٦و٧»
«ويل للقائل للعود استيقظ، وللحجر الأصم انتبه... ولا روح البتة في داخله - حب ٢: ١٩»
«والساجدين على السطوح لجند السماء... والحالفين بملكوم... والمرتدين من وراء الرب - صف ١: ٥-٧»
«أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم. الأبناء يلتقطون حطباً والآباء يوقدون النار والنساء يعجنَّ العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني... ها غضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع. على الناس وعلى البهائم وعلى شجر الحقل وعلى ثمر الأرض فيتقدان ولا ينطفئان - أر ٧: ١٧-٢٠»، الشعب إذن بكل فئاته يشترك في عبادة الأوثان بحماس شديد!
«ويكون حين تقول لماذا صنع الرب الهنا بنا كل هذه تقول لهم: كما تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم - أر ٥: ١٩» [ملكوم أو مولوك أحد معبودات بابل].



ثانياً: شــرور الشـعب:

أدى ابتعاد الشعب عن وصايا الرب إلى سقوطه في شرور كثيرة، فما أن تركوا الرب حتى ساد التجبر والطمع والقسوة وحب المال وظلم الضعفاء والتهالك على كثير من الجرائم: «لأن شعبي عمل شرين، تركوني أنا ينبوع المياة الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققةً لا تضبط ماء - أر ٢: ١٣»
«ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر. أولاد مفسدين تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء... تزدادون زيغاناً كل الرأس مريض وكل القلب سقيم - أش ١: ٤و٥».
«كيف صارت القرية الأمينة زانية. ملآنة حقاً كان العدل يبيت فيها وأما الآن فالقاتلون. صارت فضتك زغلاً وخمرتك مغشوشة.. لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب.. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً - أش ١: ٢١+ ٣: ٨و٩»
«ويل للذين يصلون بيتاً ببيت، ويقرنون حقلاً بحقل، حتى لم يبقَ موضع... إلا أن بيوتاً كثيرة تصير خراباً... ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر... وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون - أش ٥: ٨و١١و١٢.
«ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً الجاعلين المر حلواً والحلو مراً. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم. ويل للأبطال على شرب الخمر.. الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم.. من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه - أش ٥: ٢٠-٢٥».«لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق.. ودماء تلحق دماء -هو ٤: ٢». «لأني علمت أن

ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايقون البار الآخذون الرشوة الصادون البائسين في الباب - عا ٥: ١٢»
«من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين. الذين يتهممون (يرمون) تراب الأرض على رؤوس المساكين ويصدون سبيل البائسين - عا ٢: ٦و٧» (أنظر أيضاً عا ٣: ٩و١٠ + هو ٩: ٩).



«قد توغلوا فسدوا كأيام جبعة- هو ٩: ٩» هنا يشير الوحي إلى جريمة سبط بنيامين البشعة (قضاة ١٩).

«قائلين متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحاً والسبت لنعرض حنطة، لنصغر الإيفه (مكيال للغلال) ونكبر الشاقل ونعوج موازين الغش لنشتري الضعفاء... ونبيع نفاية القمح... أليس من أجل هذا ترتعد الأرض- عا ٨: ٥و٦و٨»

«قد باد التقي من الأرض وليس مستقيم بين الناس جميعهم يكمنون للدماء يصطادون بعضهم ببعض بشبكة. اليدان إلى الشر مجتهدتان - مي ٧: ٢-٣»

«إني أفتش أورشليم بالسُرج (المصابيح) واعاقب الرجال الجامدين على درديهم (شرورهم) - صف ١: ١٢»

ولكن أرميا النبي هو الذي يصف بالتفصيل شرور كل فئات الشعب. عاصر أرميا كل مراحل سبي يهوذا وبقي في المدينة أيام الملوك: يوشيا ويهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا، ورأى بعينيه، وعانى هو شخصياً من هذه الشرور، لذا نراه يتحدث بمرارة وحزن عن الأمة الخاطئة: «هكذا قال الرب: ماذا وجد في أباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً. أر ٢: ٤و٥»

ولنلاحظ درجات الإنحراف في الشر: ابتعدوا عن الرب، ساروا وراء الباطل، صاروا باطلاً.

«لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين. هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون.. طوفوا بأورشليم وانظروا وفتشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فاصفح عنها. وإن قالوا حي هو الرب فانهم يحلفون بالكذب- أر ٤: ٢٢ + ٥: ١و٢»

«إقطعوا أشجاراً. أقيموا حول أورشليم مترسة. هي المدينة المعاقبة كلها ظلم في وسطها. كما تنبع العين مياهها هكذا تنبع هي شرها. ظلم وخطف يسمع فيها. أمامي دائماً مرض وضرب. تأدبي ياأورشليم لئلا تجفوك نفسي... لأنهم جميعاً زناة. جماعة خائنين. يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب لا للحق. قووا في الأرض لأنهم خرجوا من شر إلى شر وإياي لم يعرفوا يقول الرب - أر ٦:٦-٨ + ٩: ٢-٣»

وقد أضاف الشعب إلى كل هذا خطية كسر السبت، والتي توضح مدى استهانة الناس بالشريعة وأن الرب لم يكن له مكان في قلوبهم فانشغلوا عنه في يومه المقدس: «إن لم تسمعوا لتتقدسوا يوم السبت. لكيلا تحملوا حملاً ولا تدخلوه في أبواب أورشليم. فأني أشعل ناراً... فتأكل كل قصور أورشليم ولا تنطفئ - أر ١٧: ٢٧»

ثالثاً: شرور الرؤساء والرعاة والأنبياء الكذبة:

«كخزي السارق إذا وجد هكذا خزي بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم- أر ٢: ٢٦». «رؤساؤك متمردون ولغفاء (شركاء) اللصوص... لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم - أشعياء ١: ٢٣». «رؤساؤها في وسطها أسود زائرة. قضاتها ذئاب مساءٍ لا يبقون شيئاً إلى الصباح. أنبياؤها متفاخرون أهل غُدرات (غادرون). كهنتها نجسوا القدس. خالفوا الشريعة - صف ٣: ٣و ٤»



«رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يعرّفون بالفضة (يمارسون العرافة).. لذلك بسببكم.. تصير أورشليم خراباً - مي ٣: ١١»

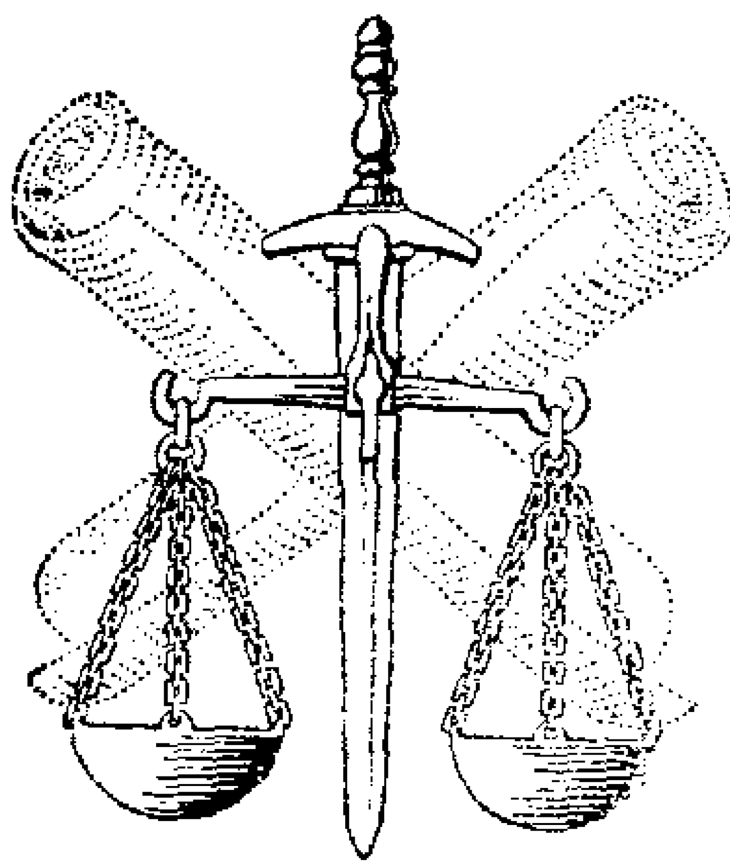
«الكهنة لم يقولوا أين هو الرب، وأهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوا عليّ، والأنبياء تنبأوا ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع - أر ٢: ٩».

لقد اختص الرب هؤلاء بويلات ثقيلة لأنهم أعثروا الناس فكانوا حقاً عميان قادة عميان.

١ـ الملــوك الأشــرار:

كان يربعام أول ملوك إسرائيل هو أول شخص من بنى إسرائيل يؤسس عبادة وثنية منظمة في أرض الموعد، فقد بنى هياكل وجعل لها كهنة بل وابتدع أعياداً، فجعل الشعب كله يخطئ وراءه، ولا عجب فالناس على دين ملوكهم، ومن لم يخضع نفاقاً خضع خوفاً. وقد أكثر ملوك إسرائيل من تشجيع العبادات الوثنية فبنوا المعابد وأقاموا السواري والمرتفعات، وأجروا أرزاقاً وهبات على كهنة الأوثان حتى أنه في أيام آخاب ملك إسرائيل وبينما كان أنبياء الله يطاردون ويقتلون، كان حوالي ألف من أنبياء البعل والسواري يأكلون على مائدة الملك (١ مل ١٨: ٤و١٩). وهكذا أصبح ترك عبادة الرب والإنضمام لعبادة الملك مصدر كسب، وسيظل دائماً ترك الحق واتباع الباطل يبدو أكثر ربحاً وأوفر غنيمة لمن يريد.

وسبق أن رأينا الشعب يدفع ثمناً باهظاً لأخطاء قادته، فها هو جدعون رغم بطولته ينحرف بالشعب إلى طريق لا يرضي الرب (قض ٨: ٢٢-٢٧)، وحين أخطأ داود في مسألة التعداد دفع الشعب الثمن. ولم يكن الأمر قاصراً على ملوك إسرائيل، بل شمل بعض ملوك يهوذا، ولنتوقف قليلاً عند منسى ملك يهوذا:



«ثم قال الرب لي وإن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب، أطرحهم من أمامي فيخرجوا... الذين للموت فإلى الموت، والذين للسيف فإلى السيف، والذين للجوع فإلى الجوع، والذين للسبي فإلى السبي... وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض من أجل منسي بن حزقيا ملك يهوذا من أجل ما صنع في أورشليم - أر ١٥: ١-٤» (أنظر أيضا ٢ مل ٢٣: ٢٦)

وقد يتساءل البعض: كيف يعاقب الرب الشعب على خطايا الملك؟ الحق أن الرب يعاقب الشعب على خطاياه، سواء بالصمت والخضوع أو بالمشاركة والتحمس لهذه الخطايا. فها هو صدقيا ملك يهوذا يكون سبباً في شر مستطير لحق بالشعب: «وعمل الشر في عيني الرب... وصلّب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب، حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم... حتى ثار غضب الرب على شعبه - ٢ أخ ٣٦: ١٢-١٦» كانت خطية الملك حافزاً للناس أن يخطئوا وهنا ندرك حكمة الشريعة حين جعلت التكفير عن الخطية مرتبط بمكانة مرتكبها (لا ٤).

٢ـ الرعاة الجشعون - الكهنة والشيوخ:

رغم التأثير الخطير لخطايا الملوك إلا أن خطية الكاهن تظل أكثر خطورة، لأن الكاهن هو رسول رب الجنود الذي من فمه تطلب الشريعة ويُعرَف قضاء الرب (ملا ٢: ٧)، وهو الذي يتحمل مسئولية توجيه الشعب ورعايته خصوصاً في أيام ملك منحرف. فالكاهن هو الحارس لشريعة الرب والوكيل الأمين على غنم مرعاه، ولكن الكتاب المقدس يصف لنا الحالة المؤلمة التي انحدر إليها الكهنة حين أطاحوا بوصايا الرب جانباً في سعيهم الغبي وراء الربح، وكيف يقدر إنسان أن يخدم سيدين (مت ٦: ٢٤). فتشتت الشعب كغنم بلا راع:

«هكذا قال السيد الرب للرعاة. ويل لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم... تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم. المريض لم تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه والضال لم تطلبوه. بل بشدة وعنف تسلطتم عليهم فتشتّت بلا راع وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل... وعلى وجه الأرض تشتّت غنمي وليس من يسأل أو يفتش - حز ٣٤: ٢-٥»

«بنيَّ خرجوا عني... لأن الرعاة بلدوا والرب لم يطلبوا. من أجل ذلك... كل رعيتهم تبددت - أر ١٠: ٢٠و ٢١». والحق أن هذه الكلمات تنزل كسوط موجع على ضمير كل خادم متكاسل عن خدمته.



وتوضح مأساة نابوت اليزرعيلي مدى الفساد الذي استشرى بين الشيوخ والمفترض أنهم رعاة الشعب. فعندما رفض نابوت أن يبيع ميراث آبائه، نفذ أشراف مدينته مؤامرة دبرتها إيزابل الملكة! فشهدوا زوراً أنه قد جدف على الرب، وسرعان ما اقتيد البرئ إلى الموت، ووضع آخاب الملك يده على البستان، ولم يوجد من يتصدى له سوى إيليا النبي (١ مل ٢١).

«ويل للمفتكرين بالبُطل والصانعين الشر على مضاجعهم في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فانهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والإنسان وميراثه. لذلك هكذا قال الرب: هانذا افتكر على هذه العشيرة بشر - مي ٢: ١-٣»

ويصف الرب الحال بأسلوب مرير: «أحسنهم مثل العوسج وأعدلهم مثل سياج الشوك - مي ٧: ٣و ٤»
إن خطية الكهنة لم تقتصر على محبة المال والرشوة ومجاراة الشر، بل تعدتها إلى مقاومة الحق وتكذيب كلمة الرب المرسلة على فم الأنبياء الأبرار. وكم كره الشيوخ والكهنة اولئك القديسين إذ كشفوا شرورهم وفضحوا نفاقهم وقصور خدمتهم، لذا يقول الرب لأرميا الشاب في بداية إرساله للخدمة «هانذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة... لملوك يهوذا ورؤسائها ولكهنتها ولشعب الأرض فيحاربونك ولا يقدرون عليك لأني معك يقول الرب لأنقذك - أر ١: ١٨و ١٩» وبالفعل يعاني أرميا كثيراً من الكهنة والأنبياء الكذبة حتى سجن وعذب، وفي مرة أخرى قدمه الكهنة إلى المحاكمة مطالبين بموته (أر ٢٠: ١-٣ + ٢٦: ٨-١٩).
أليس مؤلماً أن تكون الحرب من داخل الشعب وليس من الأعداء!
«كما يكمن لصوص لإنسان كذلك زمرة الكهنة في الطريق يقتلون - هو ٦: ٩»
ويروي عاموس النبي قصة جديرة بالتأمل. فقد قاومه أمصيا كاهن بيت إيل بأسلوب خبيث؛ إذ وشى به عند يربعام ملك إسرائيل بأنه يتنبأ بالشر على الملك، ثم انثنى إلى عاموس قائلاً: اهرب إلى أرض يهوذا ولا تعد تتنبأ في إسرائيل. ولو انقاد عاموس إلى رأيه لأعطى دليلاً على خيانته لملك إسرائيل. لكن عاموس يرفض الهرب ويُفهم أمصيا أنه ليس نبياً ولا إبن نبي، أي أنه ليس نبياً محترفاً، بل دُعي إلى هذا العمل بتكليف من الرب ولابد أن يتمه. ثم يفتح عاموس فاه بعقاب الرب المزمع أن يأتي على أمصيا المقاوم (عا ٧: ١٠-١٧).
قاسى الأنبياء من عدم تصديق الكهنة لكلمة الرب واستهتارهم بتحذيراته مما أسرع بدمار الشعب:
«حتى أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا من الخيانة ... ونجسوا بيت الرب ... فأرسل الرب ... إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً، لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه. فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء - ٢ أخ ٣٦: ١٤-١٦».
أما أرميا فدبرت ضده مؤامرات كثيرة من الرؤساء والكهنة: «فقالوا هلم فنفكر على أرميا أفكاراً... هلم فنضربه باللسان ولكل كلامه لا نصغ. إصغ لي يارب وأسمع صوت أخصامي. هل يجازى عن خير بشر. لأنهم حفروا لنفسي حفرة. أذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير لأرد غضبك عنهم - أر ١٨: ١٨-٢٠»
أنظر كلمات الرب لحزقيال عن الشيوخ الذين يأتون ليسمعوه ويسرون بكلامه كمن يسمع مغنٍ أو شاعر! بينما قلوبهم متمسكة بالخطية، حتى أن الرب يصفهم بأنهم أصعدوا أصنامهم إلى قلوبهم (حز ١٤: ٣).
من يقرأ هذا يشعر بالخجل، فكم أجتاز مثل هذا الموقف، أستمع كثيراً وأقرأ كثيراً، وأسأل وأجادل كثيراً وأسعى وأطلب الإرشاد كثيراً، ولكن ما في القلب لا يتغير!
«فقلت آه ياسيد الرب. هم يقولون أما يمثل هو أمثالاً - حز ٢٠: ٤٩»
ورغم أن المدينة تعرضت لثلاث ضربات متوالية في عامي ٦٠٥ و٥٩٧ ق.م. إلا أن الشيوخ والكهنة ظلوا متمسكين بالشر. ويأخذ روح الرب حزقيال إلى أورشليم في أيام صدقيا الملك ويريه شرور الرؤساء ورفضهم تصديق تحذيرات الأنبياء: «وإذا عند مدخل الباب خمسة وعشرون رجلاً ورأيت بينهم يازنيا... وفلطيا رئيسي الشعب. فقال لي ياابن آدم هؤلاء هم الرجال المفكرون بالإثم المشيرون مشورة رديئة في هذه المدينة. القائلون ما هو قريب بناء البيوت هي القدر ونحن اللحم - حز ١١: ١-٣». [رداً على تشبيه

أرميا وحزقيال مدينة أورشليم بالقدر - قارن أر ١: ١٣ + حز ٢٤: ٣].
يقول الرب لخادمه حزقيال: «وأنت يا ابن آدم فان بني شعبك يتكلمون عليك بجانب الجدران وفي أبواب البيوت... قائلين هلم اسمعوا ما هو الكلام الخارج من عند الرب، ويأتون إليك كما يأتي الشعب ويجلسون أمامك كشعبي ويسمعون كلامك ولا يعملون به، لأنه بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم. وها أنت هم كشعر أشواق لجميل الصوت يحسن العزف فيسمعون كلامك ولا يعملون به. وإذا جاء هذا (تحققت النبوات)... فيعلمون أن نبياً كان في وسطهم - حز ٣٣: ٣٠-٣٣»، لكن بعد فوات الأوان.
أسلوب آخر لجأ إليه الشيوخ لمقاومة الأنبياء وهو أن هذه النبوات ستتحقق أي نعم، ولكن بعد وقت طويل: «ما هذا المثل الذى لكم في أرض إسرائيل القائل: قد طالت الأيام وخابت كل رؤيا... قل لهم قد اقتربت الأيام... لأني أنا الرب أتكلم والكلمة التي أتكلم بها تكون، لا تطول بعد... أقول الكلمة وأجريها... يا ابن آدم هوذا بيت إسرائيل قائلون الرؤيا التى هو رائيها هي إلى أيام كثيرة وهو متنبئ لأزمنة بعيدة... هكذا قال السيد الرب: لا يطول بعد شئ من كلامي الكلمة التي تكلمت بها تكون - حز ١٢: ٢٢-٢٨»
ويقرن الرب كلامه بمثال حي: إذ أمر حزقيال أن يتنبأ بموت فلطيا رئيس الشعب، وما أن تفوه بكلمات الرب حتى سقط فلطيا ميتاً، فيرتعب حزقيال ويصرخ «آه ياسيد الرب. هل تفني أنت بقية إسرائيل - حز ١١: ١٣»
هذا كله يقول الوحي: «رعاة كثيرون أفسدوا كرمي داسوا نصيبي جعلوا نصيبي... برية خربة - أر ١٢: ١٠»
«ولولوا أيها الرعاة واصرخوا يارؤساء الغنم لأن أيامكم قد كملت للذبح.. ويبيد المناص (المهرب) عن الرعاة، والنجاة عن رؤساء الغنم - أر ٢٥: ٣٤و٣٥». وكان لابد أن تمر مئات السنين حتى يأتي صاحب الكرم ليطيح بالكرامين الأردياء ويعطي كرمه لمن يرعاه بالحق والأمانة.

٣ـ الأنبياء الكذبة:

حين يترك الملوك عبادة الله الحي، وينشغل الكاهن بالربح وينغمس الشيوخ في أباطيل العالم، لا يبقى سوى النبي، فهو صوت الرب والمعلن عن إرادته: «سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم - مز ٢٥: ١٤».
«إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء. الأسد زمجر فمن لا يخاف، السيد الرب قد تكلم فمن لا يتنبأ - عا ٣: ٧و٨»
النبي إذن هو الملجأ الأخير للشعب، لذا كانت خطية مدعي النبوة ثقيلةً وغضب الرب عليهم شديداً وعقابه هم رهيباً، لأنهم اتخذوا شكل الأنبياء وتاجروا للربح وأضلوا الشعب. ولنأخذ مثالاً من قصة سابقة:
اتفق آخاب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا على الخروج للحرب معاً ضد أرام، وأراد ملك يهوذا السؤال عن كلمة الرب أولاً، فجمع آخاب نحو أربعمائة من الأنبياء الكذبة اتفقوا جميعاً على أن الرب سيمنح النصر، وزاد على ذلك صدقيا بن كنعنة، أحد الكذبة، بأن صنع قرني حديد وقال: هكذا قال الرب بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا. ورغم هذه التمثيلية إلا أن يهوشافاط البار لم يكن مطمئناً، فاضطر آخاب إلى استدعاء ميخا نبي الله: «وأما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا فكلمه قائلاً: هوذا كلام جميع الأنبياء بفم واحد خير للملك فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم... فقال ميخا: حي هو الرب أن ما

يقوله لي الرب به أتكلم - ١ مل ٢٢: ١٣و ١٤». كان يمكن لميخا أن ينال محبة الملك وعطاياه بالكذب، إلا أنه تمسك بالحق وطلب من آخاب الملك أن يترك رجال الشعب يعودون إلى بيوتهم. فأمر آخاب بحبسه حتى يعود منتصراً من الحرب، فأجابه ميخا أنه لو عاد من الحرب فلا يكون ميخا نبياً للرب، وبالفعل قاد الأنبياء الكذبة جيش إسرائيل إلى الهزيمة، بينما دفع آخاب الملك حياته ثمناً لبغضه للحق (١ مل ٢٢: ١-٣٨).

«لأنهم من كبيرهم إلى صغيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب. ويشفون كسر بنت شعبي على عَثَم (صديد) قائلين سلام سلام وليس سلام - أر ٦: ١٣و ١٤»

سار الأنبياء الكذبة بالشعب في طريق مهلكة، حيث قالوا للناس ما يحبون أن يسمعوه وليس ما ينبغي أن يفعلوه. ووصل الأمر أن بعضهم كان مسكناً للأرواح النجسة يعمل إرادة عدو الخير.

وكم عانى أرميا البار مرارة من محترفي النبوة هؤلاء:

«فقلت آه أيها السيد الرب. هوذا الأنبياء يقولون هم لا ترون سيفاً ولا يكون لكم جوع، بل سلاماً ثابتاً أعطيكم في هذا الموضع. فقال الرب لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي. لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم. برؤيا كاذبة وعرافة وباطل وفكر قلوبهم هم يتنبأون لكم... بالسيف والجوع يفنى هؤلاء الأنبياء، والشعب الذي تنبأوا له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جرى الجوع والسيف... لأن العذراء بنت شعبي سُحقت سحقاً بضربة عظيمة موجعة جداً - أر ١٤: ١٣-١٧»

«قل للذين هم أنبياء من تلقاء ذواتهم اسمعوا كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئاً - حز ١٣: ٢-٣»

كان الأنبياء الكذبة عقبة دائمة على طريق توبة ورجوع الشعب، فقد شكلوا جبهة للرفض - إن جاز التعبير - ومن أجل الحرص على مكانتهم ومكاسبهم أغلقوا باب الرحمة الإلهية، فلا هم دخلوا ولا تركوا أحداً يدخل، ولنقرأ ما حدث بين أرميا نبي الله وحننيا أحد مدعي النبوة:

كان الرب قد أمر أرميا النبي بأن يضع نيراً على عنقه منادياً بالخضوع لأمر الرب وقبول قضائه: «وحدث في تلك السنة من ابتداء ملك صدقيا ملك يهوذا... أن حننيا بن عزور النبي الذي من جبعون كلمني في بيت الرب أمام الكهنة وكل الشعب قائلاً: هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً قد كسرت نير ملك بابل. في سنتين من الزمان أرد إلى هذا الموضع كل آنية الرب التي أخذها نبوخذ نصر ملك بابل... وأرد إلى هذا الموضع يكنيا (يهوياكين) بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل - أر ٢٨: ١-٤»

فاذا علمنا أن أرميا النبي كان قد أعلن قبل ذلك أن السبي سوف يستمر ٧٠ سنة، وأن الرب سيثبت سلطان بابل طوال هذه المدة وأن على الشعب أن يخضع لبابل حتى يحين الوقت (أر ٢٥: ١١) أدركنا كيف كان حننيا بأكاذيبه يثير بلبلة وسط الشعب ويدفع به إلى عكس إرادة الرب، مشجعاً إياهم على التمرد مما سيؤدي إلى مزيد من الخراب وسفك الدماء. وكعادة الكذابين في شغفهم بالحركات المسرحية، أخذ حننيا النير الخشبي من على عنق أرميا وكسره! فماذا كانت إجابة الرب؟

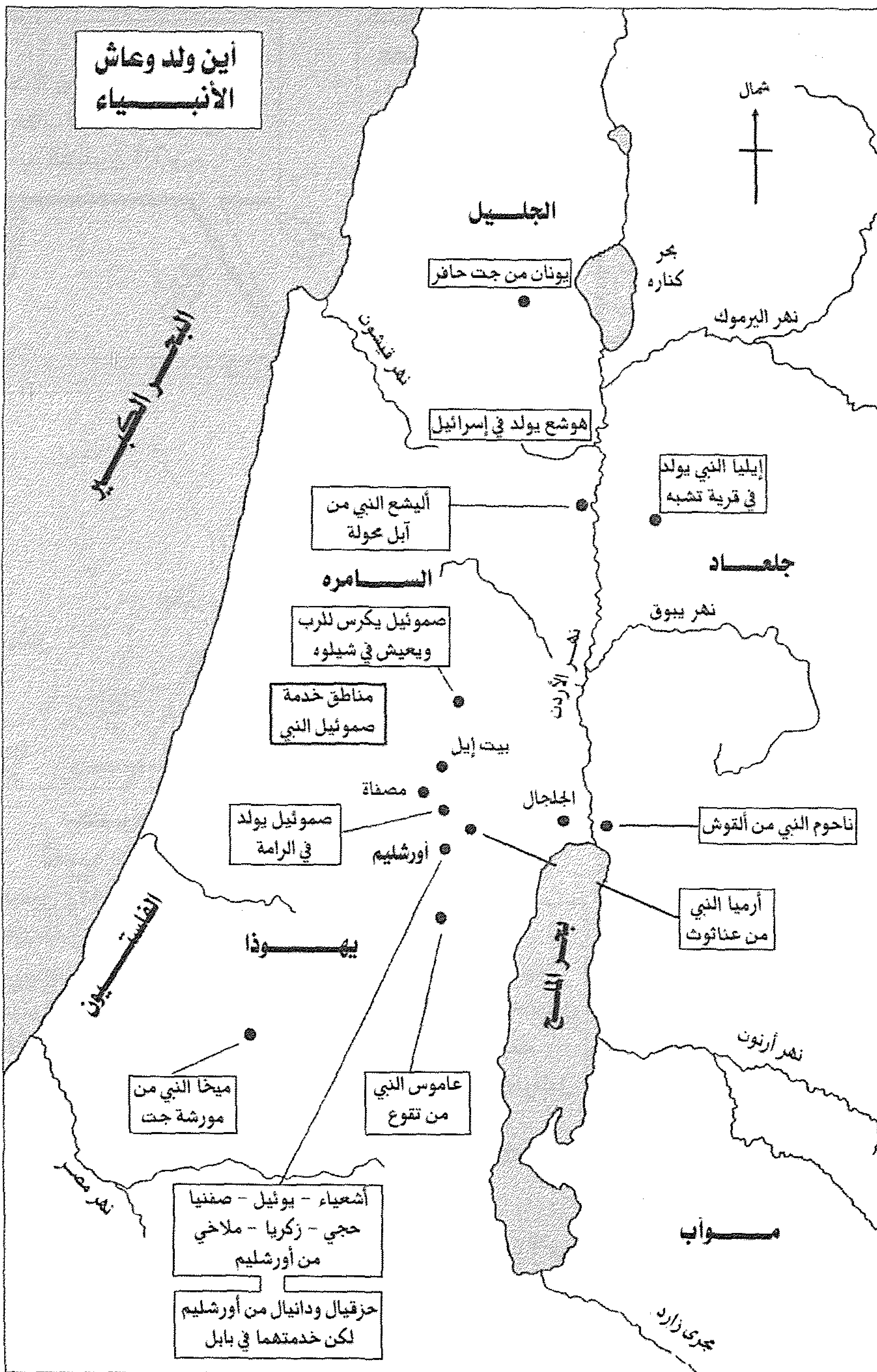
«إذهب وكلم حننيا قائلاً قد كسرت أنيار الخشب وعملت عوضاً عنها أنياراً من حديد... على عنق كل هؤلاء الشعوب ليخدموا نبوخذ نصر... فقال أرميا النبي لحننيا النبي. إن الرب لم يرسلك وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب. لذلك هكذا قال الرب هانذا طاردك عن وجه الأرض. هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب. فمات حننيا في تلك السنة في الشهر السابع (بعد شهرين) - أر ٢٨: ١٢-١٧»

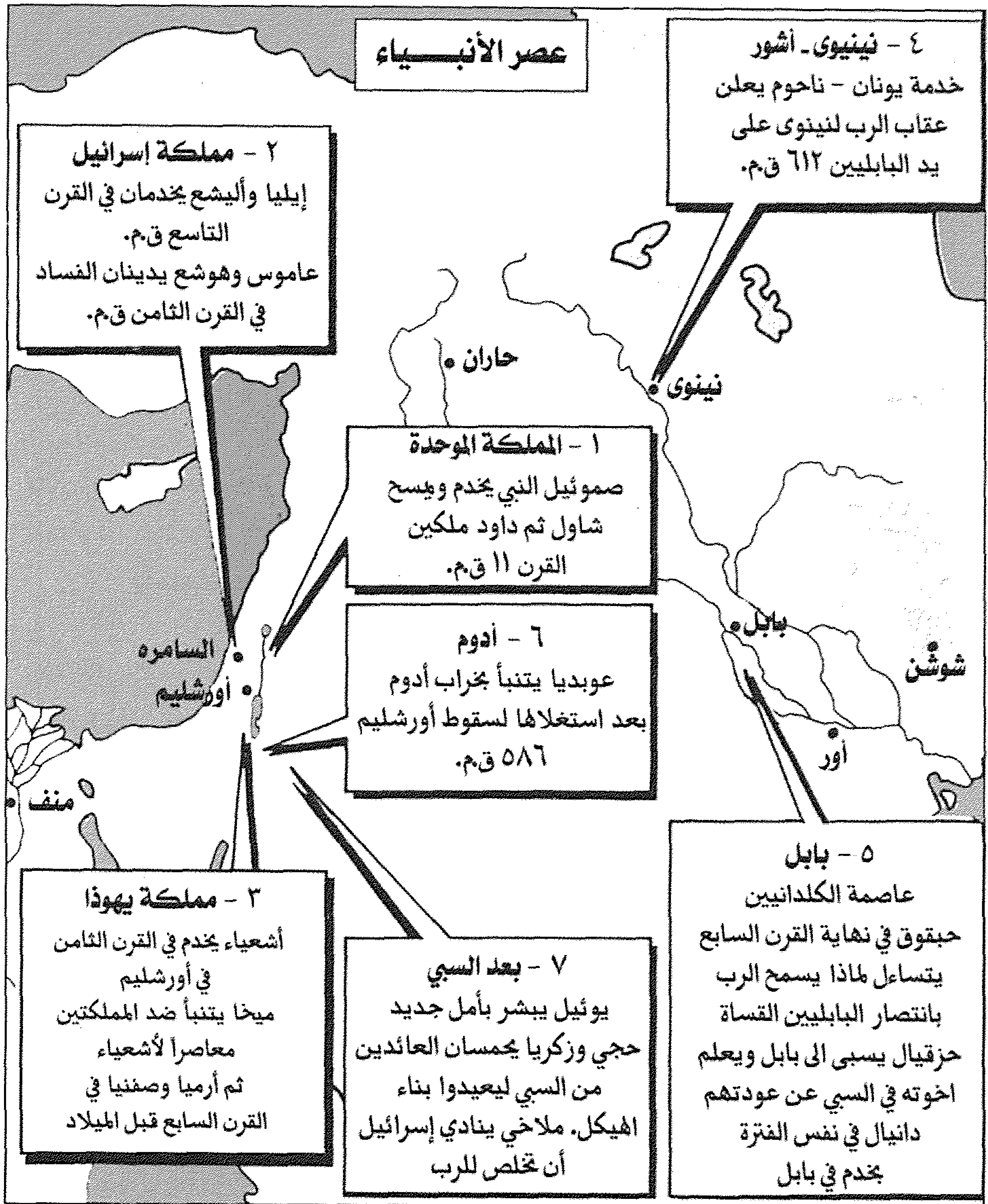
والحق أن لكل عصر أنبياؤه الكذبة، وكم من معلم أصغى لصوت ذاته دون صوت الإنجيل والروح القدس الساكن في الكنيسة جسد المسيح. وحتى لو استبعدنا أولئك الذين يمتطون موجة الخدمة من أجل نفع مادي أو مكانة أدبية أو مجد ذاتي، أحياناً يكون السبب هو حماس الخادم واندفاعه في الخدمة ورغبته المتحرقة في جذب الناس إلى الكنيسة، فاذا به يقول للناس ما يحبون أن يسمعوه وليس ما يجب أن يسمعوه. قد يكون هذا مفرخة للبر الذاتي والإبتداع، لذا يجب أن يوضع الحماس في بوتقة الصلاة والصبر والسكون وروح الجماعة الكنسية والسير على درب الآباء. بهذا فقط يضمن خادم المسيح ألا يصبح نبياً كاذباً، يهلك نفسه وآخرين معه.

«هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم فانهم يجعلونكم باطلاً. يتكلمون برؤيا قلبهم لا عن فم الرب، قائلين قولاً لمحتقريَّ... يكون لكم سلام ويقولون لكل من يسير في عناد قلبه لا يأتي عليكم شر. لأنه من وقف في مجلس الرب ورأى وسمع كلمته. من أصغى لكلمته وسمع... حتى متى يوجد في قلب الأنبياء المتكلمين بالكذب. بل هم أنبياء خداع قلبهم - أر ٢٣: ١٦-١٨و٢٣»

وتضيف كلمات ميخا النبي بعداً جديداً لشرور الأنبياء الكذبة: «هكذا قال الرب على الأنبياء الكذبة الذين يضلون شعبي الذين ينهشون بأسنانهم... والذي لا يجعل في أفواههم شيئاً يفتحون عليه حرباً - مي ٣: ٥»

أليس هذا ما نراه كثيراً حين يسعى شخص من خلال الخدمة إلى نفع شخصي ومن لا يتجاوب معه يحاربه بشراسة، أليس هذا ما يطلق عليه الإرهاب الفكري. ويضطر البعض إلى الانسحاب تجنباً للمشاكل وحرصاً على جسد المسيح من الشقاق. إن أسوأ ما يمكن أن يصيب أي مجتمع مسيحي، بعد محبة المال، هو أن تسود روح الخنوع وينسى الجميع أنه ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس (أع ٥: ٢٩). إن التجربة حين تأتي من الخارج تكون عاملاً لتوحيد الشعب، أما إذا وجد إبليس لنفسه مكاناً بين أولاد الله فهنا تكون الضيقة الحقيقية. لقد كان ملوك ورعاة إسرائيل وبالاً عليهم، فلتكن حكمة الرب مع رعاتنا ليرعوا شعب المسيح.


أين ولد وعاش
الأنبـــيــاء
شمال
البحر الكبير
الجلـــيل
بحر
كناره
يونان من جت حافر
نهر اليرموك
نهر قيشون
هوشع يولد في إسرائيل
إيليا النبي يولد
في قرية تشبه
أليشع النبي من
آبل محولة
جلعـــاد
الســامره
نهر يبوق
صموئيل يكرس للرب
ويعيش في شيلوه
نهر الأردن
مناطق خدمة
صموئيل النبي
بيت إيل
مصفاة
الجلجال
صموئيل يولد
في الرامة
ناحوم النبي من ألقوش
أورشليم
أرميا النبي
من عناثوث
الفلسطيون
يهــــوذا
بحر الملح
نهر أرنون
ميخا النبي من
مورشة جت
عاموس النبي
من تقوع
نهر مصر
أشعياء - يوئيل - صفنيا
حجي - زكريا - ملاخي
من أورشليم
مــــوآب
حزقيال ودانيال من أورشليم
لكن خدمتهما في بابل
مجرى زارد



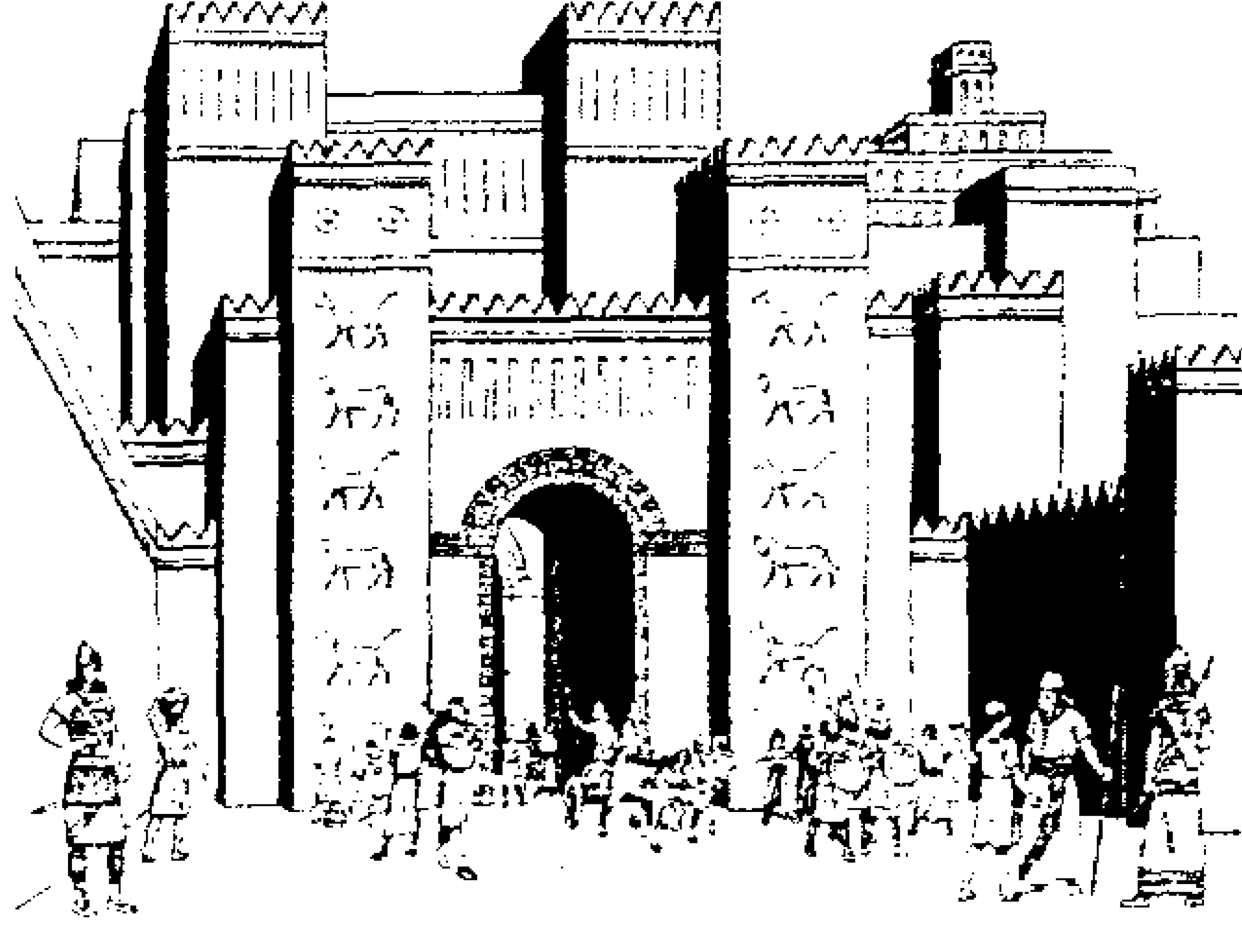
يطلق اسم عصر الأنبياء على الفترة من بداية خدمة عاموس النبي حتى نهاية خدمة حجي النبي وزكريا النبي أي من بداية عهد يربعام بن يوآش ملك إسرائيل حتى وبناء الهيكل الثاني (أنظر ملحق ٦)

في أرض غريبة

عن القضاء والقدر
بـركـات السـبي
توحيد الشـعـب
الرجـوع الى الـرب
نمو العـلاقة مع الرب
نشر الكلمة بين الأمم
الفهم الروحي للشريعة
حالة الشعب في الغربة

في أرض غريبة

"على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا عندما تذكرنا صهيون... كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. إن نسيتك ياأورشليم تنسَ يميني - مز ١٣٧: ١و ٤و ٥"



غضب الرب على إسرائيل ويهوذا، على الملوك والرؤساء والكهنة والأنبياء الكذبة وعلى عامة الشعب فأنزل بهم جميعاً عقاباً مروعاً. إننا نرى في أسفار الأنبياء بوضوح أن حكماً قد صدر على كل هؤلاء، وتم تنفيذه طبقاً لتدبير محكم:

"قد حلف رب الجنود قائلاً: أنه كما قصدت يصير، وكما نويت يثبت... هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض وهذه هي اليد الممدودة على كل الأمم. فأن رب الجنود قضى فمن يبطل - أش ١٤: ٢٤-٢٧"

"أذكروا الأوليات منذ القديم. لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي. مخبرٌ منذ البدء بالأخير... قائلاً: رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي... قد تكلمت فأجريه. قضيت فأفعله - أش ٤٦: ٨-١١"

هل كان السبي والخراب قدرا لا مفر منه ؟

يقول البعض: ما دام الرب قد كتب على كل منا قدراً ونصيباً فلابد وأن يناله، فلا داعي إذن أن نتعب فلا مهرب من القدر. لقد عيَّن الرب مختاريه فلا سبيل لنا إذن، وما دام الإنسان مولود للمشقة فلنتحمل ونحن صاغرون. كان هذا الفكر الخاطئ مسيطراً على أصدقاء أيوب، وقد تأثر أيوب حتى أنه يقول لا فائدة إذن من عمل الخير، ما دام الإنسان محكوم عليه بالألم والفناء: "هي واحدة. لذلك قلت إن الكامل والشرير هو يفنيهما... أنا مُستذنب فلماذا أتعب عبثاً - أي ٩: ٢٢و ٢٩" لكن أليهو يفند هذا الكلام موضحاً أن الله ليس بظالم، بل يعطي كلٍ حسب عمله (أي ٣٤: ٥-١٢)

إن قصة أهل نينوى كافية للرد على هذا المنطق المعوج، فبعد أن قرر الرب تدمير المدينة وحدد موعداً لذلك، وأعلن هذا على فم يونان النبي، إذ به يعفو عنهم لأنهم ندموا وتابوا. ولنقرأ معاً:

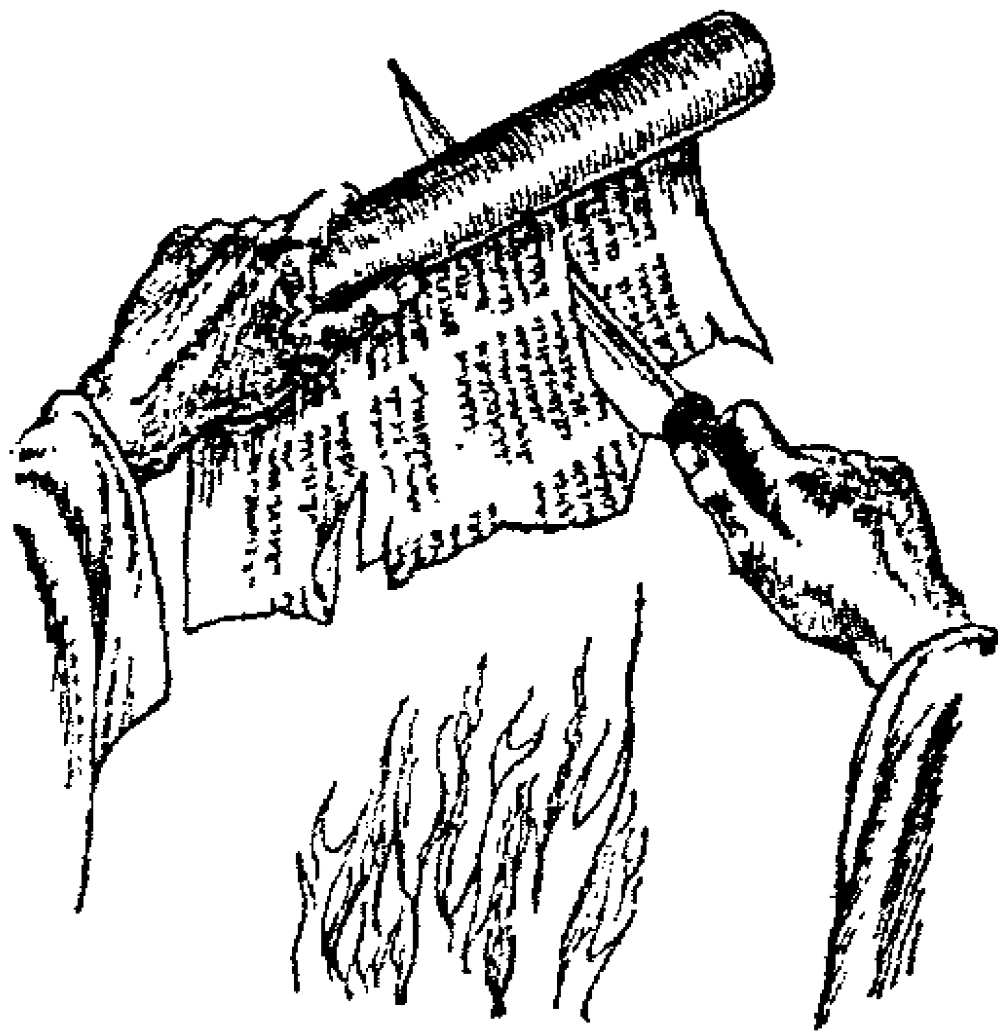
"تارةً أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك، فترجع هذه الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم على الشر الذي قصدت أن أصنعه بها. وتارةً أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في عينيَّ فأندم على الخير الذي قلت أني أحسن إليها به - أر ١٨: ٧-١٠"

وبالفعل توالى الأنبياء يحذرون ويدعون الشعب الى التوبة دون جدوى: "أبغضوا الشر وأحبوا الخير وثبتوا الحق في الباب لعل رب الجنود يتراءف على بقية يوسف - عا ٥: ١٥"

"فالآن كلم رجال يهوذا وسكان أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب هانذا مصدر عليكم شراً وقاصد عليكم قصداً فارجعوا كل واحد عن طرقه الردئ وأصلحوا طرقكم وأعمالكم - أر ١٨: ١١".

"هكذا قال الرب لبيت إسرائيل أطلبوني فتحيوا ولا تطلبوا بيت إيل والى الجلجال لا تذهبوا والى بير سبع

لا تعبروا (مراكز الوثنية).. أطلبوا الرب فتحيوا لئلا يُقتحم بيت يوسف كنار تحرق - عا ٥: ٤-٦"
"أطلبوا البر أطلبوا التواضع لعلكم تستترون في يوم سخط الرب - صف ٢: ٣"
"هذه الثلاث والعشرين سنة صارت كلمة الرب إلىّ فكلمتكم مبكراً... إرجعوا كل واحد عن طريقه الردئ وعن شر أعمالكم.. لا تغيظوني بعمل لأيديكم فلا أسئ إليكم. فلم تسمعوا لي... فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم وأسمعوا لصوت الرب إلهكم فيندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليكم - أر ٥: ٣-٧ + ٢٦: ١٣"
"إسألوا... أين هو الطريق الصالح فسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم. ولكنهم قالوا لا نسير فيه... وأقمت عليكم رقباء (الأنبياء) قائلين أصغوا لصوت البوق (التحذير) فقالوا لا نصغي - أر ٦: ١٦-١٧"
الإنسان هوالذي يكتب مصيره بيده، ولو تاب الشعب لما حدث السبي ولتغير التاريخ. لكن الإنسان في حماقته يختلق تبريراً لاستسلامه للخطية فيقول "قدرٌ ومكتوب". لا شئ مكتوب، وما يُكتب نكتبه نحن، فليحاذر كل مناً فهو يكتب حيثيات قضائه إن خيراً وإن شراً.
"والآن من أجل عملكم.. وقد كلمتكم مبكراً فلم تسمعوا ودعوتكم فلم تجيبوا. أصنع بالبيت الذي دعي باسمي عليه... كما صنعت بشيلوه (مكان خيمة الاجتماع)... وأطرحكم من أمامي... وأنت (أرميا) فلا تصل من أجل هذا الشعب.. ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليَّ لأني لا أسمعك - أر ٧: ١٣-١٦"



هذا أرسل الرب أنبياءً عديدين ينذرون ويحذرون، بل أرسل ضربات لعل الشعب يتنبه، فالرب لا يسر بهلاك الإنسان بل بتوبته: "قل هم حيّ أنا يقول الرب أني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. إرجعوا إرجعوا عن طرقكم الردية. فلماذا تموتون يا بني إسرائيل - حز ٣٣: ١١"

لماذا لا يتوب الشعب ؟ ما دام الرب قد أنذر مرات عديدة، وما دام الشعب يعلم عهد الرب وشريعته، وما دام الحق واضحاً في كل الأحوال، فلماذا يختار أغلب الناس طريق الخطية ويتركون طريق الرب ؟
لقد تعددت محاولات الرب معهم حتى أن أرميا يطلب من كاتبه باروخ أن يقرأ السفر على الشعب في الهيكل لعلهم يتوبون "لعل تضرعهم يقع أمام الرب فيرجعوا كل واحد عن طريقه الردئ لأنه عظيمٌ الغضب والغيظ اللذان تكلم بهما الرب على هذا الشعب - أر ٣٦: ٧"، وإذا بيهوياقيم الملك يأمر بتمزيق السفر وإحراقه !
الإجابة ببساطة: لأنهم أحبوا الخطية ومالوا الى إتباع شهواتهم، ورغم إدراك الإنسان لخطيته، إلا أنه يظن دائماً أن هناك متسع للتوبة فيما بعد. وتدريجياً ينغمس الإنسان في حياة الخطية حتى يصور له الشيطان التوبة على أنها شئ مستحيل فيهلكه اليأس. "صاروا رجساً كما أحبوا - هو ٩: ١٠"

بركات السبي

مضى وقت طويل ونحن نتحدث عن غضب وسخط وسحق وضربات وخراب وسبي وعبودية، ألا نتحدث عن البركات؛ ولكن كيف يمكن أن يكون للعبودية بركات ؟! تعالوا نتأمل في كلمات الرب:

"مستريح موآب منذ صباه وهو مستقر على درديه (عيوبه) ولم يفرغ من إناء الى إناء ولم يذهب الى السبي. لذلك بقي طعمه فيه ورائحته لم تتغير – أر ٤٨:١١"

ولكن كيف تأتي البركات على من هم تحت الغضب الإلهي ؟ إن هذا يقودنا إلى سؤال لابد منه:

هل يغضب الله حقاً ؟ وكيف يغضب ؟

الله روح (يو ٤: ٢٤) مُنزه عن انفعالات البشر، فهو لا يغضب ولا يغتاظ أو يسخط أو يندم أو ينتقم بالمفهوم البشري. ولكن الله يقول عن ذاته أنه غاضب، فما هو غضبه إذن ؟

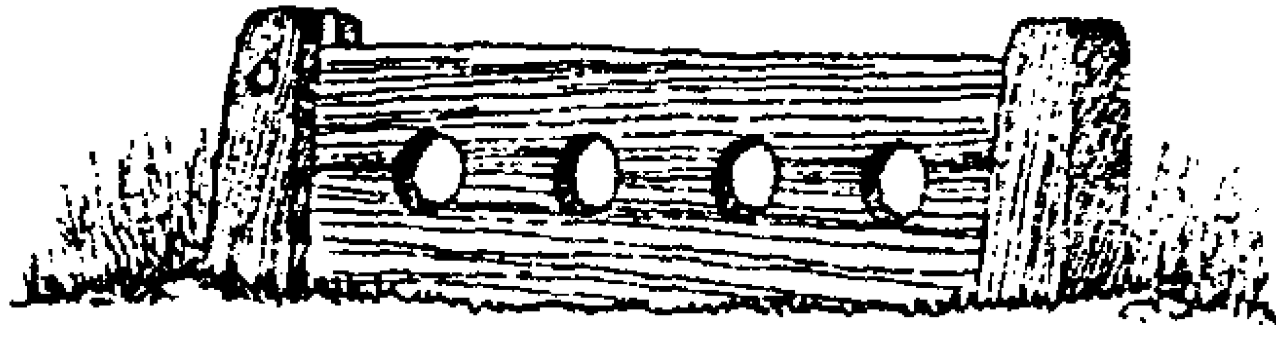
قد يغضب الله علينا، فعندما عبد إسرائيل العجل: "أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم– تث ٩: ٨"

والله قد يغضب من أجلنا: "في ضيقي دعوت الرب ... فسمع من هيكله صوتي وصراخي.. فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال.. لأنه غضب.. أرسل من العلى فأخذني... أنقذني من عدوي القوي – مز ١٨"

إن الله لا يغضب للإنتقام فهو "إله رؤوف ورحيم بطئ الغضب كثير الرحمة ونادم على الشر– يون ٤: ٢" كما وصفه يونان النبي مغتاظاً! لأن الرب تراجع عن إهلاك نينوى وصار يونان ككاذب أمام الناس.

والغضب الإلهي يظهر في صورة عقاب مادي وأدبي ثقيل، رأينا منها:

١- الأوبئة والمجاعات.	٢- العوز والفقر
٣- الأمراض.	٤- العبودية
٥- العبودية والسبي.	٦- الموت



تعالوا نقرأ: "..جربوا الله في قلوبهم.. لذلك سمع الرب فغضب واشتعلت نار في يعقوب وسخط أيضاً صعد على إسرائيل لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يتكلوا على خلاصه.. فصعد عليهم غضب الله.. وصرع مختاري إسرائيل.. إذ قتلهم طلبوه ورجعوا... وذكروا أن الله صخرتهم... فخادعوه بأفواههم.. أما قلوبهم فلم تثبت معه ولم يكونوا أمناء في عهده. أما هو فرؤوف يغفر الإثم ولا يهلك. وكثيراً ما رد غضبه ولم يشعل كل سخطه. ذكر أنهم بشر. ريح تذهب ولا تعود – مز ٧٨: ١٨-٣٩"

"وأحكم عليك (ياأورشليم) أحكام الفاسقات.. ويصعدون عليك جماعة ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم.. وأكفك عن الزنا.. فأسكن ولا أغضب بعد.. فلا تفعلين هذه الرذيلة – حز ١٦: ٣٨-٤٣"

"ويل لمدينة الدماء. القدر التي فيها زنجارها (الصدأ)... إضرم النار... ثم ضعها... ليحمى نحاسها ويُحرق فيذوب قذرها فيها.. لن تطهري بعد من نجاستك حتى أحل غضبي عليك – حز ٢٤: ٦و٩-١٣"

"من أجل اسمي أبطئ غضبي.. هانذا قد نقيتك.. اخترتك في كور (فرن) المشقة – أش ٤٨: ٩و١٠"

هنا نرى الرب يصف غضبه كالنيران التي تنزع القذارة، هذا كافٍ لنعلم أن الرب يضرب ليشفي (هو ٦: ١)، وكأب يؤدب ولا يهلك، إلا من يصمم على العصيان "تأديباً أدبني الرب والى الموت لم يسلمني – مز ١٠٨: ١٨"

هذا يعلن الرب غضبه أحياناً بنار وثلج (أش ٣٠: ٢٧و٣٠+ مز ١٨: ١٢و١٣ + خر ٩: ٢٤). فالغضب الإلهي يبدو مشتعلاً مروعاً لكنه في حقيقته بَرَداً وبركةً وحباً للبشر، ولنجرؤ على القول أن الحب هو الشئ الوحيد الذي يتقنه الرب فجوهره محبة (١ يو ٤: ١٦) وإن كان يصعب على الإنسان أحياناً أن يرى هذا وسط الضيقات، ولكنها مسألة وقت حتى يرى حكمة الرب. لكن هناك ابعاداً أخرى لعقاب الخطية:

١. أن الخطية تحمل عقابها في ذاتها، فتترك في الإنسان آثارها المدمرة "يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك. فاعلمي أن تركك الرب شرّ ومرّ... آثامكم عكست هذه وخطاياكم منعت الخير عنكم - أر٢: ١٩+ ٥: ٢٥"

٢. أن الله بسبب الخطية قد يبتعد عنا فنفقد كل ميزة نتمتع بها في رحابه ونستعبد تحت نير الخطية: "حتى متى يارب تختبئ كل الإختباء. حتى متى يتقد كالنار غضبك - مز ٨٩: ٤٦" (أنظر مرا ٥: ٢٠-٢٢).

ونعود الى بداية الحديث.. ما هي بركات السبي ؟

أولاً : توحيد الشعب:

في السبي ذابت العداوة والفوارق، فلا غني ولا فقير، ولا يهوذا ولا إسرائيل، فالكل تحت نير واحد، ولا يقرب النفوس مثل الآلام المشتركة. لقد عاد الشعب من السبي يهوداً (عز ٤: ١٢)، وقلّ أن تُذكر الأسباط بعد:

"ويجمع بنو يهوذا وبنو إسرائيل معاً ويجعلون لأنفسهم رأساً واحداً ويصعدون من الأرض - هو ١: ١١".

"يقول الرب أكون إلهاً لكل عشائر إسرائيل وهم يكونون لي شعباً - أر ٣١: ١"

"هانذا آخذ عصا يوسف التي في يد أفرايم وأسباط إسرائيل رفقائه، وأضم إليها عصا يهوذا وأجعلهم عصاً واحدةً فيصيرون واحدة في يدي .. وأصيرهم أمة واحدة - حز ٣٧: ١٩-٢٢"

"ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض - أش ١١: ١٤"

"في تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل ويأتيان معاً من أرض الشمال الى الأرض التي ملكت أباءكم إياها - أر ٣: ١٨". "وفي ذلك الزمان يقول الرب يأتي بنو إسرائيل هم وبنو يهوذا معاً يسيرون سيراً ويبكون ويطلبون الرب إلههم - أر ٥٠: ٤". وهكذا اتحدت الأختان مرة أخرى بعد مئات السنين من البغضة والصراع، وبعد أن اجتازتا سوياً نيران التجربة المريرة.

ثانياً: الرجوع الى الرب:

"أفرايم ينتحب. أدبتني فتأدبت كعجل غير مروض. توبني فأتوب لأنك أنت الرب إلهي - أر ٣١: ١٨".

حين تحدث رب المجد عن الزارع الذي خرج ليزرع، ذكر بذاراً سقطت في وسط الشوك، وشرح كيف أن غرور الغنى يخنق كلمة الرب فيصير الزرع بلا ثمر (مت ١٣: ٢٢). هذا هو ما حدث للشعب، وما كشفه الرب لموسى العظيم في رؤيته الوداعية على جبل نبو: "ومتى أتى بك الرب.. الى مدن عظيمة جديدة لم تبنها، وبيوت مملوءة من كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها. وأكلت وشبعت

فاحترز لئلا تنسى الرب - تث ٦: ١٠-١٢". "إن قسم (نصيب) الرب هو شعبه.. وجده في أرض قفر.. أحاط به وصانه كحدقة عينه.. أرضعه عسلاً.. وزيتاً.. وزبدة بقر مع شحم خراف.. مع دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمراً. فسمن يشورون (إسرائيل) ورفس. سمنت وغلظت واكتسيت شحماً. فرفض الإله الذي عمله وغبي عن صخرة خلاصه - تث ٣٢: ٩-١٥"

لم يكن عقاب الشعب بالسبي والخراب إنتقاماً - حاشا للرب - لقد قصد الرب خيراً. فقد اتكل الشعب على غناه المادي وسلطانه على الشعوب المحيطة، وأصبح الهيكل رمزاً للكبرياء القومي وليس دعوة لإتباع وصايا الرب، لذا كان لابد من التجرد الكامل من كل هذا حتى لا يرى الشعب سوى الرب وحده ولا يتكل على شئ آخر سواه "فليس صخرة سوى إلهنا - ١ صم ٢: ٢".

"أنا عرفتك في البرية أرض العطش. لما رعوا شبعوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسوني- هو ١٣: ٥و٦".

"فتتبع محبيها ولا تدركهم وتفتش عليهم ولا تجدهم. فتقول اذهب وأرجع الى رجلي الأول لأنه حينئذ كان خير لي من الآن .هلم نرجع الى الرب لأنه هو افترس فيشفينا - هو٢: ٧ + ٦: ١"

"أصب عليهم سخطي. كل حمو غضبي.. لأني حينئذ أحول الشعب الى شفة نقية - صف ٣: ٨و ٩"

"غسل السيد قذر بنات صهيون ونقي دم أورشليم.. بروح القضاء وبروح الإحراق - أش ٤: ٤"

وبعد أن ضاع كل شئ، بدأ الشعب يتجه نحو الرب، ويرفع الصلوات يطلب عفو الرب ورفع غضبه:

"اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك نجسوا هيكل قدسك جعلوا أورشليم أكواماً.. الى متى يارب تغضب كل الغضب.. لتتقدمنا مراحمك سريعاً لأننا قد تذللنا جداً. أعنا ياإله خلاصنا من أجل مجد اسمك.. لماذا يقول الأمم أين هو إلههم - مز٧٩: ١-١٠" "ياإله الجنود إرجعنَّ اطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي غرسته يمينك والإبن الذي اخترته لنفسك - مز٨٠: ١٤و١٥"

"تأملت عن اليمين وأبصرت فلم يكن من يعرفني. ضاع المهرب مني وليس من يسأل عن نفسي. فصرخت إليك يارب وقلت أنت هو رجائي وحظي في أرض الأحياء. انصت الى طلبتي فاني قد تذللت جداً ... إخرج من الحبس نفسي لكي أشكر اسمك يارب - مز ١٤٢: ٤-٧"

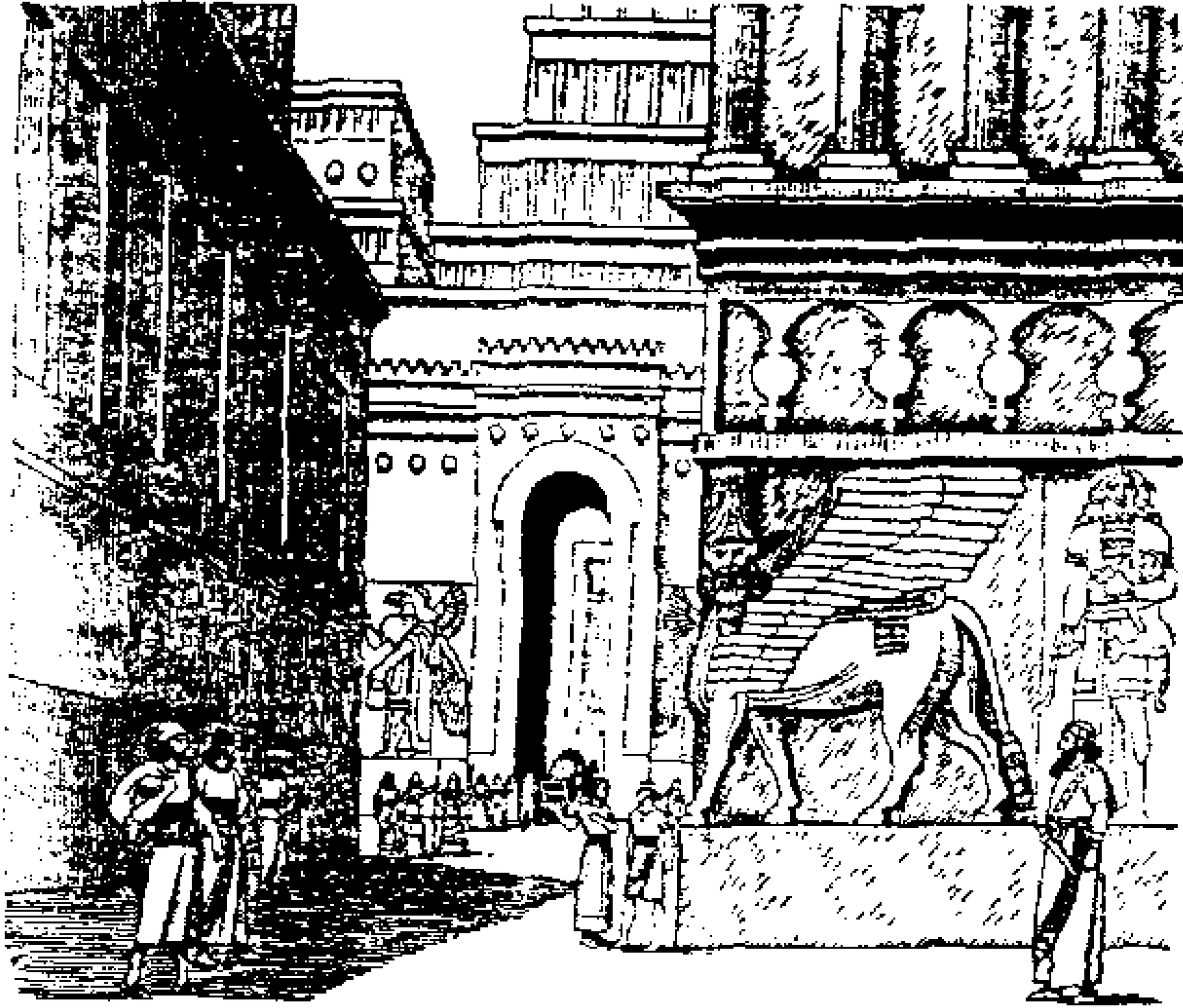
ثالثاً: نمو العلاقة بين الله والشعب:

في البرية وبعيداً عن هموم الغنى ومشاغل العالم وبعد أن يبطل كل إرتباط بشري وكل افتخار مادي، ينفتح القلب ويقترب الله إلينا كثيراً: "هانذا املقها واذهب الى البرية والاطفها ... ويكون في ذلك اليوم أنك تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي (سيدي) - هو ٢: ١٤-١٦"، إن الرب يوضح نمو العلاقة من كونه سيداً الى كونه زوجاً. ولنقارن هذا مع قول رب المجد "لا أعود اسميكم عبيداً بل أحباء - يو ١٥: ١٥"

"ها قد أتينا إليك لأنك أنت الرب إلهنا. حقاً باطلة هي الآكام ثروة الجبال. حقاً بالرب إلهنا خلاص إسرائيل - أر ٣: ٢٣و٢٤". "أنا أشفي إرتدادهم. أحبهم فضلاً لأن غضبي قد ارتد عنه - هو ١٤: ٤"

"تخرجين من المدينة وتسكنين في البرية وتأتين الى بابل. هناك تنقذين. هناك يفديك الرب - مي ٤: ١٠"

رابعاً: نشر كلمة الرب بين الأمم:



"هكذا قال الرب على جميع جيراني الأشرار الذين يلمسون الميراث الذي أورثته لشعبي إسرائيل. هانذا اقتلعهم عن أرضهم واقتلع بيت يهوذا من وسطهم. ويكون بعد اقتلاعي إياهم أني أرجع فأرحمهم... ويكون إذا تعلموا علماً طرق شعبي أن يحلفوا باسمي حيّ هو الرب، كما علموا شعبي أن يحلفوا ببعل- أر ١٢: ١٤-١٦"

لقد رأينا في مزمور ١٣٧ كيف طلب الوثنيون أن يستمعوا الى تسبحة من تسابيح الرب، ونقرأ أيضاً في سفر عزرا عن عودة جزء من المسبيين فنرى أنه باحصاء الرجال نجدهم ٢٤١٤٤ رجلاً، وباضافة الكهنة (٤٢٨٩) واللاويون والمغنون والخدم (٧٣٣) واولئك الذين لم ينتسبوا ضمن الكهنة (٦٥٢) وبهذا يكون المجموع ٢٩٨١٨ رجلاً. بينما يذكر عزرا الكاتب أن كل الجمهور ٤٢٣٦٠ رجلاً (عز ٢: ٦٤)، فعلى الأرجح أن لفيفاً من شعوب أخرى قد عاد الى فلسطين مع الشعب، وربما يكون هذا اللفيف قد نتج عن تزاوج بين بنى إسرائيل والأمم كما ذكر عزرا: "اختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي - عز ٩: ٢". لكن من الممكن أن نفترض أن بعض هذا اللفيف كان من أبناء الأمم الذين دخلوا في الديانة الإسرائيلية، وليس هذا ببعيد إذا تذكرنا أنه في يوم الخمسين كان هناك دخلاء من أمم عديدة (أع ٢: ٨-١١).

"وأبقي منهم رجالاً معدودين ... لكي يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التي يأتون إليها فيعلمون أني أنا الرب... والناجون منكم يذكرونني بين الأمم الذين يسبون إليهم - - حز ١٢: ١٦ + ٦: ٩"

"وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرة كالندى من عند الرب كالوابل على العشب - مي ٥: ٧"

ولو ربطنا هذه الآية الأخيرة بكلمات الرب على فم موسى النبي: "يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب - تث ٣٢: ٢"، لأدركنا أن وجود الشعب لأكثر من سبعين سنة وسط شعوب غريبة قد اجتذب بعضاً من هذه الشعوب إلى معرفة الرب القدوس.

"ينزل مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض.. أمامه تجثو أهل البرية.. كل الأمم تتعبد له - مز ٧٢: ٦و٩و١١" - قارن قصة جدعون (قض ٦: ٣٦-٤٠).

خامساً: التجديد - الفهم الروحي للشريعة:

قد يكون من المبالغة أن نفترض أن الشعب قد اتجه الى التفسير الروحي للناموس في أيام السبي، إلا أن بذور هذا الفهم قد غرست في تربة المسبيين بواسطة الأنبياء وخاصة حزقيال النبي. وقد نما هذا الفكر مع الزمن حتى جاء رب المجد ليجد أن المعرفة الروحية منتشرة وأن كل الشعب وقتها كان مدركاً لفكرة المسيا المنتظر رغم أنها لم ترد بشكل مباشر سوى مرة واحدة (دا ٩: ٢٤).

بعد ضياع كل صور المجد المادي والأدبي أصبح الوقت مناسباً للحديث عن الأمجاد الروحية وعن المملكة التي ليست من هذا العالم، وعن عهد جديد وشريعة جديدة تربط بين الرب وشعبه:

"ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم.. أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم – أر ٣١: ٣١-٣٣"

"في تلك الأيام يقول الرب أنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال – أر ٣: ١٦"

"ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً واعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخيرهم وخير اولادهم... وأقطع لهم عهداً أبدياً.. فلا يحيدون عني وأفرح بهم لأحسن إليهم – أر ٣٢: ٣٨-٤١"

"وأجعل في داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا ويكونوا لي شعباً فأنا أكون لهم إلهاً – حز ١١: ١٩-٢٠"

كانت علامة العهد القديم هي ختان الجسد، أما علامة العهد الجديد فهي ختان القلب، بمعنى تكريس القلب كاملاً للرب: "اختتنوا للرب وانزعوا غُرل قلوبكم– أر ٤: ٤" (أنظر حزقيال ٤٤: ٧)

كان أبرز معالم التجديد هو التحول في فهم علاقة الرب بالشعب، فقد حول الأنبياء، خاصة أرميا وحزقيال، أذهان الناس عن المفهوم القديم، النظرة القومية للديانة، أن الله اختار شعباً ليسود العالم ويحطم باقي الشعوب، شعباً يفتخر بجبروته وقوته ويرى في انتصاراته دليلاً على رضى الرب عنه. الآن يريد الله نفوساً نقيةً، إنساناً يحبه ويطيعه ويحفظ وصاياه. وبدلا من الحديث عن شعب مختار، بدأ الأنبياء يركزون على التقوى والمسئولية الفردية للإنسان والعلاقة الشخصية التي يجب أن تكون بين كل إنسان والرب.

"ما لكم تضربون هذا المثل... قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست. حيّ أنا يقول السيد الرب، لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل. ها كل النفوس هي لي. نفس الأب كنفس الإبن. النفس التي تخطئ هي تموت – حز ١٨: ٢-٤" (أنظر باقي حز ١٨ + حز ٣٣ + أر ٣١: ٢٩و٣٠)

كان السبي بداية جديدة وانطلاقة نحو علاقة أعمق مع الرب، ومن الذي يستطيع أن يرى الحياة من خلال الموت سوى الرب: "واعطيها كرومها هناك، ووادي عخور (القلق والإزعاج) باباً للرجاء – هو ٢: ١٥"

كم من مرة يتذمر الإنسان من أعمال الرب دون أن يفهم مضمونها الحقيقي. فلنذكر دائماً أن الله يتقن عملاً واحداً فقط هو المحبة، فالله نور وليس فيه ظلمة البتة (١ يو ١: ٥). إن عدم فهمي لمقاصد الرب لا يعني أن الله بظالم – حاشا – فقط لنصبر قليلاً ولابد أن يشرق الفجر:

"لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم – أش ٥٥: ٩".

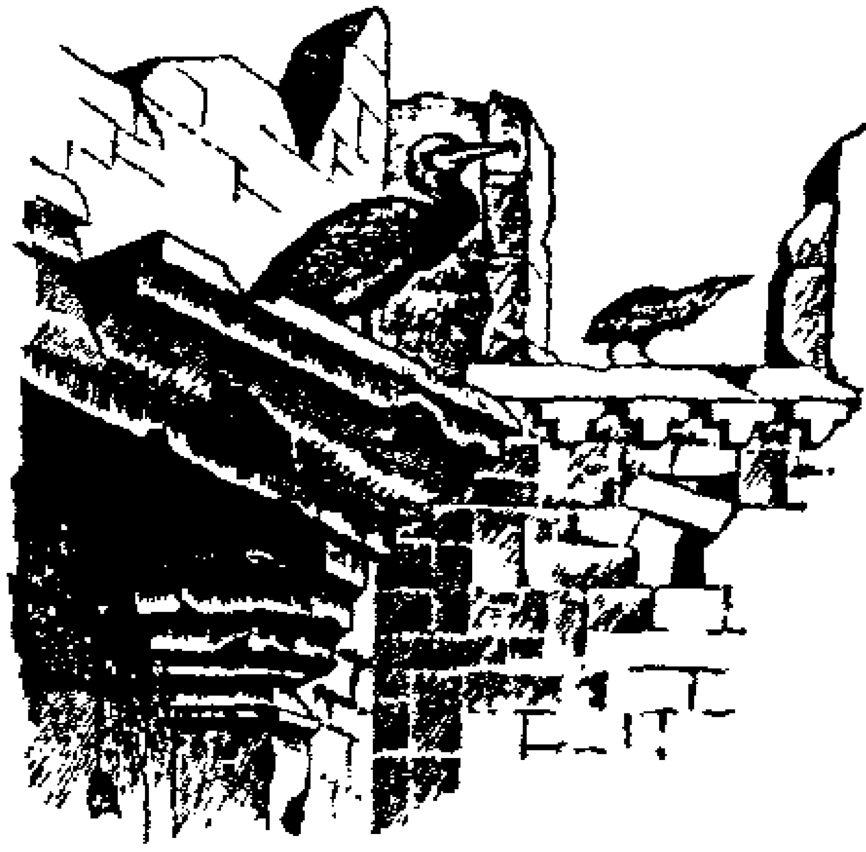
"أدعني فاجيبك واخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها – أر ٣٣: ٣".

"السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا الى الأبد – تث ٢٩: ٢٩"

"لا يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل.. مقاصد قلبه في آخر الأيام تفهمونها – أر ٣٠: ٢٤"

"وتتعزون عن الشر الذي جلبته على أورشليم.. فتعلمون أني لم أصنع بلا سبب كل ما صنعته فيها يقول السيد الرب – حز ١٤: ٢٢و٢٣"

حالة الشعب في أرض الغربة



لم تتحقق بعض البركات التي استهدفها التدبير الإلهي من خلال السبي لأسباب تتعلق بحالة الشعب في الغربة، ويرسم أرميا صورة حية للشعب:

"١- كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب، كيف صارت كأرملة العظيمة بين الأمم. السيدة في البلدان صارت تحت الجزية. ٢- تبكي في الليل بكاءً ودموعها على خديها، ليس لها معزٍ من كل محبيها، كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداء. ٣- قد سبيت يهوذا من المذلة وكثرة العبودية. هي تسكن بين الأمم لا تجد راحة. قد أدركها كل طارديها بين الضيقات. ٤- طرق صهيون نائحة لعدم الآتين في العيد. كل أبوابها خربة. كهنتها يتنهدون. عذاراها مذللة وهي في مرارة. ٥- صار مضايقوها رأساً. نجح أعداؤها لأن الرب قد أذلها لأجل كثرة ذنوبها. ذهب أولادها الى السبي قدام العدو. ٦- وقد خرج من بنت صهيون كل بهائها. صارت رؤساؤها كأيائل لا تجد مرعى فيسيرون بلا قوة أمام الطارد. ٧- قد ذكرت أورشليم كل أيام مذلتها وتطوحها. كل مشتهياتها التي كانت في أيام القدم. عند سقوط شعبها بيد الأعداء وليس من يساعدها. رأتها الأعداء. ضحكوا على هلاكها - مراثي ١: ١-٧"

ويمكن تلخيص هذه الصورة المؤلمة فيما يلي:

١. الإحساس بضياع المجد الأدبي والمادي، ويضخم هذا اعتقاد اليهود بتميزهم عن بقية الشعوب.
٢. الحزن الشديد إذ تفرق عنهم كل الحلفاء. لقد جربوا التحالف مع أشور تارة ومع مصر تارة أخرى ولكن الجميع تخلوا عنهم في محنتهم، أما الجيران مثل موآب وعمون وأدوم فقد انقلبوا ضدهم وتضامنوا مع جيش بابل وشاركوا في تخريب أورشليم بشماتة شديدة "أذكر يارب بني أدوم في يوم أورشليم القائلين أنقضوا أنقضوا حتى الأساس منها - مز ١٣٧"
٣. إن أرميا البار يتحدث عن سبي داخل السبي. فالى جانب سبي العبودية، هناك سبي المذلة والخوف اليومي والقلق. ولعلنا نذكر المذبحة المروعة التي قام بها سنحاريب ملك أشور بين المسبيين انتقاماً للضربة الساحقة التي حلت به أمام أورشليم في أيام حزقيا (أنظر سفر طوبيت + ٢ مل ١٨و ١٩).
٤. الحزن العام بسبب دمار أورشليم، وكانت أخبار المدينة تصل بانتظام الى المسبيين كما يذكر حزقيال: "في الخامس من الشهر جاء الى منفلت من أورشليم فقال قد ضربت المدينة - حز ٣٣: ٢١".
٥. الندم الشديد لأن ضربة الرب نزلت بسبب إصرار الشعب على خطاياه ورفضه لكل فرص التوبة التي اتيحت أمامه :"لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام - نح ١: ٧"
٦. المرارة بسبب إذلال الأعداء لرؤساء الشعب، وهنا نذكر مصرع يوشيا وسبي يهوآحاز وقتل يهوياقيم وسجن يهوياكين واقتلاع عيني صدقيا وأخذه ليموت في بابل. كم كان ثقيلاً على نفوس الشعب أن يروا أبناء داود وقد ديسوا بالأقدام. وما أسهل أن ينسى الشعب خطايا ملوكهم ليتعاطف معهم في محنتهم، وفي النهاية يصبح الملوم هو الرب!

"وبيت إسرائيل يقول ليست طرق الرب مستوية. أطرقي غير مستقيمة يا بيت إسرائيل. أليست طرقكم غير مستقيمة. من أجل ذلك أقضي عليكم ... كل واحد كطرقه يقول السيد الرب. توبوا وارجعوا ... واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدةً فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل. لأني لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا – حز ١٨: ٢٩-٣٢"

٧. فإن أضفنا ذكريات المجد القديم وشماتة الأعداء، نرى أن احساس المسبيين بصغر النفس كان مريراً: "فيأكلون الخبز بالوزن والغم، ويشربون الماء بالكيل والحيرة .. ويتحيروا الرجل وأخوه – حز ٤: ١٦و١٧"

هذا كله رفض كثيرون الاستماع الى كلمات الرب، فماذا يريد الرب منا بعد؟ أليس هو الذي صنع بنا هذه الضيقة الرهيبة التى لا تبدو لها نهاية؟

وعندما كان حزقيال النبي يبلغ الشعب بوحي الرب إليه، كانوا يسخرون منه، حتى صرخ حزقيال شاكياً الى الرب: "فقلت آه ياسيد الرب . هم يقولون أما يمثل هو أمثالاً – حز ٢٠: ٤٩"، ويشبه الرب موقفهم من حزقيال، كمن يستمع الى شاعر أو مغنٍ على الربابة! "وها أنت لهم كشعر أشواق لجميل الصوت يحسن العزف، فيسمعون كلامك ولا يعملون به – حز ٣٣: ٣٢".

لكن آخرين أدركوا مقاصد الرب وخضعوا لتأديبه:

"لماذا يشتكي الإنسان (الرب) الحي. الرجل (يشتكي) من قصاص خطاياه. لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع الى الرب. لنرفع قلوبنا وأيدينا الى الله في السموات. نحن أذنبنا وعصينا وأنت لم تغفر – مرا ٣: ٣٩-٤٢"



العودة من السبي

بقية صغيرة
بصيص من نور
درجات إلى أسفل
سبعون سنة
العودة الأولي - زربابل
بدء البناء - توقف البناء
حجي وزكريا النبيان
بناء الهيكل الثاني
مؤامرة فاشلة - إستير
العودة الثانية - عزرا
ترميم الأسوار - نحميا
تأديب الأمم والشعوب
بين الحرية والسبي

بقية صغيرة يبقيها الرب

"غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماماً يقول الرب.. لأنه هانذا آمر فأغربل بيت إسرائيل.. وحبة لا تقع على الأرض – عا ٩: ٨و ٩"

"لكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت فلها ساق. يكون ساقه زرعاً مقدساً.. ترجع البقية. بقية يعقوب. إلى الله القدير – أش ٦:١٣ + ١٠: ٢١"

"ويكون في ذلك اليوم أن بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب لا يعودون يتوكلون على ضاربهم. بل يتوكلون على الرب – أش ١٠: ٢٠" [إشارة إلى اتكال يهوذا على أشور حيناً وعلى مصر حيناً آخر وكل منهما عاد فضرب الشعب]. "السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه – أش ١١: ١١"

"ويكون الساحل لبقية يهوذا عليه يرعون – صف ٢: ٧"

"لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عموره – أش ١: ٩"

"وأبقي بقية إذ يكون لكم ناجون من السيف بين الأمم – حز ٦: ٨"

وأوضح الرب الأمر بمثال أجراه أمام الشعب، حين أمر حزقيال بازالة شعر رأسه ولحيته، وأن يحرق ثلثه بالنار ويضرب ثلثه بالسيف ويذري ثلثه إلى الريح "وخذ منه قليلاً بالعدد وصُرَّه في أذيالك –حز ٥: ٣"

بقية صغيرة.. لماذا؟

أبقى الرب بقية صغيرة لسببين:

١- أن هؤلاء الباقين كانوا أبراراً . "بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً – صف ٣: ١٣"

ولعلنا نذكر حين هرب إيليا النبي إلى الرب مشتكياً بأنه لم يبق سواه بعد أن هدم الناس مذابح الرب ونقضوا عهده وقتلوا أنبياءه، أخبره الرب بأن هناك سبعة آلاف ركبة لم تجث للأوثان (١ مل ١٩: ٨) . حتى وإن زاغ الجميع وفسدوا، نثق أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد (أع ١٤: ١٧)، أليس من الجائز أن تكون أنت هو المطلوب لتحمل الأمانة، وتكون شهادة حية مرسلة من أجل الرب ومن أجل الناس، هل تتراجع أم تتقدم كما تقدم أشعياء (أش ٦: ٨). ويبدو هذا واضحاً من الرؤيا التي كشفها الرب لحزقيال النبي حين أراه ملاك الرب قادماً لضرب المدينة عقاباً على شرورها: "وقال له الرب. أعبر وسط المدينة في وسط أورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها وقال لأولئك (معاقبي المدينة).. اعبروا وراءه واضربوا.. اقتلوا للهلاك ولا تقربوا من إنسان عليه السمة – حز ٩: ٤-٦"

٢- أبقي الرب هؤلاء نوراً للأمم:

"وأبقي منهم رجالاً معدودين من السيف ومن الجوع ومن الوباء لكي يحدثوا بكل رجاساتهم بين الأمم التي يأتون إليها فيعلمون (الأمم) أني أنا الرب – حز ١٢: ١٦"

ويتحدث الرب أيضاً عن رحمة ستشمل الأمم الذين سوف يتعلمون عبادة الرب من بني إسرائيل ، كما سبق أن تعلم إسرائيل عبادة الأوثان من الأمم (أر ١٢: ١٥و١٦). وهو ما عرضناه آنفاً.

كان مهماً أن تدرك الأمم أن انتصاراتهم على شعب الله جزء من التدبير الإلهي لخلاص العالم. كان مهماً أن يعرفوا أنهم لم ينتصروا لأنهم على حق، بل لأن شعب الله أخطأ. ولكن هذه الأمم سقطت في الكبرياء ظانين أنهم بقوتهم واقتدارهم ضربوا الكنيسة، وأنهم ما داموا قد انتصروا فالله في جانبهم، ولم يدركوا الحقيقة إلا بعد أن حل بهم غضب الله. إنها مأساة كل عصر، حين يتأنى الرب على الأشرار، وإذ ينجحون يظنون أنهم على طريق الصواب، فيمدون أيديهم إلى نصيب الأبرار، وإذا بالرب الذي كان يبدو بعيداً غير مهتم، إذا به ينتفض لحماية كنيسته فويل لمن يمد يده على أبنائه. الرب يؤدب اولاده ولكنه لا يتركهم نهباً لوحوش الأرض. "خراباً تكون كل الأرض ولكني لا أفنيها - أر ٤: ٢٧"

لا يضرب الرب شعبه ليفنيه، فلابد من بقية تحمل الصليب حتى يأتي يوم الرب وتبصره كل عين والذين طعنوه، ويتجلى الحق واضحاً. "قلت أبددهم في الزوايا وابطل من الناس ذكرهم، لو لم أخف اغاظة العدو ... من أن يقولوا يدنا أرتفعت وليس الرب فعل كل هذه - تث ٣٢: ٢٦و٢٧"



بصيص من نور

«مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين - ٢ كو ٤: ٨و٩»

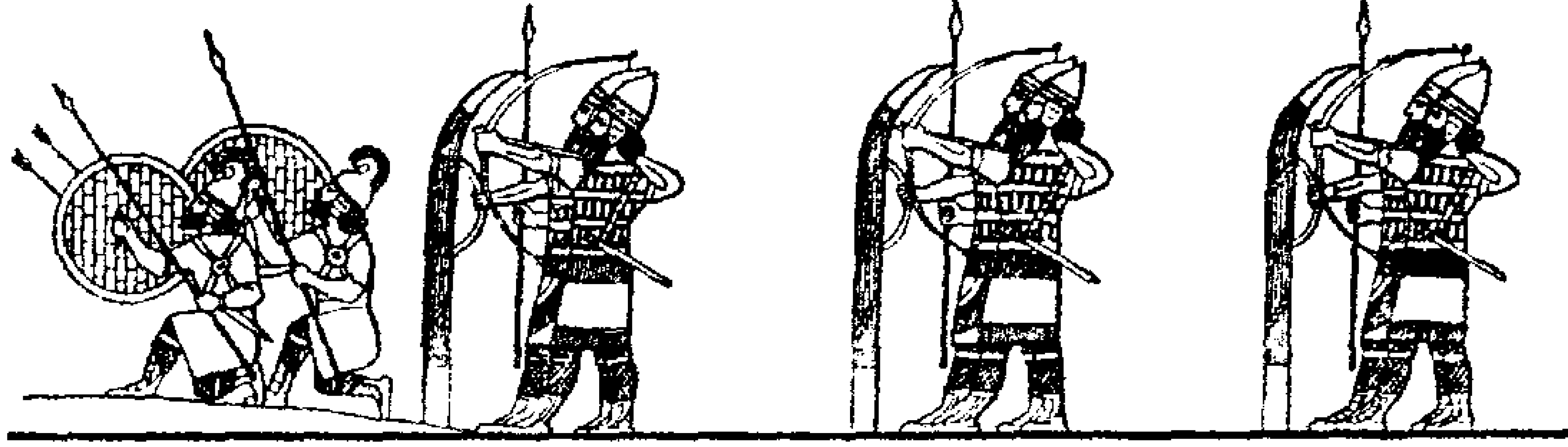
بعد أن ضاع كل شئ: المجد والسلطان والهيكل والمكان والمكانة والغني والقوة، كان منطقياً أن يتسرب اليأس إلى النفوس. فمثل إمرأة مستوحشة هجرها زوجها، تُركت إسرائيل لتعاني في أرض الغربة والعبودية.

لقد تُركت إسرائيل لكنها لم تُترك! فحتى في أرض السبي أرسل الرب حزقيال البار ليكشف لهم اعلانات الرب. ولكن الشعب لا يصدق، لقد عاشوا طويلاً مستندين إلى وهم كاذب، أنهم أولاد ابراهيم واصحاب العهد، فالرؤى والأعلانات لهم، ويهوه القدير هو ربهم الخاص، فكيف مع هذا كله يذهبون إلى السبي؟ وكأنهم في كابوس مخيف ينتظرون أن يستيقظوا منه بين لحظة وأخرى، لكن السنين تمر ويبدو أن الرب قد نسيهم، وتدريجيا تفتح بالوعة اليأس فاها لتبتلعهم:

«لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل. قد اختفت طريقي عن الرب وفات حقي إلهي. أما عرفت أم لم تسمع. إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا.. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون - أش ٤٠: ٢٧-٣١»

«فان قلت أنك لست تراه، فالدعوى قدامه فاصبر له - أي ٣٥: ١٤»

كان على إسرائيل أن يمكث زماناً تحت العبودية حتى يشرق له نور الحرية من جديد. وكما جلس التلاميذ حزانى مذهولين لا يصدقون أن الرب والمعلم في القبر، وحتى بشارة القيامة ترددوا في تصديقها... هكذا وسط ظلمات الحزن يتسلل ضوء الفجر الخفيف والأكيد، فما دام الفجر قد لاح فلابد أن تشرق الشمس.



وفي ظلام السبي يرسل الرب المواعيد تلو المواعيد، فكل من تحدث من الأنبياء عن الغضب والعقاب يتحدث أيضاً عن العفو والعودة. وها هو موسى العظيم يروى مستقبل الأيام:

«ومتى أتت عليك كل هذه الأمور بالبركة واللعنة... فان رددت في قلبك...، ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته... أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك. يرد الرب سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم الرب إلهك... ويحسن إليك ويكثرك أكثر من أبائك – تث ٣٠: ١-٥»

«في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها... وأرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربة ويسكنون ويغرسون كروماً وأغرسهم في أرضهم – عا ٩: ١١-١٥»

«يسرعون كعصفور... وكحمامة من أرض مصر فأسكنهم في بيوتهم يقول الرب – هو ١١: ١١»

«لا تخف من أشور ياشعبي... لأنه بعد قليل جداً يتم السخط.. ويكون في ذلك اليوم أن حمله يزول عن كتفك ونيره عن عنقك.. ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه.. ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض – أش ١٠: ٢٤و٢٧+ ١١: ١١و١٢»

«وتقول في ذلك اليوم أحمدك يارب لأنه إذ غضبت عليَّ ارتد غضبك فتعزيني... يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استعبدت بها – أش ١٢: ١ + ١٤: ٣»

«من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فانه يسر بالرافة. يعود فيرحمنا يدوس آثامنا وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم – مي ٧: ١٨و١٩»

«لأني أصيرهم اسماً وتسبيحة في شعوب الأرض كلها حين أرد مسبييكم قدام أعينكم– صف ٣: ٢٠»

«وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم... وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه.. هانذا أرد سبي خيام يعقوب وأرحم مساكنها وتبني المدينة على تلِّها – أر ٢٩: ١٤ + ٣٠: ١٨» (أي في نفس مكانها القديم).

ويعطي الرب مثالاً حياً، فبينما جيش بابل يحاصر أورشليم، وأرميا ملقى في السجن، إذ بالرب يأمره بأن يشتري حقلاً! «هكذا قال رب الجنود... سيشترون بعد بيوتاً وحقولاً وكروماً في هذه الأرض – أر ٣٢: ١٥»

«ثم صارت كلمة الرب إلى أرميا قائلة: هانذا الرب إله كل ذي جسد، هل يعسر عليَّ أمر ما. لذلك هكذا قال الرب هانذا أدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين.. فيشعلون هذه المدينة بالنار.. والآن... هانذا

اجمعهم.. وأردهم إلى هذا الموضع واسكنهم آمنين – أر ٣٢: ٢٦-٢٩و٣٦-٣٧»
«فتعلمون أني أنا الرب حين آتي بكم إلى أرض إسرائيل .. وهناك تذكرون طرقكم وكل اعمالكم التي تنجستم بها وتمقتون أنفسكم لجميع الشرور التي فعلتم – حز ٢٠: ٤٢و٤٣»
«ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت إسرائيل بل لأجل اسمي القدوس.. آخذكم من بين الأمم واجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم – حز ٣٦: ٢٢و٢٤»



درجات إلى أسفل

لا يسقط الإنسان عادةً دفعة واحدة، بل يتدرج في السقوط. كان شمشون مقيماً مع أبيه حين بدأ يتردد على دليله، وشيئاً فشيئاً يترك بيت أبيه ويقيم مع دليله التي حطمته. هكذا تدرج الشعب وملوكه في السقوط: فمن عجل ذهبي أقامه يربعام بن نباط انحدر الحال حتى نصبت الآلهة الغريبة داخل الهيكل. ومن ذبائح تقدم على المرتفعات إلى أطفال يحرقون بوحشية للأوثان، ومن أفراد خطاة رأينا الشر يعم أغلب الشعب.

هكذا أيضاً جاء العقاب متدرجاً: فمن عبودية متقطعة في أيام القضاة، إلى سبي لسبط نفتالى، ثم سبي لكل مملكة السامرة، حتى يدخل نبوخذ نصر إلى المدينة المقدسة أورشليم لأول مرة ويسبي بعض سكانها، ثم يعود المرة تلو المرة. وفي المرة الأخيرة يخرب الهيكل والمدينة تخريباً تاماً. ثم يتولى نبوررزدان رئيس الشرطة البابلي تدمير ما تبقى وسبي مزيد من أقوياء الأرض.

حتى جدليا الذي عُين والياً على يهوذا، واجتمع حوله من تبقى من مساكين الأرض يتآمر بعض اليهود على قتله، ثم يهربون إلى مصر، وتتحقق نبوة موسى العظيم: «ويردك الرب إلى مصر... في الطريق التي قلت لك لا تعد تراها فتباعون هناك لأعدائك.. وليس من يشتري – تث ٢٨: ٦٨»

ويتسرب الأغراب إلى أورشليم وينتشرون في أرض الموعد حتى يظن الرائي ألا أمل هناك. ويتساءل الإنسان كيف سيحقق الرب وعده برد سبي الشعب وإعادة البناء، لكن «هل يستحيل على الرب شئ – تك ١٨: ١٤» «من يد الهاوية أفديهم من الموت أخلصهم – هو ١٣: ١٤». «لولا أنني آمنت بأن أرى جود الرب في أرض الأحياء. انتظر الرب. ليتشدد ويتشجع قلبك. وانتظر الرب – مز ٢٧: ١٣و١٤».

سبعون ســنة

كان أكثر ما يدعو للطمأنينة أن الرب حدد مدة معينة للسبي على فم أرميا النبي: «وتصير هذه الأرض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة. ويكون عند تمام السبعين سنة أني أعاقب ملك بابل – أر ٢٥: ١١و١٢»، «لأنه هكذا قال الرب. أني عند تمام سبعين سنة لبابل اتعهدكم وأقيم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع.. الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب... لأعطيكم آخرة ورجاء – أر ٢٩: ١٠و١١»

لقد تم السبي على مراحل أولها عام ٦٠٥ وآخرها حين تخربت أورشليم عام ٥٨٦. وتمت العودة أيضا على مراحل أولها عام ٥٣٨. فيكون الفارق الزمني بين بداية السبي وبداية العودة ٦٨ عاماً. والفارق الزمني بين تخريب الهيكل عام ٥٨٦ واكتمال بنائه عام ٥١٥ نجده ٧١ عاماً. فلماذا لا تذكر النبوة أرقاماً دقيقةً ؟

إن مبدأ التقريب في الأرقام متكرر في الكتاب المقدس:



إن الرب يذكر لإبراهيم أن الشعب سيستعبد في مصر مدة ٤٠٠ سنة (تك ١٥: ١٣) بينما كانت فترة تغرب الشعب ٤٣٠ سنة (خر ١٢: ٤٠)، في احصاء الشعب الخارج من أرض مصر بقيادة موسى النبي يذكر الكتاب أنهم نحو ٦٠٠ ألف ثم يعود في سفر العدد فيذكر عدداً دقيقاً ٦٠٣٥٥٠ (خر ١٢: ٣٧+ عد ١: ٤٦).

ويعود زكريا فيقول: «فاجاب ملاك الرب وقال يارب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة. فاجاب الرب الملاك الذي كلمني بكلام طيب– زك ١: ١٢و١٣»

لكن بعض الدارسين يؤكدون أنها سبعين سنة بالضبط، إذ يعتبرون أن بداية السبي هي عام ٦٠٨ حين سقط يوشيا الملك في موقعة مجدو وخضع شعب يهوذا أمام المصريين. وهكذا يصبح الحساب مضبوطاً

٦٠٨	بدء العبودية	٥٨٦	خراب الهيكل
٥٣٨	بدء العودة	٥١٦	إعادة بناء الهيكل
	٧٠ سنة		٧٠ سنة

ويستند الباحث في هذا إلى كلمات دانيال النبي: «أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التي كانت عليها كلمة الرب إلى أرميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم فوجهت وجهي إلى الله .. وصليت إلى الرب.. فاسمع الآن ياإلهنا صلاة عبدك وتضرعاته وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب – دا ٩: ٢ و ١٧».

وبديهي أن هذه السبعين سنة هي مدة سبي يهوذا لأن سبي السامرة حدث عام ٧٢١ مما يجعله يقرب من مائتي عام. لقد أعطى الرب عمراً لدانيال فعاش طوال سبي يهوذا وعاصر المملكة البابلية حتى زالت. (الفاصل الزمني بين سبي دانيال وبدء العودة حوالي ٧٥ عاماً).

في التفسير الرمزي يُجمع الآباء على أن الرقم ٧ يشير إلى الكمال، بينما الرقم ١٠ يشير إلى الناموس (الوصايا العشر)، فيكون العدد ٧٠ = ١٠ × ٧ يشير إلى تتميم الناموس أو العقاب المستحق على الشعب طبقاً للناموس. هذا يذكر سفر الأخبار أن السبي قد امتد حتى استوفت الأرض سبوتها (٢ أخ ٣٦: ٢١).

«عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل. أن إثمها قد عُفي عنه. أنها قبلت من يد الرب ضعفين عن خطاياها - أش ٤٠: ١و٢».

مراحـــل العـــودة

استمر نبوخذ نصر ملكاً على بابل لمدة ٤٣ سنة أخضع فيها كل بلاد الشرق تقريباً، وحطم كل من اعترض طريقه، وقام أخيرا بالهجوم على مصر. وهكذا تحققت نبوة أرميا التي أعلنها لليهود الذين فروا إلى أرض مصر خوفاً من انتقام بابل بعد اغتيالهم جدليا والي يهوذا: «اسمعوا كلمة الرب يا بقية يهوذا. هكذا قال رب الجنود إله أسرائيل. إن كنتم تجعلون وجوهكم للدخول إلى مصر وتذهبون لتتغربوا هناك. يحدث أن السيف الذي انتم خائفون منه يدرككم هناك في أرض مصر - أر ٤٢: ١٥و١٦»

وقد حاول أرميا أن يثني بقية الشعب عن الهروب إلى مصر، إلا أنهم رفضوا الإستماع إلى صوت الرب وهربوا إلى مصر مرغمين أرميا نفسه على الذهاب معهم (أر ٤٢: ١-٧). في مصر طلب الرب من أرميا أن يري الشعب مثالاً يوضح به كلماته، فأخذ حجارة كبيرة وطمرها في مدخل أحد القصور أمام اليهود معلناً كلام الرب: «هانذا أرسل وآخذ نبوخذ نصر ملك بابل عبدي وأضع كرسيه فوق هذه الحجارة .. ويأتي ويضرب أرض مصر - أر ٤٣: ١٠و١١». وقد هاجم نبوخذ نصر أراضي مصر بالفعل ولكنه لم يضمها إلى مملكته.

توفي نبوخذ نصر عام ٥٦٢ وخلفه ابنه أويل مردوخ فأخرج يهوياكين الملك من الحبس ورد إعتباره وقربه إليه (أر ٥٢: ٣١-٣٤). وقد حكم أويل مردوخ لمدة ١٨ عاماً (٥٦٢ - ٥٤٥)، ثم تلاه إبنه نجلاسَّر

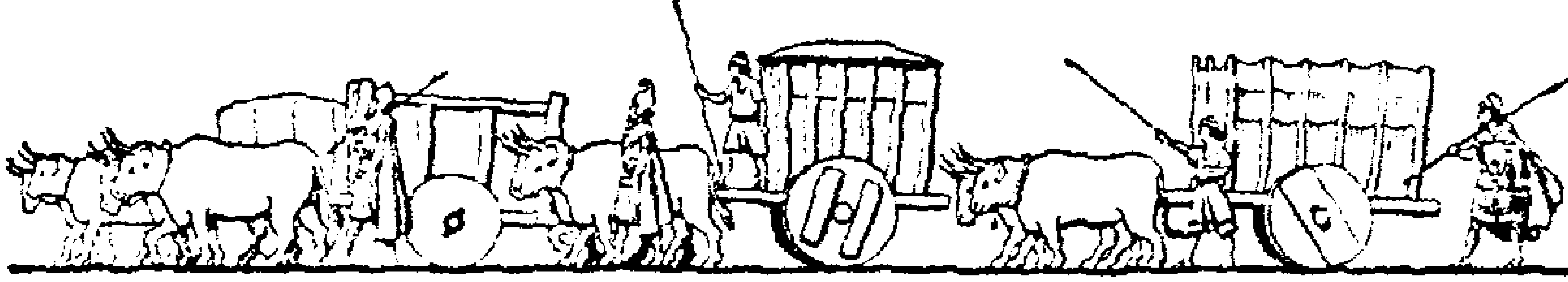
في أيام نجلاسر ظهر كورش واستطاع أن يوحد قبائل فارس ومادي (ميديا) تحت قيادته، وتمكن من اخضاع مملكة ليديا الغنية في آسيا الصغرى. وتستمر قوة كورش الفارسي في التعاظم بينما كان ملوك بابل مكروهين من شعبهم لطغيانهم وانغماسهم في الترف، لذا سقطت بابل في يد جيوش فارس ومادي دون مقاومة تقريباً عام ٥٣٩. وفي الليلة السابقة لسقوط المدينة كان دانيال النبي قد فسر رؤيا أقلقت بيلشاصَّر آخر خلفاء نبوخذ نصر. وأوضح دانيال للملك المذعور أن الرب قد أنهى مملكته وأعطاها لفارس ومادي (دا ٥: ١-٣٠)، وهكذا انتهت المملكة التي أسسها نبوخذ نصر ملك الملوك كما يدعوه الكتاب (دا ٢: ٣٧).

نرى بوضوح أن تحالفاً قد تم بين الفرس بقيادة كورش وبين الماديين بزعامة داريوس المادي، إلا أن الكلمة العليا كانت لكورش في كل أنحاء المملكة كما هو ثابت من سياق الأحداث وسجلات التاريخ.

وينبغي هنا أن نفرق بين شخصيتين كل منهما يحمل اسم داريوس لكن يفصل بينهما حوالي ١٧ عاماً:

١. داريوس المادي المذكور فقط في سفر دانيال (دا ٥: ٣١) وهو داريوس بن أحشويروش. والذي نظم المملكة الناشئة إدارياً وعين ثلاثة وزراء أولهم دانيال النبي (دا ٦: ٢) وكانت بينهما مواقف وحكايات.
٢. داريوس بن هستاسب المذكور في سفر عزرا والذي اكتمل بناء الهيكل في أيامه وتنبأ في عهده حجي وزكريا النبيان. فبعد وفاة قورش بطريقة غامضة عام ٥٢٩، تولى الحكم ابنه قمبيز لمدة ٨ سنوات تمكن خلالها من احتلال مصر عام ٥٢٥. توفي قمبيز في دمشق عام ٥٢٢ ولم يترك نسلاً، فانتقل

السلطان إلى أحد ابناء عمومته هو داريوس الأول فتولى المملكة حتى وفاته بعد ٣٦ عاماً. استمر الملك في نسل داريوس، فتولى بعده ابنه احشويروش لمدة ٢٢ عاماً (٤٨٦ - ٤٦٥) ثم حفيده ارتحشثتا لمدة ٤٢ عاماً (٤٦٥ - ٤٢٤). ويتعاقب الملوك من نسل داريوس حتى جاء آخرهم داريوس كودومانوس الثالث الذي خسر عرشه وحياته حين انهزم أمام الإسكندر الأكبر في موقعة إسوس عام ٣٣١ ليؤذن هذا ببداية عصر جديد.



العودة الأولى من السبي - زربابل:

«هكذا يقول الرب فاديك.. أنا الرب صانع كل شئ. ناشر السموات وحدي. باسط الأرض من معي.. مقيم كلمة عبده ومتمم رأي رسله. القائل عن أورشليم ستُعمر، ولمدن يهوذا ستُبنين.. القائل عن كورش راعيَّ. فكل مسرتي يتمم ويقول عن أورشليم ستُبنى وللهيكل ستؤسس - أش ٤٤: ٢٤-٢٨»

«هكذا يقول الرب لمسيحه. لكورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً.. أنا قد أنهضته بالنصر وكل طرقه أسهِّل. هو يبني مدينتي ويطلق سبيي - أش ٤٥: ١و١٣»

يقول المؤرخ يوسيفوس أن كورش قد إطلع على هذه النبوات التي وردت عنه في سفر أشعياء، وأنه قد تأثر بها وحرك الرب قلبه، بالسماح لليهود بالعودة إلى بلادهم وإعادة بناء الهيكل، وحث من لا يرغب في العودة من اليهود على أن يمدوا العائدين بالمال والمتاع، وزاد على ذلك بأن رد إلى اليهود أواني الهيكل التي نهبها البابليين من أورشليم، بل وأمر الولاة التابعين له بأن يوفروا لليهود مواد البناء اللازمة لإقامة الهيكل من جديد (عزرا ١). وجدير بالذكر أن أعداداً كبيرة من اليهود بقيت في بابل وسائر المدن التي استقروا فيها حيث كان هم حرف وتجارات رابحة كما سنرى. وكانت هذه التجمعات هي أول من أطلق عليهم فيما بعد يهود الشتات. وفي ملء الزمان ستصبح هذه التجمعات نقاط إنطلاق لرسل المسيح يكرزون بمخلص العالم.

وصف عزرا الكاتب هذه العودة الأولى بالتفصيل وأورد عدد الذكور البالغين من كل عشيرة الذين صعدوا من أرض بابل إلى أرض يهوذا بقيادة شيشبصَّر رئيس يهوذا (عز ١: ٨). وعلى الأرجح فإن شيشبصر هذا هو الإسم الكلداني الذي أطلق على زربابل بن شالتئيل، كعادة الكلدانيين حين غيروا أسماء دانيال ورفاقه: فدعى دانيال بلطشاصر، أما حننيا وميشائيل وعزريا فأصبحوا شدرخ وميشخ وعبدنغو (دا ١: ٧) ولا ننسى أن زربابل كان رئيساً لسبط يهوذا لكونه من النسل الملكي فهو حفيد يهوياكين ملك يهوذا الذي سباه نبوخذ نصر عام ٥٩٧ وأخذ معه أكثر من عشرة آلاف من الشعب كان منهم حزقيال الكاهن والذي بدأ خدمته كنبي بعد ذلك بخمس سنوات (مت ١: ١١و١٢ + ٢ مل ٢٤: ١٢ + حز ١: ٢).

أصدر كورش نداءاً في المملكة وأرسل أمراً مكتوباً إلى كل الولاة قائلاً : «هكذا قال كورش ملك فارس. جميع ممالك الأرض دفعها لي رب السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم.. من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم.. فيبني بيت الرب إله إسرائيل - عز ١: ٢و٣»
وأمر كورش بتسليم آنية الهيكل إلى رئيس يهوذا وأبدي اهتماماً بذلك حتى أن كل من عزرا ويوسيفوس المؤرخ يذكر بالتفصيل الأنواع والأعداد التي رُدت إلى اليهود. كما أورد يوسيفوس نصاً كاملاً لأمر الملك المكتوب والمرسل عبر النهر (عز ١: ٧-١١+ آثار اليهود ليوسيفوس- كتاب ١١- فصل ١).
قرر كورش أيضاً أن يكون البناء على نفقته وأن يؤخذ كل ما يحتاجه الهيكل من أموال وماشية للذبح ونبيذ وزيت ودقيق من الجزية المفروضة على السامرة إلى جانب ما تبرع به رؤساء اليهود (عز ٢: ٦٨و ٦٩)، لذا لا نتعجب من المديح الذي يغدقه أشعياء على كورش مسمياً إياه «مسيح الرب» (أش ٤٥: ١-٤).
عاد من بني يهوذا وبني بنيامين ومن الكهنة واللاويين نحو خمسين ألف رجل مع نسائهم وأطفالهم بقيادة زربابل رئيس سبط يهوذا ويهوشع رئيس الكهنة، وبمجرد وصولهم إلى أرض يهوذا تفرقوا كل إلى قريته وموطنه (عز ٢: ٧)، وهذا العدد القليل يؤكد تفضيل كثيرين للبقاء في السبي لأسباب مختلفة.

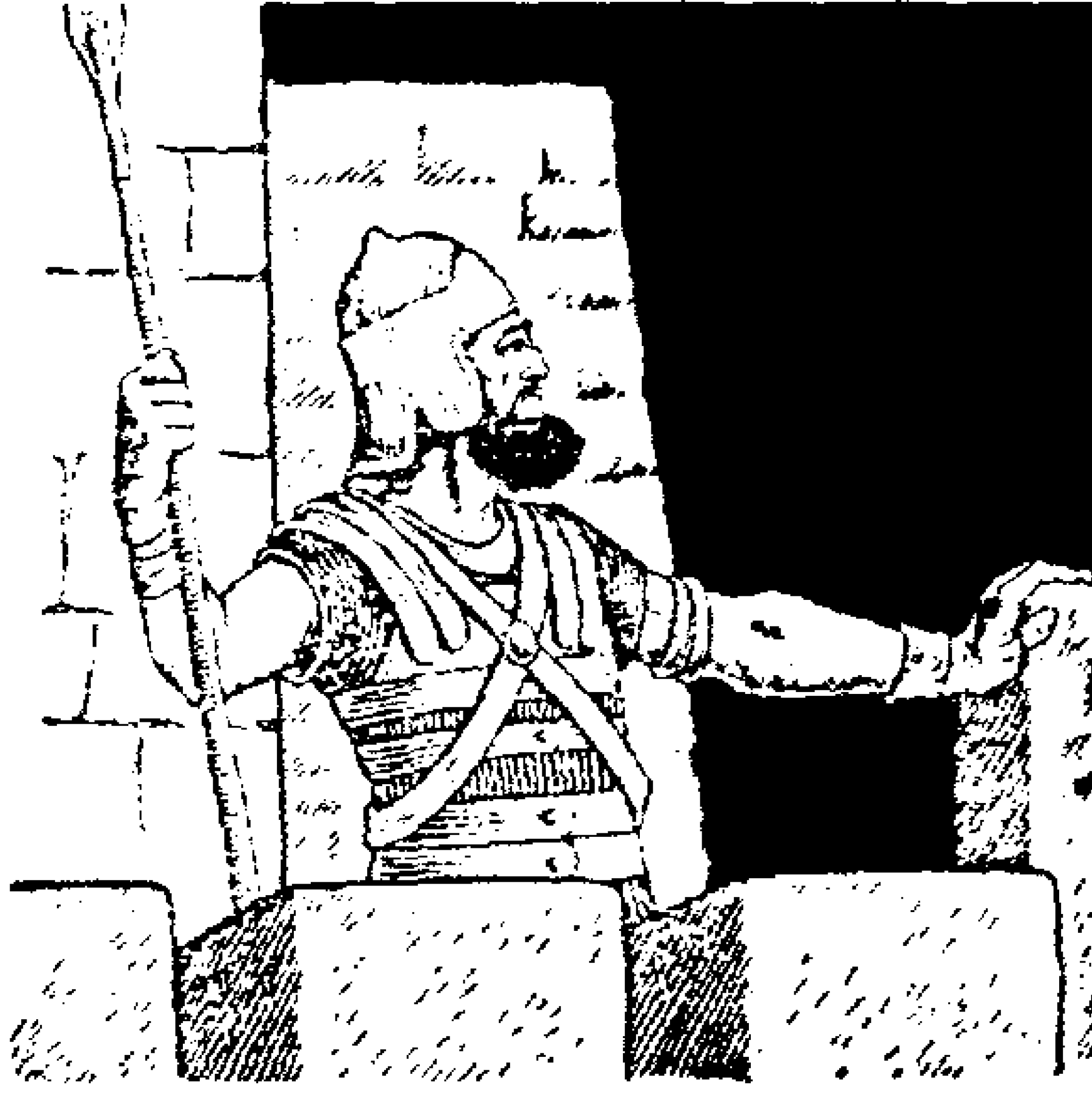
بدء البناء

في الشهر السابع (تشري - اكتوبر) اجتمع الشعب كرجل واحد إلى أورشليم، ولم يكن هذا بالأمر الصعب لأن أرض يهوذا لم تكن لتزيد عن ٥٠ كيلومتراً طولاً و ٣٠ كيلومتراً عرضاً. وبقيادة زربابل واخوته ويشوع بن يوصاداق رئيس الكهنة ومن معه من الكهنة تم بناء مذبح المحرقة، وأصعدوا عليه محرقات حسب الشريعة الطقسية. ثم احتفلوا بعيد المظال في الخامس عشر من نفس الشهر (لا ٢٣: ٣٣-٣٦)، وبدأ جمع التبرعات وتجهيز مواد البناء. ويذكر عزرا أنهم كانوا يفعلون هذا وهم خائفون من الغرباء المقيمين في أرض فلسطين بعد دمار السامرة ثم خراب أورشليم (عز ٣: ١-٧).
في العام التالي (٥٣٧ ق.م.) وفي الشهر الثاني (أيار - مايو) بدأ يهوشع في ترتيب الكهنوت واللاويين، ثم في حفل كبير وضعت أساسات الهيكل الجديد وسط تسابيح وهتافات الشعب (عز ٣: ٨-١٣).
لم تكن سكنى فلسطين قاصرة على اليهود، فقد جلب الأشوريون أغراباً كثيرين في أيام سرجون الثاني فاتح السامرة وتتالى ذلك في عهود سنحاريب وآسرحدون وأشور بانيبال (يسميه الكتاب «أسنفر» - عز ٤: ٩و ١٠)، لذا حاول هؤلاء الأغراب أن يشتركوا في بناء الهيكل ليؤكدوا إنتماءهم إلى الأرض، محتجين بأنهم هم أيضاً كانوا يعبدون الرب إله إسرائيل منذ أيام آسرحدون ملك أشور (٢ مل ١٩: ٣٧+ عز ٤: ٢). وكانت هذه العبادة المختلطة قائمة بالفعل في أرض السامرة منذ سبي إسرائيل عام ٧٢١ (٢ مل ١٧).
رفض اليهود السماح للأغراب بالإشتراك معهم في بناء الهيكل لذا حاول هؤلاء عرقلة العمل. ويذكر يوسيفوس أنهم قد اشتروا ذمم الولاة الفرس ليتقاعسوا عن إمداد البيت بما يحتاجه من مواد البناء، منتهزين فرصة إنشغال كورش في حملات عديدة قام بها وفي إحدى هذه الحملات لقي كورش حتفه عام ٥٢٩.

البناء يتوقف

ما أن تولى قمبيز بن كورش الحكم، وطبقاً لما ذكر يوسيفوس، حتى كتب إليه حاكم المقاطعة محذراً من أن ترك اليهود يكملون أسوار مدينتهم سيعود بهم إلى سابق سيرتهم المعروفة في التمرد والعصيان. وكان قمبيز بطبيعته العنيفة مستعداً لقبول مثل هذه الشكوى، فأصدر أمراً عاجلاً بايقاف كل بناء في المدينة.

ورغم عودة قمبيز ظافراً من حملته على مصر عام ٥٢٥، إلا أنه عاد ليجد المملكة تمزقها الفتن والمؤامرات مما كان عتيداً بأن يؤدي إلى مزيد من سفك الدماء، لولا أن قمبيز توفي فجأة في دمشق عام ٥٢٢، ومن الملفت أن الكتاب المقدس لا يذكر قمبيز مطلقاً.



استمرت سياسة تعطيل البناء هذه من جانب سكان السامرة الأغراب مع ملوك الفرس المتعاقبين (قمبيز- داريوس- أحشويروش- أرتحشتتا) ، وهذا أيضاً يذكره عزرا بوضوح (عز ٤: ٥-٧)، ويورد تاريخاً موجزاً لمحاولات تعطيل البناء، ثم بدأ يكتب بعض التفاصيل دون ترتيب تاريخي وهو ما سنوضحه بعد قليل. ويظل العمل متوقفاً حوالي ٩ سنوات، طوال حكم قمبيز وحتى السنة الثانية من حكم داريوس (من ٥٢٩ إلى ٥٢٠). وكان الأمر بايقاف البناء قد صدر بناءً على الشكاوى المقدمة من سكان عبر النهر، وكان داريوس قد نظم الإمبراطورية وقسمها إلى ٢٠ مقاطعة، إحداها مقاطعة عبر النهر التي شملت سوريا ولبنان وفلسطين.

حجي وزكريا النبيان

تراخي اليهود عن العمل وقال بعضهم لم يأت بعد الوقت المناسب لبناء بيت الرب ، لذا أرسل الرب حجي النبي فانطلق موبخاً اليهود وموضحاً أن تراخيهم هو السبب في ابتعاد قوة الرب عنهم، وتناقص البركة السمائية في كل ما تمتد إليه أيديهم: «هذا الشعب قال أن الوقت لم يبلغ بناء بيت الرب. فكانت كلمة الرب عن يد حجي النبي قائلاً: هل الوقت لكم أنتم أن تسكنوا في بيوتكم المغشاة (المغطاة) وهذا البيت خراب. والآن فهكذا قال رب الجنود. إجعلوا قلوبكم على طرقكم. زرعتم كثيراً ودخلتم قليلاً. تأكلون وليس إلى الشبع. تشربون ولا تروون تكتسون ولا تدفأون والآخذ أجرة يأخذ أجرة لكيس منقوب.. لأجل بيتي الذي هو خراب وأنتم كل واحد راكض إلى بيته. لذلك منعت السموات من فوقكم الندى، ودعوت بالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار (الكروم) وعلى الزيت وعلى ما تنبته الأرض وعلى الناس وعلى البهائم وعلى كل أتعاب اليدين - حج ١: ٢-١١».

ما أشبه اليوم بالأمس، فأغلب الناس الآن منهمكون في حياتهم منشغلون عن بيت الله، وكل اهتمام الشاب أن «يكوِّن نفسه» كما يقولون، كأنما النفس تبني بالمال.. ولكن لنعد إلى موضوعنا!

تأثر زربابل ويهوشع الكاهن العظيم وسائر الشعب بكلمات حجي النبي وتحمسوا لبناء الهيكل. فبدأوا في العمل دون إنتظار لإذن من الملك. وهنا أيضاً يقوم زكريا النبي معلناً كلمات الرب أن الوقت قد حان بالفعل لإعادة بناء البيت مطمئناً الشعب أن الرب قد رفع غضبه عنهم: «فأجاب ملاك الرب وقال يارب الجنود حتى متى لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة... قال الرب قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم فبيتي يبنى فيها يقول رب الجنود ويُمد المطمار على أورشليم... إن مدني تفيض بعد خيراً والرب يعزي صهيون بعد. ويختار بعد (مرة ثانية) أورشليم - زك ١: ١٢-١٦»



وقد اهتم الرب بيهوشع رئيس الكهنة وزربابل قائد الشعب، فأرسل إليهما تشجيعاً خاصاً على فم زكريا النبي. وينبغي أن نلاحظ أن هذا التأييد الإلهي قد منح لزربابل ويهوشع بعد أن كانا قد استجابا بالفعل لكلمات حجي النبي وبدآ في العمل قبل أسابيع من كلمات زكريا (عز ٥: ١و٢).

أظهر الرب لزكريا البار رؤيا معزية جداً عن يهوشع، إذ رآه واقفاً أمام الرب من أجل الشعب بينما الشيطان يقاومه، وأظهر له كيف استجيبت صلوات يهوشع وغُفر إثمه ورُفع غضب الرب عن الشعب وانهزم الشيطان. إن هذه الرؤيا توضح أهمية الدور الذي قام به يهوشع في تأييد العمل بالصلاة. وكما كان موسى يصلي ويشوع يحارب (خر ١٧: ٨-٣) كان زربابل يعمل بينما يهوشع يقف أمام الله (زك ٣: ١-٩).

ثم عاد الرب القدوس فأرسل رؤيا مشجعة إلى زربابل مطمئناً إياه ومؤكداً أن العمل سيتم بقوة الرب وليس بقوة الناس. كان هذا ما يحتاجه زربابل إزاء إرتخاء الهمم وضعف الشعب وتهديد الأعداء: «هذه كلمات الرب إلى زربابل قائلاً : لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود.. وكانت إلى كلمة الرب قائلاً : إن يدي زربابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتمانه - زك ٤: ٦و٨»

ثم أمر الرب زكريا النبي بعمل تيجان من الفضة والذهب ووضعها على رأس يهوشع الكاهن العظيم مكرراً له كلمات الرب بأن يهوشع «يبني هيكل الرب - زك ٦: ١٣»

بناء الهيكل الثاني

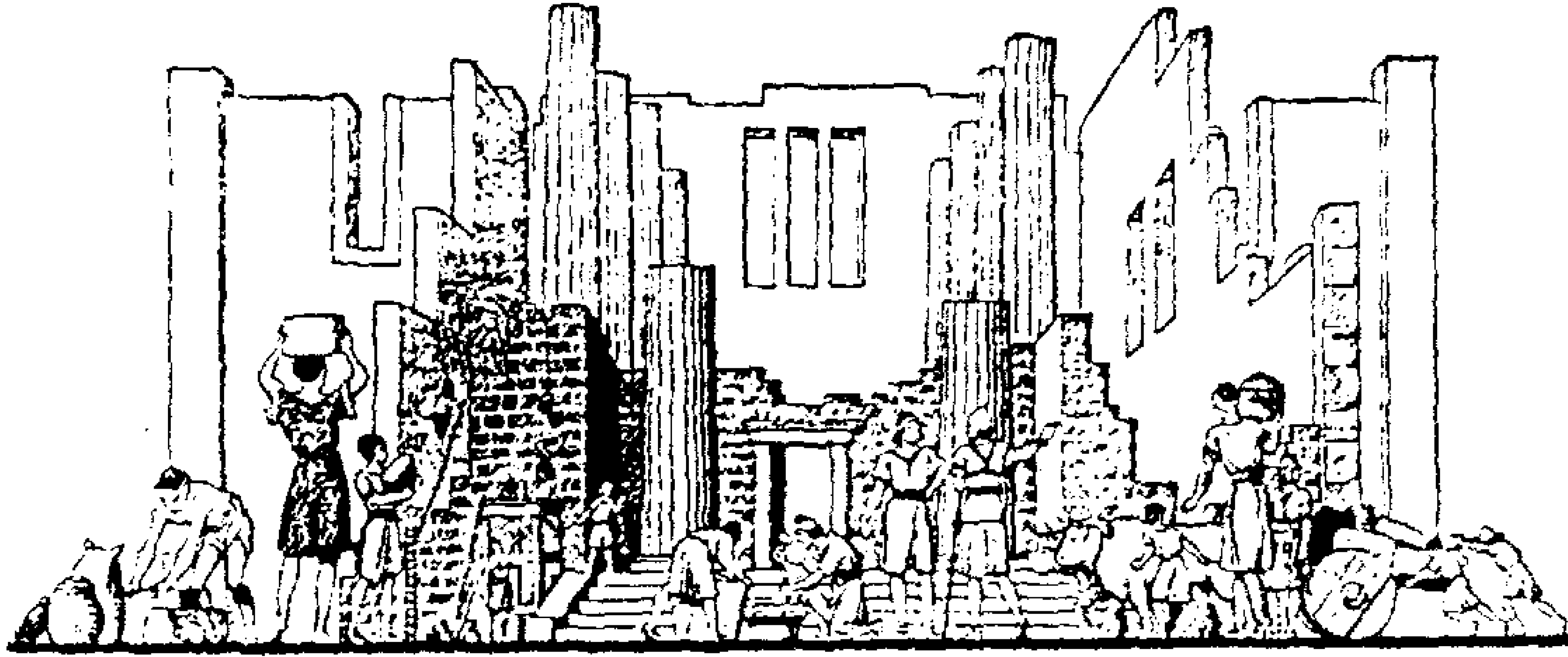
بدأ الشعب في البناء، فيتدخل والي مقاطعة عبر النهر لإيقاف العمل، يحتج شيوخ اليهود بأن هناك أمراً قديماً قد صدر بذلك من كورش العظيم. بادر الولاة برفع القضية إلى داريوس الملك، ولما تأكد داريوس من وجود هذا الأمر، أطلق يد الشعب في البناء وأمر باخراج كل احتياجات البيت والمحرقات والتقدمات من مال الملك، طالباً أن تقدم صلوات من أجله ومن أجل استمرار المملكة (عز ٤: ٢٤+ ٥: ١-١٧ + ٦: ١-١٢).

استمر البناء لعدة سنوات، وبينما العمل مستمر وفي السنة الرابعة لداريوس الملك (عام ٥١٨) قام زكريا النبي محذراً من الشرور التى سبق وأن سببت غضب الرب، ومطمئناً أن أيام الأحزان قد مضت:

«هانذا أخلص شعبي من أرض المشرق... وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً بالحق والبر.. كما أني فكرت في أن أسئ إليكم حين أغضبني آباؤكم قال رب الجنود ولم

أندم، هكذا عدت وفكرت في هذه الأيام في أن أحسن إلى أورشليم وبيت يهوذا. لا تخافوا. هذه هي الأمور التي تفعلونها: ليكلم كل إنسان قريبه بالحق. إقضوا بالحق وقضاء السلام في أبوابكم - زك ٨: ٧و ٨و ١٤-١٦»

اخيراً اكتمل بناء الهيكل في السنة السادسة لداريوس الملك عام ٥١٦ بعد سبعين سنة من تدميره، وتم تدشين البيت، ويحتفل الشعب بالفصح لأول مرة منذ أيام يوشيا الملك (عز ٦: ١٥-٢٢).

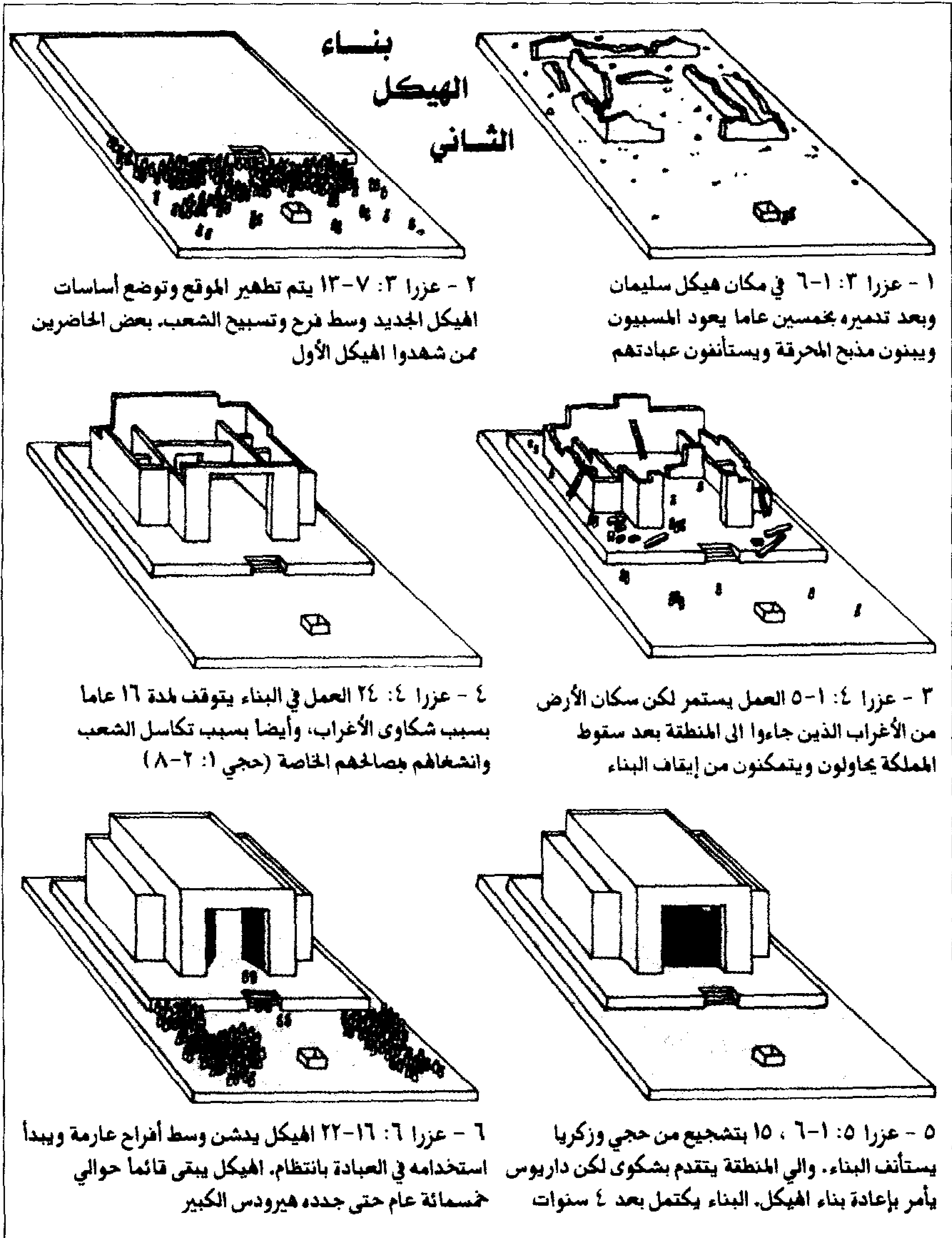


ملاحظة لابد منها

إن القارئ لسفر عزرا قد تصيبه الحيرة حين يقرأ عن أمر أرتحشثتا الملك بإيقاف البناء في أورشليم وأن البناء ظل متوقفاً حتى السنة الثانية لداريوس الملك (عز ٤: ٢٣و ٢٤)، بينما من الثابت أن داريوس قد تولى الملك قبل ارتحشثتا بكثير، فقد حكم داريوس من ٥٢٢ إلى ٤٨٦، أما ارتحشثتا فقد حكم من ٤٦٥ إلى ٤٢٤، بل إن أرتحشثتا هو حفيد داريوس. (كان الهيكل قد اكتمل، وما أوقفه أرتحشثتا هو تعمير المدينة)

إن هذه الحيرة تزول إذا فصلنا العدد الأخير من الأصحاح الرابع من سفر عزرا لنجعله بداية للأصحاح الخامس. فيتضح لنا أن عزرا تحدث بالتفصيل عن أمر أرتحشثتا الملك بايقاف البناء فى بداية حكمه، ثم عاد القهقري ليذكر توقف البناء أيضاً الذى استمر من بداية حكم قمبيز إلى أوائل حكم داريوس، وحتى قام الشعب باستئناف بناء الهيكل فى السنة الثانية لداريوس بتشجيع من حجي وزكريا.

والحق أن كتاب الأسفار كثيراً ما لا يعطون أهمية لترتيب الأحداث ترتيباً زمنياً، لذا لزم التنويه.



١ - عزرا ٣: ١-٦ في مكان هيكل سليمان وبعد تدميره بخمسين عاما يعود المسبيون ويبنون مذبح المحرقة ويستأنفون عبادتهم

٢ - عزرا ٣: ٧-١٣ يتم تطهير الموقع وتوضع أساسات الهيكل الجديد وسط فرح وتسبيح الشعب. بعض الحاضرين ممن شهدوا الهيكل الأول

٣ - عزرا ٤: ١-٥ العمل يستمر لكن سكان الأرض من الأغراب الذين جاءوا الى المنطقة بعد سقوط المملكة يحاولون ويتمكنون من إيقاف البناء

٤ - عزرا ٤: ٢٤ العمل في البناء يتوقف لمدة ١٦ عاما بسبب شكاوى الأغراب، وأيضا بسبب تكاسل الشعب وانشغالهم بمصالحهم الخاصة (حجي ١: ٢-٨)

٥ - عزرا ٥: ١-٦ ، ١٥ بتشجيع من حجي وزكريا يستأنف البناء. والي المنطقة يتقدم بشكوى لكن داريوس يأمر بإعادة بناء الهيكل. البناء يكتمل بعد ٤ سنوات

٦ - عزرا ٦: ١٦-٢٢ الهيكل يدشن وسط أفراح عارمة ويبدأ استخدامه في العبادة بانتظام. الهيكل يبقى قائما حوالي خمسمائة عام حتى جدده هيرودس الكبير

مؤامرة فاشلة - أستير ومردخاي

يعتبر داريوس المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الفارسية فقد وسع تخومها وأعاد تنظيمها، وأراد توسيع سلطانه إلى أوربا فاصطدم بقوة اليونان الناشئة، لكن التفوق الحربي حسم موقعة ماراثون عام ٤٩٠ لصالح اليونان، وكانت نقطة الضعف الأساسية لدى الفرس هي عدم وجود أسطول قوي لديهم بعكس اليونان.

بعد وفاة داريوس تولى ابنه أحشويروش ويذكر التاريخ عنه أنه كان مستبداً سريع الغضب كثير النزوات، وهو ما نراه في موقفه مع الملكة وشتي (إس ١: ١٢) وكيفية اختياره لزوجة جديدة (إس ٢: ١-٤).
استأنف أحشويروش محاولات والده فأعد جيشاً جراراً لغزو اليونان وبنى أسطولاً هائلاً وأقام جسراً ضخماً على مضيق الدردنيل لعبور الجيش، ولما تحطم هذا الجسر بسبب أمواج البحر العاصفة، بدا للملك أحشويروش أن يعاقب مياة البحر فأمر بالقاء زوج من القيود الحديدية فيها ونصب له عرشه أمام البحر بينما الجلادون يضربون المياه ٣٠٠ جلدة بالسياط تنفيذاً لحكم الملك!
فشلت هذه الحملة رغم النفقات الهائلة التى تكبدتها، وانهزم أحشويروش في موقعة سلاميس أمام اليونان عام ٤٨٠، ثم حدث الإندحار الكامل للفرس في العام التالي. وربما يكون هذا أحد الأسباب التي جعلت أحشويروش يوافق على عرض هامان بابادة شعب اليهود المقيم في مدن فارس ومادي ونهب ثرواتهم، في مقابل عشرة آلاف وزنة من الفضة. والذى قدمه للملك في السنة الثانية عشرة من حكمه عام ٤٧٥ في وقت لاحق هزيمة الفرس أمام اليونان (إس ٣: ٧-١١)، ولا نعلم إن كان الدافع وراء عرض هامان هو القضاء على النفوذ المتزايد لليهود أم الطمع في ثرواتهم التي كونوها من العمل والتجارة في أرض السبي!
أعطت إستير الشابة مثالاً طيباً بلجوئها إلى الصوم والصلاة لينجي الرب شعبه من المؤامرة التي دبرها هامان. ومن الواضح أن يد الرب القدير قد تدخلت لتذكير أحشويرش بفضل مردخاي السابق في إنقاذ حياة الملك فعدل عن رأيه وكان الموت من نصيب هامان ومن معه (إس ٦: ١-٣). ورغم رحمة الرب باليهود وإنقاذه لهم، إلا أنهم لم يشفقوا أو يعفوا عن أعدائهم فأهلكوا منهم خلال يومين أكثر من خمس وسبعين ألفاً، واستراحوا في اليوم الثالث! (إس ٩: ١-١٩). وابتهاجاً بالنجاة بدأ الإحتفال بعيد الفوريم (القُرعة)، لأن هامان حسب العادات القديمة قد ألقى قرعة لتحديد أي الأيام أنسب لإهلاك اليهود. واستمر هذا الإحتفال السنوي يومي ١٤ و ١٥ من آذار من وقتها وحتى يومنا هذا (إس ٩: ٢٠-٣٦).
في أيام أحشويروش تقدم سكان السامرة بشكوى أخرى لإيقاف بناء أورشليم وإن كنا لا نعلم ما مصيرها (عز ٤: ٦). ومن الواضح في قصة أستير أن أغلب شعب إسرائيل بقي في أرض السبي حتي بعض أبناء يهوذا وبنيامين فقد كانت إستير نفسها من سبط بنيامين. وتأكد هذا عندما بدأ عزرا في تنظيم خدمة الكهنوت فوجد أن الذين عادوا من السبي هم أربع فرق فقط من فرق الكهنة من أصل أربعة وعشرين فرقة! وهناك وثائق تاريخية تؤكد أن بعض اليهود قد جمعوا ثروات كبيرة في بابل، وهكذا تنقلب الآية، فكما رفض اليهود كلام الرب بالخضوع لنير السبي، ها هم يرفضون دعوة الرب لهم بالعودة !

العودة الثانية من السبي – عزرا

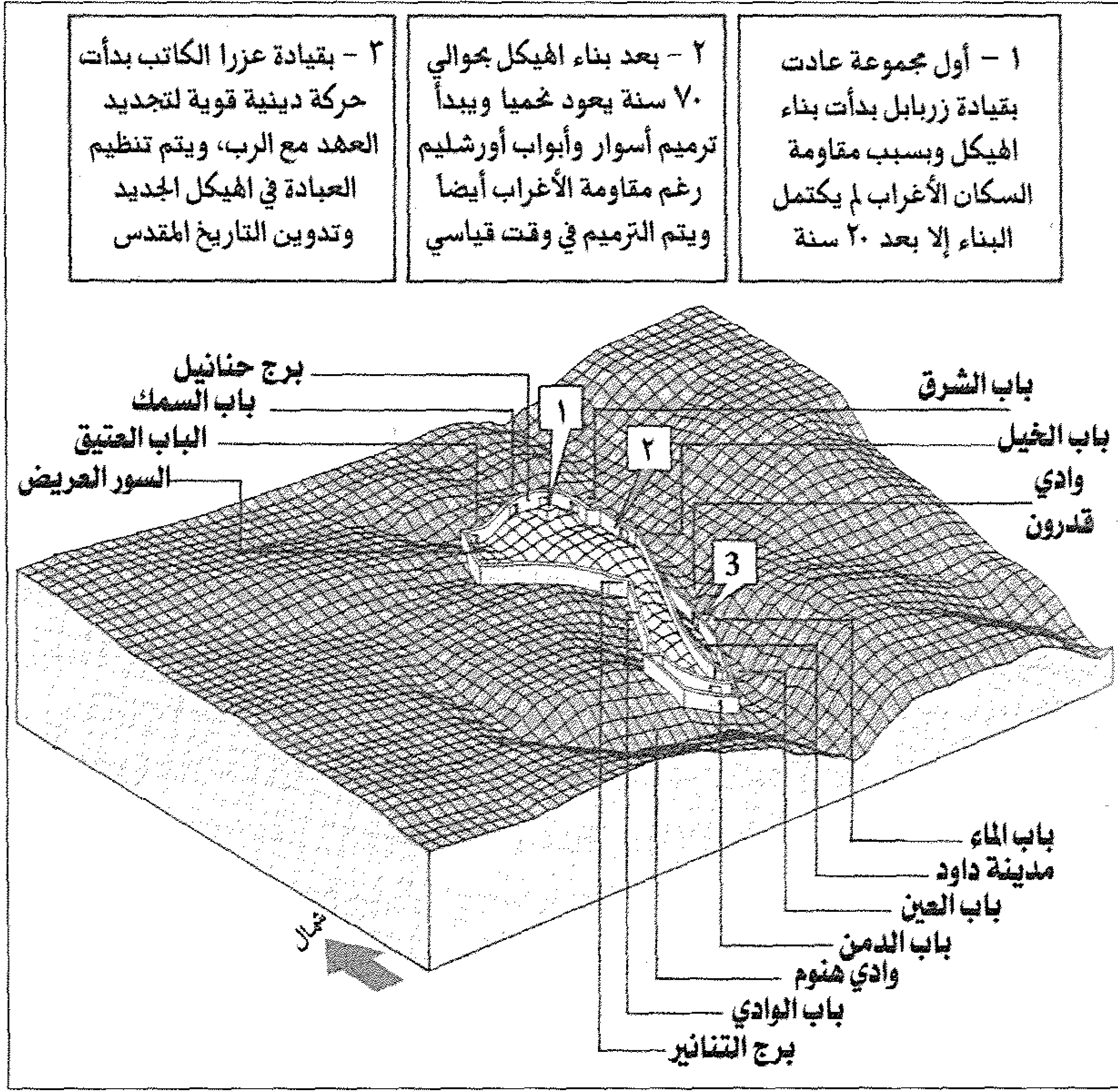
بوفاة أحشويروش عام ٤٦٥ تولى الملك إبنه أرتحشتا الملقب لونجمانوس أي طويل الباع. وفي أيامه تقدم رؤساء سكان السامرة الأغراب بشكوى يحذرون الملك من أن اليهود يرممون مدينتهم ويبنون أسوارها، وأنه متى اكتملت هذه الأسوار سيتمرد اليهود على الملك. صيغت الشكوى بخبث حيث أنها استندت إلى تاريخ بني إسرائيل الطويل في التمرد والعصيان ضد مصر وأشور وبابل من قبل (عز ٤: ٧-١٦). ولما تحقق

الملك من صحة ما نسب إلى اليهود من تمرد متكرر، أمر بايقاف كل عمليات البناء والتعمير في أورشليم.
كان هذا في بداية حكم أرتحشثتا، لكن الله نبه قلب أرتحشثتا الملك في السنة السابعة لحكمه عام ٤٥٨، ولا ندري ما الذي دفع بالملك إلى تغيير موقفه وجعله متعاطفاً للغاية مع اليهود، حتى أنه لم يكتف بالسماح لعزرا ومن يريد من الشعب بالعودة إلى فلسطين وممارسة الشعائر الدينية، بل أمر بصرف احتياجات الهيكل اليومية من الفضة والحنطة والخمر والزيت والملح، وأعفى الكهنة وخدام بيت الرب من الضرائب وزاد على ذلك باطلاق يد عزرا في جمع التبرعات والتصرف في كل الشئون الدينية (عز ٧: ١-٢٦).
وبالفعل صعد عزرا ومعه عدة آلاف من الشعب (١٧٥٤ من الذكور البالغين عدا النساء والأطفال)، ومعه مال كثير وآنية كثيرة من الذهب والفضة والنحاس هدية من الملك إلى بيت الرب، وطلب ممن معه أن يقدموا صوماً وصلوات للرب ليحميهم من قطاع الطرق والأعداء (عز ٨: ٢١-٢٣). وبمجرد وصولهم سالمين إلى أورشليم سلم عزرا الأموال والآنية إلى الكهنة واللاويين في الهيكل.
إن قراءتنا لسيرة عزرا تظهر اتجاهاً أصبح له وجود خطير في المجتمع اليهودي بعد السبي، وهو يقين عزرا الشديد وإيمانه الثابت أن السبيل الوحيد لراحة الشعب وحريته هو التدقيق في حفظ الناموس. وهو أمر سليم لو اتخذ اتجاهاً روحياً، بمعنى توبة الإنسان عن الشر ومحبة الرب من كل القلب ومحبة القريب كالنفس. لكن هذا المنهج انتشر بين اليهود الغيورين في صورة تمسك حرفي بالناموس والتقاليد فتحول إلى تدين شكلي عقيم حتى جاء رب المجد ليصف هؤلاء بأنهم قبور مبيضة (مت ٢٣: ٢٧ + لو ١١: ٤٤).
بدأ عزرا خدمته بين الشعب دون تردد، ولكن يبدو أن تكاثر الأغراب وتعدد الزيجات المختلطة بين اليهود وقبائل أخرى فضلاً عن إرتخاء همم الشعب، قد جعل الأمة اليهودية ضعيفة ممزقة، وكان لابد لعزرا أن ينتظر ثلاثة عشر عاماً حتى يرسل الرب خادماً غيوراً يقود الشعب على طريق البر.

نحميا - درجات إلى أعلى



في السنة العشرين لأرتحشثتا الملك عام ٤٤٥، كانت يد الرب مع نحميا ساقي الملك. كان نحميا حزيناً يصلي شهوراً طويلة منذ أن بلغته أحوال شعبه، ولما تقدم إلى الملك أعطاه الإذن بالعودة وترميم أسوار المدينة، وأمده بقادة وفرسان، وصرح له بأخذ ما يحتاجه للبناء من مخازن الملك (نح ٢: ١- ١٠). واستطاع نحميا أن يذكي روح الحماس بين الشعب، فتمكنوا من ترميم أسوار المدينة وإقامة أبوابها في ٥٢ يوماً فقط (نح ٦: ١٥) رغم تهديدات الأعداء، الذين أوقفهم بحزم: «وأما أنتم فليس لكم نصيب ولا حقّ ولا ذكر في أورشليم - نح ٢: ٢٠». وقد عين نحميا والياً علي يهوذا من قبل الملك أرتحشتا لمدة إثنتي عشر عاماً (نح ٥: ١٤) قدم طوالها نموذجاً للخادم الغيور الأمين العفيف المدقق.



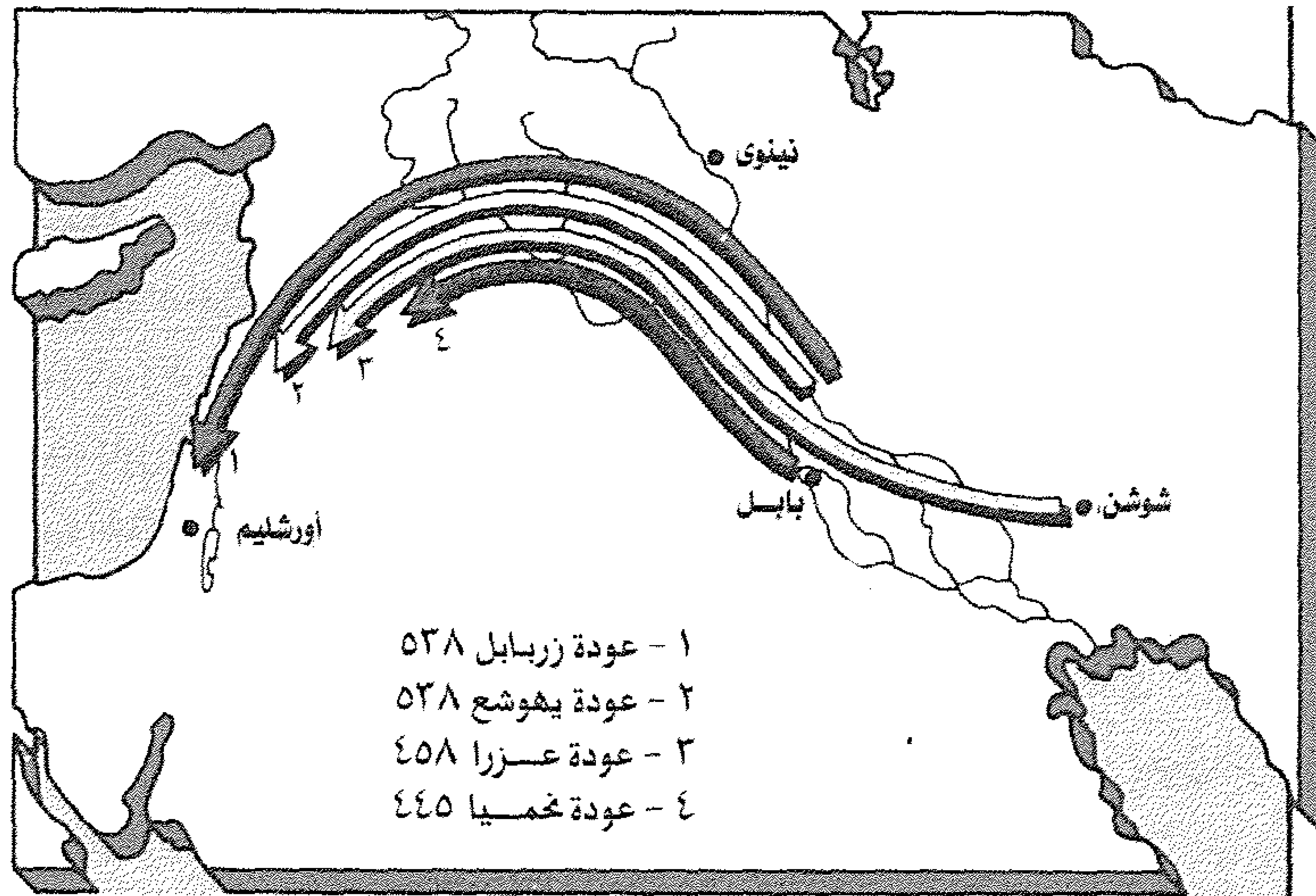
أقيم احتفال كبير لتدشين الأسوار تصدره نحميا ومعه عزرا. فقد اجتمع الشعب للإحتفال بعيد المظال، وحسب الطقس كان ينبغي أن يقرأ سفر الشريعة على مسامع الشعب (تث ٣١: ١-١٠). فوقف عزرا وبارك الشعب وقرأ من الشريعة فبكى الجميع، فيطلب منهم ألا ينوحوا لأن اليوم فرح للرب. ثم أكمل الشعب الإحتفال بعيد المظال كما لم يحدث منذ أيام يشوع قبل أكثر من ألف عام (نح ٧: ٧٣ - ٨: ١٨).

كان بكاء الشعب عند سماعه كلمات الرب إيذاناً بتحول قلوبهم نحو توبة حقيقية، فجاء رؤساء الشعب إلى عزرا موضحين له أن كثيرين من الشعب والكهنة واللاويين قد تورطوا في زيجات مع الوثنيات «واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي - عز ٩: ٢» ، فاغتم عزرا وصلي باكياً أمام الرب ثم جمع الشعب وقطع معهم عهداً بافراز النساء الغريبات وأولادهن، وكان اهتمام عزرا الزائد بهذا الأمر راجع إلى أن التزاوج مع الشعوب الوثنية كان المنبع الأساسي لإنتشار رجاسات الأوثان في شعب الله (عز ٩: ١ - ١٠: ٢٤).

ويبدو أن الإجراءات التي اتخذها عزرا كانت بعد أن إكتمل بناء الأسوار وتعيين نحميا والياً على يهوذا، فاننا نقرأ صلاة طويلة واعترافاً للشعب في سفر نحميا (نح ٩: ١-٣٨)، ونرى كيف قطعوا عهداً وميثاقاً مكتوباً على أنفسهم ختم عليه نحميا نفسه وعزرا وباقي الكهنة واللاويين ورؤساء الشعب، ونقرأ تفاصيل هذا العهد الذي دخل فيه الجميع بأن يسيروا في شريعة الرب (نح ١٠: ١-٣٩).

اهتم نحميا أيضاً بالإصلاح الأخلاقي، فقد تركت سنين العبودية الطويلة أثراً سيئاً في نفوس الناس «لأن العبودية كانت ثقيلة على هذا الشعب - نح ٥: ١٨». فنراه يحارب الربا واستغلال النفوذ بكل قوته، حتى أنه يرفض أن يأخذ مخصصاته من المال العام بحكم منصبه، ويرفض أن يشتري حقلاً أو أن يقتني أية ممتلكات، ليضرب المثل لهذا الشعب الذي أرهقته العبودية من الولاة القساة المرتشين (نح ٥: ١٤-١٨)، جاعلاً كل طاقته للعمل، مجتهداً أن يختار رجالاً أمناء ليوكلهم على خدمة الناس وخدمة الهيكل.

ذهب نحميا إلى شوشن لفترة قصيرة عام ٤٣٣ ثم استأذن الملك ليعود إلى عمله في أورشليم. فعاد ليجد أموراً سيئة قد حدثت في غيابه، فاهتم بتطهير الهيكل والكهنوت وحفظ السبت وأعاد التأكيد على الإحتراس من الإختلاط مع الوثنيين (نح ١٣ : ١-٣١). وسيظل نحميا دائماً مثالاً للخادم المخلص الغيور الأمين.



الله سيد التاريخ - عقاب الأمم

صحيح أن هذا البحث يركز على شعب إسرائيل كنيسة العهد القديم، إلا أنه كما تعيش الكنيسة وسط العالم، هكذا أيضاً تداخلت حياة الشعب المختار قديماً مع الأمم والشعوب المحيطة به. لقد استخدم الرب الأمم كأداة للعقاب الذي أنزله بشعبه العاصي، وهو أمرٌ واضح منذ عصر القضاة، وازداد وضوحاً من كلمات الأنبياء:

«فيرفع راية الأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصى الأرض فاذا هم بالعجلة يأتون - أش ٥: ٢٦»

«يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر - تث ٢٨: ٤٩»

«هوذا السيد يصعد عليهم مياة النهر القوية والكثيرة ملك أشور وكل مجده، فيصعد فوق جميع مجاريه ويجري فوق كل شطوطه، ويتدفق إلى يهوذا يفيض ويعبر - أش ٨: ٧-٨»

«هانذا أجلب عليكم أمة من بعد يا بيت إسرائيل ... يهلكون بالسيف مدنك الحصينة - أر ٥: ١٥و١٧»

ولكن ملوك أشور الذين استخدمهم الرب أداة لغضبه واعطاهم النصر سرعان ما سقطوا بسبب كبريائهم:

«ويل لأشور قضيب غضبي والعصا في يدهم هي سخطي على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سخطي أوصيه... أما هو فلا يفتكر هذا ولا يحسب قلبه هذا، بل في قلبه أن يبيد يقرض أمماً ليست بقليلة، فإنه يقول أليست رؤسائي جميعاً ملوكاً.. أفليس كما صنعت بالسامرة وأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها. فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم ، أني أعاقب ثمر عظمة ملك أشور...، لأنه قال بقدرة يدي صنعت وبحكمتي.. هل تفتخر الفأس على القاطع بها، أو يتكبر المنشار على مردده، كأن القضيب يحرك رافعه.. لذلك يرسل السيد سيد الجنود على سمانه هزالاً ويوقد تحت مجده وقيداً كوقيد النار - أش ١٠: ٥-١٦»

وهكذا سقطت أشور وصعدت بابل إلى قمة السلطان: «نعست رعاتك ياملك أشور اضطجعت عظماؤك تشتت شعبك على الجبال.. ليس جبرٌ لإنكسارك. جرحك عديم الشفاء. كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك لأنه على من لم يمر شرُّك- نا ٣: ١٨و١٩»

«ويمد (الرب) يده على الشمال ويبيد أشور ويجعل نينوى خراباً يابسة كالقفر... هذه هي المدينة المبتهجة الساكنة مطمئنة القائلة في قلبها أنا وليس غيري - صف ١٣و١٥»

«فهانذا مقيم الكلدانيين الأمة المارة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها.. وهي تسخر من الملوك، والرؤساء ضحكة لها.. ثم تتعدى روحها فتعبر وتأثم - حب ١: ٦و١٠و١١»

وتعظمت مملكة بابل جداً واستخدمها الرب لتأديب مملكة يهوذا:

«هكذا قال رب الجنود. من أجل أنكم لم تسمعوا كلامي. هانذا أرسل وآخذ كل عشائر الشمال يقول الرب وإلى نبوخذ راصر عبدي ملك بابل، وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها - أر: ٨-٩»

ويعيد التاريخ نفسه إذ تكبرت بابل فسقطت سريعاً وتعظمت مملكة فارس ومادي:

«ويكون عند تمام السبعين سنة (مدة السبي) أني أعاقب ملك بابل وتلك الأمة يقول الرب على إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها خرب أبدية - أر ٢٥: ١٢»

«هانذا أهيج عليهم الماديين.. وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعموره - أش ١٣: ١٧و١٩». «اصعدي يا عيلام حاصري يا مادي... سقطت سقطت بابل - أش ٢١: ٢و٩»

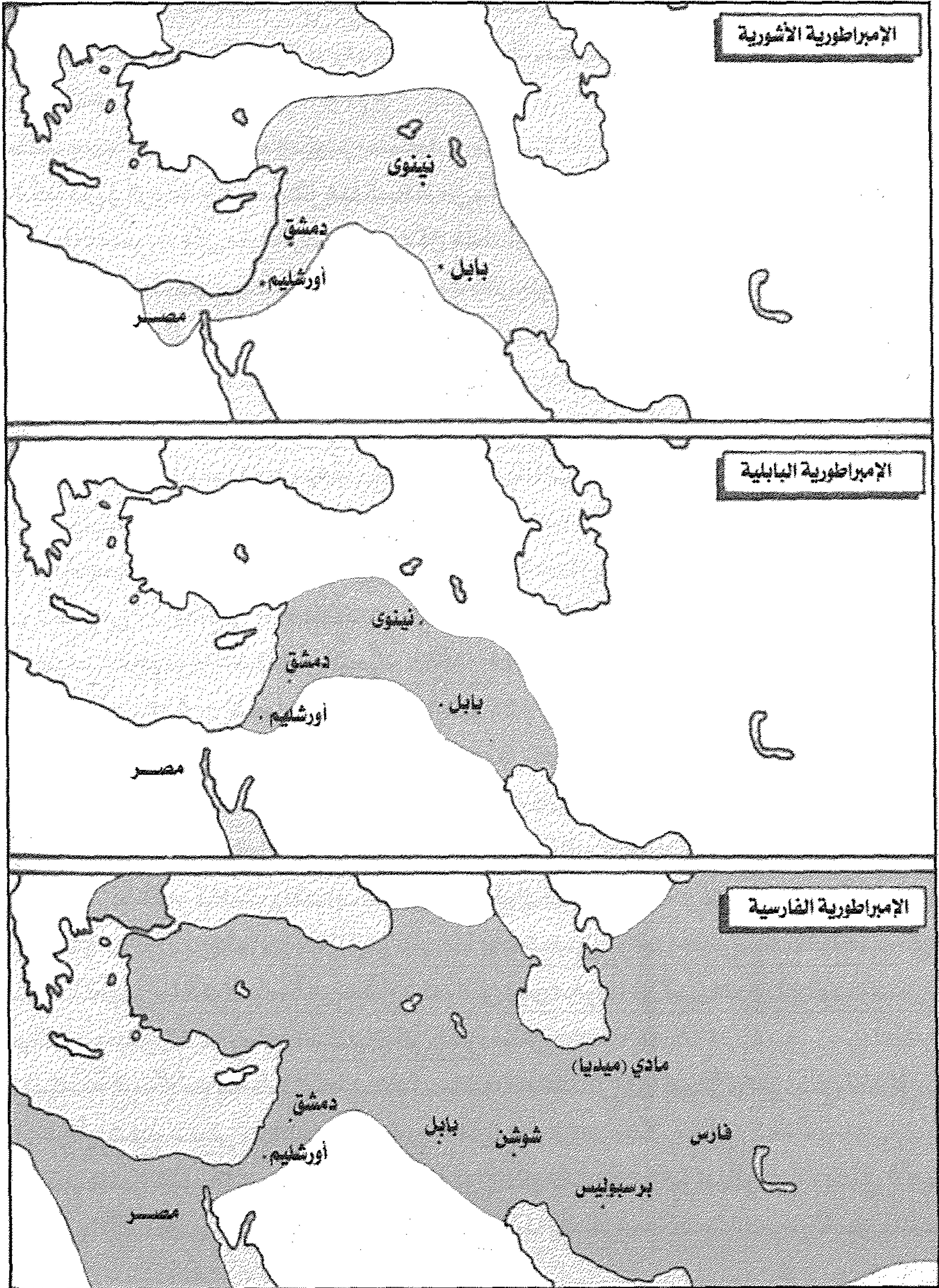
«انزلي واجلسي على التراب أيتها العذراء إبنة بابل. إجلسي على الأرض بلا كرسي... لأنك لا تعودين تدعين ناعمة مرفهة... غضبت على شعبي... ودفعتهم إلى يدك. لم تصنعي معهم رحمة... وأنت اطمأننت في شرك... حكمتك ومعرفتك هما أفتناك فقلت في قلبك أنا وليس غيري - أش ٤٧: ١-١٠»

«لأني هانذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوب عظيمة من أرض الشمال فيصطفون عليها... وتكون أرض الكلدانيين غنيمة... لأنكم قد فرحتم وشمتّم يا ناهبي ميراثي... كيف صارت بابل خربة... قد نصبت لك شركاً فعلقت يا بابل وأنت لم تعرفي... لأنك قد خاصمت الرب. فتح الرب خزانته وأخرج آلات رجزه لأن للسيد رب الجنود عملاً في أرض الكلدانيين - أر ٥٠: ٩-١١ و ٢٣-٢٥»

إن الوحي يرسم صورة عجيبة لوضع الأمم كأدوات في يد الرب: «صوت جمهور على الجبال... صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة. رب الجنود يعرض جيش الحرب. يأتون من أرض بعيدة - أش ١٣: ٤و٥».

وأخيراً يوجز لنا أشعياء حلقات التاريخ المتلاحقة: «ويل لك أيها المخرب وأنت لم تُخرَّب وأيها الناهب ولم ينهبوك. حين تنتهي من التخريب تُخرَّب وحين تنتهي من النهب ينهبونك - أش ٣٣: ١»
وقد ضرب الرب أيضاً الشعوب المجاورة لإسرائيل:
١- بسبب خطاياهم: «هوذا عينا الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض - عا ٩: ٨»
٢- وبسبب شماتتهم وتعديهم على أورشليم: «قد اجتمعت عليك أمم كثيرة الذين يقولون لتتدنس ولتتفرس عيوننا في صهيون. وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده أنه جمعهم كحزم في البيدر (كما تجمع حزم القش لتحرق)- مي ٤: ١١و١٢»
«وبغضب وغيظ انتقم من الأمم الذين لم يسمعوا - مي ٥: ١٥»
«لأنه هكذا قال لي الرب... خذ كأس خمر هذا السخط من يدي وأسق جميع الشعوب... أورشليم ومدن يهوذا... وفرعون ملك مصر... وكل ملوك أرض عوص وكل ملوك أرض فلسطين... وأدوم وموآب وبني عمون. وكل ملوك صور وكل ملوك صيدون... وكل ملوك العرب... وكل ملوك زمري وكل ملوك عيلام وكل ملوك مادي... لأني هانذا أبتدئ أسيئ إلى المدينة التى دعى اسمي عليها فهل تتبرأون أنتم - أر ٢٥ : ١٥-٢٩»
«هكذا قال الرب على جميع جيراني الأشرار الذين يلمسون الميراث الذي أورثته لشعبي إسرائيل. هانذا اقتلعهم من أرضهم ... إسرائيل قدسٌ للرب ... كل آكليه يأثمون. شرٌ يأتي عليهم - أر١٢: ١٤و ٢: ٣»
ولم يترك الأنبياء شعباً واحداً من مبغضي إسرائيل دون إعلان مشيئة الرب بعقابه:
أدوم : عاموس ١: ١١-١٢ + عوبديا ١٦ + أشعياء ٣٤: ٥-١٧ + أرميا ٤٩: ٧-٢٢
موآب : عاموس ٢: ١-٣ + صفنيا ٢: ٨-١١ + اشعياء ١٥: ١-٩ و ١٦: ١-١٤ + أرميا ٤٨: ١-٤٧
عمون : عاموس ١: ١٣-١٥ + + صفنيا ٢: ٨-١١ + أرميا ٤٩: ١-٦
صور وصيدا : عاموس ١: ٩-١٠ + أشعياء ٢٣: ١-١٨ + حزقيال ٢٨: ١-٢٥
أرام : عاموس ١: ٣-٥ + أشعياء ١٧: ١-٣ + أرميا ٤٩: ٢٣-٢٧
الفلستيون : عاموس ١: ٦-٨ + أرميا ٤٧: ١-٧
سقطت بابل وأعطي الرب مجداً عظيماً لكورش الفارسي وكان هذا أيضاً من أجل خلاص الشعب، حقاً ما أعجب تدابيرك يا رب كلها بحكمة صنعت: «هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمماً... أنا أسير قدامك والهضاب أمهد... وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل. لأجل عبدي يعقوب وإسرائيل مختاري دعوتك باسمك. لقيتك وأنت لست تعرفني... لكي يعلموا من مشارق الشمس ومن مغربها أن ليس غيري أنا الرب وليس آخر. مصدر النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر - أش ٤٥: ١-٨»
وكما استخدم الرب الأمم للعقاب استخدمهم أيضاً للبناء: «القائل عن كورش راعيَّ. فكل مسرتي يتمم ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس - أش ٤٤: ٢٨»
«هكذا قال السيد الرب ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يُحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون

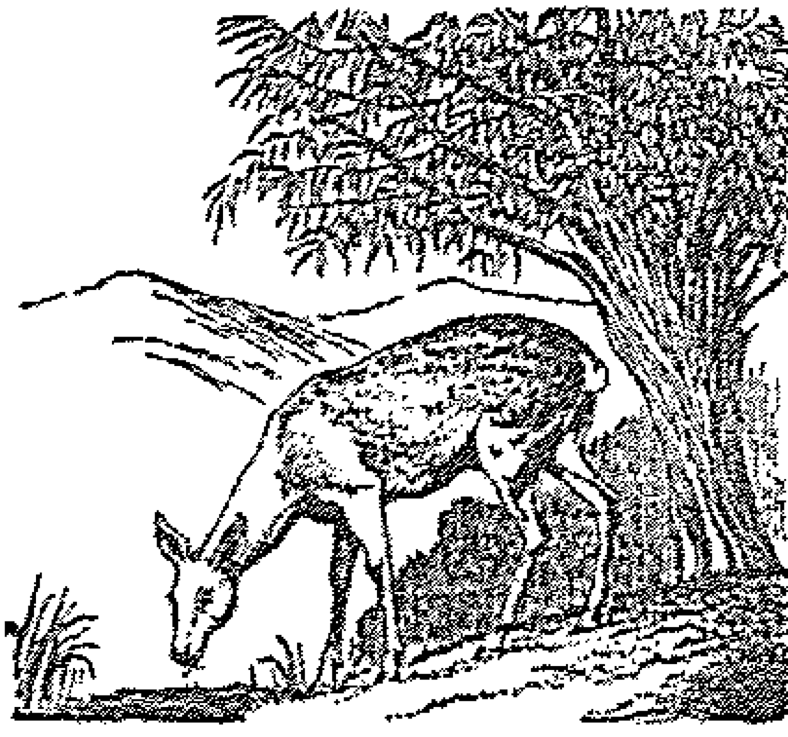
لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه – أش٤٩: ٢٢و٢٣». «وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني أرحمك – أش٦٠: ١٠»
ولا شك أن دارسي التاريخ يقدمون أسباباً موضوعية علمية هذه الحقبات المتتابعة، لكن الله يستخدم أحداث التاريخ وقوانين الكون الذي خلقه لتتميم تدبير الخلاص العتيد أن يكتمل للبشرية.



بين الحرية والسبي

سبي الحرية!

لقد تمرد الشعب على الرب ظاناً أنه بكسر الوصية يحقق حريته الكاملة، فقد تبدو وصايا الرب قيوداً، فكلها أوامر وأكثرها نواهي: «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً.. لا تسجد لهن ولا تعبدهن.. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً.. لا تصنع عملاً ما (في السبت).. أكرم أباك وأمك.. لا تقتل.. لا تسرق.. لا تزنِ.. لا تشهد.. شهادة زور.. لا تشته بيت قريبك – خر ٢٠ : ٣-١٧». إن النظرة الضيقة تظهر الرب كأله مستبد، يفرض على الإنسان ما يريد مهدداً إياه بالعقاب لو تجاسر على التمرد «لأني أنا الرب إلهك إله غيور، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ – خر ٢٠: ٥»



خيل لأيوب في هاوية آلامه، أن الرب رقيب قاسٍ متحامل على الإنسان الذي لا حول له ولا قوة! «أبحرٌ أنا أم تنينٍ حتى جعلت عليَّ حارساً. أن قلت فراشي تعزيني.. تريعني بالأحلام.. كف عني لأن أيامي نفخة. ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك.. وكل لحظة تمتحنه. حتى متى لا تلتفت عني، ولا ترخيني ريثما أبلع ريقي. أأخطأت ؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس؟ لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك؟ – أي ٧: ١٢-٢٠»

الإنسان في رفضه لله يراه جباراً منتقماً عاتياً يتحدى بقوته التى لا تبارى، أو ظالماً يتسلى بأنين المسحوقين!

«كيف يتبرر الإنسان عند الله. أن شاء أن يحاجه لا يجيبه.. هو حكيم القلب شديد القوة. من تصلَّب عليه فسلم.. إذا خطف فمن يرده ومن يقول له ماذا تفعل.. ذاك الذي يسحقني بالعاصفة ويكثر جروحي بلا سبب. لا يدعني آخذ نَفَسي... أن كان من جهة قوة القوي يقول هانذا. وأن كان من جهة القضاء يقول من يحاكمني. إن تبررت يحكم عليَّ فمي. وإن كنت كاملاً يستذنبني.. أنا مستذنب فلماذا أتعب عبثاً – أي ٩: ١-٢٩»

هكذا كانت حالة أيوب وهو وسط نيران التجربة، ولكن ما العذر لإنسان يرى في رفضه لوصايا الله تحقيقاً لحريته بعيداً عن قيود الناموس. وكما ظن آدم أنه بتمرده على الرب سيحقق ذاته ويصيرمثل الله، تتكرر القصة. لكن الحرية بعيداً عن الله هى حرية الخطية والموت، وهي الباب الواسع الذي يؤدي إلى الهلاك.

هذا يشبه الوحي شعب إسرائيل بالحيوان الوحشي الذي تعود على البرية لا تحركه سوى غرائزه:

«لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد .. اعرفي ما عملت يا ناقة خفيفة ضَبعة (ملتوية) في طرقها. يا أتان الفرا (حمار الوحش) قد تعودت على البرية في شهوة نفسها تستنشق الريح.. (قائلة) لأني أحببت الغرباء ووراءهم أذهب – أر ٢: ٢٠-٢٥»

«أما بنت شعبي فجافية كالنعام في البرية – مرا ٤: ٣»

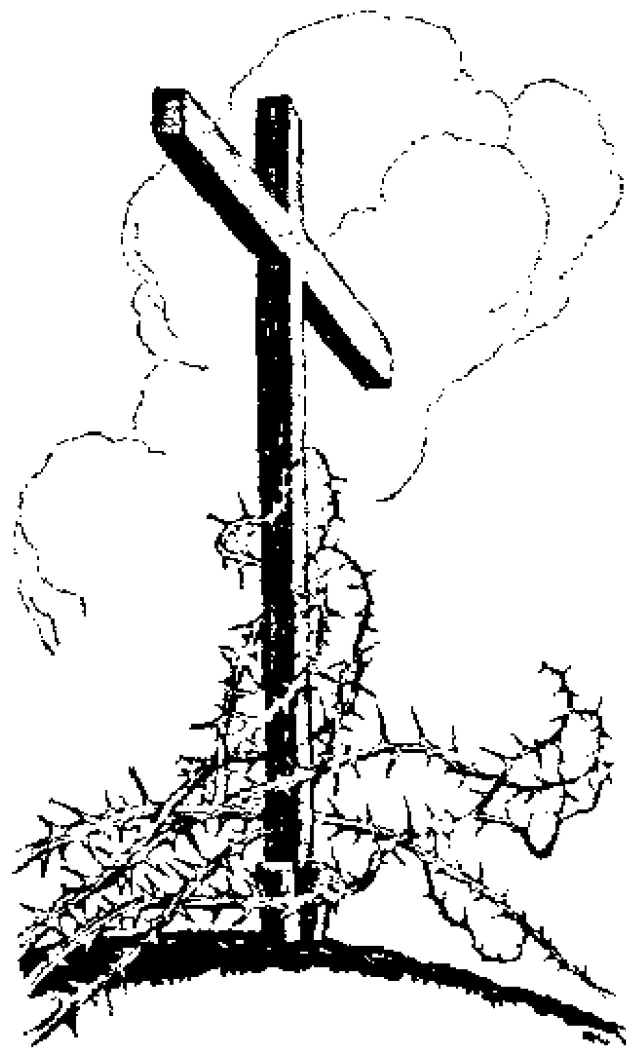
«قد جمح إسرائيل كبقرة جامحة... صار أفرايم كحمامة رعناء بلا قلب – هو ٤: ١٦ + ٧: ١١»

«لم يزل يهوذا شارداً عن الله وعن القدوس الأمين – هو ١١: ١٢»

ولكن هذه الحرية الزائفة قادت الشعب إلى الهلاك السريع:
«هلاكك يا إسرائيل أنك عليَّ على عونك (أي ضد الرب الذي ليس له معين سواه) – هو ١٣: ١٩»
«صارت رؤساء يهوذا كناقلي التخوم. فأسكب عليهم سخطي كالماء – هو ٥: ١٠» [التخوم هي حدود الأرض أو علامات الملكية، والمقصود أنهم قد تخطوا كل الحدود أو كسروا كل العهود]
لقد اشتهى الإنسان دائماً حرية الخطأ فصار عبداً للخطية. لقد رفض إسرائيل أن يستعبد للرب السيد المحب الرؤوف المتحنن الكثير الرحمة الطويل الأناة المترفق الحافظ العهد الصانع الإحسان، فكسر نير عبوديته للرب، كسر الوصية، فإذا به يسقط تحت نير أمم جافية وملوك لا يرحمون. لقد رفض الإنسان النير الهين والخفيف فسقط في عبودية سادة جبابرة: الخطية والشيطان والموت. «لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحراراً من البر فأي ثمر كان لكم حينئذ.. لأن نهاية تلك الأمور هي الموت – رو ٦: ٢٠-٢١».
«فانكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد – غل ٥: ١٣»

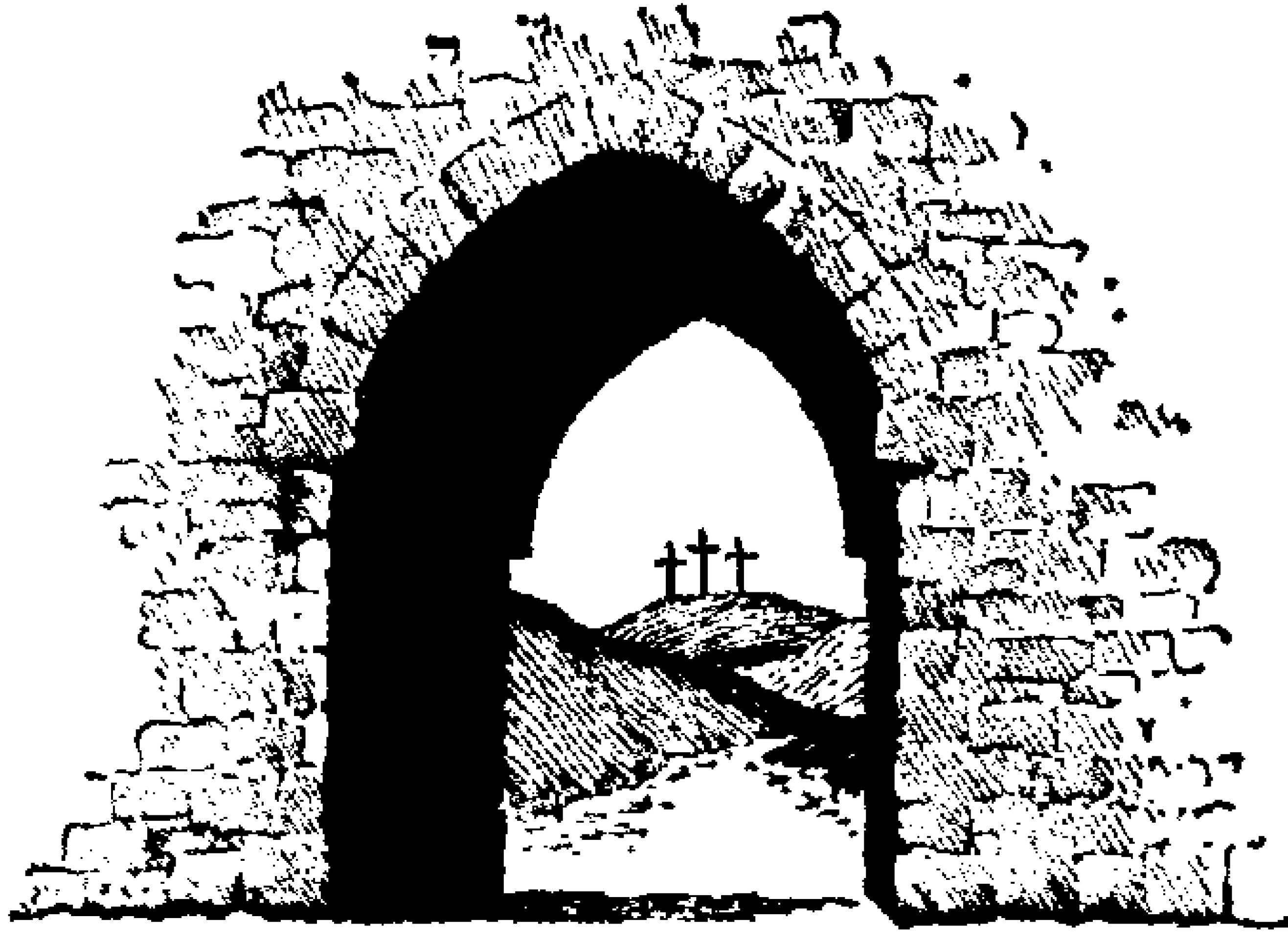
حـرية السـبي !

في مقابل هذا صار موسى سيداً لفرعون بمجرد خضوع النبي لأوامر الرب (خر ٧: ١)، وعندما قبل الشعب وهو بعد في أرض مصر الرب إلهاً له، أنقذه الرب من العبودية. وقد رأينا على مدى تاريخ بني إسرائيل، في الفترات التي خضعوا فيها للرب وعملوا وصاياه، أنهم كانوا أحراراً مرهوبي الجانب.
وهكذا نعود إلى بداية بحثنا هذا حين قلنا أن العلاقة بين الله والإنسان مبدؤها الحرية وسبيلها الحرية ومنتهاها الحرية، نحن نقبل عبودية البر لنتحرر من الخطية، نحن نقبل سبي الحب لننجو من الموت، نحن نقبل قيود الوصية لنكسر نير إبليس: «ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة. أنتم عبيد للذي تطيعونه، أما الخطية للموت أو الطاعة للبر فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها . وإذ اعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر – رو ٦: ١٦-١٨»



لقد تمرد آدم فسقط إلى الهاوية، بينما انحصر نوح في صندوق يعج بالحيوانات فصار أباً للبشر. أفهل كان يختار حرية العدم خارج الفلك، خارج الكنيسة؟
لقد غبي إسرائيل عن صخرة خلاصه فرفس نعمة الحرية وحرية النعمة، وبعد أن كان وارثاً صار عبداً وهزأة لشعوب لا تعرف الرب: «أعبد إسرائيل أو مولود البيت هو . لماذا صار غنيمة ؟ – أر ٢: ١٤»
«ما دام الوارث قاصراً لا يفرق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب البيت – غل ٤: ١»
إن الإنجيل يضع أمامنا قصة الإبن الضال وأخيه الأكبر الذي بقي مقيماً في البيت خاضعاً لأبيه عاملاً بالناموس، ولكنه في قرارة نفسه عاش عبداً ولم يتمتع ببركات الأب الحنون فنال نصيب العبيد، بينما الذي سجد أمام أبيه طالباً أجر العبيد، ذلك الشاطر، هو الذي ورث كل شئ (لو ١٥: ٢٨-٣١). هذا مارس أرميا النبي حريته كاملة وهو في داخل السجن، والمدينة محاصرة، فيشتري أرضاً من ابن عمه في ثقة، لأن الذي أمره بهذا هو الذي يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح (أر ٣٢: ٦-٢٥ + أش ٢٢: ٢٢ + رؤيا ٣: ٧).

قبول الصليب



خلاصة ما قيل أن هناك صليباً ينبغي للإنسان أن يحمله فرحاً فهذا هو سبيل النجاة. لقد كشف الرب لأرميا هذه الحقيقة فأرسل من أورشليم إلى المسبيين فى بابل بعد سبي يهوياكين: «هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل. إبنوا بيوتاً وأسكنوا وأغرسوا جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساء ولدوا بنين وبنات... وأكثروا هناك ولا تقلوا. وأطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام - أر ٢٩: ٤-٧» (النص واضح، الرب هو الذي سبى، وليس ملك بابل).

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يطالب فيها أرميا الشعب بالخضوع لنير بابل. فبينما المدينة محاصرة أرسل صدقيا الملك إلى أرميا يطلب منه الصلاة لأجل الشعب ليُرفع عنهم الحصار، فأجابه قائلاً: «هكذا قال الرب هانذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت. الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء، والذي يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم، يحيا - أر ٢١: ٨و ٩» (أنظر أيضاً أر ٢٧: ٨و ١١).

قد تبدو هذه الكلمات إنهزامية، ولكن كلمات الرب يجب أن نتعمق فيها «لأن على كل مجد غطاء - أش ٤: ٥»
«لكنني أراقب الرب. أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوتي إن سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. احتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه. حتى يقيم دعواي ويجري حقي. سيخرجني إلى النور. سأنظر بره وترى عدوتي فيغطيها الخزي. القائلة لي أين هو الرب إلهك - مي ٧: ٧-١٠»

لقد جرد الرب حبيبته من كل ما يشغلها عنه لتصل إلى عمق الشركة مع الرب. لابد للنفس أن تقبل الصليب بفرح، صليب الفقر والمذلة والعبودية، وإلا فكيف يتحقق الهدف من التأديب وهو تغيير فهم العلاقة بين الشعب والله، من فهم مادي (مملكة - جيوش - انتصارات - هيكل - غني - سلطان - ختان للجسد) إلى فهم روحي (بر - رحمة - عبادة قلبية - اتضاع - تقوى شخصية - هيكل للروح - ختان للقلب).

ألم يكن ممكناً أن يتم هذا دون المرور في هذه التجارب المريرة ؟ ألم يكن ممكناً أن نخلص دون موت ؟ لا لم يكن ممكناً... لأن عدو الإنسان الأساسي «الذات» لا يمكن أن تنكسر إلا من خلال الآلام والتجرد، ولم يكن ممكناً الخلاص من عبودية فرعون دون دماء الفصح، ولا من أسر ملك بابل دون أن نفقد كل شئ، ولا من طغيان إبليس دون أن يموت المسيح ونموت معه مجتازين المعمودية إلى الحياة الجديدة.

رفض الصليب

إن رفض التأديب أو الهروب من الصليب يقود إلى الهلاك ولو رفض رب المجد أن يشرب كأس خطايا البشر جميعاً، لبقي حكم الموت على البشرية حتى الآن (الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها - يو ١٨: ١١).

أظهر الرب ذلك للنبي أرميا بمثال واضح، إذ أراه سلتين بهما نوعان من التين: «فقال لي الرب. ماذا أنت راءٍ يا أرميا فقلت تيناً. التين الجيد جيد جداً والتين الرديء رديء جداً لا يؤكل.. كهذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين للخير.. وكالتين الرديء.. هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض واسلمهم للقلق والشر - أر ٢٤: ٣-٩»

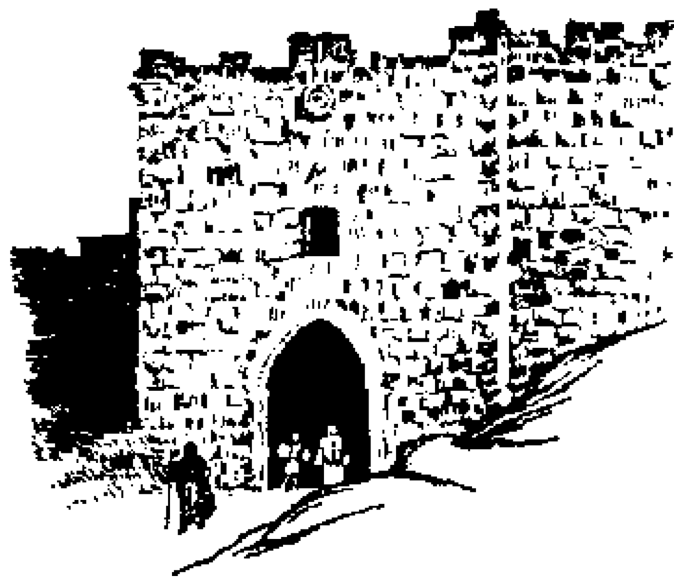
كانت إرادة الرب أن يخضع الشعب للنير، ومن رفض الصليب تخلى الرب عنه: «ويكون أن الأمة.. التي لا تخدم نبوخذ نصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أني أعاقب هذه الأمة. والأمة التي تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقر في أرضها يقول الرب - أر ٢٧: ٨و١١»

«ضربتهم فلم يتوجعوا. أفنيتهم وأبوا قبول التأديب. صلّبوا وجوههم أكثر من الصخر. أبوا الرجوع.. كسروا النير جميعاً وقطعوا الربط، من أجل ذلك يضربهم الأسد في الوعر - أر ٥: ٣-٦»

«ويل للمتمردة المنجّسة المدينة الجائرة (أورشليم). لم تسمع الصوت. لم تقبل التأديب. لم تتكل على الرب. لم تتقرب من إلهها - صف ٣: ١و٢»

رغم كل هذه التحذيرات المتكررة، ظل الشعب رافضاً الخضوع للرب. والحق أنه ليس سهلاً أن يقبل الإنسان الذل والعبودية فهذا يحتاج منه إلى أن يقر تماماً بقصوره وخطاياه وجهله وهو أمر صعب.

فعندما عين البابليون جدليا بن أخيقام، وهو من نسل داود، والياً على يهوذا، اعتبره البعض خائناً لأنه قبل أن يتعاون مع البابليين، وسرعان ما قُتل جدليا غدراً، رغم الرجاء بأن يكون وجود جدليا سنداً للمساكين الذين بقوا في الأرض. وذهب الشعب مرتعداً إلى أرميا النبي يطلبون منه كلمة الرب وفي أي طريق يجب أن يسلكوا: «وكان بعد عشرة أيام أن كلمة الرب صارت إلى أرميا... وقال لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل الذي أرسلتموني إليه لكي ألقي تضرعكم أمامه: إن كنتم تسكنون هذه الأرض فأني أبنيكم ولا أنقضكم، وأغرسكم ولا أقتلعكم... لا تخافوا ملك بابل... لا تخافوه يقول الرب لأني معكم لأخلصكم وأنقذكم من يده... وإن قلتم لا نسكن هذه الأرض ولم تسمعوا لصوت الرب إلهكم قائلين، لا بل إلى أرض مصر نذهب حيث لا نرى حرباً ولانسمع صوت بوق ولا نجوع للخبز وهناك نسكن... يحدث أن السيف الذي أنتم خائفون منه يدرككم هناك في أرض مصر... فتموتون هناك... قد تكلم الرب عليكم يا بقية يهوذا. لا تدخلوا مصر - أر ٤٢: ٧-١٩»



لكن الشعب يرفض الإستماع متهمين أرميا بالكذب، فأصروا على الذهاب إلى مصر مجبرين أرميا وتلميذه باروخ على الذهاب معهم. وهناك في أرض مصر أدركهم سيف بابل حين هاجمها نبوخذ نصر في عام ٥٦٧، لكن أرميا لم يشهد هذا لأنه كان قد استشهد حين ثار عليه الشعب لكثرة إلحاحه أن يسمعوا للرب فرجموه حتى الموت كما يورد التقليد ودفن في مصر عام ٥٧٠.

«إنهم في الباب يبغضون المنذر ويكرهون المتكلم بالصدق - عا ٥: ١٠».
«نصبوا فخاً للمنصف في الباب وصدوا البار بالبُطل - أشعياء ٢٩: ٢١».
[الباب هو ملتقي شيوخ ورؤساء الشعب حيث تؤخذ القرارات الهامة ، وهي دراسة ممتعة أن نتتبع كلمة «الباب» على إمتداد الكتاب المقدس].

البعد النبوي للسبي

المسيح وزربابل ويهوشع

وما لنا نتحدث عن الصليب بينما دراستنا كلها في العهد القديم؟
إن العهد القديم يستمد قيمته الأساسية من كونه تمهيداً بالكلمة والإعلان والأحداث والمثال والرمز لسر الخلاص الذي أعلن في ملء الزمان في ربنا يسوع المسيح. وكما رأينا في آدم ونوح وملكيصادق وإسحق ويوسف وموسى وداود لمحات من المسيا المنتظر، هكذا نجد في زربابل مقترناً بيهوشع جوانب كثيرة للتأمل:
١- ولد زربابل في أرض العبودية، ولكنه انتقل من العبودية إلى الحرية وأخذ معه الشعب، ليس كل الشعب ولكن فقط من أراد العودة.
• جاء المسيح مولودا تحت الناموس (غل ٤:٤) ولكنه بالفداء حرر البشرية منتقلاً بها إلى عهد النعمة، ليس كل البشرية ولكن الذين قبلوه وآمنوا به فقط (يو ١: ١٢).
٢- عاش زربابل مغموراً ولم يذكر اسمه في الكتاب إلا عندما تقدم ليقود الشعب في رحلته من السبي إلى الحرية.
• وعاش المسيح حتى سن الثلاثين حياة عادية حتى ظنه الناس مجرد نجار إبن لمريم ويوسف (مت ١٣ : ٥٥) ولم يبدأ صيته في الذيوع إلا حين بدأ خدمته مبشراً بالتحرر من عبودية الشر (مر ١: ٢٨).
٣- كان زربابل رئيساً لسبط يهوذا من نسل داود الملك (مت ١: ١١).
• المسيح هو الأسد الخارج من سبط يهوذا (تك ٤٩: ٩-١٢) وهو أيضا ابن داود (مت ١:١) وهو ملك الملوك ورب الأرباب (١ تي ٦: ١٥).
٤- كان زربابل مجرد أسير، ولكن بقوة الرب قاد الشعب محققاً أمل الأجيال في العودة إلى أورشليم.
• وكان المسيح يبدو بسيطاً فقيراً لا منظر له فنشتهيه (أش ٥٢: ١٤) ولكنه هو مشتهى الأجيال وشمس البر (حج ٢: ٧ + ملا ٤: ٢).
٥- قاد زربابل الشعب من السبي إلى الحرية
• المسيح افتدى البشر من عبودية الموت وسلطان إبليس إلى حرية مجد أولاد الله (رو ٨: ١٥و٢١).
٦- قضي الشعب ٧٠ سنة في السبي حتى عاد بقيادة زربابل
• يذكر دانيال سبعين أسبوعاً (٤٩٠ سنة) من خروج الأمر ببناء أورشليم إلى تتميم الفداء. صدر الأمر في السنة السابعة للملك أرتحشتا وهو عام ٤٥٨ ق.م. ويذكر دانيال ٦٩ أسبوعاً أي ٤٨٣ سنة، وفي منتصف الأسبوع السبعين يقطع المسيح ويثبت عهداً مع كثيرين ويبطل الذبيحة في إشارة واضحة إلى صلب المسيح، وبحسبة بسيطة: ٤٨٣ + ٣،٥ _ ٤٥٨ = ٢٨،٥. أي ان المسيح صلب عام ٢٩ م بما يتفق مع أغلب المصادر.

٧- أسس زربابل الهيكل بعد أن تخرب وأعاد بنائه إلى التمام (حج ١: ١٤).
• المسيح أسس كنيسة العهد الجديد بعد أن شوه اليهود بتقاليدهم شريعة العهد القديم (مت ١٥: ٣١) وأكمل الناموس وارتفع به إلى المستوى الروحي (مت ٥: ١٧)
٨- عاد زربابل بالشعب إلى أرض الموعد بعد أن طرد منها بأمر الرب.
• والمسيح أعاد البشرية إلى الفردوس ورد آدم الذي طرد منه بأمر الرب.
٩- بعد أن اكتمل بناء الهيكل قال الرب:»في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زربابل عبدي إبن شالتئيل يقول الرب وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود - حج ٢: ٢٣»
• المسيح بعد أن أكمل تدبير الخلاص ارتفع عن الأرض وجلس عن يمين الآب (مر ١٦: ١٩).
١٠- ذكر الوحي عن زربابل أن الرب قد اختاره (حج ٢: ٢٣)
• والمسيح هو المختار لفداء البشرية (مت ١٢: ١٨ + أش ٤٢: ١-٤)
١١- كان يهوشع رئيس الكهنة الملازم لزربابل يصلي إلى الرب والشيطان يقاومه (زك ٣: ١)
• المسيح رئيس كهنة يشفع فينا كل حين (عب ٤: ١٥)، والشيطان يقاومه في كل حين (رؤيا ١٢: ١٠)
١٢- كلمات الرب إلى زكريا النبي عن زربابل ويهوشع لا تحتاج إلى تفسير لأنها تشير مباشرة إلى المسيح:»فاشهد ملاك الرب على يهوشع قائلاً هكذا قال رب الجنود إن سلكت في طرقي وإن حفظت شعائري فأنت أيضا تدين بيتي وتحافظ أيضاً على دياري .. يقول رب الجنود وأزيل إثم هذه الأرض في يوم واحد - زك ٣: ٦و٩»
«أيها الجبل العظيم أمام زربابل تصير سهلاً فيخرج حجر الزاوية بين الهاتفين كرامة كرامة له - زك ٤: ٧»

إبليس ـ ملك بابل ـ ملك صور ـ فرعون

كما كان زربابل مثالاً للمسيح كمخلص من السبي، هكذا كان المتسلطون على شعب الله مثل فرعون وملك بابل أمثلة لعدو الخير الروح المتسلط (جا ١٠: ٤). إن كلمات الوحي مذهلة حقاً، فها هو أشعياء النبي يبدأ الحديث عن سقوط ملك بابل، وإذا به يتحدث عن سقوط إبليس:
«ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التي استعبدت بها، أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل وتقول: كيف باد الظالم بادت المغطرسة. قد كسر الرب عصا الأشرار قضيب المتسلطين... استراحت اطمأنت كل الأرض... الهاوية من أسفل مهتزة لاستقبال قدومك... كلهم يجيبون ويقولون لك: أأنت أيضاً قد ضعفت نظيرنا (مثلنا)... كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح. كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم. وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السموات. أرفع كرسيي فوق كواكب الله... أصعد فوق مرتفعات السحب. أصير مثل العلي. لكنك انحدرت إلى الهاوية... الذين يرونك يتطلعون إليك يتأملون فيك. أهذا هو الرجل الذي زلزل الأرض وزعزع الممالك - أش ١٤: ٣-٦»
أن الوحي المقدس أيضاً يستخدم ملك صور كمثال لعدو الخير، وكان أحد الشامتين بخراب أورشليم، فيقول على لسان حزقيال: «يا إبن آدم أرفع مرثاة على ملك صور وقل له هكذا قال السيد الرب. أنت خاتم

الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال. كنت في عدن جنة الله... أنت الكروب المنبسط المظلل. وأقمتك على جبل الله المقدس كنت. بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقك من يوم خلقت، حتى وجد فيك إثم... قد ارتفع قلبك لبهجتك وأفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك إلى الأرض- حز ٢٨: ١١-١٧» (أظهر الرب لحزقيال في رؤيا: حجارة النار حول عرش الله والمقصود القرب من الله - حز ١: ١٣ + ١٠: ٦و٧).
تكرر نفس الوعيد موجهاً إلى فرعون مصر (حزقيال ٣١)، وكان اعتبار فرعون مثالاً لأبليس منطقياً إذا تذكرنا عبودية الشعب في أرض مصر حتى خرجوا بقيادة موسى الذي كان مثالاً للمسيح . فكما قام موسى كنبي فأنقذ إخوته هكذا فعل رب المجد (تث ١٨: ١٨و١٩ + أع ٣: ٢٢). أيضاً يشبه الآباء العداوة المستمرة بين إسرائيل وعماليق بالعداوة بين الكنيسة والشيطان: «للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور - خر ١٧: ١٦». «فغضب التنين (الشيطان) على المرأة (الكنيسة) وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح - رؤيا ١٢: ١٧»

العودة ومجئ الملكوت

وبنفس المنهج فإن بشارة الأنبياء بعودة إسرائيل من السبي إلى أرض الميعاد، يمكن مقارنتها بتجسد المسيح ومجئ ملكوت الله، وكثيراً ما يمتزج الأمران معاً، فيجذب الوحي أنظارنا إلى بعيد، إلى مجئ الملكوت وإذا بأرض الميعاد تصبح أورشليم السمائية. إننا لانحمل الآيات أكثر من معناها، فكلمات الرب تشرح نفسها:

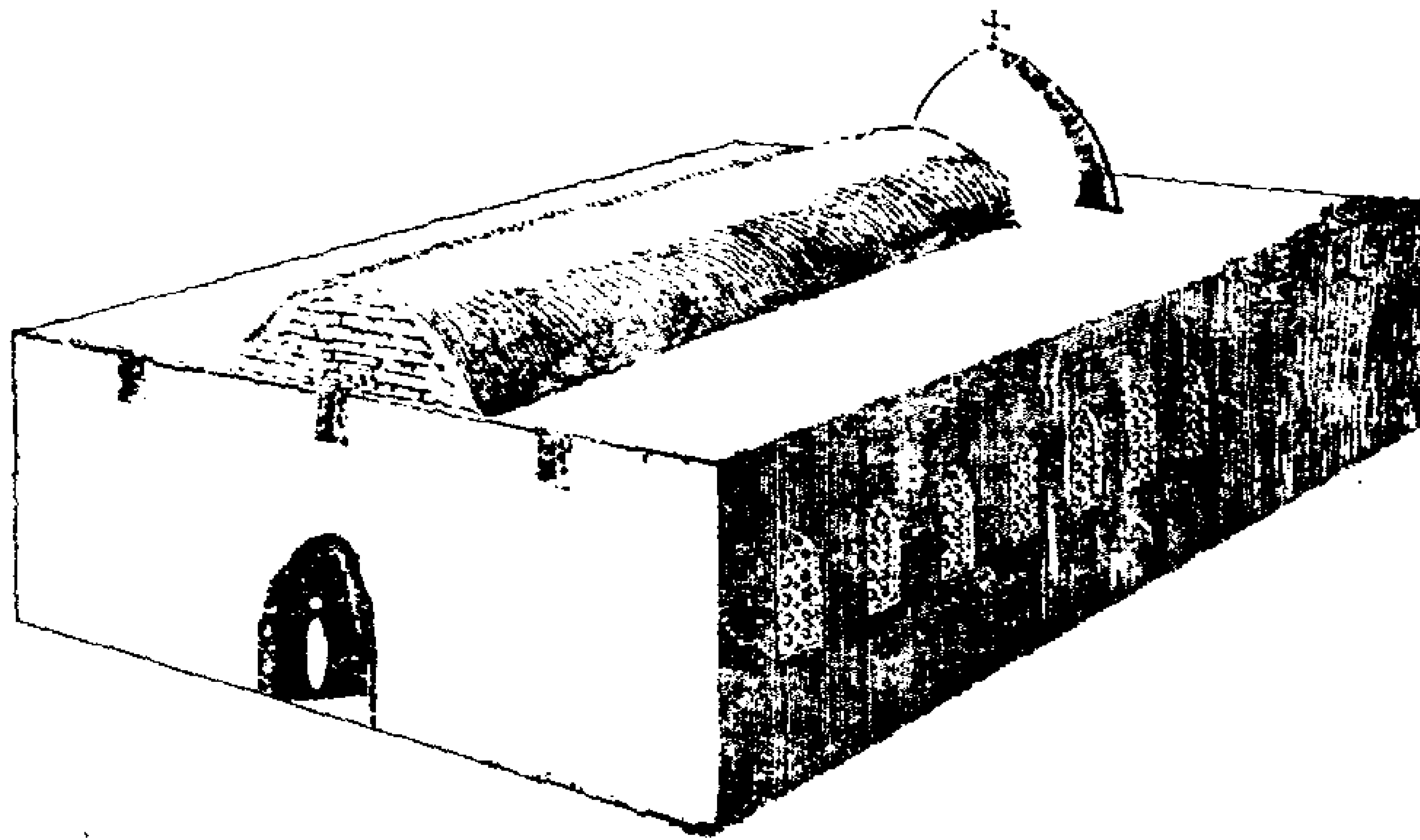
«ترنمي يا إبنة صهيون. اهتف يا إسرائيل. افرحي وابتهجي بكل قلبك يا إبنة أورشليم. قد نزع الرب الأقضية عليك (أسقط الأحكام) أزال عدوك. ملك إسرائيل الرب في وسطك. لا تنظرين بعد شراً. في ذلك اليوم يقال لأورشليم لا تخافي.. الرب إلهك في وسطك جبارٌ يخلص.. في الوقت الذي فيه آتي بكم .. لأني أصيركم إسماً وتسبيحةً في شعوب الأرض كلها حين أرد مسبييكم- صف ٣: ١٤-٢٠»
«في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة.. وأبنيها .. وأرد شعب إسرائيل - عا ٩: ١١و١٤» وهو ما فسره يعقوب الرسول كنبوءة عن المسيح في حديثه أمام المجمع الرسولي في أورشليم (أع ١٥: ١٦).
«عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم.. أنها قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها. صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا.. فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً - اش ٤٠: ١-٥» وهو النص الذي استخدمه يوحنا المعمدان في بداية خدمته.
«هكذا قال الرب. رنموا ليعقوب فرحاً.. سمِّعوا وسبحوا وقولوا خلص يارب شعبك بقية إسرائيل. هانذا آتي بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض.. لأن الرب فدى يعقوب وفكه من يد الذي هو أقوى منه. فيأتون ويرنمون في مرتفع صهيون ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت - أر ٣١: ٧-١٢»
«وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك. وتنفتح ابوابك دائماً نهاراً وليلاً لا تُغلق.. وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين... ويدعونك مدينة الرب.. لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أبدياً - أش ٦٠: ١٠-١٩».

قارن هذا مع الحديث عن أورشليم السمائية:
«والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها... ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس لأن الرب الإله ينير عليهم - رؤيا ٢١: ٢٣ + ٢٢: ٥».
«ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً.. وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب.. فى ذلك اليوم يقول الرب أجمع الظالعة وأضم المطرودة - مي ٤: ١و٢و٦»
«وأما جبل صهيون فتكون عليه نجاة ويكون مقدساً ويرث بيت يعقوب مواريثهم - عو ١٧»

خاتمة

كانت محنة السبي تأديباً لشعب نسي إلهه فعاد إليه، ولكنها كانت مثالاً لإنقاذ من سبي أخطر بكثير هو سبي الشيطان للبشرية كلها، وكما عاد الشعب بقيادة زربابل ويهوشع وأسسا هيكل الله من جديد، هكذا أخرج يسوع المسيح شعبه الذين يؤمنون به، الى الحرية من أسر الشيطان وأسس هيكلاً غير مصنوع بأيدي.
لقد تحطم هيكل زربابل مع الزمن، وإذا بالذي يرممه هو هيرودس الكبير! والعبادة الشكلية عادت من جديد في صورة قبور مبيضة، لكن زربابل الحقيقي ربنا وإلهنا ومخلصنا يهوشع (يسوع) رئيس كهنتنا الممجد في الأعالي جعل من جسده هيكلاً لنا وثبتنا أعضاءً فيه إلى الأبد.

وها هي البشرية تئن منتظرة خلاصاً من سبي الزمن والموت متطلعة نحو أورشليم السمائية، ونحو هيكلٍ يحل فيه كل ملء اللاهوت، حيث يسكن الله مع شعبه إلى الأبد.

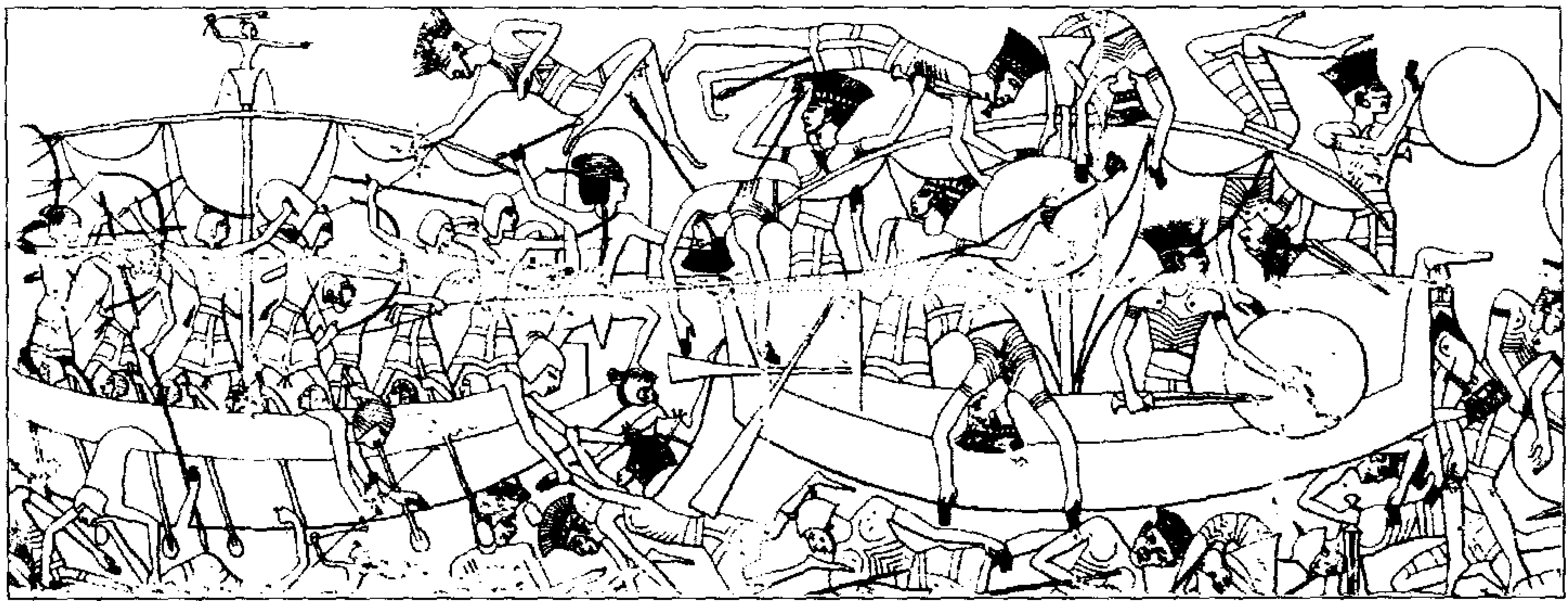


المـــلاحق

من هم الفلستيون
أزمنة العهد القديم
ترتيب أحداث العهد القديم
توافق الأحداث بين المملكتين
لوحة عصر الأنبـــياء
التقويم الإسرائيلى القديم
المقاييس و الموازين و المكاييل

ملحق ١: من هم الفلستيون (الفلسطينيون):

يتكرر ذكر هذا الشعب على مدى العهد القديم. وهو شعب من أصل يوناني قدم الى الشرق من جزر بحر إيجه وخاصة جزيرة كريت التي يسميها العهد القديم "كفتور". يرجح أن هذه الهجرة حدثت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد أن ضربت اليونان سلسلة من الزلازل، ويربط الدارسون بين هذه الهجرة وغزوة شعوب البحر التي تعرضت لها مصر في عهد رمسيس الثالث والتي انتهت بنصر مصري سجل على جدران معبد مدينة هابو بالأقصر. ونفهم منه أن شعوباً قادمة من البحر تحالفت مع الكنعانيين وحاولت غزو مصر عن طريق البحر المتوسط. ويستدل من هذا على أن الفلستيين قد استوطنوا في كنعان قبل ذلك. أقام هذا الشعب خمسة حصون أصبحت فيما بعد خمسة مدن هي: عقرون وجت وأشقلون وأشدود وغزة. بقي منها حتى الآن الثلاثة الأخيرة (أسدود وعسقلان وغزه). كانوا شعباً محباً للقتال متقناً لصناعة السلاح، حتى أنه في عهد شاول كان بنو إسرائيل يذهبون إليهم لشراء وإصلاح أسلحتهم (١ صم ٩) ويربط البعض بين هذا وبين اكتشاف تصنيع الحديد في نفس العصر. كان سبط يهوذا يسكن التلال والفلستيون يسكنون الساحل، لذا أصبحت منطقة السهل بينهما منطقة صراع مستمر، منذ عصر القضاة. لكن لا يوجد أية صلة بين هذا الشعب والشعب الفلسطيني الموجود الآن أرض فلسطين. فعلى مدى مئات السنين تعرضت أرض فلسطين لمرور واستيطان عشرات القبائل من بقاع كثيرة خاصة أيام السبي، وحتى لا يخلط القارئ لجأ الدارسين في السنوات الأخيرة الى ترجمة اسم الفلسطينيين في العهد القديم الى "الفلستيين"، ليبدو الاختلاف حيث أنه في اللغات القديمة يختلف الاسم، لذا في الترجمة الإنجليزية للعهد القديم يكتب الاسم "Philistines" بينما الشعب الفلسطيني الآن يكتب "Palestinians". ومن المهم وضع هذا في الاعتبار حتى لا يختلط فهمنا للعهد القديم بأية اتجاهات فكرية حالية.



لوحة جدارية من معبد مدينة هابو تصور المعركة البحرية بين الأسطول المصري (يسار) وسفن شعوب البحر (يمين) ويرى الكنعانيين بخوذات مريشة وشعوب البحر بخوذات ذات قرون.

ملحق ٢: أزمنـــة العهـــد القـــديم

أهمية بحث أزمنة أحداث العهد القديم:

١ـ الله فى التاريخ (حدث بالفعل):

أن الربط الواضح بين ما ورد فى الكتاب المقدس وأحداث التاريخ العام، يقطع بأن هذه الأشياء قد حدثت بالفعل حتى بالنسبة لمن لا يؤمن بالكتاب، كما أنه ردّ مفحم على من يشكك في مصداقية الكتاب، مع التحفظ بأن الكتاب ليس كتاب تاريخ، ولكنه يورد ما يراه الروح القدس هاماً من أشخاص وشخصيات تدخل فى نسيج التدبير الإلهى لخلاص الناس.

> من أهم المسائل التى تواجه الدارسين المخلصين للكتاب المقدس، هى ما يسمى بالتفسير الرمزي، إن الكتاب المقدس، بلا جدال، يحتوى رموزاً، ولكنه يقول لنا أنها رموز، فالحية النحاسية كانت رمزاً للمسيح لأنه يقول هذا، والكواكب رمز للملائكة، والمنائر رمز للكنائس لأن يوحنا يذكر ذلك بوضوح (رؤ ١: ٢٠)، وهكذا.. لكن التوسع فى الرموز أمر خطير! لذا يتحفظ الدارس المحب للكتاب فى هذا المقام أشد التحفظ فلا يحمل النص أكثر مما يحتمل، ويحرص الدارس على أن يستخرج الدليل على أن أحداث الكتاب قد حدثت بالفعل، وليست مجرد رموز لأشياء روحية، وأن أشخاص الكتاب أشخاص حقيقيون، وليس لمجرد الرد على إعتراضات بل لأمر أهم من ذلك بكثير جداً: أن أساس المسيحية هو أن الله ظهر في الجسد، وولد في وقت معين في بلد معينة، وعرفه الناس ورأوه و لمسته أيديهم، لأنه بالحقيقة صار إنساناً. أن هذا لا يغلق باب التأمل على الإطلاق فلنتأمل كيفما شئنا، ولكن بين التأمل والتفسير، هناك فرق !!

٢ـ الفهم الأفضل للوحى الكتابى:

أن تحديد الفترة التاريخية والأحداث الجارية فى المنطقة تقدم لنا فائدة عظيمة فى فهم الكتاب، فنفهم مثلاً أن بنى إسرائيل قد أصروا على إقامة ملك عليهم ليقودهم فى الحرب بسبب التهديد الوشيك من بني عمون، ونعلم لماذا خرجت عشيرة أبرام من أور الكلدانيين فى هذه الفترة إذ دُمرت مدينة أور بيد العيلاميين، ونفهم سبب كراهية المصريين للعبرانيين في عصر التحامسة أعداء كل ما هو آسيوي، ولما نعلم أن عاصمة مصر وقتها كانت في صوعن قرب المنزلة ندرك أن مكان سكنى العبرانيين كان قريبا من بيت الفرعون ونتصور إبنة فرعون وهي تجد الطفل موسى على شاطىء النيل و أخته واقفة تنظر،..... و هكذا.

كيف حدد الكتاب المقدس الأزمنة ؟

إستخدم الكتاب المقدس ثلاث طرق لتحديد الأزمنة:

١ـ سلاسل المواليـــد:

فهو يعطى هذه السلاسل فى مواضع متعددة [تك ١٠، ١ أخ ١: ١ - ٩: ٢١]، و تحتوى هذه السلاسل، خاصة في عصر الأباء، على تواريخ مفيدة، ولكن هنا توجد ملاحظتان:

أ) أنه أصبح ثابتاً لكل الدارسين أن هذه السلاسل لا تضم كل الأجيال:

+ فسلسلة نسب السيد المسيح في إنجيل متى الأصحاح الأول، تسقط أربعة أجيال من الفترة من داود الى سقوط أورشليم (قارن مت ١ ، مع ١ أخ ٢و٣).
+ وسلسلة مواليد بني إسرائيل بعد نزوهم الى أرض مصر والتى وردت في (١ أخ ٦: ١-٣)، تجمل فترة التغرب فى مصر في أربعة أجيال فقط (لاوى - قهات - عمرام - موسى)، و هو أمر بعيد الإحتمال، أن تحتوى نحو ٤٠٠ سنة على أربعة أجيال فقط، ليس معنى هذا أن المعلومات الواردة فى الكتاب خاطئة، حاشا ، بل كل ما فى الأمر أن سلاسل المواليد هذه لم يكن الغرض منها ضبط التواريخ الزمنية بل مجرد إثبات النسب، الأمر الهام جداً فى مجتمع قبلى، والذى تزايدت أهميته بعد الشريعة. أنظر أفراد الشعب بعد العودة من بابل، كلّ يؤكد نسبه ليضمن لنفسه الوضع الشرعى بين إخوته (عز ١٠: ١٦)، ولعل هذا هو السبب في حرص عزرا الشديد على إيراد أسماء وأعداد من كانوا معه (عز ٨: ١-١٤) .[أنظر ١ أخ ٩: ١].
+ وها هو داود يتحدث عن مفيبوشت على أنه إبن ليوناثان، وعلى أنه إبن لشاول في جملة واحدة (٢ صم ٩)

٢ـ تواريخ الملوك:

و هذه التواريخ تأكد أنها على درجة عالية من الدقة، فقد جرت مقارنتها مع التاريخ الذى حرص على تدوينه البابليون والأشوريون منذ القدم، و لما كان هؤلاء قد قطعوا شوطاً كبيراً فى علوم الفلك فقد إستطاعوا تدوين تواريخهم بدقة كبيرة، تأكدت عندما فحصها علماء الكتاب والآثار، مع مراعاة التالي:
+ أن نحترس من جمع مدد ولاية ملوك إسرائيل أو ملوك يهوذا جمعا مباشراً، إذ أن هذه المدد تتداخل، بسبب عرف مستقر في ممالك ذلك الزمان، وهي أن يتم تنصيب ولي العهد في بعض الأحيان شريكاً لأبيه الملك قبل وفاته، ويكفي مثالاً أن سليمان تولى الملك فى حياة أبيه داود (١ مل ١: ٣٠-٤٨).
+ أن توقيت بداية ولاية ملوك إسرائيل كان مبنياً على السنة الدينية التى تبدأ في نيسان (إبريل) بينما بني توقيت ملوك يهوذا على السنة المدنية التى تبدأ في تشرى (أكتوبر).

٣ـ تاريخ بعض الأحداث الهامة:

+ **الخروج من مصر**: لا يورده الوحي بوضوح، فلا نجد سوى اللجوء الى مصادر أخرى، فنجد مرنبتاح (خليفة رمسيس الثاني) يذكر أن إسرائيل موجود في كنعان، لذا يرجح الخروج فى عصر الأسرة ١٨.
+ **مدة عصر القضاة**: يذكر سفر الأعمال (١٣: ١٩و٢٠) أنه كان هناك قضاة لمدة ٤٥٠ عاماً، و هو ما ينفى الرأى بأن بعض القضاة كانوا متعاصرين، فهذه الفترة تتفق تقريباً مع مجموع الفترات الواردة فى سفر القضاة بما فيها فترة حكم صموئيل الذى يعتبر أول القضاة، على أساس أن شاول هو أول الملوك.
+ **المدة بين دخول كنعان و يفتاح أيام القضاة**: التى يذكر أنها ٣٠٠ سنة (قض ١١: ٢٦).
+ بدء بناء الهيكل: في السنة الرابعة لسليمان، وبعد ٤٨٠ سنة من الخروج من مصر (١ مل ٦: ١).

و هنا ينبغى ملاحظة الآتي:

أ) أن الوحي ينحو الى تقريب بعض الأرقام. قارن مدة بقاء إسرائيل في مصر في تك ١٥: ١٣ [٤٠٠ سنة]، وفي خر ١٢: ٤٠ [٤٣٠ سنة]. أيضاً عدد الخارجين من أرض مصر بين (خر ١٢: ٣٧)، و(عد١: ٤٦و٤٧).

ب) الميل الى إستخدام الأرقام الدائرية أو المتشابهة أو المقدسة:

+ أنظر الكاتب يتخطى بعض الأجيال فى نسب ميلاد المسيح لتصبح كل حلقة ١٤ جيلاً بالضبط.

+ أنظر الكاتب و هو يرصد عشرة أجيال من آدم الى نوح و عشرة أجيال من نوح الى إبراهيم .

+ أنظر التكرار الملفت للرقم أربعين، وكذا الرقم «سبعة» في هذا المجال وفي مجالات أخرى أيضاً

وسوف يلحظ القارىء فروقا طفيفة فى حساب السنين، إلا اننا نورد هذه التواريخ فقط لتوضيح تسلسل الأحداث، ويمكن لمن يرغب فى الإستزادة الرجوع الى ما أشرنا اليه من مراجع قيمة فى آخر الكتاب.

ملحق ٣: ترتيب الأحداث الهامة فى العهد القديم

التواريخ المذكورة تقريبية وقابلة للمناقشة والتعديل حسب تقد الأبحاث الكتابية والاكتشافات الأثرية

١٤٤٧ خروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى عهد تحتمس الثالث بقيادة موسى النبى

التيه في سيناء والنقب وشرق الأردن ٤٠ عاماً

بناء خيمة الإجتماع واستلام الشريعة الأدبية والطقسية والمدنية

١٤٠٨ نياحة موسى النبي قبيل دخول أرض كنعان.

الشعب يدخل أرض الموعد بقيادة يشوع ويدمر أريحا ويعلن اللعنة على من يعيد بناءها

يشوع يقسم الأرض بين الأسباط (نظرياً)

عصر القضـــــــاة ١٤٠٧ الى ١٠٥٦

فترات متعاقبة من الحرية والعبودية - فيه دارت قصة راعوث الموآبية

١٤٠٧ - ١٣٧٥ يشوع و الشيوخ

١٣٨٠ تباين مصير الأسباط : يهوذا يقاتل مع شمعون لينتزعا معظم منطقتيهما

بنيامين و أشير و نفتالى و .. يتعايشون مع السكان و يدفعون جزية أحيانا

دان يعجز عن أخذ نصيبه فيستولى بعد فترة على أرض فى أقصى الشمال

١٣٧٥ - ١٣٦٧ كوشان رشتعايم ملك آرام النهرين (يستعبد الشعب ٨ سنوات)

١٣٦٧ - ١٣٢٧ عثنئيل بن قناز (من سبط يهوذا) - يطرد جيش كوشان

١٣٢٧ - ١٣٠٩ عجلون ملك موآب (يستعبدهم ١٨ سنة)

١٣٠٩ - ١٢٢٩ أهود بن جيرا (من سبط بنيامين) - يقتل عجلون

شمجر بن عناة (يضرب الفلسطينيين)

١٢٢٩ - ١٢٠٩ يابين الكنعانى ملك حاصور يسيطر على الجليل و يستعبد سكانه ٢٠ سنة

١٢٠٩ - ١١٦٩ دبوره و باراق (من سبط نفتالى)، ينتصران على جيش يابين

١١٦٩ - ١١٦٢ مديان يستعبد الأسباط القريبة منه

١١٦٢ - ١١٢٢ جدعون (سبط منسى)، ينتصر على المديانيين و يرفض أن يصير ملكاً

١١٢٢ - ١١١٩ أبيمالك بن جدعون - يقتل إخوته السبعين ليملك فى شكيم ثلاث سنوات

١١١٩ - ١٠٩٦ تولع (من سبط يساكر) ، يقضى لإسرائيل ٢٣ سنة

١٠٩٦ - ١٠٧٤ يائير الجلعادى ، يقضى لإسرائيل ٢٢ سنة

١١١٦ - ١٠٧٦ عالى الكاهن قاضيا على إسرائيل - تزايد الإنحراف الدينى و الخلقى

١٠٩٦ - ١٠٧٨ العمونيين يستعبدون الشعب ١٨ سنة

١٠٧٨ - ١٠٧٢ يفتاح الجلعادى (من سبط منسى) ، يقضى لإسرائيل ٦ سنوات

١٠٧٢ - ١٠٦٢ أبصان من سبط يهوذا (٧ سنوات)

إيلون من سبط زبولون (١٠ سنوات)

عبدون من سبط أفرايم (٨ سنوات)

١٠٩٦ - ١٠٥٦ الفلسطينيون يسيطرون ٤٠ سنة، ويصبحون التهديد الرئيسي للشعب

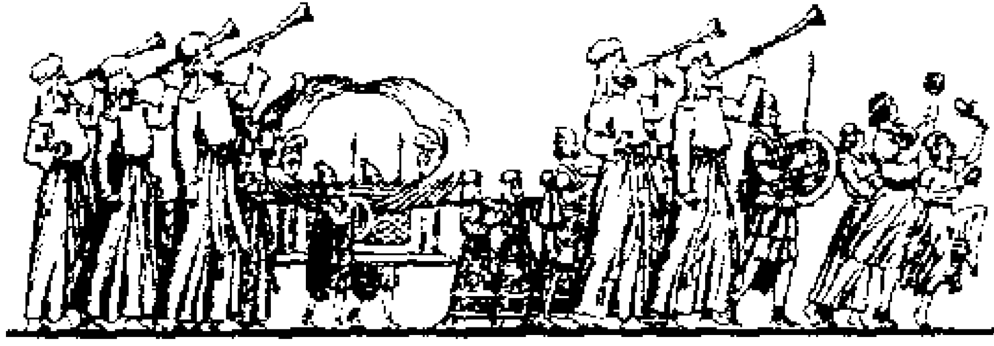
١٠٧٦ - ١٠٥٦ شمشون (من سبط دان) يقضى ٢٠ سنة وصموئيل (من أفرايم).

منازعات دموية بين أسباط إسرائيل

دعوة صموئيل الصبي

الفلسطينيون يدمرون خيمة الإجتماع فى شيلوه - وفاة عالي الكاهن

صموئيل النبى قاضيا فى اسرائيل



نمو الخدمة الروحية

تأسيس مدرسة الأنبياء

صحوة شعبية بقيادة صموئيل

الأنتصار على الفلسطينيين وإسترداد تابوت العهد

١٠٥٠ شاول يصبح ملكاً على إسرائيل وعاصمته جبعه (بنيامين)

صموئيل يمسح داود ملكاً بعد إنحراف شاول

داود الشاب يقتل جليات الجتي

داود مطارداً أمام شاول في السهل و جبال يهوذا

نياحة صموئيل النبي

١٠١٠ إنتحار شاول بعد هزيمته فى جلبوع

١٠١٠ داود ملكاً على يهوذا فى حبرون - أيشبوشت بن شاول ملكاً على بقية الأسباط فى جبعه

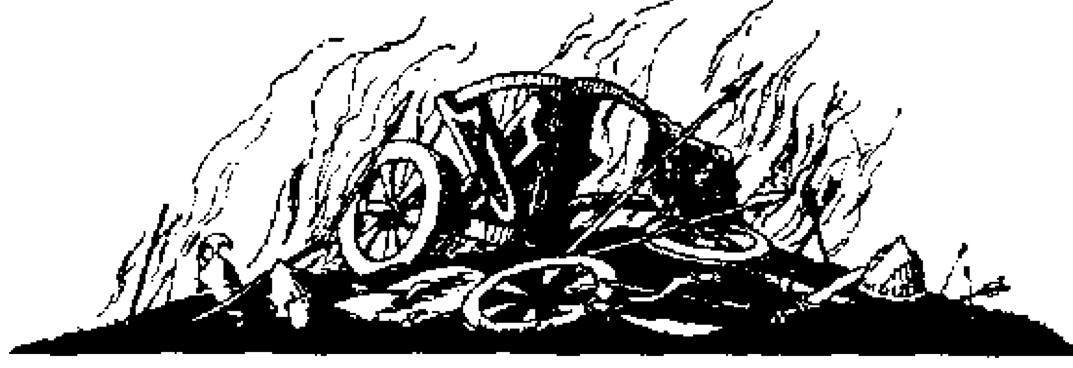
١٠٠٣ **داود يملك على كل الأسباط فى أورشليم**

نقل تابوت العهد من قرية يعاريم الى أورشليم

٩٧٠ **سليمان ملكاً** على كل إسرائيل - نياحة داود الملك

٩٦٧ بدء بناء الهيكل ثم تدشينه بعد سبع سنوات في ٩٦١

أزهى عصور إسرائيل - سليمان الملك يدير تجارة واسعة ومربحة
حركة عمران كبيرة - بذخ ورفاهية زائدة في أورشليم
سليمان يتورط فى عبادات وثنية، ويثقل كاهل الشعب بمشروعاته العمرانية
تعدد حركات التمرد ضد الملك سليمان



٩٣٤ تمرد يربعام بن نباط وهربه الى أرض مصر
٩٣١ وفاة سليمان - يربعام يعود الى إسرائيل
٩٣١ اختلاف الأسباط وانقسام المملكة الى:

أولا: مملكة إســـرائيل (الشمال)

٩٣١ يربعام بن نباط يصبح أول ملوك إسرائيل و عاصمته «ترصه»، و يؤسس هيكلين للعبادة المنحرفة فى بيت أيل (جنوباً) ودان (شمالاً).[طبقا لنبوة آخيا الشيلونى]
٩١٠ ناداب بن يربعام: ملكا بعد وفاة أبيه.
٩٠٩ بعشا بن أخيا: يبيد بيت يربعام - يحارب آسا ملك يهوذا
٨٨٦ أيله بن بعشا: لا يصغي لتحذير النبي [ياهو بن حناني]
٨٨٥ زمري: يبيد بيت بعشا - يموت منتحراً بعد سبعة أيام !
٨٧٤ آخاب بن عمري: يتزوج ايزابل إبنة ملك صيدا - تفشى الوثنية إعادة بناء أريحا - **بدء خدمة أيليا النبي**
٨٥٣ أخزيا بن آخاب: ملكاً في رعاية أمه أيزابل. **إصعاد ايليا النبى فى العاصفة**
٨٥٢ يورام بن أخزيا: يتحالف مع ملوك يهوذا ضد موآب، وضد آرام

بدء خدمة أليشع النبى

٨٤١ ياهو القائد يبيد بيت عُمرى ويصبح ملكاً - يتعرض لضربات من أرام.
٨١٤ يهوآحاز بن ياهو: ملكاً لمدة ١٧ سنة
٧٩٨ يوآش بن يهوآحاز: يحارب يهوذا - يضرب أرام (سوريا). **نياحة أليشع النبى**
٧٨٣ يربعام بن يوآش: أزهى عصور إسرائيل منذ داود الملك
(خدمة يونان و عاموس النبيان، و بدء خدمة هوشع النبى)
٧٤٣ زكريا بن يربعام: يملك ١١ شهراً + شلوم بن زكريا يملك شهراً واحداً
٧٤٢ منحيم: يملك على إسرائيل و يدفع الجزية الى أشور
٧٣٨ فقحيا: يخلف أباه منحيم ويملك أقل من عامين حتى يُقتل بيد فقح
٧٣٧ فقح بين رمليا: يصبح ملكاً، يتحالف مع رصين ملك أرام ويغزو مملكة يهوذا الأشوريون يستولون على الجليل-سبى سبط نفتالى [قصة طوبيت]
٧٢٩ تغلث فلاسر ملك أشور يقيم هوشع بن إيله ملكاً - هوشع بن أيله: يتمرد على أشور

٧٢٣ بدء حصار السامرة، الحصار يستمر ٣ سنوات

٧٢١ **سقوط السامرة ـ نهاية مملكة إسرائيل**

سرجون الثاني ملك أشور يسبى أعداداً كبيرة من الشعب، و ينقلهم الى مادى و بلاد ما بين النهرين، ويجلب شعوباً وثنية غريبة لتسكن فى السامرة و أرض الشمال. الأغراب يجلبون معهم عباداتهم الوثنية، تأسيس العداوة اليهودية - الممتزجة بالتعالى - ضد السامريين.

ثانيا: مملكة يهـوذا (الجنوب)

٩٣١ رحبعام بن سليمان: يملك على يهوذا وبنيامين فى أورشليم، ويحاول توحيد المملكة بالقوة ولكن الرب يعلن على لسان شمعيا أن إرادته هي إنقسام المملكة (١ مل ١٢: ٢٤)

٩٢٦ شيشق الليبي ملك مصر (الأسرة ٢٢) يهاجم أورشليم وينهب الهيكل.

٩١٣ أبيا بن رحبعام: يسير على نفس خط أبيه في العصيان للرب.

٩١١ آسا بن أبيا: يحارب الوثنية - يتحالف مع موآب ضد ملك إسرائيل.

٨٧٠ يهوشافاط بن آسا: ملك بار - يتحالف مع آخاب ملك إسرائيل ضد أرام.



٨٤٨ يهورام بن يهوشافاط: يتزوج عثليا إبنة آخاب - الفساد يتزايد.

٨٤١ أخزيا بن يهورام: يُقتل بأمر ياهو ملك إسرائيل.

٨٤١ عثليا: تبيد النسل الملكى ما عدا الطفل يوآش، وتحكم ٧ سنوات.

٨٣٥ يوآش بن أخزيا: يرمم الهيكل.

٧٩٦ أمصيا بن يوآش: يدخل فى معارك خاسرة ثم يموت مغتالاً.

٧٨١ عزيا (عزريا) بن أمصيا: يستولى على إيلات. **خدمة عاموس النبي - بدء خدمة هوشع النبي**

٧٤٠ وفاة عزيا الملك: **بدء خدمة أشعياء النبي**

٧٤٠ يوثام بن عزيا: **بدء خدمة ميخـا النبي**

٧٣٦ آحاز بن يوثام: ينغمس فى الوثنية - يدفع الجزية الى آشـور

٧٢١ حزقيا بن آحاز: سنحاريب ملك آشور، يصعد على أورشليم ويأخذ جزية ثقيلة. سنحاريب يحاصر أورشليم للمرة الثانية والرب يستجيب لحزقيا ويضرب جيش أشور.

خدمة الأنبياء هوشع وأشعياء وميخا مستمرة حتى عهد حزقيا الملك

٦٩٣ منسى بن حزقيا: أكثر ملوك يهوذا شراً، يقيم مذابح للأوثان داخل الهيكل ويسفك دماء الأبرياء بغزارة (إستشهاد أشعياء). يتوب منسى في أواخر أيامه (صلاة منسى).

٦٣٩ أمون بن منسى: يستمر فى شرور أبيه.

٦٣٨ يوشيا بن أمون: ينصب ملكاً و هو طفل

خدمة صفنيا النبي - خدمة ناحوم النبي

٦٢٦ **دعوة أرميـــا النبى**

٦٢١ الإصلاح الدينى (الشكلي) - نزع كل مظاهر الوثنية
٦١٢ سقوط نينوى عاصمة أشور فى يد نبوبلاسر ملك بابل. نهاية الإمبراطورية الأشورية، و بدء الصراع بين مصر (الأسرة ٢٦) و بين بابل (الكلدانيين) على ممتلكات أشور
٦٠٨ يوشيا يتورط في صراع الكبار ويموت بيد الرماة المصريين فى مجدو
نخو فرعون مصر يدخل أورشليم ويعزل يهوآحاز بن يوشيا ويعين:
٦٠٨ يهوياقيم بن يوشيا: ملكاً على يهوذا. يهوياقيم يؤدي جزية سنوية الى مصر
٦٠٥ موقعة كركميش: انتصار حاسم لنبوخذ نصر على جيش مصري أغلبه من المرتزقة اليونان

خدمة حبقوق النبي

٦٠٥ نبوخذ نصر يدخل أورشليم للمرة الأولى، ويسبي عدداً من السكان بينهم دانيال ورفاقه
٦٠٢ دانيال الشاب يتولى منصباً هاماً في بابل إثر تفسيره حلماً للملك نبوخذ نصر
٥٩٧ يهوياقيم الملك يتمرد على بابل - نبوخذ نصر يعود ليحاصر المدينة ويقتل يهوياقيم ويعين إبنه يهوياكين. (قصة يهوديت)
٥٩٧ يهوياكين (يكنيا) بن يهوياقيم: يملك ٣ أشهر فقط .
البابليون فى أورشليم للمرة الثالثة عزل يهوياكين وسبيه ومعه عشرة آلاف من السكان و الصناع المهرة و أخذهم الى بابل. حزقيال (النبي) الكاهن ضمن المسبيين.
٥٩٧ صدقيا بن يوشيا: يُعين ملكاً على يهوذا ويقطع عهداً بالولاء لبابل.
٥٩٢ بدء خدمة حزقيال النبي بين المسبيين فى بابل.
٥٨٨ صدقيا الملك: بعد خضوع ١٠ سنوات يتمرد على ملك بابل ويتحالف مع مصر، رغم نصائح أرميا النبي. نبوخذ نصر يحاصر أورشليم. بدء المجاعة داخل المدينة. وضع أرميا في السجن ومحاولة قتله. الرب يظهر لحزقيال مغادرة ملائكة الرب للمدينة.
٥٨٦ بعد حصار ١٨ شهراً، البابليون يقتحمون المدينة. تدمير الهيكل وتخريب أورشليم تماماً

نهاية مملكة يهوذا ـ السبى الكامل لشعب يهوذا الى بابل

تعيين جدليا بن أخيقام والياً. اليهود يغتالون جدليا ويفرون الى مصر مجبرين أرميا على الرحيل
٥٧٠ أرميا النبى يستشهد فى أرض مصر (؟) - **خدمة حزقيال النبي مستمرة**
٥٦٧ نبوخذ نصر يهاجم مصر ضمن حملاته لإكتساح الشرق ولكنه لا يحتلها
٥٦٢ أويل مردوك بن نبوخذ نصر ملكاً على بابل. رد الإعتبار لملك يهوذا الأسير يهوياكين.
٥٣٩ **سقوط بابل**. نهاية الإمبراطورية البابلية (الكلدانية) على يد جيوش فارس بقيادة كورش المتحالفة مع قوات مادي بقيادة داريوس المادي. تعيين دانيال احد ثلاثة يديرون المملكة.
٥٣٨ كورش: أول ملوك الفرس يصرح لليهود بالعودة الى أورشليم وإعادة بناء الهيكل
العودة الأولى من السبى بقيادة زربابل حفيد آخر ملوك يهوذا ومعه يهوشع رئيس الكهنة

٥٣٨ الخريف - ترميم مذبح المحرقة. الربيع - وضع أساسات الهيكل الثاني (البناء يتوقف بعد ذلك)

٥٢٩ قمبيز بن كورش يتولى الملك ويغزو مصر (البناء ما زال متوقفاً في الهيكل)

٥٢٢ داريوس الأول يملك بعد موت قمبيز - يسمح باستئناف البناء والشعب متكاسل!

٥٢٠ **خدمة حجي النبى و زكريا النبى**



٥١٥ **إتمام بناء الهيكل** وتدشينه في احتفال عظيم

٤٩٠ اشتعال الصراع بين الفرس واليونان - موقعة ماراثون وهزيمة للفرس.

٤٨٦ أحشويرش بن داريوس يملك مكان أبيه - قصة أستير - بدء الإحتفال بعيد الفوريم

٤٨٠ تزايد العداوة بين الفرس واليونان - اليونان تنتصر في موقعة سلاميس - خدمة ملاخي النبي؟

٤٦٥ أرتحشتا الأول ملكاً على فارس: يوقف تعمير أورشليم

٤٥٨ **العودة الثانية من السبى بقيادة عزرا الكاتب** - إستئناف العمل فى تعمير أورشليم
تدوين سفر أخبـــار الأيـــــام. **نبـــوة يوئيـــــــــل ؟**

٤٤٥ **بعثة نحميا الأولى**: ترميم أسوار أورشليم فى أقل من شهرين

٤٣٣ **بعثة نحميا الثانية**: إستكمال الأصلاح الدينى و الأدبى

٣٣١ الإسكندر الأكبر ينتصر على الفرس، ويكتسح بلاد الشرق. نهاية الإمبراطورية الفارسية

٣٣٠ الإسكندر الأكبر يدخل مصر ويؤسس مدينة الأسكندرية

٣٢٣ وفاة الأسكندر في مدينة بابل، وقواده يتقاسمون المملكة. قيام الدولة البطلمية فى مصر، والدولة السلوكية في الشرق. انتشار الثقافة الهيلينية في الشرق. بطلميوس الثاني يؤسس مدرسة الأسكندرية والمكتبة العظمي، والأسكندرية تصبح عاصمة العلوم والمعرفة في العالم كله

٢٨٥ **بدء ترجمة العهد القديم الى اليونانية فى مصر** (**الترجمة السبعينية**)

١٦٩ انطيوخس ابيفانس السلوكي يدنس هيكل أورشليم ويحاول محو الديانة اليهودية

١٦٧ بدء الثورة المكابية - انتصارات يهوذا المكابي على السلوكيين

١٦٥ تطهير الهيكل - بدء الإحتفال بعيد التجديد.

١٦١ مصرع يهوذا المكابي - يوناثان اخيه يواصل الثورة

١٤٢ سمعان شقيق يهوذا يؤسس حكم أسرة الحسمونيين (المكابيين). فلسطين تحكم حكماً ذاتياً تحت الهيمنة الخارجية. رؤساء الكهنة يجمعون بين السلطة الدينية والسلطة المدنية. نشأة جماعة الصدوقيين المسايرين للثقافة الهيلينستية وجماعة الفريسيين المتزمتين. صراعات مستمرة

٦٣ بومبى القائد الرومانى يستولي على أورشليم. فلسطين تخضع للحكم الرومانى المباشر

٣٧ روما تعين هيرودس بن أنتيباتر حاكماً تابعاً لها على كل فلسطين وعبر الأردن

١٩ هيرودس الكبير يبدأ ترميم الهيكل وتوسيعه، ويبني سبسطيا وقيصريه ويطيح بمنافسيه

٥ **ميلاد ربنا يســــوع المســـيح فى بيت لحم اليهودية**

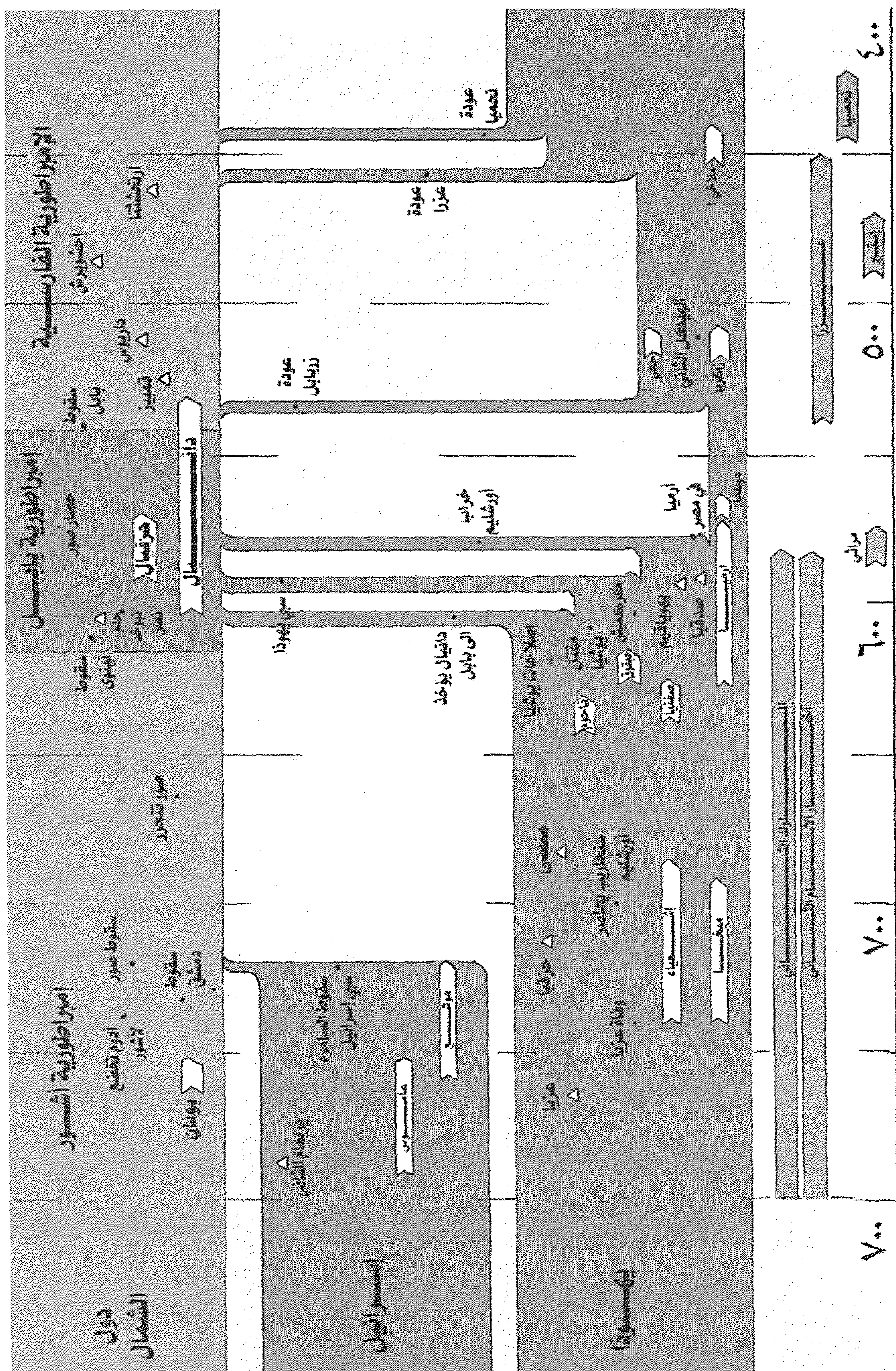
ملحق ٤: توافق الأحداث بين المملكتين

مملكة يهوذا	ق.م.	مملكة إسرائيل
رحبعام يملك على يهوذا	٩٣٣	يربعام يملك على إسرائيل
غزو شيشق ليهوذا	٩٢٩	
أبيا يملك بعد موت أبيه رحبعام ١مل ١٥: ١	٩١٥	السنة ١٨ ليربعام الأول
موت أبيا - ملك آسا ١ مل ١٥: ٩	٩١٣	السنة ٢٠ ليربعام الأول
السنة الثانية لآسا	٩١١	موت يربعام الأول وإبنه ناداب يصبح ملكاً
السنة الثالثة لآسا	٩١٠	بعشا يؤسس حكما جديداً ١مل ١٥: ٣٣
الحرب مع كوش. عزريا النبي ٢ أي ١٤: و ١٥	٨٩٨	
السنة ١٧ لآسا .الحرب مع بعشا	٨٩٦	بعشا يبدأ في بناء الرامه ١ مل ١٥: ١٧
السنة ٢٦ لآسا	٨٨٧	أيله يخلف بعشا أبيه ١ مل ١٦: ٦و٧
السنة ٢٧ لآسا	٨٨٦	زمري يحكم لفترة قصيرة بعد مقتل إيله ، إنقسام الشعب بين زمري وتبني ١ مل ١٦
السنة ٣١ لآسا	٨٨١	عمري يبني السامره وينفرد بالحكم ١ مل ١٦
السنة ٣٨ لآسا	٨٧٥	آخاب يخلف أباه عمري ١ مل ١٦: ٢٩
يهوشافاط يشارك أبيه آسا في الحكم ٢ أي ١٦: ١٢ في السنة ٣٩ لآسا	٨٧٤	
موت آسا. إنفراد يهوشافاط بالحكم ١مل ٢٢	٨٧٢	السنة الرابعة لآخاب
	٨٧٠	ظهور إيليا النبي ١ مل ١٧: ١
	٨٦٧	حروب مع أرام لمدة ١٠ سنوات حتى ٨٥٧
يهورام يشترك في الحكم مع أبيه يهوشافاط	٨٥٥	أخزيا يشترك في الحكم مع أبيه آخاب ١ مل ٢٢
تحالف يهوشافاط و آخاب ضد أرام ١مل ٢٢	٨٥٤	معركة كرر - دفع الجزية الى أشور
السنة ١٨ ليهوشافاط - الثانية ليهورام ٢ مل ١-٣ ١: ١٧ - ٣: ١	٨٥٤	موت آخاب وإصابة أخزيا . يهورام يخلف أخزيا ١ مل ٢٢: ٣٧ - ٢ مل ١: ٢و١٧
موت يهوشافاط وإنفراد يهورام بالحكم	٨٥٠	السنة الخامسة ليهورام ملك إسرائيل
أخزيا يملك مع يهورام أبيه	٨٤٤	السنة ١١ ليورام ملك إسرائيل
ياهو يقتل أخزيا ٢ مل ٩: ٢٧	٨٤٣	ياهو يقتل يهورام ٢ مل ٩: ٢٤
عثليا تغتصب العرش بعد موت أخزيا	٨٤٣	ياهو يقضي على بيت عمري يصبح ملكاً٢ مل ١٠
	٨٤٢	ياهو يدفع الجزية الى أشور

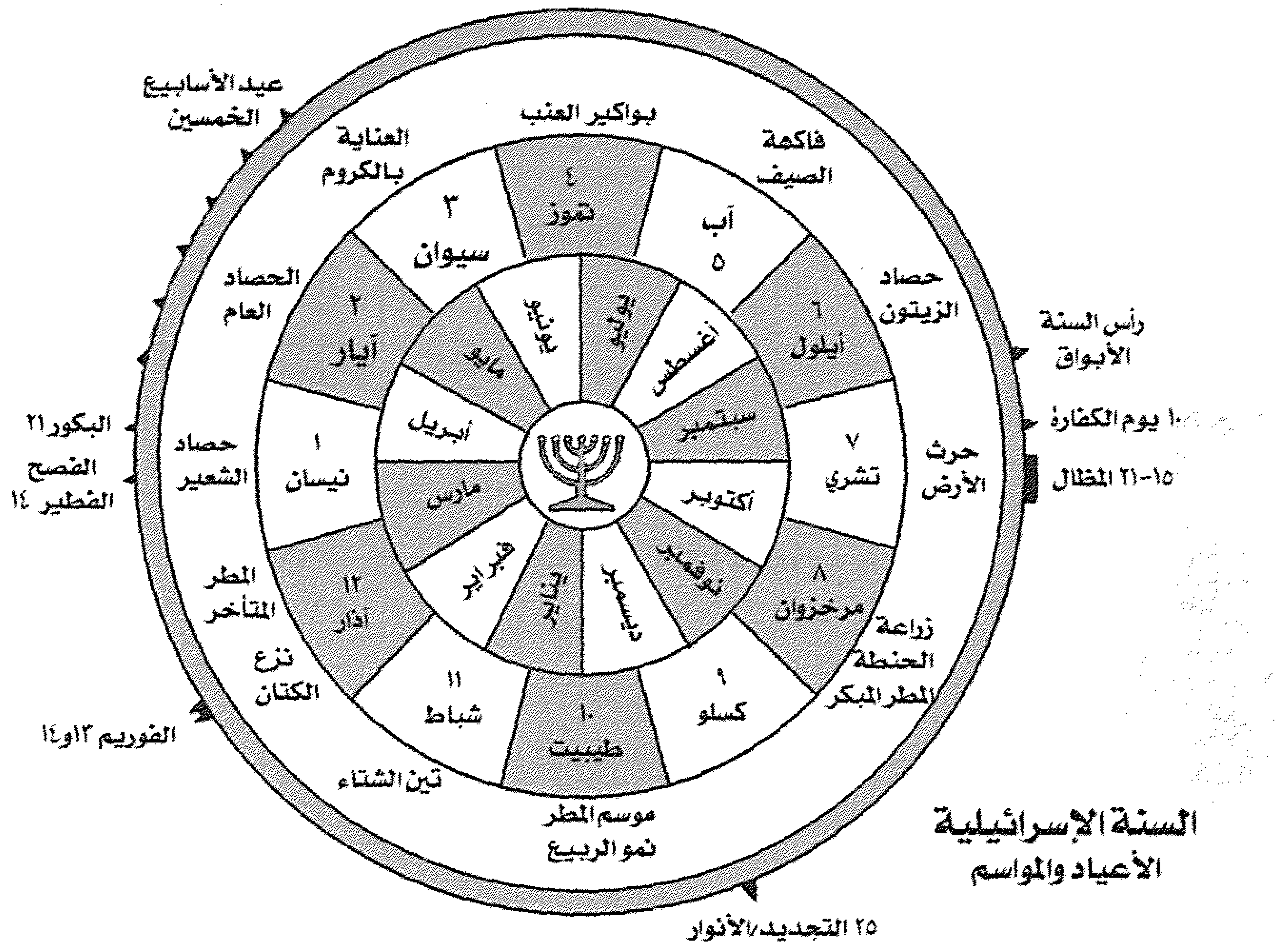
مقتل عثليا. يوآش الطفل ملكاً في ٢ مل ١٢	٨٣٧	السنة السابعة لياهو
السنة الثالثة والعشرون ليوآش	٨٢٠	يهوآحاز يشارك أباه ياهو في الحكم ٢مل ١٣:
	٨١٦	موت ياهو ٢ مل ١٠: ٣٥و٣٦
السنة ٣٧ ليوآش ملك يهوذا	٨٠٦	يهوآش يشارك أباه يهوآحاز في الحكم
أمصيا شريك في الحكم ٢ مل ١٤: ١ و ١٣: ١٠ + ٢ أي ٢٤: ٢٥	٨٠٤	موت يهوآحاز ملك إسرائيل ٢ مل ١٣: ١
موت يوآش ملك يهوذا ٢ مل ١٢: ١و٢١	٨٠٣	
هزيمة ساحقة لأمصيا أمام يهوآش ملك إسرائيل ٢ مل ١٤: ٨-١٤	٧٩٠	موت يهوآش ملك إسرائيل ويخلفه يربعام الثاني ٢مل ١٤: ١٦و٢٣
الشعب يختار عزيا ملكاً ٢ مل ١٤: ١٢و٢٢	٧٨٧	السنة الرابعة ليربعام الثاني ٢ مل ١٤
موت أمصيا ٢ مل ١٤: ١٧	٧٧٥	يونان النبي ٢ مل ١٤: ٢٥ + يون ١: ١
عزيا يتحرر من سيطرة إسرائيل ٢ مل ١٥	٧٦٤	
	٧٥٢	عاموس النبي
عزيا يصاب بالبرص ٢ مل ١٦: ١٦-٢١ . حدوث الزلزلة العظيمة عا ١: ١+زك ١٤: ٥	٧٥٠	إضطراب سياسي – فقح يغتصب السلطة في جلعاد ٢ مل ١٥: ٨-١٥ + هوشع النبي هو ١
يوثام يشارك أباه عزيا في الحكم ٢ مل ١٥	٧٤٩	زكريا يخلف أباه يربعام لمدة ٦ شهور ٢ مل ١٥: ٨
السنة ٣٩ لعزيا الملك	٧٤٨	منحيم يقتل شلوم ويملك بدلاً منه ٢ مل ١٥
آحاز يشارك أباه يوثام في الحكم ٢ مل ١٥و ١٧	٧٤١	منحيم يدفع الجزية الى أشور ٢ مل ١٥: ١٩
السنة ٥٠ لعزيا	٧٣٨	فقحيا يخلف أباه منحيم ٢ مل ١٥: ٢٢
السنة ٥٢ لعزيا	٧٣٦	فقح يملك بعد مقتل فقحيا ٢ مل ١٥: ٢٥و٢٧
موت عزيا ٢ مل ١٥: ٢ + رؤيا أشعياء أش ٦: ١. يوثام ينفرد بالملك لفترة قصيرة	٧٣٥	السنة الثانية لفقح ملكاً على إسرائيل ٢ مل ١٥
موت يوثام. آحاز ينفرد بالملك ٢ مل ١٦: ١	٧٣٤	غزو فقح ورصين ليهوذا أش ٧: ١
السنة ٢٠ لبداية إشتراك يوثام في الملك	٧٣٠	موت فقح ٢ مل ١٥: ٣٠
السنة ١٢ لآحاز منذ بدء مشاركته	٧٢٩	أشور تملك هوشع بن إيله على إسرائيل ٢ مل ١٧
حزقيا يرتقي العرش	٧٢٦	
السنة الرابعة لحزقيا ٢ مل ١٨: ١	٧٢٣	بدء حصار السامره في السنة ٧ لهوشع الملك
السنة ٦ لحزقيا ٢ مل ١٨: ٩و١٠	٧٢١	سقوط السامره ونهاية مملكة إسرائيل

الجداول منقولة عن دائرة المعارف الكتابية – نشر دار الثقافة المسيحية القاهرة

ملحق ٥: لوحة عصر الأنبياء



ملحق ٦: التقويم الإسرائيلي



ملحق ٧ : مقاييس وموازين ومكاييل العهد القديم

الأطوال: كانت تؤخذ من الذراع واليد البشرية،

الذراع = ٤٥ سم تقريباً، القصبة = ٦ أذرع

الشبر = ٢٣ سم تقريباً، الراحة (الكف) = ٧,٦ سم تقريباً، الأصبع = ١،٩ سم تقريباً

الموازين: الوزنة = ٦٠ منا = ٣٠ كجم تقريباً. المنا = ٥٠ شاقل = ٥٠٠ جرام تقريباً

الشاقل = ١١ جرام تقريباً = ٢٠ جيره ، الجيره = نصف جرام تقريباً (البكع = نصف شاقل)

مكاييل السوائل:

الحومر (ما يحمله الحمار) = ١٠ بث = ٢٢٠ لتر

البث = ٦ هين = ٢٢ لتر تقريباً، الهين = ١٢ لج = ٣،٦٦ لتر تقريباً

القاب = ٤ لج = ١،٢ لتر تقريباً، اللج = ٠،٣ لتر تقريبا

مكاييل المحاصيل والدقيق:

مثل السوائل ويضاف» الحومر = ١٠ إيفه، الإيفه = ٢٢ لتر

الإيفه = ١٠ عُمر ، العُمر = ٢،٢ لتر تقريباً

أهم المراجع

أولاً: الكتاب المقدس:

١. طبعات وترجمات متعددة
٢. العهد القديم العبري ترجمة بين السطور. الجامعة الأنطونية. بيروت. ٢٠٠٧

ثانياً: المراجع العربية:

٣. دائرة المعارف الكتابية - ٨ مجلدات - دار الثقافة المسيحية القاهرة
٤. جيمس فريزر: الفولكلور في العهد القديم - جزءان - الهيئة العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٦٨
٥. د.س. شارلييه: القراءة الصحيحة للكتاب المقدس - المطبعة الكاثوليكية. بيروت. ١٩٩٤
٦. إ. شاربنتييه: الدليل الى قراءة الكتاب المقدس - دار المشرق. بيروت. ١٩٨٣
٧. تادرس يعقوب، القمص: أسفار موسى - ك. مارجرجس سبورتنج. الأسكندرية. ١٩٨١ - ١٩٨٥
٨. نجيب جرجس: شرح أسفار موسى (٥ كتب). كنيسة العذراء. ملوي. ١٩٧٢ - ١٩٨٥
٩. فلايكوفسكي: عصور في فوضى (ترجمة د. رفعت السيد). سينا للنشر. القاهرة. ١٩٩٤
١٠. سيد القمني، الدكتور: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة. القاهرة. ١٩٩٩
١١. فاضل عبد الواحد، الدكتور: من سومر الى التوراة. سينا للنشر. القاهرة. ١٩٩٦

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

12-The International Standard Bible Encyclopedia. (4 vol) Eerdmans		USA
13- The Interpreter's Dictionary of the Bible .(5 vol)	Abingdon	USA
14- The Interpreter's Bible (12 vol)	Abingdon	USA
15- Layman's Parallel Bible.	Zondervan	USA
16- Thompson: Chain Refernce Bible	Kirkbride	USA
17- Keil & Delitzsch: Commentary on the O.T (10 Vol) Eerdmans		USA
18- Gesenius: Hebrew – Chaldee Lexicon.	Eerdmans	USA
19- Nelson: Maps and Charts of the Bible	Nelson	USA
20- Simon Jenkins Bible Mapbook	Lion	England
21- J. Rogerson: New Atlas of the Bible	Mcdonald	USA
22- A. Edersheim: Bible History Old Testament	Eerdmans	USA
23- A. Edersheim: The Temple	Eerdmans	USA
24- R. Young: Analytical Bible Concordance	Eerdmans	USA
25- Hamlyn: Ancient World	Hamlyn	England
26- Reader's Digest: Atlas of the Bible		USA
27- National Geographic Society: Peoples & Places of the Past		USA
28- J. Strong: Exhaustive Bible Concordance	Baker	USA

كتب صدرت للمؤلف:

١. تطبيقات عملية في الخدمة - ١٩٨٨ (نفدت)

٢. دراسة الكتاب المقدس في مجموعات صغيرة - ١٩٨٩ (نفدت)

٣. كيف نواجه العصر - الطبعة الأولى - ١٩٩١ (نفدت)

٤. سياحة في العهد القديم - أسفار موسى الخمسة - الطبعة الأولى ١٩٩٧ (نفدت)

٥. سياحة في العهد القديم - أسفار موسى الخمسة - الطبعة الثانية ٢٠٠١ (نفدت)

٦. تاريخ دير مارمينا العجائبي بفم الخليج - ٢٠٠٣

٧. كيف نواجه العصر - طبعة ثانية مزيدة - ٢٠٠٤ (نفدت)

٨. سياحة في العهد القديم - السبى والعودة - ٢٠٠٦ (نفدت)

٩. خبرات عملية في خدمة الشباب - ٢٠٠٨ (نفدت)

١٠. الأيقونات القبطية في دير الشهيد مارمينا الأثري بفم الخليج - ٢٠٠٨

١١. حياة وتعليم السيد المسيح في ١٠٠ درس كتاب للشباب

الجزء الأول: من البشارة الى التجلي في ٦٠ درس كتاب - ٢٠١٠

١٢. سياحة في العهد القديم (أسفار موسى-الغزو والمملكة - السبي والعودة) - ٢٠١٠

كتب بالمشاركة: مع خدمة كنائس وسط القاهرة. قام المؤلف باعداد كل الأسئلة متعددة الأجابات

١٣. مسابقات في الكتاب المقدس - ج ١ - أسفار موسى الخمسة - ٢٠٠٠ (نفدت)

١٤. مسابقات في الكتاب المقدس - ج ٢ - الأناجيل الأربعة - ٢٠٠١ (نفدت)

١٥. مسابقات في الكتاب المقدس - ج ٣ - يشوع إلى صموئيل الثانى - ٢٠٠٢ (نفدت)

١٦. مسابقات في الكتاب المقدس - ج ٤ - الأعمال الى كورنثوس الأولى - ٢٠٠٥ (نفدت)

قمنا باستكمال باقي أسفار الكتاب المقدس (عدا الأسفار الشعرية) ووضعناها على موقع الكنيسة
www.marmina-fumalkhalig.org

كتب تحت الإعداد :

١. حياة وتعليم السيد المسيح - الجزء الثاني: من التجلي الى الصعود في ٤٠ درس كتاب.

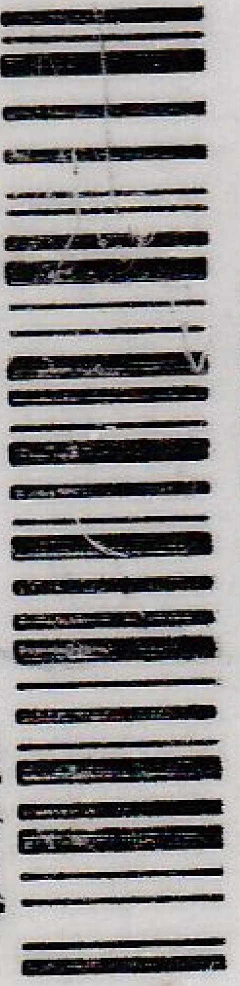
٢. خدمة الشباب: نظرة الى المستقبل

٣. خبرات عملية في خدمة الشباب - طبعة ثانية مزيدة

يمكن الاتصال بالمؤلف في كنيسة مار مينا العجائبي الأثرية بفم الخليج ت: ٠١٢٢٤٤٢٣٣٢ - ٠٢-٢٣٦٩٤٨٠٠
أو بالبريد الإلكتروني: Email: mamdouhshafik@gmail.com

دراسة متميزة وهامة، إذا أضفنا إليها
دراسات المهندس ممدوح حول العهد الجديد
في كتابه "حياة وتعليم السيد المسيح" يكون
لدينا منهج شامل لدراسة الكتاب المقدس بعهديه
لا غنى عنه لكل دارس للكتاب، أو خادم كلمة..

الأنبا موسى



مع الكتاب قرص مدمج
عليه أكثر من ١٠٠٠ خريطة
ولوحة ورسم وصورة ملونة